نبوءات نبي الإسلام ﷺ

في علامات الساعة الكبرى والصغرى

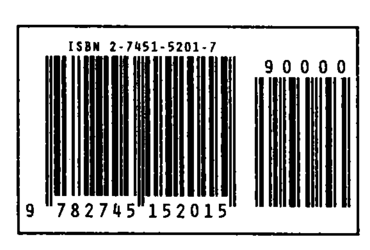
الدجالون قديمًا وحديثًا والفتن الدامية بين المسلمين وفتنة الدهيماء وسواها، المهدي وقتال الروم والخلافة الراشدة المنتظرة والمسيح الصادق والمسيح الدجال ومن بعث ثم موت عيسى بن مريم إلى نفخة الصور والعلامات الكبرى والصغرى للقيامة وسواها

محمد فهمي الحمدان



الكتـاب : نبوءات نبي الإسلام ﷺ
(في علامات الساعة الكبرى والصغرى)
المـؤلف : محمد فهمي الحمدان
النـاشر: دار الكتب العلميـة ـ بيروت
عدد الصفحات: 400
سنة الطباعة: 2006 م
بلد الطبـاعة: لبنـان
الطبعـة: الأولى

Title : **Nabū'āt Nabiy al-Islām ﷺ**
(Prophecies of Mohammed ﷺ)
Author : Muḥammad Fahmi al-Ḥamdān
Publisher : Dar Al-kotob Al-Ilmiyah
Pages : 400
Year : 2006
Printed in : Lebanon
Edition : 1st





المقدمة

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، وبعد.

كنت خلال مطالعاتي لكتب الحديث النبوي الشريف أعْجَب من الأحاديث التي تخبر عما يقع في زماننا هذا، والمعلوم أن النبي الأعظم محمد ﷺ قد أخبر صحابته ﷺ بكل ما سوف يحدث بعد موته إلى يوم القيامة، ولكنهم أنْسوا كثيرا مما أخبر لحكمة يريدها الله تعالى، وذكروا جزءاً منه، وفي هذا الجزء كفاية لتبصير المؤمنين، ومن الأخبار التي ذكروها إخباره بمقتل عدد من الصحابة ﷺ، وإخباره بالفتنة التي وقعت في عهد عثمان ﷺ وبفتن كثيرة دامية تقع بين المسلمين، وإخباره بالخلافة الراشدة وبزمنها وبزوالها وبتحول نظام الحكم إلى ملك عضوض ثم إلى حكم جبريّ استبدادي ثم إلى خلافة راشدة، وأخبر بفتح جزيرة العرب ومصر والشام وبلاد فارس وبطرد الروم، وأخبر بتمكين الله تعالى للمسلمين في الأرض، ثم بضعفهم مع ابتعادهم عن الإسلام، وأخبر بأن المدينة المنورة سوف تكون حاضرة الدولة الإسلامية في بداية الأمر، ثم ينتقل مركز الحكم إلى سواها، وأخبر بتقلص الدولة الإسلامية وانفصال البلدان المفتوحة عنها، وأخبر عن أمور كثيرة، ولعل أعظمها بالنسبة لنا وللمشككين بصدق نبوة محمد ﷺ وصفه لزماننا بدقة متناهية عظيمة، فلقد وصف أحوال المسلمين والعرب الدينية والسياسية والسلوكية وصفاً دقيقاً يثير الدهشة ويرسّخ الإيمان وينبغي أن يدفع غير المؤمن إلى اعتناق الإسلام، لأن غير المؤمن قد يشكك بصدق الأحاديث التي تحدثت عن أخبار وقعت في الزمان الماضي ولكن ليس من حقه أن يشكك بوصف رسول الله ﷺ لما يقع في

زماننا هذا إن كان نزيهاً وإن لم يكن من المكابرين الجاحدين، لأن النبي ﷺ قد ذكر هذه الأخبار منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

لقد جاء في هذه الأخبار التي اصطلح العلماء على تسميتها بالعلامات الصغرى للقيامة أن من الأمور التي تسبق الساعة (وإذا تطاول رعاة الإبل البهْم في البنيان) - من حديث أبي هريرة برواية الأمام أحمد والبخاري ومسلم وسواهم- ووردت أحاديث أخرى عن التطاول في البنيان في جزيرة العرب، وهذا لم يحدث إلا في أيامنا هذه، وجاء في حديث معاذ وأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهما: (إنّ هذا الأمر بدا رحمة ونبوة، ثم يكون رحمة وخلافة ثم كائن ملكاً عضوضاً، ثم كائن عتوّا وجبْرية وفساداً في الأرض يستحلّون الحرير والفروج والخمور، ويرزقون على ذلك وينصرون حتى يلْقوا الله عز وجل) - رواه السيوطي بإسناد جيد- فصوّر أشكال الحكم في البلدان الإسلامية من زمانه إلى زماننا هذا.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: أقبل علينا رسول الله ﷺ فقال: (يا معشر المهاجرين: خمس خصال إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قطّ حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القْطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا،ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحْكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) – ابن ماجه والبيهقي والبزار ورواه الحاكم من حديث بريدة رضي الله عنه وقال:صحيح على شرط مسلم، وهناك أحاديث أخرى تقويه إضافة إلى قوته- وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا تبايعتم بالعَيّنة، وأخذتم بأذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلاً لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم) - رواه الإمام أحمد وأبو داود وسواهما وهو حديث صحيح- فالخلاص من الذل الراهن لا يتحقق إلا بتحكيم الشريعة في أمور الحياة كلها وبالرجعة الصادقة إلى الإسلام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (صنفان من أمتي لم أرهما:

قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مُميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا) - رواه الإمام مالك والبخاري ومسلم، وجاء في رواية الإمام مالك: (من مسيرة خمسمائة عام) - فصور لنا رجال الأمن ، وصور لنا عري النساء ورفع شعرهن إلى أعالي رؤوسهن وفق التسريحات المجلوبة من الغرب، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يكون في آخر أمتي رجال يركبون على سُرج، كأشباه الرجال، ينزلون على أبواب المساجد، نساؤهم كاسيات عاريات، على رؤوسهن كأسنمة البخت العجاف، العنوهن، فإنهن ملعونات، لو كان وراءكم أمة من الأمم خدمتهن نساؤكم كما خدمتكم نساء الأمم قبلكم) - ابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم، والإمام أحمد عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما - فصور تعري نساء الوجهاء وحرصهم على زيارة المساجد بسياراتهم التي تحملهم إلى أبوابها للتظاهر بالتمسك بالإسلام، وصور الذل الراهن وخدمة نسائنا للأمم الأخرى كما خدمت نساء الأمم السابقة العرب حينما تمسكوا بتعاليم الإسلام، ومعلوم أن التعري لم ينتشر بين النساء العربيات المسلمات إلا بعد منتصف القرن الماضي بسبب ما يسمى بالغزو الثقافي وبسبب صعود المتفرنجين والملاحدة والمستبدين إلى مراكز التوجيه التربوي والثقافي والإعلامي والسياسي.

ولقد سمعت من التلفزيون حديث شيخ له مصنفات كثيرة، وهذا الشيخ قد زعم مراراً أن قوله هو القول الفصل في الأمور كلها وفق أحكام الشريعة الإسلامية، ولقد أصبح هذا الشيخ يتخبط في شيخوخته ويفتي بغير ما أنزل الله عز وجل ويسفّه أقوال وأفعال معظم علماء الأمة، وما سأذكره هو من أهون تخبطاته، ولقد أخبرنا النبي الأعظم ﷺ بظهور أمثال هذا الشيخ في فتنة الدهيماء التي داهمتنا والعياذ بالله من شرورها ومن أن نضل فيها ونبيع ديننا بدنيانا، لقد سمعت هذا الشيخ يهاجم علماء الإسلام قاطبة دون استثناء، وذكر مما ذكر أن طالبة جامعية سألته: هل يجوز أن تصلي مع تمسكها بالتعري أمام الناس، فأجابها: نعم يجوز. فقالت له: إنني سألت علماء كثيرين وقالوا لي لا يقبل الله عز وجل صلاة من تتعرى أمام الناس. فقال لها: صَلِّ ولا تستمعي إليهم. ثم عاد إلى

مهاجمة علماء الإسلام دون استثناء لأنه بحسب توهمه العالم الوحيد الذي يفهم الإسلام.

لقد مرق هذا الشيخ العجوز من الإسلام بفتواه هذه وحدها، فهي مناقضة لأحكام القرآن الكريم والسنة الشريفة، ومناقضة للأحاديث التي ذكرت مبايعات النبي الأعظم ﷺ لأقوام ولرجال ولنساء، ففيها عدم مبايعته لمن يشترط البقاء على الزنى، وهذا كان مع الكافرين أما الطالبة السائلة فهي من المحسوبات على الإسلام، والتعري أسوأ من الزنى لأنه يهيج الناس ويدفعهم إلى الزنى فينتشر ويعم، بينما يبقى الزنى المستور محصوراً محدوداً مقتصراً على أناس قلائل، والحديثان السابقان يكفيان لدحض فتواه ولصد عدوانه الحاقد على الجماعات الإسلامية وعلماء المسلمين.

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه) قلنا يا رسول الله اليهود والنصارى؟ قال: (فمن) - الإمام أحمد والبخاري ومسلم- وقد فعل مسلمون كل ما فعله الصهاينة والصليبيون، بل فعلوا كل ما يريد الصهاينة والصليبيون أن يفعلوه، فلقد أخذوا من الغرب كل غثّ وتافه وعقيم باسم التقدم والتحضر ونادوا بتقليده في أموره الضارة والنافعة ، ونشروا الموبقات، وقلدوه في كل أمر يؤدي إلى إغضاب الله عز وجل وإلى تدمير الأمة وإيصالها إلى غاية الضعف، وهاهي وسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات تبذل جهودها لإدخال (عيد الحب) إلى المجتمع العربي الإسلامي لتدميره.

وإن أي مثقف يعرف أن عيد الحب هو عيد جنسي محض، يسعى فيه الرجال والنساء إلى الزنى، ومع أنهم في الغرب يزنون باستمرار إلا أن الصهاينة والمتصهينين يخشون رجوع الغربيين إلى تعاليم أناجيلهم التي تنهى عن الزنى، لذلك جعل الصهاينة هذا العيد لتجديد العزم على مواصلة الدعارة إلى الأبد لوضع عقبة من العقبات الكثيرة التي وضعوها للحيلولة دون الرجوع إلى الدين.

والأمر اللافت للنظر والمثير للشكوك أن سعي هؤلاء المشبوهين لإدخال عيد الحب إلى مجتمعنا العربي الإسلامي قد جاء مع الهجمة المتصهينة الشرسة الحاقدة على الفلسطينيين والأفغانيين والعراقيين وسواهم، وفي الوقت الذي كان فيه رؤوس الإدارة الأميركية المتصهينة يعلنون فيه جهاراً أنهم استعمروا العراق

للمحافظة على أمن إسرائيل، وأنهم سوف يستعمرون بلداناً عربية وإسلامية للمحافظة على أمن إسرائيل، وقد ألقوا القنابل التي تزن كل واحدة منها عشرة أطنان أو أكثر على رؤوس المسلمين في العراق وأفغانستان، وألقوا فيهما القنابل المحرمة دولياً في القانون الدولي الذي يُطبق على الضعفاء ويخرقه الأقوياء ويبولون عليه، فكيف نفسر دعوة هؤلاء المشبوهين لترويج عيد الحب في المجتمع العربي الإسلامي؟ هل يريد هؤلاء أن يصبّ الأميركيون قنابلهم الهائلة المدمرة فوق رؤوسنا ويجتاحون بلادنا ويغتصبون نساءنا ورجالنا جنسياً ويصبون علينا وسائل التعذيب الوحشي الذي لم يعرف التاريخ مثيلاً له ونحن نسعى إلى الزنى؟! هل يريدون منا أن نقاوم وحشية المتصهينين بفروج الزانيات وقضبان الزواني؟! أم يريدون تهيئة أجواء إرواء الشهوات للمتصهينين المتوحشين الذين فاقت وحشيتهم وحشية وحوش التاريخ مجتمعين من عصر قابيل إلى عصر هتلر؟ وإن هتلر يُعدّ رؤوفاً رحيماً بالقياس إلى السفاح جورج بوش الابن وإلى الصهاينة وإلى جنود التحالف في العراق وأفغانستان، أم يريدون منا أن نستقبل الجلادين المتوحشين بنثر الزهور على رؤوسهم وبتسليمهم أنفسنا وأعراضنا وبلادنا ونقف أمامهم عبيداً أذلاء صاغرين وندعوهم إلى الاحتفال بعيد الحب مع نسائنا؟!.

ومعلوم أن الذين ينادون بتقليد الغرب في قذاراته ويدفعون الأمة إلى ذلك قد أحجموا عن تقليده في مسيرته العلمية العظيمة، واقتصروا على تقليده بنشر العري والزنى وانتخاب ملكات جمال وتمزيق الروابط الأسروية والإنسانية ونقل فلسفته وترجمة شعره وثرثرات ثرثاريه ومسخ الشعر العربي والنقد الأدبي لتغييب دور الأدب الذي كان يحتل المرتبة الثالثة بعد القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف في التحريض على مواجهة الغزاة وعلى السير في طريق العلم وعلى التمسك بمكارم الأخلاق، ووجهوا طاقات وأموال الأمة ووسائل الإعلام إلى العناية بالمباريات الرياضية وبالممثلين وبالمغنين وبالراقصين وبالموسيقيين........

وتصوير هؤلاء على أنهم نجوم، فحببوا إلى أبناء الأمة السير في هذه الطرق المدمرة وتجنب السير في طريق العلم والحضارة الحقيقية لإيصال الأمة إلى منتهى الضعف، ولكي تصبح إسرائيل وحدها أقوى من الأمة العربية

والإسلامية معاً، ومعلوم أن إسرائيل لم توجه طاقاتها إلى هذه التفاهات منذ نشأتها حتى يومنا هذا.

والتوجيه إلى مثل هذه الأمور التافهة لا يؤدي إلا إلى الضعف وإلى مزيد من التخلف، وإن إشغال الأمم بهذه التفاهات خطة صهيونية منصوص عليها في كتاب (بروتوكولات حكماء صهيون) وعلى من لم يقرأه أن يقرأه بتمعن مراراً ليرى أن هناك من المحسوبين على العرب والمسلمين من يقود العرب والمسلمين إلى ما يريده (حكماء صهيون) ، ومن الأمور التي يقومون بها لتحقيق المخطط الصهيوني إجراء مقابلات كثيرة متتابعة مع ممثلين ومغنين ورياضيين....وإصدار مجلات كثيرة جداً مختصة بهذه المجالات، وتكرار الزعم بأن الحضارة تكون في هذه المجالات العقيمة!.

ومن أعمالهم الأخيرة دعواتهم في الأقطار العربية كلها لإحياء السينما، ومن المعلوم أن السينما قد ماتت منذ زمن طويل، فهي قد ماتت بمجرد اختراع (الفيديو) ،ثم تفسخت جثتها وأصبحت رميماً باختراع (السيدي) وانتشار البث التلفزيوني بالأقمار الصناعية وانتشار الشاشات الكبيرة، فالسينما قد فقدت روادها، وانصرف الناس عنها، وتم إغلاق معظم دور السينما في العالم، وما تزال البقية الباقية تنتظر فرصة سانحة لتحويلها إلى مجال آخر غير السينما....

ولقد نهض في الوطن العربي فريق أظنه منقاداً للمتصهينين ينادي بإحياء السينما، وقد أطلقوا شعارات طنانة رنانة جزلة تملأ كلماتها الفم، وكأن السينما من ابتكارهم وليست مجلوبة من الغرب، وكأننا سنتصدى للصهاينة والمتصهينين بإحياء السينما وسوف نحرر بها ما استُعمر وما سيستعمر، وربطوا وجود السينما بالحضارة، فالأمة المتحضرة هي الأمة التي تنتج أفلاماً سينمائية،مع العلم أن معظم أفلامهم ومسلسلاتهم في غاية السخف والتفاهة، ومن المعلوم أن السينما خاسرة، ولذلك طالب هؤلاء المشبوهون الحكومات بتمويلها في الوقت الذي تحتاج أمتنا فيه إلى السلاح وإلى الذخيرة للدفاع عن النفس والعرض والأرض والكرامة وتحتاج إلى التقدم في الميادين العلمية والصناعية وغيرذلك من أمور ضرورية ، وتم لهم ذلك وأعيد إنشاء مؤسسات حكومية لإحياء السينما وهي رميم، ونشرت المؤسسات الثقافية الحكومية كتباً كثيرة عن السينما امتلأت بها مستودعاتها إلى جانب كتبها الأخرى الكاسدة، وأنشئت مهرجانات للسينما

والمسرح تنفق عليها الحكومات العربية -المدينة بعشرات مليارات الدولارات- الأموال وتمنح فيها الجوائز ومن المعلوم أنه ينتعش بسبب هذه الأمور الممثلون وسواهم من المنتفعين، فهم يحصلون على أجور عظيمة يلعبون بها القمار ويروون بها شهواتهم ويسافرون بها إلى أوربا وأميركا.. ويتزوجون ويطلقون، ويفعلون كل شيء لا ينفع الأمة، بل يفعلون ما يضر الأمة وما يريده الصهاينة والمتصهينون، بينما يبقى علماء هذه الأمة وأدباؤها الوطنيون المتمسكون بالأصالة وسواهم من العاملين الجادين المخلصين في فقر مدقع وتعتيم أبدي متعمد للحفاظ على أمن إسرائيل الذي لا يمكن أن يتم في نظر الصهاينة والمتصهينين إلا بتدمير العرب والمسلمين وبإفساد عقولهم ونفوسهم وبتمزيقهم وبإضعافهم وبتخلفهم وبالسير بهم في الطرق التافهة العقيمة الضارة، فتهدر الأموال فيها، وتواصل إسرائيل التقدم في المجالات العلمية والصناعية كلها، وقد أصبحت إسرائيل من الدول المصدرة لكل شيء حتى الأسلحة والطيران الحربي، وصنعت الأسلحة الذرية والصواريخ، وتهددنا بالاجتياح بصورة دائمة مع حليفتها أميركا وحلفائها وعملائها.

والعجيب أن الذين قادوا الأمة ويقودونها إلى الضعف والتخلف والدمار يتجرؤون أحياناً فيتهمون الإسلام بأنه كان وحده سبب الهزائم والدمار، مع أنهم قد بذلوا قصارى جهودهم وما يزالون لتغييب الإسلام ومحو أي أثر من آثاره، وهم يتجاهلون عظمة الانتصارات التي حققها العرب حينما تمسكوا بالإسلام، ويتجاهلون عظمة الحضارة التي صنعوها بسبب تمسكهم بالإسلام أيضاً.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، وليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) - رواه مسلم-.

ومن المعلوم عند عامة المسلمين المثقفين ورود كثرة القتل أو (الهرج) وموت الفجاءة وكثرة الزلازل بين العلامات التي تسبق الساعة، ونحن نرى ذلك جلياً في زماننا هذا، وقد ذكر رسول الله ﷺ أموراً كثيرة جداً مما يجري في زماننا هذا لا أرى حاجة إلى ذكرها لأنها مجموعة في كتب هذه السلسلة

(نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ).

وها هو حديث يتحدث عن الهجمة البوشية المتصهينة على بلاد المسلمين رواه لنا ثوبان وأبو هريرة رضي الله عنهما.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان: (كيف أنت يا ثوبان إذا تداعت عليكم الأمم كتداعيهم إلى قصيعة الطعام يصيبون منه) قال ثوبان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أمن قلة بنا؟ قال: (لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن يلقى في قلوبكم الوهن) قالوا: وما الوهن يا رسول الله ؟ قال: (حبكم الدنيا وكراهيتكم القتال) وجاء في رواية ثوبان: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن) -رواهما الإمام أحمد وسواه- فهذا الحديث يصور بدقة وباختصار الهجمة الشرسة التي قام بها بوش الأب وبوش الابن على بلدان المسلمين بحجة مقاومة الإرهاب، وقد دعوا دول العالم كلها للاشتراك في الهجوم على المسلمين، ووعد بوش الابن علانية بتوزيع الغنائم من واردات البترول العراقي على من يرسل جنوداً، لذلك شبه النبي الأعظم ﷺ هذه الدعوة للمشاركة في الحرب بالدعوة إلى التهام الطعام، وصور خوف المسلمين من مواجهة المعتدين واستهانة المعتدين بالمسلمين، ومع أن المتصهينين قد أصابهم الغرور بسبب سهولة احتلالهم للعراق بسبب المساعدات والتسهيلات التي حصلوا عليها، فكشفوا عن مخططاتهم الإجرامية التي ترمي إلى إضعاف العرب والمسلمين وتمزيقهم واضطهادهم وإبادة معظمهم وإذلالهم لكي يحيا الصهاينة مطمئنين إلى أن العرب والمسلمين لن تقوم لهم قائمة إلى الأبد ولن يفكر أحدهم مجرد تفكير بجرح صهيوني أو متصهين مهما فعل به، مع كل ذلك ما زال المسلمون يستبعدون مواجهة أميركا والجهاد لتحرير الأقطار الإسلامية المحتلة، مع أن الجهاد قد أصبح فرض عين على كل مسلم، ولن ينفع الخوف والانقياد للمتصهينين، فلقد خضعت الحكومة العراقية لطلباتهم المذلة كلها في تدمير أسلحتها وتفتيش أرض العراق بكاملها وتصويرها وإيجاد عملاء لهم، وبعد تنفيذ الطلبات ومعرفة كل شيء عن العراق غزوه دون ذريعة يتذرعون بها ودون قرار من مجلس الأمن المتأمرك هذه المرة، وهذا ما يريدون فعله بالعالم العربي والإسلامي، فأميركا تسعى بصورة متواصلة لكي تحشد جنوداً من العالم كله

ليشتركوا مع جنودها في قتل المسلمين، لأنها لا تستطيع أن تفعل ذلك وحدها، وهي تبذل جهودها باستمرار لجر أقدام جيوش العالم لقتل المسلمين، وهي تختلق الذرائع باستمرار ضد بلدان المسلمين لتتخذها ذريعة لغزوها وليس من الضروري وجود الذريعة، ولكنها أفضل، ولولا جهاد المسلمين في العراق لاجتاحت سورية ولبنان وإيران والسودان وليبيا وسواها من الأقطار التي هددتها علانية، ولمزقت السعودية إلى أربعة أجزاء كما ظهر في مخططاتها، تعطي ساحل البحر الأحمر والمدينة المنورة لإسرائيل، وتجعل صحراء الربع الخالي منطقة تجارب نووية، وتنشئ دولة في مكة المكرمة،وتجعل الرياض وما حولها دولة، ولكن مجاهدي العراق أجبروها على التمهل في تنفيذ مخططاتها، ولكنها لن تهملها، وهي تبذل جهوداً عظيمة لإقحام أوربا معها وجر أقدامها لاحتلال سورية ولبنان وإيران والسودان والعراق واليمن والصومال وسواها...، فالمتصهينون مصممون على غزو ديار المسلمين، ولن ينفع المسلمين الخضوع لأميركا، لأن المتصهينين يريدون إذلال العرب والمسلمين بصرف النظر عن أي شيء آخر وإن كان هناك من يمنّي نفسه بالحياة الرغيدة تحت العلم الأميركي فهو يكذب على نفسه وحدها، وإذا نهض المسلمون نهضة واحدة للجهاد وطرد الأميركيين وحلفائهم من الأرض الإسلامية فهذا خير من أن تظل كل دولة قاعدة عن الجهاد إلى أن يأتي دورها في المخطط المرسوم، ثم إن الله سبحانه وتعالى يرضى عن المسلمين إذا نهضوا للجهاد وينصرهم، أما إذا تقاعسوا وقعدوا فسوف يحل بهم غضب الله تعالى وسخطه، وسيكونون من الخالدين في نار جهنم، وقد جاء في حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن فتنة الدهيماء الراهنة: (ثم فتنة الدهيماء لا تَدَعُ أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) - رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم كلهم بسند صحيح-.

وجاء عن هذه الفتنة في أحاديث أخرى (ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته) - رواه البخاري والإمام أحمد وسواهما عن عوف بن مالك رضي الله عنه- وجاء في حديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما (وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم) - رواه الإمام أحمد- فهذه الفتنة عامة، وهي تتفجر في مكان ثم

تهدأ لتنفجر بعد زمن، وتنتقل من مكان إلى مكان، ولا تدع بيتاً من بيوت العرب إلا دخلته، فلا يستطيع عربي أو مسلم أن يكون فيها حيادياً،وقد سميت بالدهيماء أي السوداء المظلمة لعدم وضوح الأمور فيها ولانتشار الكذب ولعدم معرفة كثيرين من المسلمين ما يفعلون فيها ولوجود شيوخ فيها يفتون بنقيض ما أنزل الله تعالى فيساهمون في طمس الحقائق وإضلال المسلمين وإغضاب الله تعالى واستنزال بطشه، ومما جاء عن هؤلاء الشيوخ:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللّين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي يغترون أم عليّ يجترئون؟ فبي حلفت لأبعثنّ على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيران) -رواه الترمذي وهو حديث حسن، ورواه بنحوه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وهو حديث حسن أيضاً-.

وهذه الأحاديث وما يجري مجراها دليل قوي واضح على صدق نبوة نبينا الأعظم محمد ﷺ : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ فأحاديثه الشريفة وحي من الله تعالى، وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وبطاعة رسوله محمد ﷺ ، وبين لنا الرسول الأعظم ﷺ أنه ترك فينا أمرين إن تمسكنا بهما فلن نضل أبداً، وهما كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ ، ولقد صدق رسول الله ﷺ ، فأحاديثه الشريفة تنير لنا الطريق الذي يجب أن نسير فيه والأمور التي يجب أن نتمسك بها والأمور التي يجب أن ننبذها، وقد أخبرنا بكل ما سوف يقع، وحذرنا من المخاطر التي سوف تعترضنا، وأنار لنا سبيل النجاة من المهالك والفوز برضوان الله تعالى وبثوابه العظيم، ويجب أن ندرك أن هذه الحياة الدنيا قصيرة جداً وأن الدنيا وما فيها من لذائذ في إرواء الشهوات وفي وسائل الرفاهية والأموال والمتاع هي عند الله تعالى كجثة متفسخة منتنة قذرة ملقاة على مزبلة، وهذا مضمون حديث نبوي شريف، ففي الجنة خلود، أي حياة أبدية، وليس فيها مرض ولا جراح ولا شلل ولا ضعف ولا شيخوخة، بل فيها شباب دائم، وإن أغنى سلاطين الأرض لا يستطيع أن يبني قصراً من قصور الجنة، لأنها مبنية من الجواهر المتنوعة بصورة هندسية رائعة، ويجد المؤمنون في الجنة ما يشتهون، وما يشتهونه هو ألذّ وأفضل مما كان في الدنيا بأضعاف

مضاعفة، فمذاق اللحوم والفواكه وأنواع الشراب وسائر الأغذية ألذ، وفيها أنهار من عسل مصفّى ولبن لذيذين وخمرة تجلب النشوة بينما خمرة الدنيا تعطل العقل وتسبب القيء وسواه، والنساء في الجنة أجمل ومجامعتهن ألذ، ويمنح الله عز وجل المؤمنين قدرات عظيمة في الجماع، وفي الجنة خدمٌ، ويجد الإنسان أمامه ما يشتهيه، وليس فيها أوساخ ولا عمل ولا تعب ولا أذى إلى آخر ما هنالك من أنواع النعيم.

فالإنسان العاقل هو الذي يعمل لآخرته لأنه يحصل على مكاسب عظيمة تبدو الدنيا بما فيها تافهة أمامها، وهذا وفق المعيار المادي الذي يسير عليه معظم الناس في زماننا هذا.

ثم إن الإنسان إذا أعرض عن طاعة الله عز وجل وطاعة رسوله الكريم وغرق في وحول الحرام فإنه سوف يشقى ويتعب في الدنيا كثيراً، ثم يأتيه الموت بغتة، فيرى أن حياته كانت كحلم قصير، ويُدفن ويتعرض لعذاب القبر إلى يوم القيامة، ثم يُلقى في نار أشد من نار الدنيا بسبعين مرة، فيحرق ويتجدد جلده باستمرار لكي يذوق أشد العذاب باستمرار، ويتمنى الموت فلا يحظى به، ويتمنى لو أنه كان تراباً في حياته الدنيوية المنصرمة.

فأي مصير يجب أن يسعى إليه الإنسان العاقل؟.

لهذا عكفت على جمع هذه الأحاديث لتبصير الأمة الإسلامية وإرشادها إلى الطريق الذي يجب أن تسلكه لدرء المخاطر عنها في الدنيا والآخرة وللفوز برضا الله عز وجل، وقد أطلقت على هذه السلسلة اسم (نبوءات نبي الإسلام محمد ص) ، والإخبار عن الغيب معجزة، فهذه الأحاديث من معجزات النبي الأعظم ﷺ ، ولكنني أردت أن أعزل هذه المعجزات عن معجزاته التي وقعت خلال حياته لما فيها من فوائد جسيمة لا تحصى، فمعجزاته في حياته كانت للبرهان على صدق نبوته ولتثبيت فؤاده ولترسيخ الإيمان في قلوب المؤمنين، أما الأخبار التي ذكرها فهي تصحح وقائع تاريخية، وتبين أسباب ضعف المسلمين، وتبين لهم ما يتعرضون له من مخاطر عديدة، وتتيح لمن يعقل الاستفادة من الأخطاء والكبوات، وتنير لهم الطريق الذي يجب أن يسلكوه للفوز في الدنيا والآخرة معاً، وإن كلمة النبوءات صحيحة من الناحية اللغوية ومقبولة من الناحية الشرعية لأن معناها هو الإخبار عن الغيب.

ولم يقم بهذا العمل أحد قبلي لا من القدماء ولا من المعاصرين، فلقد اقتصر من كتب في هذا المجال على ذكر العلامات الكبرى للقيامة دون أن يحيط بالأحاديث الواردة عنها، ولذلك رأيت أنه يجب أن أكتب عنها، وقد جعلتها في كتاب فيه (الخلافة الراشدة المنتظرة وظهور المهدي والمسيح الصادق والمسيح الدجال إلى نفخة الصور: العلامات الكبرى للقيامة) وسوف يجد القارىء في الكتاب المذكور أخباراً وتوضيحات جديدة لم يذكرها المصنفون، أما من ناحية هذا الكتاب والكتب الأخرى التي جمعت فيها ما أخبر رسول الله ﷺ بوقوعه بعد وفاته إلى ظهور العلامات الكبرى فلم يسبقني إلى ذلك أحد على الإطلاق، فكل الذين كتبوا عن العلامات الكبرى ذكروا بعض الأحاديث التي تخبر عن أمور سوف تقع قبلها، واصطلحوا على تسميتها بالعلامات الصغرى، ولم يكتبوا عنها سوى صفحة أو صفحتين أو صفحات قليلة تذكر بعض ما يقع، وهكذا بقيت هذه الأحاديث متناثرة في بطون أمهات كتب الحديث دون أن يُعْنى بجمعها أحد، وحينما اجتمعت لدي الأحاديث سَهُلَ علي اكتشاف أمور جديدة كثيرة لم تكن معروفة من قبل أو لم تكن واضحة، وسهل علي تصويب أخطاء كثيرة وقع بها علماء لعدم إحاطتهم بالأحاديث ولعدم المقارنة والربط فيما بينها، ولعدم اطلاعهم على أحاديث تشرح المقصود من أحاديث أخرى.

والأخطاء التي صوّبتُها كثيرة، منها على سبيل المثال أن علماء ومثقفين كثيرين كانوا يظنون أن إسرائيل سوف تبقى إلى ظهور العلامات الكبرى للساعة معتمدين على أحاديث تتحدث عن قتال بين المسلمين واليهود من مثل: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون...) - الإمام أحمد والبخاري ومسلم- وعلى أحاديث تتحدث عن قتل اليهود والدجال بعد ظهور سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ ، ولو أنهم جمعوا الأحاديث التي جاءت عن المسيح الصادق والمسيح الدجال لما وقعوا في هذا الخطأ، فهي تنص على أن اليهود يتبعون الدجال، وكذلك نصّ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بوضوح على ذلك: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة) - الإمام أحمد ومسلم- فاليهود الذين سوف يُقتلون خلال ظهور الدجال ونزول عيسى ﷺ هم يهود أصبهان وسواهم من اليهود الذين سوف يتبعون الدجال، أما يهود إسرائيل

فسوف يتم قتلهم بإذن الله عز وجل بعد قيام الخلافة الراشدة المنتظرة في الشام التي سوف تقوم قبل انجلاء فتنة الدهيماء الراهنة، وقد سألت مثقفاً فأخبرني أن هناك عدداً كبيراً من اليهود في أصبهان في إيران وأنهم كانوا يستفزون مشاعر المسلمين في عهد الشاه الأخير بطريق عرض المشاهد الجنسية علانية والعري وسواهما، وعلى هذا ما يزال اليهود مقيمين في أصبهان ليسيروا مع الدجال حينما يخرج.

والجدير بالذكر أنني عملت على استخراج الأحاديث من الكتب المعتمدة عند الجمهور، وهي: موطأ الإمام مالك، وصحيحا البخاري ومسلم، وسنن أبي داود، والجامع للترمذي، والمجتبى للنسائي، ثم من مسند الإمام أحمد بن حنبل، وعلى بعض الكتب التي جمعت أحاديث كالترغيب والترهيب للمنذري والكبائر للذهبي وغيرهما، ومن كتب ذات موضوعات دينية، وأرجو أن أكون قد استخرجت ما في هذه الكتب كله لأن الإنسان لا يأمن من السهو أو الغفلة أو شرود الذهن، وينبغي الإشارة إلى أن كتب الحديث التي اعتمدت عليها كانت مطبوعة طباعة قديمة رديئة ولم تكن مرقمة باستثناء موطأ الإمام مالك الذي أعده أحمد راتب عرموش ونشرته دار النفائس في بيروت، لذلك رجعت بعد التصنيف إلى ترقيم بعض الأحاديث معتمداً على كتاب (جامع الأصول في أحاديث الرسول) لابن الأثير بتحقيق الشيخ عبد القادر الأرناؤوط جزاه الله تعالى كل خير، أما الأحاديث الموجودة في مسند الإمام أحمد فلقد أشرت إلى أرقام أجزائها، والنسخة التي اعتمدت عليها مطبوعة في خمسة أجزاء، ومعلوم أن الإمام قد جمع أحاديث كل صحابي على حِدَة وقد أخذت أرقام بعض أحاديث المسند من حواشي جامع الأصول المذكور.

وأود الإشارة إلى أنني قد رقمت أحاديث كتب النبوءات من البداية إلى النهاية، وذلك لأنني حرصت على أن أذكر الحديث بتمامه مع تخريجه مرة واحدة، وحينما أود أخذ جزء منه في عرض خبر آخر فإنني أشير إلى رقمه وأذكر أسماء مصنفي الحديث مع درجته أحياناً وبما أنه سوف يتم نشر بعض كتب هذه السلسلة دون مراعاة ترتيبي لها مراعاة تامة، فقد تركت الترقيم على حالته الأولى لأنه يدل على التسلسل الزمني لوقوع الأخبار في الغالب كما تأكدت أو رجحت أو ظننت، أو لأن بعضها يخبر عن أخبار في ميدان واحد.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك من صنّف كتباً اعتمد فيها على كتاب لا يصحّ الأخذ منه وعلى أحاديث في غاية الضعف وعلى أقوال موضوعة، وأوّلها تأويلاً غير مقبول، وقد فعل أوربيون من قبل مثل هذا الفعل ففسروا أقوالاً مبهمة تفسيراً رمزياً حمّلوا فيه الألفاظ معاني لم تحمل شيئاً منها، فكانت كتاباتهم مضطربة غير صحيحة، لذلك كان من الضروري أن تظهر سلسلة نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ هذه لتمحو تلك الضلالات محواً كاملاً ولتضيء للمسلمين ولغير المسلمين طريق الحق الصحيح المبين القويم.

كما ينبغي الإشارة إلى أنه قد ظهر بين المحسوبين على الإسلام من لم يقتنع بظهور المسيح الدجال وبنزول عيسى ابن مريم ﷺ وبظهور الإمام المهدي.... إما عن جهل منهم بأحاديث رسول الله ﷺ وإما عن عدم اقتناع بإمكان وقوعها وزعمهم أنها غير معقولة ولا تراعي المنهج العلمي، فعقولهم لم تقتنع بوقوع الأمور الخارقة للعادة وللمألوف، وإنني أستغرب طبيعة عقولهم، إذ كيف يقتنعون بأن الأرض والشمس والقمر والكواكب والنجوم تدور في الفضاء حول نفسها وحول غيرها في الوقت نفسه دون أن ترتكز على دعائم ودون أن تسقط ودون أن يطرأ تغيير على زمن وطريقة دورانها، ودون أن تصطدم ببعضها؟!.

أليس هذا من أعظم الخوارق؟!.

وأرجو من الله عز وجل أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، ونافعاً للمسلمين، وأن يثيبني عليه أعظم ثواب، وأن يغفر لي ذنوبي الكثيرة، وأن يسبغ عليّ رحمته الواسعة يوم خروج الروح ويوم ضمّة القبر ويوم الحساب، وأدعو بمثل هذا الدعاء للحاج محمد علي بيضون وشركائه أصحاب دار الكتب العلمية في بيروت، فلولاهم لما تم نشر هذه السلسلة في هذا الوقت، وأدعو لدار الكتب العلمية بالازدهار العظيم، وأرجو أن يضع الله عز وجل هذا الكتاب وأمثاله في ميزاني وفي ميازينهم يوم القيامة حيث يوزن مِداد العلماء بدماء الشهداء كما أخبرنا النبي الأعظم ﷺ ، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

العبد المذنب الراجي مغفرة الله عز وجل ورحمته الواسعة في الدنيا والآخرة وما بينهما.

محمد فهمي الحمدان

قرب يوم القيامة

لقد ذكر الله عز وجل في قرآنه أن يوم القيامة قد بات قريباً من الناس، قال جل جلاله: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ ﴾ - القمر: ١/٥٤ وقال جل جلاله: ﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ۝١ ﴾ - الأنبياء ١/٢١ - وقال جل جلاله: ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ۚ ﴾ - النحل ١/١٦ - فالساعة قريبة ولكن الله عز وجل قد أبقى موعد قيامها غير معلوم، ولم يُطْلِع عليه أحداً من خلقه، قال جل جلاله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝١٨٧ ﴾ - الأعراف ١٨٧/٧ -.

وقال جل جلاله: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۝٤٢ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ۝٤٣ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ۝٤٤ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ۝٤٦ ﴾ - النازعات ٤٢/٧٩ إلى ٤٦ -.

وقال جل جلاله: ﴿ فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ۝٧ ﴾ - المعارج ٥/٧٠ إلى ٧ -.

وقال جل جلاله: ﴿ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا۟ يَـٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝٣١ ﴾ -الأنعام ٣١/٦ -.

وقال جل جلاله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٦٦ ﴾ - الزخرف ٦٦/٤٣ -.

وقال جل جلاله: ﴿ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠ ﴾ - يس ٣٦/ ٤٩ و ٥٠ -.

وقال جل جلاله: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٢١٠﴾ ﴾ - البقرة ٢/٢١٠-.

فالساعة تأتي بغتة وميعادها لا يعلمه إلا الله عز وجل، وهو من العلم الذي استأثر به وحده جل جلاله: ﴿ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ ﴾ - فصلت ٤١/٤٧- ولكنه جل جلاله أخبرنا بأنه قريب غير بعيد، وقد أعطانا سيدنا محمد ﷺ فكرة تقريبية عن قربه، فقد قال في حديث سوف أذكره بتمامه بعد قليل.

- رقم٧-: (وإن ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي في يومكم هذا فيما مضى منه) وقد قال سيدنا محمد ﷺ هذا القول قبل غروب الشمس بدقائق،لأن الشمس كانت موشكة على الغروب، وهذه معجزة من المعجزات الكثيرة التي ظهرت على يدي رسول الله محمد ﷺ ، فقد أخبر بالكلام الصريح الواضح الدقيق أن الزمن الباقي من الدنيا بالنسبة إلى ما مضى منها هو مثل نسبة الدقائق الباقية من النهار إلى النهار بكامله، وقد قال محمد ﷺ هذا الكلام في الوقت الذي كان فيه اليهود يرون بناءً على التقويم العبري المعتمد على التوراة أن عمر الأرض أربعة آلاف سنة وبضع مئات من السنين، وهذا ينقضه العلم المعاصر، فمن أين لمحمد ﷺ أن يعرف أن هذا التأريخ غير صحيح لو لم يكن نبياً مرسلاً من الله سبحانه وتعالى؟.

فلو كان محمد ﷺ قد أخذ علوم النصارى واليهود وقرأ كتبهم وتتلمذ على أحبارهم ثم زعم أنه نبي لوجب أن يقع في أخطائهم وأن يقتفي خطوات (التوراة) في تأريخه لنشوء الإنسان على الأرض كما فعل اليهود، إنه لم يفعل ذلك لأنه ﷺ لم يتتلمذ على أيديهم ولم يقرأ كتبهم ولم يسمعها، بل قال والشمس موشكة على الغروب ما معناه: إن ما بقي من عمر الإنسان على الأرض هو مثل نسبة هذه الدقائق المعدودة إلى النهار بكامله، وهذه الدقائق تعادل قروناً لا يعلم عدتها إلا الله وحده سبحانه وتعالى، وإذا كانت الدقائق القليلة تمثل ما بقي من عمر الإنسان على الأرض، فحياته الماضية على الأرض هي بنسبة النهار بكامله إلى هذه الدقائق القليلة، وإذا كانت الدقائق القليلة تمثل أربعة عشر قرناً مضت يضاف إليها قرون أخرى علمها عند الله تعالى فإن النهار كله يعادل قروناً كثيرة جداً يصعب إحصاؤها، ولا يغرب عن الأذهان أن العلماء

المعاصرين يقدّرون الآن عمر تكون النظام الشمسي بأربعة مليارات ونصف مليار من السنين، وهذا بالطبع مجرد تخمين تقريبي، ولكن البشر مقتنعون اليوم بأن عمر الأرض كبير جداً، والبحوث التاريخية المعاصرة قد اكتشفت آثاراً ترى أنها تعود إلى ستة وثلاثين قرناً قبل ميلاد المسيح ﷺ ، وعلى هذا يكون تقدير محمد ﷺ لتأريخ نشأة الإنسان على الأرض تقديراً صائباً يعطي فكرة تقريبية واضحة عن قِدَمِ الأرض، بينما نرى التأريخ العبري الوارد في (التوراة) باطلاً، ففي وقت الهجرة النبوية من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة يكون قد مضى على عمر الإنسان على الأرض (٤٣٨٣) سنة وفق التقويم العبري، وهكذا أعلن علماء الإسلام أن عمر الإنسان على الأرض طويل جداً اعتماداً على قول نبيهم ﷺ الذي كان أمياً لا يعرف القراءة والكتابة وظل أمياً حتى وفاته، وبناء على أقوال القرآن الكريم التي تنص بوضوح على مرور قرون وقرون كثيرة بين كل أمة وأخرى وبين كل نبي وآخر، مع العلم أنه قد جاء أنبياء في وقت واحد وجاء آخرون تباعاً، والأنبياء هم أكثر من ألف نبي كما قال محمد رسول الله ﷺ ، وهذه الكثرة أيضا تعطي فكرة واضحة عن قدم الحياة البشرية على ظهر الكرة الأرضية، يقول الحافظ العلامة ابن كثير في (نهاية البداية والنهاية) معلقاً على ما جاء في حديث النبي الأعظم ﷺ : (والذي في كتب الإسرائيليين وأهل الكتاب من تحديد ما سلف أي ما مضى من عمر الإنسان على الأرض بألوفٍ ومئاتٍ من السنين قد نصّ غير واحد من العلماء على تخطئتهم فيه وتغليطهم، وهم جديرون بذلك، حقيقون به) هذا ما يقوله ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ١٣٧٣م أي قبل أن يكتشف العلماء المعاصرون بطلان التأريخ العبري.

وليس هذا الحديث بالحديث الوحيد الذي يبرهن على صدق نبوة محمد ﷺ ويثبت أنه كما قال فيه الله عز وجل: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ – النجم ٥٣: ٣ إلى ٥–.

فالأحاديث التي تثبت صدق نبوته كثيرة جداً، وسوف يرى القارئ في هذا الكتاب طائفة منها تبرهن على أن محمداً ﷺ نبيّ مرسَلٌ من الله سبحانه وتعالى، وأن الله عز وجل هو الذي أطلع رسوله ﷺ على الأشياء التي لا يعرفها الناس جميعاً من شتى الأديان وليس في وسعهم أن يعرفوها إلا بطريقه ﷺ .

وهذه أحاديث للرسول ﷺ تدور حول تقدير الزمان المتبقي من عمر الإنسان على ظهر الأرض ونسبته إلى ما مضى من الزمان:

١-عن سهل بن سعد الساعدي ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يشير بإصبعه التي تلي الإبهام والوسطى وهو يقول: (بعثت أنا والساعة هكذا) وفي رواية (كهاتين) -رواه البخاري١١/٢٩٩ في الرقاق باب قول النبي ﷺ : بُعثت أنا والساعة كهاتين، وفي تفسير سورة والنازعات وفي الطلاق باب اللعان، ومسلم رقم٢٩٥٠في الفتن باب قرب الساعة-.

٢-عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (بعثت أنا والساعة كهاتين كفضل إحداهما على الأخرى) وضم السبابة والوسطى. وفي رواية للترمذي: (بعثت في نفَس الساعة فسبقتها كفضل هذه على الأخرى) ، وفي رواية له: (بعثت أنا والساعة كهاتين) وأشار أبو داود الطيالسي بالسبابة والوسطى: (فما فضل إحداهما على الأخرى؟) وفي رواية لمسلم (بعثت أنا والساعة هكذا) وقرن شعبة، أحد رواة هذا الحديث، بين إصبعيه المسبّحة والوسطى، يحكيه. -رواه البخاري١١/٢٩٩ في الرقاق باب قول النبي ﷺ : بعثت أنا والساعة كهاتين، ومسلم رقم٢٩٥١في الفتن باب قرب الساعة، والترمذي رقم٢٢١٤و٢٢١٥في الفتن باب ما جاء في قول النبي ﷺ : بعثت أنا والساعة كهاتين يعني السبابة والوسطى- الفضل: الزيادة، يحكيه: يقلده.

٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (بُعثت أنا والساعة كهاتين) ويقرن بين إصبعيه السبابة والوسطى- مسلم رقم٨٦٧في الجمعة باب تخفيف الصلاة والخطبة، والإمام أحمد في مسنده: ٣، والنسائي في العيدين باب كيف الخطبة في جزء من حديث٣/١٨٨و١٨٩-.

٤- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (بعثت أنا والساعة كهاتين) يعني إصبعين – البخاري١١/٣٠٠ في الرقاق باب قول النبي ﷺ : (بعثت أنا والساعة كهاتين..-.

٥- عن المستورد بن شداد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (بعثت في نَفَس الساعة فسبقتها كما سبقت هذه لهذه) لإصبعيه السبابة والوسطى. -الترمذي في الفتن باب ما جاء في قول النبي ﷺ : بعثت أنا والساعة كهاتين يعني السبابة والوسطى رقم٢٢١٤، وإسناده ضعيف، ولكن تشهد له الأحاديث السابقة-.

٦-عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال: (كيف أَنْعَمُ وصاحبُ القَرْنِ قد التقم القرن واستمع الإذن متى يؤمر بالنفخ فينفخ) فكأن ذلك ثقل على أصحاب النبي ﷺ ، فقال لهم: (قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا) - رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣، والترمذي بسند حسن في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور رقم٢٤٣٣، ولكن الحافظ ابن حجر في الفتح١١/٣١٧بعد ذكر حديث أبي سعيد هذا يقول: وأخرجه الطبراني من حديث زيد بن أرقم، وابن مردويه من حديث أبي هريرة، ولأحمد والبيهقي من حديث ابن عباس وفيه: (جبريل عن يمينه، وميكائيل عن يساره، وهو صاحب الصور-يعني إسرافيل-) وفي أسانيد كل منها مقال، وروى الإمام أحمد العبارة السابقة في حديث مستقل عن أبي سعيد الخدري ﷺ في مسنده: ٣، ورواه أبو نعيم في الحلية٣/١٨٩عن جابر ﷺ وقال: هذا حديث غريب من حديث الرملي عن جعفر تفرّد به الرملي عن الفريابي، ومشهوره ما رواه أبو نعيم وغيره عن الثوري عن الأعمش عن عطية عن أبي سعيد الخدري ﷺ ، ورواه الحاكم أيضا بسند حسن عن يزيد بن الأصم عن أبي هريرة ﷺ ورفعه: (إن طرف صاحب الصور منذ وُكّل به مستعد، ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طَرْفُه، كأن عينيه كوكبان درّيان) -.

ولقد جاء في القرآن الكريم آيات كثيرة تعبر عن قِدم الدنيا، منها: ﴿ أَلَمْ يَرَوْاْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَـٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ۝ ﴾ -الأنعام ٦: ٦-.

فالله سبحانه وتعالى يتحدث عن أقوام كثيرين متتابعين أنعم عليهم بالرزق وبالقوة ويسر لهم سبيل تأسيس دول قوية ذات سلطان واسع، ولكنهم جاهروا الله بالمعاصي ولم يأتمروا بأوامره التي أرسلها إليهم عن طريق أنبيائه، فعاقبهم وأهلكهم بسبب ذنوبهم وأنشأ أقواماً آخرين بدلاً منهم.

وقد وردت في الآية السابقة عبارة ﴿ مَّكَّنَّـٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ ﴾ وهذه العبارة تعني أن الدول التي نشأت في الماضي أقوى وأكبر من الدولة الإسلامية أو أن عمرها كان أطول من عمر الدولة الإسلامية، والله أعلم،

وكلا المعنيين يدلان على مرور زمن انقضى حتى تأسست كل دولة من هذه الدول المتتابعة وأصبحت ذات سلطان واسع.

وتكررت في القرآن الكريم عبارة ﴿ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ ﴾ مرات عديدة، فقد جاءت في سورة مريم ١٩: ٩٧ و٩٨، وفي سورة ص ٣٨: ٣، وفي سورة ق ٥٠: ٣٦، ووردت عبارة ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ في سورة المؤمنين ٢٣: ٣١، وعبارة ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ في سورة المؤمنين ٣١: ٤٢، وجاء في سورة يونس ١٠: ١٣ ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ ۙ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾.

والقرآن الكريم يستخدم كلمة قرن بمعنى الأمة التي عاشت زمناً طويلاً، أما استخدام الكلمة بمعنى مائة سنة فحسب فهو استخدام واصطلاح تم الاتفاق عليه بعد نشأة الإسلام، ولقد ورد في القرآن الكريم أن الله عز وجل قد أهلك أقواماً كثيرين، وقد ورد هذا المعنى في مواضع كثيرة من القرآن الكريم أذكر منها: ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿١٧﴾ ﴾ - الإسراء ١٧: ١٦ و١٧- والفسق المقصود هنا ليس الزنى واللواطة وشرب الخمور والظلم وأكل المال الحرام فحسب وإن كانت هذه الأمور من الفسق، فالقرآن الكريم يستخدم كلمة الفسق بمعنى الكفر، فهي تعني عدم الالتزام بطاعة الله تعالى والمروق من تطبيق أحكام شريعته وعصيانه، فكل من يدير ظهره للدين ولا يسير على تعاليمه هو فاسق وظالم وكافر، فالقرآن الكريم يستخدم كلمتي (فاسق وظالم) بمعنى (كافر).

ومن العبارات التي تدل على قِدم خلق الأرض قوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ﴿٣٨﴾ ﴾ - الفرقان ٢٥: ٣٨- وجاء في سورة القصص ٢٨: ٤٣-٤٥ ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾ وَمَا

كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾ ففي هذه الآيات تعبير آخر يدل على قدم الدنيا وهو ﴿فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ﴾ فهو يشير بوضوح إلى انقضاء حقبة زمنية طويلة عاشها كل قوم من أولئك الأقوام.

الرسول (ص) يخبر المسلمين بما يقع من أحداث حتى قيام الساعة

٧- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة العصر ذات يوم بنهار، ثم قام فخطبنا إلى أن غابت الشمس، فلم يَدَعْ شيئاً مما يكون إلى يوم القيامة إلا حدثناه، حفظ ذلك من حفظه، ونسيه من نسيه، فكان مما قال: (يا أيها الناس إنّ الدنيا خَضِرةٌ حلوةٌ، وإنّ الله مستخلِفُكم فيها، فناظرٌ كيف تعملون، فاتقوا الدنيا واتقوا النساء) وذكر تمامها إلى أن قال وقد دنت الشمس أن تغرب: (وإن ما بقي من الدنيا فيما مضى منها مثل ما بقي في يومكم هذا فيما مضى منه) -رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣، وروى المقطع الأخير عن عبد الله بن عمر ﷺ ، ورواه الترمذي في جزء من حديث رقم٢١٩٢في الفتن باب ما أخبر النبي ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة، وقال هذا حديث حسن، وهو كما قال-.

٨-عن حذيفة ﷺ قال: قام فينا رسول الله ﷺ مَقاماً ما ترك شيئاً يكون في مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّث به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه، قد علمه أصحابي هؤلاء، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته فأراه فأذكره كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ثم إذا رآه عرفه-البخاري١١/٤٣٣ في القدر باب ﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ ومسلم رقم٢٨٩١ في الفتن باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة، وأبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها (رقم٤٢٢١،٤٢٤٠) ١١/٣٥٣،٣٠٤-.

٩- عن عمرو بن أخطب الأنصاري ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ الفجر وصعد المنبر فخطبَنا حتى حضرت الظهرُ فنزل فصلى ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمُنا أحفظُنا-رواه مسلم رقم٢٨٩٢

في الفتن باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة-.

١٠- عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: والله ما أدري أنسي أصحابي أم تناسوا؟ والله ما ترك رسول الله ﷺ من قائد فتنة إلى انقضاء الدنيا، يبلغ من معه ثلاث مائة فصاعداً إلا قد سماه لنا باسمه واسم أبيه واسم قبيلته- أبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها وإسناده حسن رقم٤٢٤٣-.

١١- عن أبي إدريس الخولاني: قال حذيفة ﷺ : والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هي كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول الله ﷺ أَسَرَّ إلي في ذلك شيئاً لم يحدِّثه غيري، ولكن رسول الله ﷺ قال يوماً وهو في مجلس يتحدث فيه عن الفتن ويعدهن: (منها ثلاث لا يكدن يذرْن شيئاً، ومنها فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار) ، فذهب أولئك الرهط الذين سمعوه معي كلهم غيري.- رواه مسلم في الفتن باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة.

١٢- عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال أخبرني رسول الله ﷺ بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا وقد سألته، إلا أني لم أسأله: ما يُخرِج أهل المدينة من المدينة-رواه مسلم رقم ٢٨٩١ في الفتن باب إخبار النبي ﷺ فيما يكون إلى قيام الساعة-.

١٣- عن طارق بن شهاب قال سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: قام فينا رسول الله ﷺ مقاما، فأخبرنا عن بدء الخلق حتى دخل أهل الجنة منازلهم وأهل النار منازلهم، حفظ ذلك من حفظه ونسيه من نسيه- البخاري ٢٠٧/٦ في بدء الخلق باب ما جاء في قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ -.

هذه الأحاديث تدل على أن رسول الله ﷺ قد أخبر المسلمين بكل ما سوف يقع ويحدث من أمور من زمانهم إلى قيام الساعة، وإلى أن يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار، ولكن المسلمين قد أنسوا هذه الأمور على نسقها وترتيب أزمان وقوعها كما أنسوا أشياء منها لحكمة يريدها الله سبحانه وتعالى أو لأن العقل البشري لا يمكنه أن يختزن أموراً كثيرة جداً تلقى عليه دفعة واحدة في يوم واحد في مجلس واحد، ولا يمكن لأي إنسان أن يستوعب تأريخ البشرية على مسيرة قرون كثيرة مفصلاً، وكيف يمكن لذاكرته ،أن تختزن أسماء أصحاب الفتن والحركات وما شابه ذلك وهم لا يحصون كثرة، بل كيف يمكنه

أن يحفظ أسماء كثيرة يسمعها في مجلس واحد لأول مرة وأصحابها لم يخلقوا بعد والأسماء تذكر لأول مرة؟ ثم إن النسيان من طبيعة الإنسان فلا بد للإنسان من أن ينسى بعض ما يسمعه، ثم إن الإرهاق ينسيه جزءاً آخر، وأظن أن الذين ظلوا يستمعون إلى رسول الله ﷺ وهو يخطبهم من صلاة الفجر إلى مغرب الشمس قد أصابهم إرهاق شديد، والإرهاق يؤدي إلى نسيان بعض الأمور أو أكثرها، ثم إن مقدرة الأفراد على الحفظ تتفاوت بحسب تفاوت ذكائهم وقدراتهم العقلية، ففريق منهم أحفظ من فريق، وقد ينسى فريق منهم جزءاً من الحديث أو ينسى طريقة ترتيب الرسول ﷺ لجريان الأحداث فيذكر شيئاً قبل شيء آخر، وهذا يفسر مسألة الاختلاف في ترتيب الأحداث بين رواية وأخرى في بعض الأحاديث النبوية، ويفسر مسألة إغفال ذكر حَدَثٍ بين حدثين، أو الخلط بين حدثين ودمجهما ببعضهما، أو تقديم حدث لاحق على حدث متقدم، وغير ذلك من الأمور.

وحينما ينقل الصحابي الحديث فإنه يبذل قصارى جهده لنقله حرفياً، ولكن يحدث لدى الصحابي أو أحد رواة الحديث أن يبدل كلمة أو جملة بكلمة أو بجملة مع المحافظة على المعنى، وبعض الرجال أوعى وأحفظ من بعض.

هذا حينما يروي جماعة من الصحابة ﷺ حديثاً سمعوه في مجلس واحد، وأحياناً يروي مجموعة من الصحابة ﷺ حديثا تختلف ألفاظه دون معناه ولا يوجد دلالة على أنهم سمعوه في مجلس واحد، فيبرز حينذاك افتراض أن رسول الله ﷺ قد رواه بألفاظ مختلفة في أكثر من مجلس مع المحافظة على المعنى بدقة، وقد يذكر في الحديث دلائل تدل على أن النبي ﷺ قد رواه في أكثر من مجلس .

وكان رسول الله ﷺ قد نهى عن كتابة الحديث في أول عهده في المدينة المنورة، ثم سمح في السنين الأخيرة من حياته بالكتابة لمن يثق بفطنته ولا يخشى عليه من الخلط بين القرآن والحديث، ومن الذين كتبوا شيئاً من أحاديث رسول الله ﷺ عبد الله بن عمر ﷺ وعبد الله بن عمرو بن العاص كتب صحيفة وكان يسميها (الصادقة) - طبقات ابن سعد٤/٢٦٢-.

وبعض الصحابة ﷺ امتنعوا عن رواية الحديث مخافة أن يسوقوا فيه دون قصد شيئاً لم يقله رسول الله ﷺ فيكون مصيرهم إلى النار عملاً بقول رسول الله ﷺ فيما رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ : (بلّغوا عني ولو

آية، وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار) - البخاري في الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل، والترمذي رقم ٢٦٧١في العلم باب ما جاء في الحديث عن بني إسرائيل-وبعضهم قد كتم أحاديث الفتنة، ويبدو أنهم كانوا يرون ذلك من الحكمة.

ونرى الصحابي الجليل أبا هريرة ﷺ خائفاً متردداً بين موقفين، فهو يخشى أن يكتم أحاديث رسول الله ﷺ خوفاً من أن يكون ممن قال عنهم سبحانه وتعالى في سورة البقرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾ - ٢: ١٥٩ -وأن يكون ممن ينطبق عليهم هذا الحديث النبوي الشريف، عن أبي هريرة ﷺ (من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيامة) أو (من كتم علماً ينتفع به ألجم يوم القيامة بلجام من نار) - أبو داود رقم٣٦٥٨ في العلم، باب كراهية منع العلم، والترمذي رقم٢٦٥١ في العلم، باب ما جاء في كتمان العلم وقال: هذا حديث حسن، وهو كما قال، وله شاهد عند الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو وصححه ووافقه الذهبي- ويخشى أن يحدث بأحاديث تدفع جماعات إلى إيذائه، ولذلك روى طائفة من الأحاديث ولكنه كتم طائفة أخرى من الأحاديث لخشيته من بني أمية ومن الناس، فقد قال حفظت من رسول الله ﷺ وعائين، فأما أحدهما فبثثته، وأما الآخر فلو بثثته لقطع هذا البلعوم- رواه البخاري ١/١٩٢و١٩٣ في العلم، باب حفظ العلم- وقال: لو أنبأتكم بكل ما أعلم لرماني الناس بالخزف وقالوا: أبو هريرة مجنون. وقال مرة أخرى: لرميتموني بالبعر. وقال لرميتموني بالقشع. يعني: بالمزابل.

وقال الحسن البصري: صدق والله، لو أخبرنا أن بيت الله يهدم أو يحرق ما صدقه الناس- طبقات ابن سعد ٤/٣٣١ و٣٣٢-.

وينبغي الإشارة إلى أن ما كتمه أبو هريرة ﷺ ليس من تعاليم الدين الإسلامي التي يخلد كاتمها في النار وإنما هو من أخبار الفتن وأسماء أصحابها التي سوف تقع بعد وفاة النبي الأعظم ﷺ.

ابن صائد أو ابن صياد

هو رجل من اليهود ظهر في عهد رسول الله ﷺ وادعى النبوة ومضى يخبر الناس بمغيبات، فلما علم رسول الله ﷺ بأمره مضى إليه ليكتشف حقيقته،

ووجده الرسول ﷺ نائماً فتسلل إليه ليسمع كلامه، ولكن أمه نبهته إلى قدوم رسول الله ﷺ ، فصرح الرسول بأنه لولا تنبيه أمه لبانت حقيقته دون امتحان، وامتحنه الرسول ﷺ ورآه كذاباً.

وعرف عن ابن صياد أنه قد اتصل بالجن، فالجن تخبره بكل شيء، ونحن نعلم أن الجن تصعد إلى أبواب السماء الأولى وتسترق السمع ثم ترجم بشهاب ثاقب فلا تحظى ببغيتها، فتضيف إلى ما سمعته أكاذيب من عندها، فيكون فيما تقوله شيء من الصواب وشيء من الكذب، وهذا ما بدا من ابن صياد، فحينما أضمر له الرسول ﷺ كلمة (الدخان) وسأل ابن صياد عما أضمر، قال له ابن صياد (الدُّخ) .

وابن صياد تنطبق عليه صفات الدجال الجسدية وكونه قليل المنفعة، وتنطبق أيضاً صفات أبويه على صفات أبوي الدجال، وقد افتقد ابن صياد في يوم الحرة فلم يعثر على جسده، ولم يعرف هل مات أو ذهب إلى مكان آخر أو أخذه الله سبحانه وتعالى إلى حيث يشاء، ويرى بعض الصحابة ﷺ وهم عمر بن الخطاب وابنه عبد الله وجابر بن عبد الله ﷺ أن ابن صياد هو الدجال على سبيل اليقين والجزم، وشك بعضهم فيه، ومن الممكن أن يكون هو الدجال وأن الله سبحانه وتعالى قد أخذه إلى مكان ما من ملكوته الواسع لكي يؤدي دوره فيما بعد في الوقت المحدد لخروج المسيح الدجال، والله أعلم،.

١٤ -عن نافع مولى عبد الله بن عمر ﷺ قال: كان ابن عمر ﷺ يمشي فلقي ابن صائد في بعض طرق المدينة فقال له قولاً أغضبه، فانتفخ حتى ملأ السِّكَّة، فدخل ابن عمر على حفصة وقد بلغها فقالت له: رَحمك الله، ما أردت من ابن صائد؟ أما علمت أن رسول الله ﷺ قال: (إنما يخرج من غضبة يغضبها).

وفي رواية: قال ابن عمر: لقيته مرتين، فلقيته مع قومه، فقلت لبعضهم: هل تحدثون أنه هو؟ قالوا: لا والله. قال: قلت كذبتموني، والله لقد أخبرني بعضكم أنه لن يموت حتى يكون أكثركم مالاً وولداً، وكذلك هو زعموا اليوم. قال فتحدثنا، ثم فارقته، قال: فلقيته لقية أخرى وقد نفرت عينه، قال: فقلت: متى فعلت عينك ما أرى، قال: لا أدري. قلت: لا تدري وهي في رأسك؟ قال: إن شاء الله خلقها في عصاك هذه. قال: فنخر كأشد نخير حمار سمعت ، قال: فزعم بعض أصحابي أني ضربته بعصاً كانت معي حتى تكسرت. وأما أنا: فوالله ما شعرت. قالوا: وجاء حتى دخل على أم المؤمنين ،فحدثها، فقالت: ما تريد إليه؟

ألم تعلم أنه ﷺ قد قال: (إن أول ما يبعثه على الناس غضبة يغضبها) -مسلم في الفتن باب ذكر ابن صياد-السكة: الطريق.

١٥ -عن أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يمكث أبو الدجال وأمه ثلاثين عاماً لا يولد لهما ولد، ثم يولد لهما غلام أعور أضرُّ شيء وأقله منفعةً، تنام عيناه ولا ينام قلبه) ثم نعت لنا رسول الله ﷺ أبويه فقال: (أبوه طُوالٌ ضرْبُ اللحم كأن أنفه منقار وأمه فِرْضاخية طويلة اليدين) فقال أبو بكرة: فسمعنا بمولود في اليهود بالمدينة، فذهبت أنا والزبير بن العوام حتى دخلنا على أبويه، فإذا نعت رسول الله ﷺ فيهما، فقلنا: هل لكما ولد؟ فقالا: مكثنا ثلاثين عاماً لا يولد لنا ولد، ثم ولد لنا غلام أضر شيء وأقله منفعة، تنام عيناه ولا ينام قلبه، قال: فخرجنا من عندهما، فإذا هو منجدل في الشمس في قطيفة له وله همهمة، فكشف عن رأسه، فقال: ما قلتما؟ قلنا: وهل سمعت ما قلنا؟ قال: نعم، تنام عيناي ولا ينام قلبي، فإذا هو ابن صياد. -الإمام أحمد في مسنده: ٤٠/٥، والترمذي في الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صائد حديث ٢٢٤٩ وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، وقال الترمذي: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث حماد بن سلمة، وقال الحافظ ابن كثير عن حديث الترمذي: (بل هو منكر جداً) ، ولكن ورود الحديث في مسند الإمام أحمد يقويه، ولفظ الحديث للترمذي وهو يوافق رواية الإمام أحمد، وبينهما خلاف طفيف في بعض الألفاظ مع اتفاق المعنى، فعند الإمام (نفعاً) بدلاً من (منفعة) و(مضطرب) بدلاً من (ضرب) و(عظيمة الثديين) بدلاً من (طويلة اليدين) - طوال: طويل، الضرب: الرجل الخفيف اللحم، والمضطرب: طويل غير شديد الأسر، فرضاخية: عريضة غليظة كثيرة اللحم، منجدل: ملقى على الأرض أي منطرح أو متمدد، القطيفة: كساء أو ستر له خمل، همهمة: كلام خفي لا يفهم.

١٦ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال لي ابن صائد وأخذتني منه ذمامة: هذا عذرت الناس، ما لي وما لكم يا أصحاب محمد؟ ألم يقل نبي الله ﷺ إنه يهودي وقد أسلمت؟ قال: ولا يولد له وقد ولد لي؟ وقال إن الله قد حرم عليه مكة وقد حججت؟ فما زال حتى كاد أن يأخذ في قوله. قال: فقال له: أما والله إني لأعلم الآن حيث هو، وأعرف أباه وأمه، قال: وقيل له: أيسرك أنك ذاك الرجل؟ قال: فقال: لو عرض علي ما كرهت. وفي رواية: أو ليس سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا يدخل المدينة ولا مكة؟ قلت: بلى. قال: فقد ولدت بالمدينة

وهذا أنا أريد مكة. وفي رواية: أليس قد قال رسول الله ﷺ هو كافر وأنا مسلم. وجاء فيها: أما والله إني لأعرفه وأعرف مولده وأين هو الآن. قال: قلت له: تباً لك سائر اليوم. ولم يذكر الأب والأم والعرض. - وهذه الروايات كلها لمسلم رقم ٢٩٢٧ في الفتن باب ذكر ابن صياد، ورواه الترمذي بنحوه في الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صائد رقم٢٢٤٧، ورواه الإمام أحمد بنحوه في مسنده: ٣-.

١٧-عن محمد بن المنكدر قال رأيت جابر بن عبد الله ﷺ يحلف بالله أن ابن صياد الدجال. قال: قلت: أتحلف بالله؟ قال: فإني سمعت عمر يحلف بالله على ذلك عند رسول الله ﷺ فلا ينكره.- البخاري ٢٧٣/١٣ في الاعتصام باب من رأى ترك النكير من النبي ﷺ حجة، ومسلم رقم ٤٩٢٩ في الفتن باب ذكر ابن صياد، وأبو داود في الملاحم باب في خبر ابن صائد-.

١٨-عن نافع مولى عبد الله بن عمر أن ابن عمر ﷺ كان يقول: والله ما أشك أن المسيح الدجال ابن صياد- أبو داود في الملاحم باب في خبر ابن صائد رقم ٣٣٣٠ وإسناده صحيح-.

١٩- عن الزهري قال: أخبرني سالم بن عبد الله أن عبد الله بن عمر ﷺ أخبره أن عمر انطلق مع النبي ﷺ في رهط قِبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان عند أطُم بني مَغالة وقد قارب ابن صياد الحلم، فلم يشعر حتى ضرب النبي ﷺ بيده ثم قال لابن صياد (تشهد أني رسول الله؟) فنظر إليه ابن صياد فقال: أشهد أنك رسول الأميين. فقال ابن صياد للنبي ﷺ : أتشهد أني رسول الله؟ فرفضه- وفي نسخة: فرفصه- وقال: (آمنت بالله وبرسله) فقال له: (ماذا ترى؟) قال ابن صياد: يأتيني صادق وكاذب. فقال النبي ﷺ : (خلّط عليك الأمر) -أو: خلِط. ثم قال له النبي ﷺ : (إني قد خبأت لك خبيّاً) فقال ابن صياد: هو الدُّخ. فقال (أخسأ فلن تعدو قدرك) فقال عمر ﷺ : دعني يا رسول الله أضرب عنقه. فقال النبي ﷺ : (إن يكنه فلن تسلط عليه، وإن لم يكنه فلا خير لك في قتله).

وقال سالم: سمعت ابن عمر ﷺ يقول: انطلق بعد ذلك رسول الله ﷺ وأبي بن كعب إلى النخل التي فيها ابن صياد وهو يختل أن يسمع من ابن صياد شيئاً قبل أن يراه ابن صياد، فرآه النبي ﷺ وهو مضطجع يعني في قطيفة له فيها زمزمة-أو: رمرمة- فرأت أم صياد رسول الله ﷺ وهو يتقي بجذوع النخل،

فقالت لابن صياد: يا صاف- وهو اسم ابن صياد- هذا محمد، فثار ابن صياد، فقال النبي ﷺ : (لو تركته بيّن).

وقال سالم: قال ابن عمر: ثم قام النبي ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال: (إني أنذركموه، وما من نبي إلا قد أنذره قومه، لقد أنذره نوح قومه، ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور) -البخاري ١٧٥/٣ في الجنائز باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه، وفي الجهاد باب كيف يعرض الإسلام على الصبي وفي القدر باب ما يحول من المرء وقلبه، وفي الأدب باب قول الرجل للرجل اخسأ، ومسلم رقم ٢٩٢٤ و٢٩٣٠ في الفتن باب ذكر ابن صياد وأبو داود في الملاحم باب خبر ابن صائد رقم٤٣٢٩، والترمذي في الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صائد رقم٢٢٥٠وفي باب ما جاء في علامة الدجال رقم٢٢٣٦، ورواه الإمام أحمد مفرقاً في مسنده: ٢عن عبد الله بن عمر ﷺ ، وروى مسلم في الباب المقطع الأول من الحديث إلى- وقال سالم -عن عبد الله بن مسعود ﷺ - رهط: جماعة، أطم: حصن مبني بحجارة، قارب الحلم أو الاحتلام: أوشك أن يبلغ سن البلوغ، رفضه: تركه، ورفصه لا تأتي بهذا المعنى ولعلها من أخطاء النساخ، لن تعدو قدرك: لن تتجاوز مكانتك ومقامك فأنت ساحر أو كاهن ولن ترتقي إلى درجة الأنبياء، يختل: يسير دون أن يحدث صوتاً، الزمزمة: صوت لا يفهم وكذلك المقصود بالرمرمة هنا، بين: أفصح عن حقيقته فكلامه يبين حقيقته-.

٢٠- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: لقيه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر- يعني ابن صياد- في بعض طرق المدينة، فقال له رسول الله ﷺ : (أتشهد أني رسول الله) فقال هو أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ : (آمنت بالله وملائكته وكتبه، ما ترى) قال: أرى عرشاً على الماء. فقال رسول الله ﷺ : (ترى عرش إبليس على البحر، وما ترى؟) قال أرى صادقين وكاذباً -أو كاذبين وصادقاً-فقال رسول الله ﷺ (لُبِسَ عليه دَعُوه) - مسلم رقم ٢٩٢٥ في الفتن باب ذكر ابن صياد، والترمذي في الفتن باب ما جاء في ذكر ابن صائد رقم٢٢٤٨ - لبس عليه: اختلط عليه الأمر فلم تتضح له الحقيقة.

٢١ -عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: لقي نبي الله ﷺ ابن صياد ومعه أبو بكر وعمر، وابن صائد مع الغلمان فذكر نحو حديث أبي سعيد الخدري ﷺ - رواه مسلم في الفتن باب ذكر ابن صياد رقم٢٩٢٦-.

٢٢- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لابن صائد: (ما ترى؟) قال: أرى عرشاً على الماء-أو قال على البحر-حوله حيات. قال رسول الله ﷺ : (ذاك عرش إبليس) - الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

٢٣-عن عبد الله بن عباس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لابن صياد (قد خبأت لك خبيئاً، فما هو؟) قال: الدخ. قال: (اخسأ) -البخاري ١٠/٤٦٣ في الأدب باب قول الرجل للرجل: اخسأ-.

٢٤-عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فمررنا بصبيان يلعبون، فيهم ابن صياد، ففر الصبيان، وجلس ابن صياد، فكأن رسول الله ﷺ كره ذلك، فقال له النبي ﷺ (تربت يداك أتشهد أني رسول الله؟) فقال عمر بن الخطاب: ذرني يا رسول الله حتى أقتله، فقال رسول الله ﷺ : (إن يكن الذي ترى فلن تستطيع قتله) وفي رواية قال: كنا نمشي مع النبي ﷺ فمررنا بابن صياد، فقال له رسول الله ﷺ : (قد خبأت لك خبيئاً) فقال: دخ. فقال رسول الله ﷺ : (اخسأ فلن تعدو قدرك) فقال عمر: يا رسول الله دعني فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ : (دعه فإن يكن الذي تخاف لن تستطيع قتله) - مسلم في الفتن باب ذكر ابن صياد رقم٢٩٢٤-.

٢٥- عن جابر بن عبد الله ﷺ أنه قال: إن امرأة من اليهود بالمدينة ولدت غلاماً ممسوحة عينه طالعة ناتئة، فأشفق رسول الله ﷺ أن يكون الدجال، فوجده تحت قطيفة يهمهم، فآذنته أمه فقالت: يا عبد الله هذا أبو القاسم قد جاء فاخرج إليه، فخرج من القطيفة، فقال رسول الله ﷺ : (ما لها قاتلها الله لو تركته لبيّن) ثم قال: (يا ابن صائد ما ترى؟) قال: أرى حقاً وأرى باطلاً وأرى عرشاً على الماء. قال (لبس عليه) فقال: (أتشهد أني رسول الله؟) فقال هو: أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله: (آمنت بالله ورسله) ثم خرج وتركه.

ثم أتاه مرة أخرى فوجده في نخل له يهمهم، فآذنته أمُّه فقالت: يا عبد الله هذا أبو القاسم قد جاء فقال رسول الله ﷺ (ما لها قاتلها الله لو تركته لبين) قال فكان رسول الله ﷺ يطمع أن يسمع من كلامه شيئاً فيعلم هو هو أم لا، قال: (يا ابن صائد ما ترى؟) قال: أرى حقاً وأرى باطلاً وأرى عرشاً على الماء قال (أتشهد أني رسول الله) قال هو: أتشهد أني رسول الله فقال رسول الله ﷺ (آمنت بالله ورسله) فلُبس عليه، ثم خرج فتركه.

ثم جاء في الثالثة أو الرابعة ومعه أبو بكر وعمر بن الخطاب في نفر من المهاجرين والأنصار وأنا معه، قال: فبادر رسول الله ﷺ بين أيدينا ورجا أن يسمع من كلامه شيئاً، فسبقته أمه إليه، فقالت: يا عبد الله هذا أبو القاسم قد جاء فقال رسول الله ﷺ (ما لها قاتلها الله لو تركته لبيّن) فقال: (يا ابن صائد ما ترى؟) قال: أرى حقاً وأرى باطلاً وأرى عرشاً على الماء قال (أتشهد أني رسول الله) قال أتشهد أني رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ (آمنت بالله ورسله فلبس عليه) فقال له رسول الله ﷺ (يا ابن صائد إنا خبأنا لك خبيئاً فما هو؟) قال الدخ الدخ فقال له رسول الله ﷺ (اخسأ اخسأ) فقال عمر بن الخطاب ﷺ : ائذن لي فأقتله يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ: (إن يكن هو فلست صاحبه إنما صاحبه عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام، وإن لا يكن فليس لك أن تقتل رجلاً من أهل العهد) قال فلم يزل رسول الله مشفقاً أنه الدجال - الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

٢٦ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: فقدنا ابن صياد يوم الحرة –رواه أبو داود في الملاحم باب في خبر ابن صائد رقم٤٣٣٢ وإسناده صحيح.

ظهور المتنبئين الكذابين

٢٧-عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (نحن الآخرون السابقون، وبينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض، فوضع في يديّ سواران من ذهب، فكبرا عليّ، وأهمّاني، فأوحي إليّ: أن انْفُخْهما فنفختهما، فطارا، فأوّلْتهما: الكذابين اللذين أنا بينهما: صاحب صنعاء وصاحب اليمامة) هذه رواية البخاري، ورواه مسلم وأسقط جملة (نحن الآخرون السابقون) ، ورواه الترمذي بلفظ (رأيت في المنام كأنّ في يديّ سوارين، فأوّلتهما كذابين يخرجان من بعدي، يقال لأحدهما: مسيلمة صاحب اليمامة، والعَنْسيّ صاحب صنعاء) - البخاري ١٢/٣٧١ و٣٧٢ في التعبير باب النفخ في المنام، وفي المغازي باب وفد بني حنيفة، وفي غيرهما، ومسلم رقم٢٢٧٤- في الرؤيا باب رؤيا النبي ﷺ، والترمذي في الرؤيا باب ما جاء في رؤيا النبي ﷺ رقم٢٢٩٣- والإمام أحمد في مسنده: ٢- نفخت الشيء: رميته.

٢٨- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (بين يدي الساعة كذابون، منهم صاحب اليمامة وصاحب صنعاء العنسي ومنهم صاحب حمير، ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة) قال جابر: وبعض أصحابي يقول (قريب من ثلاثين كذاباً) - رواه الإمام أحمد في مسنده: ٣/٣٤٥-.

٢٩-عن أبي بكرة ﷺ قال: أكثروا في مسيلمة قبل أن يقول رسول الله فيه شيئاً، فقام رسول الله ﷺ خطيباً، فقال: (أما بعد، ففي شأن هذا الرجل الذي قد أكثرتم فيه، وإنه كذاب من ثلاثين كذاباً يخرجون بين يدي الساعة، وإنه ليس من بلدة إلا يدخلها رعب المسيح) وفي رواية قال: (إنه- أي مسيلمة- كذاب من ثلاثين كذاباً يخرجون قبل الدجال، وإنه ليس بلدٌ إلا سيدخله رعب المسيح الدجال إلا المدينة على كل نقبٍ من نقابها يومئذ ملكان يذبان عنها رعب المسيح) - رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤٦/٥- نقاب جمع نقب: الطريق الضيق بين الجبلين. ذبّ: دفع ومنع.

٣٠- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو يخطب الناس على منبره وهو يقول: (أيها الناس، إني قد أريت ليلة القدر ثم أُنسيتها، ورأيت في ذراعي سوارين من ذهب فكرهتهما فنفختهما فطارا، فأولتهما هذين الكذابين: صاحب اليمن وصاحب اليمامة) - الإمام أحمد في مسنده : ٣-.

٣١- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما-أو: دعواهما- واحدة، وحتى يبعث دجالون كذابون قريبٌ من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله، وحتى يقبض العلم، وتكثر الزلازل، ويتقارب الزمان، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج – وهو القتل-، وحتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به، وحتى يتطاول الناس في البنيان، وحتى يمر الرجل بقبر الرجل فيقول: يا ليتني مكانه، وحتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يُليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) - البخاري ١٣/ ٧٢إلى٧٨ في الفتن باب خروج النار، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، وفي غيرهما، ورواه مسلم رقم ١٥٧ مفرّقا في الزكاة باب الترغيب في الصدقة قبل أن لا يوجد من يقبلها، وفي الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه إيمان، وفي الفتن رقم ٢٩١٢و٢٩٢٢ باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل-.

يهم: يشعر بالهم والحزن، أرب: حاجة، لبن لقحته: لبن ناقته اللّبون أي الغزيرة اللبن، يليط حوضه: يطيّن الحوض الذي اتخذه لسقاية مواشيه.

٣٢-عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يبعث دجّالون كذابون قريب من ثلاثين، كلّهم يزعم أنه رسول الله) - مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، وفي رواية له (ينْبعث) بدلا من (يبْعث) ، والإمام أحمد في مسنده: ٢، والترمذي في الفتن باب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون رقم٢٢١٩- وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو داود في الملاحم باب ما جاء في خبر ابن صائد رقم٤٣٣٣و٤٣٣٤ و٤٣٣٥-.

يرى فريق من أهل العلم أن بعث الدجالين هنا هو ادعاؤهم النبوة ويرون أنه ليس المقصود كل من يدّعي النبوة وإنما من ادعى النبوة وكانت له قوة.

٣٣- عن جابر بن سمرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنّ بين يدي الساعة كذابين) - مسلم رقم ٢٩٢٣ في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل -.

٣٤-عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ أنه قال: (لا تقوم الساعة حتى يظهر ثلاثون دجالون كذابون، كلهم يزعم أنه رسول الله، ويفيض المال فيكثر، وتظهر الفتن، ويكثر الهرج) قال: قيل: أيّما الهرج؟ قال (القتل القتل) ثلاثاً.

- رواه الإمام أحمد في مسنده: ٤٥٧/٢، وهو على شرط مسلم كما قال ابن كثير-.

٣٥-عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالاً كذاباً كلهم يكذب على الله ورسوله ﷺ) -الإمام أحمد في مسنده: ٤٥/٢.

٣٦-عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (بين يدي الساعة قريب من ثلاثين دجالين كذابين كلهم يقول أنا نبي) -الإمام أحمد في مسنده: ٤٢٩/٢ بإسناد حسن جيد كما قال ابن كثير-.

٣٧-عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (سيكون في أمتي دجالون كذابون يأتونكم ببدع من الحديث بما لم تسمعوا به أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يفتنونكم) وفي رواية (سيكون في آخر أمتي أناس يحدثونكم بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم فإياكم وإياهم) وفي رواية (يكون في آخر الزمان

دجالون كذابون يأتونكم من الأحاديث بما لم تسمعوا أنتم ولا آباؤكم، فإياكم وإياهم، لا يضلونكم ولا يفتنونكم) -رواه مسلم رقم ٦ في المقدمة باب النهي عن الرواية عن الضعفاء، والإمام أحمد في مسنده٢/٣٤٩-.

٣٨- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: والله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو أكثر) -الإمام أحمد في مسنده: ٢/٩٥-.

٣٩-عن ثوبان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين، فإذا وضِعَ السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة، ولا تقوم الساعة حتى تلتحق قبائل من أمتي بالمشركين، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان، وإنه يكون في أمتي ثلاثون كذابون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتم النبيين، ولا نبي بعدي، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) - رواه مسلم في الإمارة باب قوله ﷺ : لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، وأبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم٤٢٥٢، والترمذي مفرقا في الفتن باب رقم٣٢ حديث رقم٢٢٠٣، و٢٢٢٠، و٢٢٣٠، وباب ما جاء لا تقوم الساعة حتى يخرج كذابون وباب ما جاء في الأئمة المضلين-.

لقد أخبر النبي الأعظم محمد ﷺ بأن مسيلمة الكذاب والعنسي سوف يعظم أمرهما وهذا واضح في قوله (فكبرا علي وأهماني) فلو كانت حركتاهما ضعيفتين لما استعظم رسول الله ﷺ أمرهما ولما داخل الهم نفسه الشريفة.

ثم أخبر الرسول ﷺ أن حركتيهما القويتين سوف تفشلان، وهذا المعنى واضح في قوله ﷺ : (فنفختهما فطارا) ، وأخبر رسول الله ﷺ أن حوالي ثلاثين كذاباً سيخرجون بعده، وسيزعمون أنهم أنبياء، وقد تحقق ما أخبر عنه النبي الأعظم ﷺ ، وسوف أذكر الكذابين الذين تيسر لي معرفة أحوالهم.

الأسود العنسي

اسمه عَيْهلة أو عَبْهلة بن كعب بن عوف العنسي وعنس بطن من مذحج، وكان يلقب ذا الخمار لأنه كان معتماً متخمِّراً أبداً، وقد ادعى النبوة بعد عودة رسول الله ﷺ من حجة الوداع ومرضه، وهو غير مرض وفاته، وقد اتبعته مذحج وغزا نجران وصنعاء، وأخرج عمال الرسول ﷺ وسيطر على ما بين مفازة حضرموت إلى الطائف إلى البحرين والأحساء إلى عدن، وكان خليفته في

مذجح عمرو بن معدي كرب الزبيدي الشاعر الفارس، وقد وصلت أخبار تعاظم خطره ونفوذه إلى النبي الأعظم ﷺ في مرض موته، فأرسل إلى بعض المسلمين في اليمن يطلب منهم قتله إما مصادمةً أو غيلةً، وكان ذلك في السنة الحادية عشرة للهجرة، فائتمر نَفَرٌ به، منهم فيروز، وكان الأسود قد تزوج امرأة شهر باذان عامل الرسول ﷺ على اليمن بعد أن قتل زوجها، وكانت ابنة عم فيروز، فأخبرتهم أن الحرس يحيطون بقصر الأسود من كل جهة إلا ظَهْرَ بيتٍ، وطلبت منهم أن يثقبوه ويدخلوا فيجدوا أمامهم السلاح والسّراج وقد نفّذوا الخطّة ودخل فيروز واحتزّ رأسه، فخار خُوار الثور، فابتدر الحرس الباب، فقالت زوجته: هذا النبي يوحَى إليه. فانصرفوا، ولما طلع الفجر أمروا المؤذن فقال: أشهد أن محمداً رسول الله وأن عيهلة كذاب، ثم تمّ إخماد حركته وعمرها أربعة أشهر أو أقل وقد بشر النبي الأعظم ﷺ المسلمين بمقتل الأسود العنسي في يوم مقتله، ثم توفي ﷺ ، ووصل الخبر في خلافة أبي بكر الصديق ﷺ.

-الكامل في التاريخ أحداث السنة الحادية عشرة، تاريخ أبي الفداء١/١٥٥ و١٥٦، وتاريخ ابن الوردي ١/٢١٣و٢١٤واسمه هنا عبهلة ولقب بذي الخمار لأنه كان يقول: يأتيني ذو خمار وكذا عند أبي الفداء، واسمه في البداية والنهاية: عبهلة بن كعب بن غوث، ولعل اسم (عوف) قد تصحف إلى (غوث) والله أعلم.

طليحة الأسدي

كان طليحة بن خويلد الأسدي من بني أسد بن خزيمة يُعَدُّ بألف فارس كما يقول الإمام النووي، وكان قد تنبأ في حياة الرسول ﷺ فوجَّه إليه ضِرارَ بن الأزور فضعُف أمر طليحة حتى لم يبق إلا أخذه، ولكن ضراراً ضربه بسيف فلم يصنع فيه شيئاً، فظهر بين الناس أن السلاح لا يعمل فيه، فكثر جمعه، ومات النبي ﷺ وهم على ذلك، فكان طليحة يدعي أن جبرائيل عليه الصلاة والسلام يأتيه وينزل عليه قرآناً وقد أمرهم بترك السجود في الصلاة وكثر أتباعه من أسد وغطفان وطيئ، وانتشروا يأمرون المسلمين بمنع الزكاة، وحاصروا المدينة المنورة ليلاً وظنوا أن المدينة قد أصبحت لقمة سائغة في متناول أيديهم، لكن المسلمين خرجوا إليهم مع الفجر ووضعوا فيهم السيوف فما ذرَّ قرْن الشمس حتى انهزم المرتدون.

ثم وثبت بنو عبس وذبيان على من فيهم من المسلمين فقتلوهم فانطلق أبو بكر الصديق ﷺ بجيش إلى ذات حُسَىً وذي القصة وهزم بني عبس وذبيان في

الأبرق، ففروا إلى طليحة وهو ببزاخة وكان قد رحل من سُميراء إليها وعاد جيش أسامة ﷺ من الشام فجعله أبو بكر يستريح قليلاً ثم بعث البعوث وعقد الألوية لمحاربة المرتدين، فبعث خالد بن الوليد لمحاربة طليحة الذي كان يجمع أنصاره في بزاخة وقد انضم إليه بنو جديلة والغوث من طيئ، وقد انسحب بنو طيئ بوساطة عدي بن حاتم ﷺ قبل المعركة ثم كانت المعركة، وكان مع طليحة عيينة بن حصن الفزاري مع سبع مائة من بني فزارة، وقد فرّ طليحة وزوجته النّوار إلى الشام ونزل على كلب وسمع بأن بني أسد وغطفان قد أسلموا فأسلم، ثم خرج إلى العراق فحَسُن بلاؤه في الفتوح، واستشهد بنهاوند عام٢١هـ٦٤٢م.

وهذا أنموذج مما كان يزعم أنه يأتيه به جبرائيل ﷺ : والحمام واليمام، والصُّرَد الصوّام، قد صُمْن قبلكم بأعوام، ليبلغن مُلكنا العراق والشام –البداية والنهاية٦/٣٢٠و٣٢١والكامل في التاريخ أحداث السنة الحادية عشرة–الصرد: اسم طائر.

سَجاح

سجاح بنت الحارث بن سُويد بن عُقفان التميمية كانت تقيم في الجزيرة شمال سورية مع بني تغلب، كنيتها أم صادر، ادعت النبوة عام١١هـ بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وسار معها الهذيل بن عمران في بني تغلب وكان نصرانياً فترك دينه وتبعها، وكانت مع أخوالها التغلبيين تقود أفناء ربيعة وكان معها عَقبة بن هلال في النمر، وزياد بن فلان في إياد، والسليل بن قيس في شيبان، وانطلقت بهم إلى بني تميم وهم مشطورون ما بين مؤمنين ومرتدين، وعرضت عليهم الإيمان بدعوتها فوادعها بعضهم وفر آخرون فزعمت أنه أنزل عليها (أعِدّوا الركاب، واستعدوا للنهاب، ثم أغيروا على الرباب، فليس دونهم حِجاب) فساروا إليهم فلقيتهم ضبة وعبد مناة فقتل بينهم قتلى كثيرون وأسر بعضهم من بعض ثم تصالحوا.

ثم قالت لجنودها (عليكم باليمامه، ودفوا دفيف الحمامه، فإنها غزوة صرّامه، لا يلحقكم بعدها ملامه) - تطلب منهم غزو اليمامة وتطلب منهم أن يطيروا إليها سراعاً فإنها غزوة باترة لأهلها لا يلحق جندها بعد هذه الغزوة لوم لأن النصر سيكون حليفهم بعدها. دفوا دفيف الحمامة: أي حركوا أجنحتكم للطيران كالحمامة، أي أسرعوا- فقصدت بني حنيفة في اليمامة، فخاف مسيلمة إن هو شغل بها أن يغلب ثمامة وشرحبيل ابن حسنة والقبائل التي حولهم على

حَجْر وهي اليمامة، فأهدى لها، ثم أرسل إليها يستأمنها على نفسه حتى يأتيها، فآمنته، فجاءها في أربعين من بني حنيفة، فقال مسيلمة: لنا نصف الأرض، وكان لقريش نصفها لو عدلت، وقد رد الله عليك النصف الذي ردت قريش) ثم ضرب لها قبة وخمَّرها وطيَّبها لتذكّر بالجماع، واجتمع بها منفردة، فقالت له: ما أوحى إليك ربك؟ فقال: (ألم تر إلى ربك كيف فعل بالحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، بين صِفاق وحشى) -صفاق: جلد البطن، حشى: الأحشاء-.

قالت: وماذا أيضا؟ قال: (إن الله خلق النساء أفواجاً، وجعل الرجال لهن أزواجاً، فتولج فيهن قُعْساً إيلاجاً، ثم تخرجها إذا تشاء إخراجاً، فينتجن لنا سخالاً إنتاجاً) قالت: أشهد أنك نبي. قال: هل لك أن أتزوجك وآكل بقومي وقومك العرب؟ قالت: نعم. قال:

ألا قومي إلى النيك فقد هيُّئ لك المضجع

فإن شئت ففي البيت وإن شئت ففي المخدع

وإن شئت سلقناك وإن شئت على أربع

وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

فقالت: بل به أجمع فإنه أجمع للشمل. قال: بذلك أوحي إلي. فأقامت عنده ثلاثاً ثم انصرفت إلى قومها، فقالوا لها: ما عندك؟ قالت: كان على الحق فتبعته وتزوجته. قالوا: هل أصْدَقك شيئاً؟ قالت: لا. قالوا: فارجعي فاطلبي الصداق. فرجعت، فلما رآها أغلق باب الحصن وقال: ما لك؟ قالت: أصدقني. قال: من مؤذنك؟ قالت: شبث بن ربعي الرياحي، فدعاه وقال له: نادِ في أصحابك أن مسيلمة رسول الله قد وضع عنكم صلاتين مما جاءكم به محمد: صلاة الفجر وصلاة العشاء الآخرة فانصرفت ومعها أصحابها، منهم: عطارد بن حاجب وعمرو بن الأهتم وغيلان بن خرشة وشبث بن ربعي، وصالحها مسيلمة على غلات اليمامة تأخذ النصف، وانصرفت إلى الجزيرة، وخلفت الهذيل وعقبة وزياداً عند مسيلمة لأخذ النصف، وبقيت في الجزيرةحتى زمن معاوية وقد أسلمت، وانتقلت إلى البصرة وماتت بها، وصلى عليها سمرة بن جندب وهو على البصرة لمعاوية قبل قدوم عبيد الله بن زياد من خراسان وولايته البصرة نحو ٥٥هـ٦٧٥م-تاريخ أبي الفداء١/١٥٧، وتاريخ ابن الوردي١/٢١٥و٢١٦، والبداية والنهاية٦/٣١٩و٣٢١، والكامل في التاريخ: أحداث السنة الحادية عشرة-.

تعليق: لقد كان من الممكن حذف الأبيات الشعرية، ولكنني أثبتها لإغاظة أحد دارسي التاريخ المعاصرين، ولإغاظة من هم على شاكلته، فلقد رأى أن هذه القصة مصطنعة برغم ورودها في المراجع القديمة، وحبذا لو كذبها بعد إجراء دراسة عنها أو تحقيق علمي لها، بل كذبها اعتماداً على ظنه وحده، ولربما صَعُبَ عليه أن يرى أحد مناهضي الإسلام على هذه الصورة من الاستهانة والاستهتار، وإنني أقول له: إن هذا الخبر قد جاء عن متنبئين كذابين هما من أعلم الناس بكذبهما وبافترائهما وبسعيهما لإرواء شهواتهما الدنيوية.

مسيلمة الكذاب

مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب الحنفي الوائلي، أبو ثمامة، من المعمرين، ولد ونشأ باليمامة، في القرية المسماة بالجبيلة بقرب العيينة بوادي حنيفة في نجد، وتلقب في الجاهلية بالرحمن، وعرف برحمان اليمامة، ولما ظهر الإسلام في غربي الجزيرة، وافتتح النبي ﷺ مكة ودانت له العرب، جاءه وفد من بني حنيفة، قيل: كان مسيلمة معهم إلا أنه تخلف مع الرجال، فأسلم الوفد، ولما رجعوا إلى ديارهم ادعى النبوة، وادعى أنه أشرِك مع محمد ﷺ في النبوة، وكان معه نهار الرجّال بن عُنفُوة، وكان قد هاجر إلى النبي الأعظم ﷺ وقرأ القرآن وفقه في الدين وبعثه معلما لأهل اليمامة وليشغب على مسيلمة، فكان أعظم فتنة على بني حنيفة من مسيلمة، شهد أن محمداً ﷺ يقول: إن مسيلمة قد أشرك معه في النبوة. فصدقوه واستجابوا له، وكان مسيلمة ينتهي إلى أمره، وكان يؤذن له عبد الله بن النواجة، والذي يقيم له حُجير بن عُمير، فكان حُجير يقول: أشهد أن مسيلمة يزعم أنه رسول الله . فقال له مسيلمة: أفصِحْ حجيرُ فليس في المجمجة خير. وهو أول من قالها. وقد كتب إلى رسول الله ﷺ : (من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله سلام عليك، أما بعد، فإني قد أشركت في الأمر معك، وإن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض، ولكن قريشاً قوم يعتدون) فأجابه رسول الله ﷺ : (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب، السلام على من اتبع الهدى. أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين) وذلك في أواخر السنة العاشرة للهجرة.وقد اتبعه بنو حنيفة وكانت عدتهم أربعين ألف مقاتل، وكان مما جاء به وذكر أنه وحي (يا ضفدع بنت ضفدع، نقي كما تنقين، أعلاك في الماء وأسفلك في الطين، لا الشارب تمنعين، ولا الماء تكدرين) وقال أيضا: (والمبديات زرعاً،

والحاصدات حصداً، والذاريات قمحاً، والطاحنات طحناً، والخابزات خبزاً، والثاردات ثرداً، واللاقمات لقماً، إهالة وسمناً، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، ريقكم فامنعوه، والمعيي فآووه والباغي فناوئوه).

وأرسل أبو بكر ﷺ عكرمة بن أبي جهل ﷺ إلى مسيلمة وأتبعه شرحبيل ابن حسنة ﷺ، فعجل عكرمة ولم يتمهل حتى يلحقه شرحبيل كما أمره أبو بكر ﷺ، واشتبك مع جيش مسيلمة فوقعت في جيش عكرمة خسارة فادحة، وأقام شرحبيل ﷺ في الطريق حين أدركه الخبر، وكتب عكرمة إلى أبي بكر ﷺ، فكتب إليه أبو بكر ﷺ: (لا أرينك ولا تراني، لا ترجعن فتوهن الناس، امض إلى حذيفة وعرفجة فقاتل أهل عمان ومهرة، ثم تسير أنت وجندك تستبرئون الناس حتى تلقى مهاجر بن أبي أمية باليمن وحضرموت) وكتب إلى شرحبيل بالمقام إلى أن يأتي خالد، فإذا فرغوا من مسيلمة يلحق شرحبيل وسريته بعمرو بن العاص ليعينه على قضاعة.

وسار خالد ﷺ إلى اليمامة، وعجل شرحبيل فقاتل مسيلمة قبل وصول خالد فنكب أيضاً، وأمد أبو بكر ﷺ خالداً بسَليط ليكون ردءاً له لئلا يؤتى من خلفه، ولما بلغ مسيلمة دنو خالد ضرب عسكره بعَقرباء، والتقى الجيشان، وبعد معركة ضارية انهزم المسلمون وثبتت منهم جماعة وحثوا إخوانهم على الصبر، واشتد القتال ثانية، وكانت الغلبة تارة للمسلمين وتارة للكافرين، فلما رأى خالد ﷺ قسوة الحرب على المسلمين قال امتازوا أيها الناس لنعلم بلاء كل حي ولنعلم من أين نؤتى. فامتازوا، وكان أهل البوادي قد جنبوا المهاجرين والأنصار وجنبهم المهاجرون والأنصار، فلما امتازوا قال بعضهم لبعض: اليوم يُستحى من الفرار. فما رئي يوم كان أعظم نكاية من ذلك اليوم، غير أن القتل كان في المهاجرين والأنصار وأهل القرى أكثر منه في أهل البوادي، وسعى سيدنا خالد لقتل مسيلمة لإنهاء الحرب، ففر مسيلمة ولحقه أصحابه ودخلوا إلى الحديقة، وأغلقوا عليهم بابها، والحديقة بقعة واسعة يحيط بها سور وتتسع لمئات الألوف من الناس.

وكان البراء بن مالك ﷺ إذا حضر الحرب هاج وأصابته رعدة حتى يقعد عليه الرجال ثم يبول، فإذا بال ثار كما يثور الأسد وفتك بالأعداء فتكاً ذريعاً - وهذا يدل على أنه يرتفع ضغط الدم عنده في المعارك بسبب شدة هيجانه -، فأصابه ذلك، فلما بال وثب وقال: إلي أيها الناس أنا البراء بن مالك إلي إلي.

وقاتل قتالاً شديداً، فلما دخلت بنو حنيفة الحديقة طلب البراء من المسلمين أن يقف على ترس ثم يرفعوه برؤوس رماحهم ثم يلقوه على الحديقة من فوق سورها، فلم يفعلوا، فقال: والله لتطرحنني عليهم. ففعلوا، وقاتل البراء بمفرده جيش مسيلمة وفتح الباب عنوة فاقتحمه المسلمون واقتتلوا أشد قتال، وكثر القتلى في الفريقين لاسيما في بني حنيفة، فلم يزالوا كذلك حتى قتل مسيلمة، وقد اشترك في قتله وحشي مولى جبير بن مطعم ورجل من الأنصار، أما وحشي فدفع عليه حربته وضربه الأنصاري بسيفه، وكان مقتله سنة ١٢ للهجرة ٦٣٣م، فولت بنو حنيفة عند قتله منهزمة، وأخذهم السيف من كل جانب، وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاث مائة وستون ، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاث مائة رجل، وقتل من بني حنيفة بعقرباء سبعة آلاف، وبالحديقة مثلهم، وفي الطلب قريب من ذلك. - البداية والنهاية٦/٣٢٣-٣٢٧وانظر نماذج من ثرثرة مسيلمة٣٢٠و٣٢١و٣٢٦، الكامل في التاريخ: أحداث سنة١١.

لقيط بن مالك الأزدي (ذو التاج)

ظهر في عُمان لقيط بن مالك الأزدي ويقال له (ذو التاج) وكان يسمى في الجاهلية (الجلندي) وقد ادعى النبوة وتابعه الجهلة من أهل عمان، فتغلب عليها، وقهر جيفر وعباداً وألجأهما إلى أطرافها من نواحي الجبال والبحر، فبعث جيفر إلى الصديق ﷺ فأخبره الخبر واستجاشه، فبعث إليه الصديق ﷺ بأميرين وهما حذيفة بن محصن الحميري وعَرْفجة البارقي من الأزد، حذيفة إلى عمان، وعرفجة إلى مهرة، وأمرهما أن يجتمعا ويتفقا ويبتدئا بعمان، وحذيفة هو الأمير فإذا ساروا إلى بلاد مهرة فعرفجة الأمير، وأمر عكرمة بن أبي جهل ﷺ أن يلحق بهما بجيشه، فلحقهما قبل أن يصلا إلى عمان، فلما اقتربوا من عمان راسلوا جيفر، وبلغ لقيط بن مالك مجيء الجيش، فخرج في جموعه، فعسكر بمكان يقال له (دبا) وهي مصر تلك البلاد وسوقها العظمى، وجعل الذراري والأموال وراء ظهورهم ليكون أقوى لحربهم، واجتمع جيفر وعباد بمكان يقال له (صحار)، فعسكرا به وبعثا إلى أمراء الصديق فقدموا مع المسلمين، فتقابل الجيشان هنالك، وتقاتلوا قتالاً شديداً، وابتلي المسلمون وكادوا أن يولوا، فمنّ الله بكرمه ولطفه بأن بعث إليهم مدداً من بني ناجية وعبد القيس في جماعة من الأمراء، فلما وصلوا إليهم كان الفتح والنصر، فولى المشركون مدبرين، وركب المسلمون ظهورهم فقتلوا منهم عشرة آلاف مقاتل وسبوا الذراري وأخذوا

الأموال والبضائع، وبعثوا بالخمس إلى الصديق ﷺ مع أحد الأمراء وهو عرفجة، ثم رجع إلى أصحابه وساروا إلى بلاد مهرة حيث قتلوا الآبقين بها بعد أن أقنعوا قسماً منهم بالانضمام إلى المسلمين. -البداية والنهاية٦/٣٢٩و٣٣٠-.

المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي

دجال مبتدع يقال له الوصاف، قالوا: إنه جمع بين الإلحاد والتنجيم، كان مجسماً ويقول بتأليه علي ﷺ وتكفير الصحابة ﷺ إلا من ثبت مع علي ﷺ، وكان يزعم أنه هو أو علي ﷺ لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً لفعل، قتله خالد بن عبد الله القسري سنة١١٩هجرية٧٣٧م- ميزان الاعتدال٣/١٩١، وتاريخ الإسلام للذهبي٥/١، والكامل في التاريخ أحداث سنة١٢٠ للهجرة-وقد جعله الشهرستاني مع غلاة الشيعة وجعل له فرقة اسمها (المغيرية) وكتب عنه: المغيرية أصحاب المغيرة بن سعيد البجلي ادعى أن الإمامة بعد محمد بن علي بن الحسين في محمد النفس الزكية ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن الخارج بالمدينة، وزعم أنه حي لم يمت.

وكان المغيرة مولىً لخالد بن عبد الله القسري- أمير العراقيين في عهد هشام بن عبد الملك توفي سنة١٢٦للهجرة- وادعى الإمامة لنفسه بعد الإمام محمد، وبعد ذلك ادعى النبوة لنفسه واستحل المحارم، وغلا في حق علي ﷺ غلواً لا يعتقده عاقل، وزاد على ذلك قوله بالتشبيه فقال: إن الله تعالى صورة وجسم ذو أعضاء على مثال حروف الهجاء، فالألف منها مثال قدميه، والعين على صورة عينه، وشبه الهاء بالفرج، وصورته صورة رجل من نور على رأسه تاج من نور، وله قلب تنبع منه الحكمة، وزعم أن الله عز وجل لما أراد خلق العالم تكلم بالاسم الأعظم فطار فوقع على رأسه تاجاً. قال: وذلك قوله: (سَبِّحِ اسْمَ ربكَ الأعلى* الذي خَلَقَ فسَوَّى) ثم اطلع على أعمال العباد وقد كتبها على كفه، فغضب من المعاصي فعرق، فاجتمع من عرقه بحران أحدهما مالح والآخر عذب، والمالح مظلم والعذب نيّر، ثم اطلع في البحر النير فأبصر ظله، فانتزع عين ظله فخلق منها الشمس والقمر وأفنى باقي ظله وقال: لا ينبغي أن يكون معي إله غيري. قال: ثم خلق الخلق كله من البحرين، فخلِق المؤمنون من البحر النير وخلق الكفار من البحر المظلم، وخلق ظلال الناس أول ما خلق، وأول ما خلق هو ظل محمد عليه الصلاة والسلام وظل علي ﷺ قبل خلق ظلال الناس، ثم عرض على السموات والأرض والجبال أن يحملن الأمانة وهي أن يمنعن

علي بن أبي طالب ﷺ من الإمامة فأبيْن ذلك، ثم عرض ذلك على الناس، فأمر عمر بن الخطاب ﷺ أبا بكر ﷺ أن يتحمل منعه من ذلك، وضمن له أن يعينه على الغدر به شرط أن يجعل الخلافة له من بعده، فقبل منه وأقدما على المنع متظاهرين، فذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً ﴾ - الأحزاب ٧٢/٣٣- وزعم أنه نزل في حق عمر ﷺ قول الله عز وجل: ﴿ كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَـٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَـٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ ﴾ - الحشر ١٦/٥٩- ولكن هذا الدعيّ الدجال ناقض نفسه وادعى الألوهية، ولما قتل اختلف أصحابه، فمنهم من قال بانتظار رجعته ومنهم من قال بانتظار إمامة محمد بن علي بن الحسين ﷺ لما كان يقول هو بانتظاره، وقد قال المغيرة بإمامة أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين ﷺ ثم غلا فيه وقال بألوهيته فتبرأ منه (الباقر) ولعنه، وقد قال المغيرة لأصحابه: انتظروه فإنه يرجع وجبريل وميكائيل يبايعانه بين الركن والمقام، وزعم أنه يحيي الموتى.

صالح بن طريف البرغواطي

كان أبوه طريف من قواد حركة الخارجي ميسرة المضفوري، وهو من بني فاتن من بلاد المغرب، وكانت هذه الحركة على مذهب الخوارج الصفرية، وكان سبب خروج ميسرة سوء سيرة والي طنجة عمر بن عبد الله الحبحاب ابن والي المغرب، فقد عزم على أخذ الجزية ممن أسلم من البربر، فأثارهم هذا العمل، فانتهز ميسرة هذه الفرصة ودعاهم إلى الخروج، فخرجوا سنة ١١٧ هـ، واتسع نطاق ثورتهم حتى عمت المغرب العربي وتسربت إلى الأندلس، وأرسل إليهم هشام جيشاً عظيماً عليه كلثوم بن عياض فهزموه، فأرسل إليهم جيشاً عظيماً ثانياً سنة ١٢٢هـ بقيادة حنظلة بن صفوان فأخمد حركتهم، وقد ذكر أن قتلى الخوارج في هذه الحروب كانوا مائة وثمانين ألفاً- الاستقصاء في تاريخ دول المغرب الأقصى للسلاوي ٩٤/١إلى ١٠١، وتاريخ ابن خلدون ١١٨/٦و١١٩، والكامل في التاريخ ٦٩/٥إلى ٧١- ثم نهضت حركة أخرى على مذهب الصفرية أيضاً بزعامة عكاشة بن أيوب الفزاري وعبد الواحد بن يزيد الهواري، وقد تمكن حنظلة من قمعها، ثم خرج صالح بن طريف البرغوطي، وكان قد خرج مع أبيه في حركة الخوارج الصفرية فلما قمعت الحركة اندس بين قومه من البربر وادعى أنه المهدي المنتظر، ثم ادعى النبوة، والتف حوله بعض البربر، وقد أمر هذا

المتنبئ أتباعه بصيام رجب بدلاً من رمضان، وجعل الصلوات خمس عشرة صلاة في اليوم، عشر صلوات في الليل وخمس صلوات في النهار، وقصرها على الوقوف والإيماء دون سجود إلا في الركعة الأخيرة حيث يكون فيها خمس سجدات متتاليات، وسمح لأتباعه بأن يجمعوا في عصمتهم أي عدد من النساء، وأن يطلقوا نساءهم آلاف التطليقات دون أن يفقدوا حق إرجاعهن، فلا نهاية ولا تحديد ولا تقييد لعدد الزوجات ولا لعدد الطلقات، وحذف سُوراً من القرآن الكريم وأضاف إليه سُوراً من إنشائه، وألغى الغسل من الجنابة إلا في الزنى وأحدث أموراً أخرى، وقد خرجت حركته سنة ١٢٧ هـ، وقد ساعدت الاضطرابات التي انتشرت في الدولة الإسلامية على بقاء هذا المتنبئ إلى ما بعد قيام الدولة العباسية- الاستقصاء في تاريخ دول المغرب الأقصى ١/١٠٢و١٠٣، تاريخ ابن خلدون ٦/٢٠٧ إلى ٢١٠-.

أبو عيسى، إسحاق بن يعقوب الأصبهاني

ادعى النبوة وأنه عُرج به إلى السماء، فمسح الرب على رأسه، وأنه رأى رسول الله ﷺ فآمن به، أي أن محمداً هو الذي آمن بالدجال حسبما زعم، وزعم يهود أصبهان أنه الدجال وأنه يخرج من ناحيتهم.

ويقال لأصحابه (الأصبهانية) أو (العيسوية) وقد كتب عنه الشهرستاني: العيسوية نسبوا إلى أبي عيسى إسحاق بن يعقوب الأصبهاني، وقيل: إن اسمه عوفيد ألوهيم- أي عابد الله- وهذا يدل على أنه يهودي، وكان في زمن أبي جعفر المنصور وابتدأ دعوته في عهد آخر ملوك بني أمية مروان بن محمد، فاتبعه بشرٌ كثير من اليهود، وادعوا له آيات ومعجزات، وزعموا أنه لما حُورب خطّ على أصحابه خطاً بعود آس وقال: أقيموا في هذا الخط فليس ينالكم عدو بسلاح، فكان العدو يحملون عليهم حتى إذا بلغوا الخط رجعوا عنهم. ثم إن أبا عيسى خرج من الخط وحده على فرسه فقاتل وقتل من المسلمين كثيراً، وذهب إلى أصحاب موسى بن عمران الذين هم وراء النهر المرمل ليسمعهم كلام الله.

وقيل: إنه لما حارب أصحاب المنصور بالريّ قُتل وقتل أصحابه، .

زعم أبو عيسى أنه نبي، وأنه رسول المسيح المنتظر، وزعم أن للمسيح خمسة من الرسل يأتون قبله واحداً بعد واحد، وزعم أن الله عز وجل كلمه، وكلفه أن يخلص بني إسرائيل من أيدي الأقوام العاصين والملوك الظالمين، وزعم أن المسيح- المنتظر- أفضل ولد آدم وأنه أعلى منزلة من الأنبياء الماضين، وبما

أنه- أي إسحاق بن يعقوب الأصبهاني- رسول المسيح المنتظر فهو أفضل البشر جميعاً، وكان يوجب تصديق المسيح ويعظم دعوة الداعي ويزعم أيضاً أن الداعي هو المسيح وحرم الذبائح كلها، ونهى عن أكل كل ذي روح على الإطلاق طيراً كان أو بهيمة، وأوجب عشر صلوات، وأمر أصحابه بإقامتها وذكر أوقاتها، وخالف اليهود في كثير من أحكام الشريعة المذكورة في التوراة، وتوراة الناس هي التي جمعها ثلاثون حبراً لبعض ملوك الروم حتى لا يتصرف فيها كل جاهل بمواضع أحكامها.

الخطابية

جعلها الشهرستاني من الفرق الغالية وكتب عنها: أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بني أسد، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غُلوّه الباطل في حقه تبرّأ منه ولعنه، وأمر أصحابه بالبراءة منه، وشدد القول في ذلك، وبالغ في التبرّي منه واللعن عليه، فلما اعتزل عنه ادعى الإمامة لنفسه.

زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة، وقال بإلهية جعفر بن محمد وإلهية آبائه، وهم أبناء الله وأحباؤه، والإلهية نور في النبوة، والنبوة نور في الإمامة، ولا يخلو العالم من هذه الآثار والأنوار، وزعم أن جعفراً هو الإله في زمانه، وليس هو المحسوس الذي يرونه، ولكن لما نزل إلى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس بها.

ولما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور على خبث دعوته قتله بسبخة الكوفة سنة ١٤٣هـ ، وافترقت الخطابية بعده فرقاً، فزعمت فرقة أن الإمام بعد أبي الخطاب رجل يقال له: معمر، ودانوا به كما دانوا بأبي الخطاب، وزعموا أن الدنيا لا تفنى، وأن الجنة هي ما يصيب الناس من خير ونعمة وعافية، وأن النار هي ما يصيب الناس من شر ومشقة وبلية، واستحلوا الخمر والزنى وسائر المحرمات، ودانوا بترك الصلاة والفرائض، وتسمى هذه الفرقة: المعمرية.

ومعمر هذا هو معمر بن خيثم، أبو بشار الشعيري، ادعى الألوهية، وقد خرج ابن اللبان يدعو إليه وقال: إنه الله عز وجل. وصلى له وصام، وأحل الشهوات كلها ما حل منها وما حرم، وزعم أن كل شيء أحله الله في القرآن وحرمه فإنما هو أسماء رجال.

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب بزيغ، وكان يزعم أن جعفراً هو

الإله، أي ظهر الإله بصورة جعفر للخلق، وزعم أن كل مؤمن يوحى إليه من الله، وتأول قول الله عز وجل: ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ أي يوحى إليه من الله، وكذلك قول الله عز وجل: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ ﴾ ، وزعم أن من أصحابه من هو أفضل من جبريل وميكائيل، وزعم أن الإنسان إذا بلغ الكمال لا يقال له: إنه قد مات، ولكن الواحد منهم إذا بلغ النهاية قيل: رجع إلى الملكوت. وادعوا كلهم معاينة أمواتهم، وزعموا أنهم يرونهم بأبصارهم دائماً، وتسمى هذه الطائفة: البزيغية نسبة إلى كبيرها بزيغ وبزيغ هذا هو بزيغ بن موسى الحائك، وقد لعنه الصادق ولعن جماعته، وقد زعمت فرقته أنه نبي رسول وقد أرسله جعفر وشهد لأبي الخطاب بالرسالة، وبرئ أبو الخطاب وأصحابه من بزيغ كما برئ منه جعفر وشهد بأنه كافر شيطان.

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب: عمير بن بيان العجلي، وقالوا كما قالت المعمرية إلا أنهم اعترفوا بأنهم يموتون، وكانوا قد نصبوا خيمة بكناسة الكوفة يجتمعون فيها على عبادة الصادق، فرفع خبرهم إلى يزيد بن عمر بن هبيرة فأخذ عميراً فصلبه في كناسة الكوفة، وتسمى هذه الطائفة: العجلية والعميرية، ومن أقوال هذه الطائفة: إنا نموت ولكن لا يزال خَلَفٌ منا في الأرض أئمة أنبياءَ.

وزعمت طائفة أن الإمام بعد أبي الخطاب: مفضل الصيرفي، وكانوا يقولون بربوبية جعفر دون نبوته ورسالته، وتسمى هذه الفرقة المفضلية، وقد تبرأت هذه الفرقة من أبي الخطاب.

وتبرأ من هؤلاء كلهم جعفر بن محمد الصادق وطردهم ولعنهم، فإن القوم كلهم حيارى ضالّون جاهلون.

بهافريد

ظهر بهافريد في إقليم نيسابور في خلافة أبي العباس السفاح، وادعى أنه خليفة زرادشت في النبوة، وتبنى ديانته بعد أن أدخل تعديلات أساسية عليها متأثراً بمبادئ الإسلام، فقد نهى عن شرب الخمر وأكل الميتة والزواج من الأمهات أو البنات أو الأخوات، وفرض على أتباعه سبع صلوات في اليوم منها صلاة توحيد الله، بينما تدعو الزرادشتية إلى الثنوية، وكان من أهم المبادئ التي دعا إليها: مبدأ الرجعة. وبرغم مقاومة المجوس له ولدعوته مثلما قاومها

المسلمون فقد وجد بهافريد من يستجيب له ويلتف حوله، لكن أبا مسلم الخراساني وقد أتاه الموابذة في نيسابور يشكون إليه هذا الدجال الذي أفسد دين الإسلام ودينهم، أرسل من حمله إليه فقتله مع من ظفر به من أتباعه.

بيان بن سمعان التميمي

ادعى بيان النبوة بعد وفاة أبي هاشم بن محمد ابن الحنفية، وكتب إلى أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين يدعوه إلى نفسه والإقرار بنبوته ويقول له: أسْلِمْ تسْلَمْ وترتقِ في سُلَّم وتنجُ وتغنم فإنك لا تدري أين يجعل الله النبوة والرسالة، وما على الرسول إلا البلاغ، وقد أعذر من أنذر. فأمر أبو جعفر الرسول بأكل قرطاسه الذي جاء به، وذكر له الشهرستاني فرقة تنسب إليه سماها (البيانية) وكتب عنها: البيانية: أتباع بيان بن سمعان التميمي، قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه، وهو من الغلاة القائلين بإلهية أمير المؤمنين علي ﷺ، قال: حلّ في علي جزء إلهي واتحد بجسده، فيه كان يعلم الغيب إذا أخبر عن الملاحم وصح الخبر، وبه كان يحارب الكفار وله النصرة والظفر، وبه قلع باب خيبر، وعن هذا قال: والله ما قلعت باب خيبر بقوة جسدانية ولا بحركة غذائية ولكن قلعته بقوة رحمانية ملكوتية بنور ربها مضيئة. فالقوة الملكوتية في نفسه كالمصباح في المشكاة، والنور الإلهي كالنور في المصباح. قال: وربما يظهر علي في بعض الأزمان.

وقال في تفسير قول الله عز وجل: ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ ﴾ - البقرة ٢/٢١٠- أراد به علياً فهو الذي يأتي في الظلل والرعد صوته والبرق تبسّمه.

ثم ادعى بيان أن الجزء الإلهي قد انتقل إليه بالتناسخ، ولذلك استحق أن يكون إماماً وخليفة، وذلك الجزء هو الذي استحق به آدم عليه السلام سجود الملائكة.

وزعم أن معبوده على صورة إنسان عضواً فعضواً وجزءاً فجزءاً، وقال: يهلك كله إلا وجهه لقول الله عز وجل: ﴿ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾ - القصص ٢٨/٨٨-.

ومع هذا الخزي الفاحش كتب إلى محمد بن علي بن الحسين الباقر يدعوه إلى الإيمان به، فأمر الباقر رسول بيان واسمه عمر بن أبي عفيف بأن يأكل

الرسالة فأكلها ومات في الحال.

وقد اجتمعت طائفة على بيان بن سمعان ودانوا به وبمذهبه، فقتله خالد بن عبد الله القسري على ذلك، وقيل أحرقه مع الكوفي المسمى بالمعروف بن سعيد في النار معاً.

وخالد بن عبد الله القسري من بجيلة وَليَ مكة سنة ٨٩هـ للوليد بن عبد الملك ثم أصبح أمير العراقين لهشام بن عبد الملك سنة ١٠٥هـ ثم عزله سنة ١٢٠هـ وولى يوسف بن عمر الثقفي.

أبو منصور العجلي وابنه الحسين

رجلٌ من قبيلة عبد القيس كان يسكن الكوفة، وكان أمياً لا يقرأ، ونشأ بالبادية، فلما مات أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين ادعى أبو منصور أن أبا جعفر فوّض إليه أمره وجعله وصيَّه من بعده ثم تجاوز ذلك فزعم أنه نبي ورسول، وأن جبريل يأتيه بالوحي من عند الله عز وجل فقد أرسل الله عز وجل محمداً ﷺ بالتنزيل وأرسله هو بالتأويل، واستمرت فتنة هذا الضال الأخرق حتى وقف على عورته يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين، فأخذه وصلبه ثم قام من بعده ابنه الحسين بن أبي منصور فتنبأ وادعى مرتبة أبيه، فقتله المهدي العباسي مع جماعة من أصحابه وصلبهم- فرق الشيعة: ٣٨، الفرق بين الفرق: ٢٤٣، مقالات الإسلاميين١/٧٤، التبصير: ٧٣- وقد جعله الشهرستاني مع الفرق الغالية وجعل له فرقة تتبعه اسمها (المنصورية) وقال عنها: المنصورية أصحاب أبي منصور العجلي، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي جعفر محمد بن علي الباقر في الأول، فلما تبرأ منه الباقر وطرده زعم أنه هو الإمام، ودعا الناس إلى نفسه، ولما توفي الباقر قال: انتقلت الإمامة إلي وتظاهر بذلك، وخرجت جماعة من أتباعه في الكوفة من بني كندة، ثم وقف يوسف بن عمر الثقفي أمير العراقين في عهد هشام بن عبد الملك على قصته وخبث دعوته فأخذه وصلبه.

زعم أبو منصور العجلي أن علي هو الكسف الساقط من السماء، والكِسْف الساقط من السماء هو الله تعالى وزعم حين ادعى النبوة لنفسه بأنه عُرِج به إلى السماء ورأى معبوده فمسح بيده رأسه، وقال: يا بني انزل فبلّغ عني ثم أهبطه إلى الأرض فهو الكسف الساقط من السماء.

ولقد جاءت كلمة الكسف في خمسة مواضع من القرآن الكريم قال الله عز وجل: ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ ٱلْأَرْضِ يَنۢبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ

لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ ٱلْأَنْهَٰرَ خِلَٰلَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ -الإسراء١٧: ٩٠إلى٩٣-.

وقال جل جلاله: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾ ﴾ -الشعراء ٢٦: ١٨٥إلى١٨٧-.

وقال جل جلاله: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِي يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِي ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ الروم٣٠: ٤٨-.

وقال عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾ ﴾ - سبأ٣٤: ٩-.

وقال عز وجل: ﴿ وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ﴾ -الطور٥٢: ٤٤-.

فالكسف معناها القطع، وقد جاءت بمعنى قطع السحاب في سورة الروم، وجاءت بمعنى القطع الهابطة من السماء لإبادة الكافرين والمشركين في بقية المواضع، وهي واضحة الدلالة وليس فيها لبس ولا غموض، ولا يصح تأويلها بمعنى آخر.

وزعم أيضاً أن الرسل لا تنقطع أبداً، والرسالة لا تنقطع، وزعم أن الجنة رجل أمرنا بموالاته، وهو إمام الوقت، وأن النار رجل أمرنا بمعاداته، وهو خصم الإمام وتأول المحرمات كلها على أسماء رجال أمرنا الله تعالى بمعاداتهم وتأول الفرائض على أسماء رجال أمرنا بموالاتهم، واستحل أصحابه قتل مخالفيهم وأخذ أموالهم واستحلال نسائهم، وهم صنف من الخرَّمية، وإنما مقصودهم من

حمل الفرائض والمحرمات على أسماء رجال هو أن من ظفر بذلك الرجل وعرفه فقد سقط عنه التكليف وارتفع الخطاب إذ قد وصل إلى الجنة وبلغ الكمال. وبهذه الشعوذة واللف والدوران أسقط الفرائض وأباح المحرمات.

أصحاب عبد الله بن معاوية الطالبي

عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب كان من شجعان الطالبيين وأجوادهم وشعرائهم، وقد طلب الخلافة في أواخر بني أمية سنة١٢٧ هجرية في الكوفة ، وبايع له بعض أهلها، واستفحل أمره فسيَّر إليه أميرُ العراق ابن هبيرة الجيوش لقتاله فصبر لها، ثم انهزم إلى شيزار، ومنها إلى هراة فقبض عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر أبي مسلم الخراساني سنة١٢٩ هجرية٧٤٦ميلادية- الكامل في التاريخ حوادث سنة١٢٧و١٢٩والأعلام٤/١٣٩ وقد قال الشهرستاني: وكان من مذهب عبد الله أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وأن الثواب والعقاب في هذه الأشخاص إما أشخاص بني آدم وإما أشخاص الحيوانات قال: وروح الله تناسخت حتى وصلت إليه وحلت فيه، .

وادعى الإلهية والنبوة معاً وأنه يعلم الغيب، فعبده الحمقى وكفروا بالقيامة لاعتقادهم أن التناسخ يكون في الدنيا، والثواب والعقاب في هذه الأشخاص، وتأول قول الله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓاْ إِذَا مَا ٱتَّقَواْ ﴾ -المائدة ٥: ٩٣- على أن من وصل إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يَطْعَم ووصل إلى الكمال والبلاغ.

وعنه نشأت الخرّمية والمزدكية بالعراق، وهلك عبد الله بخراسان، وافترقت أصحابه، فمنهم من قال: إنه حي لم يمت وسوف يرجع.

الراوندية وعثمان بن نهيك

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية١٠/٧٥و٧٦:

ثم دخلت سنة إحدى وأربعين ومائة، فيها خرجت طائفة يقال لها (الراوندية) على المنصور، ذكر ابن جرير عن المدائني أن أصلهم من خراسان، وهم على رأي أبي مسلم الخراساني، كانوا يقولون بالتناسخ، ويزعمون أن روح آدم انتقلت إلى عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم أبو جعفر المنصور، وأن الهيثم بن معاوية: جبريل.

قال ابن جرير الطبري: فأتوا يوما قصر المنصور فجعلوا يطوفون به

ويقولون: هذا قصر ربنا. فأرسل المنصور إلى رؤسائهم فحبس منهم مائتين، فغضبوا من ذلك وقالوا: علام تحبسهم؟ ثم عمدوا إلى نعش فحملوه على كواهلهم وليس عليه أحد، واجتمعوا حوله كأنهم يشيعون جنازة، واجتازوا بباب السجن، فألقوا النعش ودخلوا السجن قهراً، واستخرجوا من فيه من أصحابهم، وقصدوا نحو المنصور، وهم في ست مائة، فتنادى الناس، وغلقت أبواب البلد، وخرج المنصور واجتمع إليه الناس فحصدوهم عن آخرهم، وكان ذلك بالمدينة الهاشمية من الكوفة.

وتسمية هذه الطائفة بالراوندية نسبة إلى قرية راوند قرب نيسابور إذ كانت مقراً لدعوة معتنقيها ودعاتها الأوائل، وترجع مبادئها إلى التعاليم الفارسية القديمة التي تقوم على تأليه الملوك وتقديسهم وإباحة المحرمات والشيوعية الجنسية كالمُزْدَكية، وأرى أن هذه الفرقة كانت تخفي هدفاً سياسياً تحت غطائها الديني، فهي تسعى لأن يتسلم الفرس مقاليد الخلافة والحكم، وإلا فكيف نفسر محاولة قتلها لأبي جعفر المنصور وهو إلهها بحسب معتقدها.

وتشعبت هذه الفرقة إلى فرق وفقاً لاختلاف عقائدها في الحلول، ولعل أهمها الفرقة التي تعتقد بألوهية أبي جعفر المنصور وتبالغ في تقديسه وتقول: إن روح المسيح قد انتقلت إليه بالحلول والتسلسل فارتفع إلى صفة الآلهة فهو رب أتباعها وإن نبيه هو أبو مسلم الخراساني. وقال بعضهم: إن روح المسيح قد انتقلت إلى أبي العباس السفاح فأبي مسلم الخراساني، وأبو مسلم الخراساني عند هذه الطائفة حي لم يمت، وبعضهم يقول: إنه نبي أرسله زرادشت، وبالغ بعضهم فقال: إن جزءاً إلهياً قد حل فيه فهو فوق الملائكة، وفرقة ترى أن روح عيسى ابن مريم قد صارت في علي بن أبي طالب ثم في الأئمة التالين له واحداً بعد آخر حتى حلت في الإمام إبراهيم بن محمد، ولذلك فإن كل واحد من هؤلاء إله.

الخُرَّمِيّة

اختلفت الآراء في سبب تسميتها بالخرمية، فبعضهم يراها مأخوذة من خرم وتعني (اللذة) بالفارسية، وهذا هو الأرجح وبعضهم يراها مأخوذة من خرم اسم زوجة مُزْدَك الذي أنشأ هذه الطائفة منذ أيام الملك قباذ، وبعضهم يرى أن نشأتها كان بعد مزدك على أيدي زعيمين فارسيين هما: جاويدان وأبو عمران ظهرا في جبال فارس.

أما مبادئها فهي: الإيمان بالحلول والتناسخ وتأليه البشر وإباحة كل ما تحبه النفس والشيوعية في كل شيء في النساء والأراضي والأشياء ونكاح المحارم واللواطة، وكان لأتباع هذه الطائفة أيام يجتمعون فيها وتطفأ الأنوار وينهض كل رجل لمجامعة المرأة التي تقع بين يديه، وقد تكون أمه أو ابنته أو أخته، وقد انتشرت هذه الطائفة في خراسان، وضمها أبو مسلم الخراساني إليه حينما كان يدعو للعباسيين، فلما قتل أبو مسلم تفجرت ثوراتهم، ومنها ثورة سنباذ التي قامت في نيسابور سنة١٣٦هجري طلبا لثأر أبي مسلم وانضم إليها كثير من الفرس، وبشر أتباعُه بزوال حكم العرب وبأنه سيهدم الكعبة، وأعلن أن أبا مسلم لم يمت وأنه تحول إلى حمامة بيضاء ثم طار، ووجه إليه أبو جعفر المنصور جيشاً كبيراً بقيادة جهور بن مرار العجلي فقتل سنباذ وقتل معه ستين ألفاً من أتباعه.ومنها ثورة إسحاق الترك وهو رجل أميّ من دعاة أبي مسلم فيما وراء النهر، ولذا لقب بالترك، وقد ثار غضباً لمقتل أبي مسلم، وادعى أنه لم يقتل بل سجن وسيخرج من سجنه في وقت معين، فالتحق بثورته عدد كبير من الفرس الناقمين وازداد نفوذه إلى أن قبض عليه والي خراسان وقتله، ولكن أتباعه استمروا في العمل سراً حتى القرن السادس الهجري.

أستاذ سيز

ادعى النبوة في خراسان سنة١٥٠هجرية، وبلغ عدد أتباعه قرابة ثلاث مائة ألف تمكن بهم من بسط نفوذه على خراسان، لكن أبا جعفر المنصور وجه إليه جيشاً كبيراً أحرز عليه انتصاراً ساحقاً، إذ قتل أربعة وسبعين ألفاً من جنوده وألقى القبض عليه، وسيق إلى بغداد وقتله المنصور، وأطلق سَراح ثلاثين ألفاً من جنده المأسورين.

المقنّع الخراساني

كتب عنه خير الدين الزركلي في الأعلام-٢٣٥/٤-: عطاء، المعروف بالمقنع الخراساني، مشعوذ مشهور، كان قصّاراً من أهل مَرْوَ، وتعلق بالشعوذة، فادعى الربوبية من طريق التناسخ زاعماً أنها انتقلت إليه من أبي مسلم الخراساني، فتبعه قوم، وقاتلوا في سبيله، وكان مشوَّه الخلْق، فاتخذ وجهاً من ذهب تقنّع به، وأظهر لأشياعه صورة قمر يَطْلع ويراه الناس من مسيرة شهرين ثم يغيب عنهم، قال أبو العلاء المعري:

أَفِقْ، إنما البدرُ المقنَّعُ رأسُه ضلالٌ وغيٌّ مثْلُ بدرِ المقنّعِ

واشتهر أمره سنة١٦١هجرية، فثار الناس وأرادوا قتله، فاعتصم بقلعة، فحصروه، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وسقاهن سماً فمُتنَ، ثم تناول بقية السم فمات، ودخل المسلمون القلعة فقتلوا من بقي فيها في (سبام) بما وراء النهر. وذكر أن وفاته كانت سنة١٦٣هجرية٧٨٠م.

محمود بن الفرج النيسابوريّ

ظهر سنة٢٣٥هجرية بسامرّاء رجل يقال له: محمود بن الفرج النيسابوري، فزعم أنه نبي، وأنه ذو القرنين، وتبعه سبعة وعشرون رجلاً، وخرج من أصحابه ببغداد رجلان بباب العامة وآخران بالجانب الغربي، فأتي به وبأصحابه إلى المتوكل فأمر به فضرب ضرباً شديداً، وحُمل إلى باب العامّة، فأكذب نفسه، وأمر أصحابه أن يضربه كل رجل منهم عشر صفعات، ففعلوا، وأخذوا له كتاباً فيه كلام جمعه وادعى أنه قرآن، وأن جبرائيل نزل به، ثم مات من الضرب في ذي الحجة، وحبس أصحابه، وكان فيهم شيخ يزعم أنه نبي وأن الوحي يأتيه.-الكامل في التاريخ-.

مرداويح بن زياد الديلمي

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية في حوادث٣١٥-١١/١٥٥-:

وفيها كان ظهور الديلم قبحهم الله ببلاد الريّ، وكان فيهم ملك غلب على أمرهم يقال له: مرداويح، يجلس على سرير من ذهب وبين يديه سرير من فضة، ويقول: أنا سليمان بن داود، وقد سار في أهل الري وقزوين وأصبهان سيرة قبيحة جداً، فكان يقتل النساء والصبيان في المهد، ويأخذ أموال الناس، وهو في غاية الجبروت والشدة والجرأة على محارم الله عز وجل، فقتلته الأتراك وأراح الله المسلمين من شره، وذكر ابن كثير أنه مات سنة٣٢٣، قتله غلامه بجكُمُ التركي في الحمّام بالتعاون مع آخرين من جنوده الأتراك لأنه كان يعامل الأتراك باحتقار.

محمد بن علي الشّلْمَغاني

كتب عنه خير الدين الزركلي-الأعلام٦/٢٧٣-: محمد بن علي، أبو جعفر الشلمغاني، ويُعرف بابن أبي العزاقر، متألّه مبتدع، كان في أول أمره إمامياً، من الكتّاب، وصنّف كتباً منها (ماهية العصمة) و(الزاهر بالحجج العقلية) و(فضل النطق على الصمت) و(البدء والمشيئة) وغير ذلك، ثم ادعى أن اللاهوت حل فيه، وأحدث شريعة جاء فيها بالغريب، ومن شريعته أن الله يحل في كل إنسان

على قدره، وتبعه ناس من أعيان دولة المقتدر العباسي، وكان يقوّي أمرَه الوزيرُ ابن الفرات وابنه الحسن، وأفتى علماء بغداد بإباحة دمه، فأمسكه الراضي بالله العباسي فقتله وأحرق جثته مخافة أن يقدسها أتباعه، ونسبته إلى شلمغان بنواحي واسط، وإليه تنسب الفرقة العزاقرية، وتوفي سنة ٣٢٢هـ٩٣٤م.

متنبئ ببلاد الشاش

جاء في البداية والنهاية أن رجلاً ببلاد الشاش قد ادعى النبوة وأظهر المخاريق وأشياء كثيرة من الحيل، فجاءته الجيوش فقاتلوه، وانطفأ أمره سنة٣٢٢ هجرية.

المتنبئ عيسى ابن أم الأنصار

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية-١١/٢٨٣-في حوادث سنة٣٦٥هجرية أن يوسف بن بلكين نائب المعز الفاطمي على بلاد إفريقيا قد سار إلى مدينة برغواطة في المغرب وبها رجل يقال له: عيسى ابن أم الأنصار، وهو ملكها، وكان ساحراً، وادعى أنه نبي فأطاعته رعيته، ووضع لهم شريعة يقتدون بها، فقاتلهم بلكين فهزمهم وقتل هذا الفاجر ونهب أموالهم وسبى ذراريهم.

جلال الدين أكبر والاكبرية

جاء في كتاب (الإسلام بين العلماء والحكام) للشيخ عبد العزيز البدري، ط١٩٦٦، ص٢٠٨و٢٠٩: أنه تولى حكم الهند سنة٩٦٣هجرية رجل من ملوك المغول من أحفاد تيمور يدعى: جلال الدين أكبر، وما إن تربع على كرسيه حتى سام مسلمي الهند سوء العذاب، فقد اضطهد علماءهم وآذى رجالهم وضيق على عامتهم قتلاً وتشريداً واعتقالاً، وعاث الفساد في البلاد، هذا حاله مع المسلمين، أما مع الإسلام فقد أعلن الحرب عليه حرباً شعواء لا هوادة فيها، مبتدئاً بفسخ نبوة سيدنا محمد ﷺ ، مدعياً بأن عصر النبوة قد انتهى إلى هذا الألف من الأعوام، وبدأ عصر الألف الثاني بإمامته العظمى وأنه صاحب الكلمة، لا يُعْصى في أمر ولا يُرَدّ له حُكم، وهذا قد جاء في المحضر الذي وقّع عليه شيوخ مسلمون آثروا أن يتقربوا من السلطان الطاغية وأن يقولوا ما يحب ويشتهي لكي يحصلوا على مغانم ومكاسب وسلطة، أما الذين خالفوا أمره فقد عاقبهم بالسجن أو بالقتل، وقد حرّم ذبح البقر، وحرّم كتابة التاريخ الهجري، كما حرّم تسمية رجالات قصره وأعوان حكمه بأسماء النبي الأعظم ﷺ وأباح ذلك لعبيده وخَدَمِه، وحلل الخمر والقمار وأكل الخنزير والزواج من بنات الهندوس

الوثنيين.

وقد أخذت من مقالة للدكتور عبد المقصود محمد شلقامي-مجلة الأزهر السنة٤٨الجزء٧ص٩٩٠وما بعدها- ما يلي:

حكـم أكبر الهند قرابة خمسين عاماً (٩٦٣-١٠١٤هجرية، ١٥٥٦-١٦٠٥م) وانتصر في معاركه الكثيرة ضد الحركات الانفصالية، ثم اتجه شمالاً، فدانت له (كابل وقندهار) ، وقد نادى أيضا بتناسخ الأرواح، وأنكر الوحي والبعث والدار الآخرة وسائر السمعيات كما أنكر المعجزات، وأحلّ كثيراً من المحرَّمات في الإسلام، وقدَّس نار المجوس، وجعل عبارة التوحيد كما يلي (لا إله إلا الله أكبرُ خليفة الله) ، وقد تبنى كثيراً من عقائد الهندوس وفرضها على المسلمين وتزوج من الهندوس وزوج ابنه منهم، ودعا حاشيته إلى التزاوج معهم، وفرحوا بهذه الصلات، وسعوا من خلالها إلى القضاء على الإسلام. وأرسل أكبر إلى البرتغاليين، وكانوا يحتلون بعض ثغور الهند، يطلب من يعلمه ديانتهم، فأرسلوا إليه إنجيلاً أمر بترجمته إلى الفارسية وعهد إلى رجال الدين اليسوعيين بتعليم ولده مراد، ثم أذِن لهم بفتح مدارس في أكرا العاصمة وفي بعض عواصم الولايات الهندية، ولقد أرضى أكبر كل الأديان إلا دين الإسلام الذي كان ينتمي إليه مع أسرته المغولية، فقد انسلخ عنه وناصبه العداء، وقال عنه: إن واضعه من فقراء العرب، وحينما مات أكبر تولى ابنه جهانكير حكم الهند سنة١٠١٤هجرية ١٦٠٥م وأسرع بإبطال كل ما ابتدعه أبوه.

أحمد القادياني وبشير ميرزا

كتب خير الدين الزركلي في الأعلام١/٢٥٦عن أحمد القادياني: ولد عام ١٢٥٥هجرية١٨٣٩م وتوفي عام١٣٢٦هجرية١٩٠٨م، أحمد بن مرتضى بن محمد القادياني ويسمى مرزا غلام أحمد بن غلام مرتضى بن عطاء محمد، ويلقب بالمسيح الثاني، زعيم القاديانية ومؤسس نحلتهم، هندي، له كتابات عربية، نسبته إلى (قاديان) من قرى (بنجاب) ، ولد ودفن فيها، قرأ شيئاً من الأدب العربي، واشتغل بعلم الكلام، وخدم الحكومة الإنكليزية أيام احتلالها للهند مدةً عمل بها كاتباً في المحكمة الابتدائية الإنكليزية بمدينة سيالكوت، ولما تم القرن الثالث عشر الهجري نعت نفسه بمجدّد المائة، ثم أعلن أنه (المهدي) وزاد فادعى أن الله أوحى له: (الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم، أنت شيخ المسيح الذي لا يضاع وقته كمثلك دُرّ لا يضاع) وآمن به جمهور من الهنود على

أنه نبي تابع للشريعة الإسلامية، وأنه أحمد المعني بآية (ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد) -سورة الصف-ووضع كتباً بالعربية والأردية، منها مما تغلب عليه العربية: (حمامة البشرى إلى أهل مكة وصلحاء أم القرى) و(ترياق القلوب) و(حقيقة الوحي) و(مواهب الرحمن) طبع هذا الأخير في قاديان سنة١٩٠٣وجاء فيه: (إنني أمرؤ يكلمني ربي ويعلمني من لَدُنه ويُحْسِن أدبي ويوحي إلي رحمة منه فأتبع ما يوحي) ص٣، و(إني أنا المسيح المعهود، وأوحي إلي من الله كالأنوار الساطعة) ص٢٩، و(هذه الحكومة -أي الحكومة الإنكليزية- حرام على كل مؤمن أن يقاومها بنية الجهاد، وما هو جهاد، بل هو أقبح أقسام الفساد) ص ٤٤، ولولده محمود أحمد كتابان في مناصرة أبيه، ولا يزال له أتباع إلى اليوم في الهند وباكستان، وتصدى كثير من معاصريه للرد عليه وتكفيره، منهم: حسين بن محسن السبعي اليماني في كتابه (الفتح الرباني) ، وأنوار الله الحيدر أبادي في (إفادة الإفهام وإزالة الأوهام) ، ومحمد علي الرحماني الكانبوري في (الصحيفة الرحمانية) تسعة أجزاء، وكتب أخرى، ومما كتب الدكتور محمد إقبال: (القاديانية ثورة على نبوة محمد ﷺ ومؤامرة ضد الإسلام، وديانة مستقلة، وقال لي أحد علماء الهند: كان الإنكليز أكبر أعوان القادياني على نشر دعوته لإحداث الانشقاق في وحدة المسلمين بالهند وصرفهم عن التفكير في مقاومة احتلالهم لبلادهم) وقد أشار الزركلي إلى إن هناك رسالة لأبي الحسن الندوي بعنوان (القاديانية ثورة على النبوة المحمدية والإسلام) .

وقد قرأت رسالة نشرها الشيخ حسين محمد بعنوان (النِّصال الشفوية في الرد على القاديانية) -مطبعة الترقي في دمشق سنة١٣٧٢هجرية١٩٥٣م-يرد فيها على ميرزا بشير- رأس القاديانيين وخليفتهم الثاني- في كتابه (دعوة الأحمدية وغرضها) وقد أطلقوا هذه التسمية على جماعتهم نسبة إلى متنبئهم الكذاب أحمد القادياني، واستخلصت منه أن هذه الجماعة تدعي أنها مؤمنة بالإسلام وبالقرآن، ولكنها تفسر القرآن بحسب أهوائها، وقد رأت هذه الطائفة أن تكذب القرآن في مسألة قتل عيسى ابن مريم ﵉ وصلبه، فالقرآن الكريم يصّرح بأن اليهود لم يقتلوا عيسى ﵉ ولم يصلبوه بل رفعه الله عز وجل إليه، ويصرح بأنه شبِّه لهم، وهذه فسرت بأن الله عز وجل قد جعل صورة الواشي الذي أرشد اليهود إلى مكمن عيسى ﵉ على صورة سيدنا عيسى ﵉ بعد أن رفعته الملائكة إلى السماء، فقتل اليهود الواشي وصلبوه وهو على صورة سيدنا عيسى ﵉ ،

فظنوا أنهم قتلوا عيسى ﷺ وصلبوه، وقد استعان بشير ميرزا بالتوراة وبالأناجيل وبمعتقدات اليهود والنصارى ليبرهن على مقتل عيسى ﷺ وصلبه، وزعم أن أقوال اليهود والنصارى أصح لأنهم رأوه يصلب ثم تناقلوا الأخبار إلى وقتنا هذا، فهم أعلم الناس بما جرى لنبيهم، وهم شهود عيان على مقتله وصلبه، وليس من حق الإسلام الذي جاء بعد ست مائة عام أن يكذب أقوالهم.

أما موقف هذه الطائفة من الحديث النبوي الشريف فهم يكذبونه إذا ناقض أقوالهم ويرمون رواته بالكذب والبله والخرف، وقد اضطر داعيتهم الأول ودعاتهم اللاحقون إلى البرهنة على موت سيدنا عيسى ﷺ موتاً أبدياً وإلى التأكيد على أنه لن يعود إلى الحياة ثانية، ثم إلى الزعم بأن قبره موجود في كشمير وحدد داعيتهم موضعه، وقد فعل ذلك ليزعم أنه-أي أحمد القادياني-هو المسيح الموعود الذي سوف ينقذ البشرية من الشر والفساد .

وبما أن المسيح الموعود ﷺ سوف يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية أي يبطلها حيث يلغي الديانة النصرانية، فقد أعلن القادياني أن هذا معناه إبطال الديانة النصرانية، وأن كسر الصليب وقتل الخنزير ووضع الجزية ليس معناها القيام الفعلي بهذه الأعمال، وإنما المقصود هو إبطال الديانة النصرانية فحسب، وهكذا فسر الأحاديث التي ذكرت هذه الأفعال تفسيراً مجازياً.

والعجيب أن أحمد القادياني لم يبطل الديانة النصرانية ولم يعاد الإنجليز الذين كانوا يحتلون الهند في زمانه، بل مالأهم وخدمهم، وقال خليفتهم الثاني ميرزا بشير (لقد كان الأحمديون يرون أن لا ضرورة للجهاد ضد الإنكليز لأنهم لم يتصرفوا يوماً في ديننا ولم يتدخلوا في عقائدنا قط) -دعوة الأحمدية وغرضها ص١٥-.

وقد برزت أمام القادياني مشكلتان أخريتان هما: الدجال وقوم يأجوج ومأجوج، فالمعروف من الحديث النبوي الشريف أن المسيح ﷺ سوف ينزل والدجال موجود وسوف يقتله ثم يخرج قوم يأجوج ومأجوج، وقد سَوَّى المشكلتين على طريقته الخاصة في التفسير والبرهنة، فالدجال عنده هو علماء أوربا أو علماء فرنسا بخاصة، وقوم يأجوج ومأجوج هم الإنكليز والروس، ولكنه برغم تفسيره هذا لم يَدْعُ إلى محاربة الإنكليز على الإطلاق.

وادعى القادياني أنه النبي الذي بشر به عيسى ﷺ في قوله (ومبشراً برسول من بعدي اسمه أحمد) فالقادياني اسمه أحمد، وما دام اسمه أحمد فهو النبي

المبشر به.

وقد أعلن القادياني ودعاته أن المسلمين لم يفهموا معنى (خاتم النبيين)، ولذلك انطلق القادياني الأول ومن تبعه يخبطون خبط عشواء ليبرهنوا على أن مسألة الاتصال المباشر بالله تعالى ممكنة، وكذلك مسألة تكليمه لعباده، واستعانوا بأقوال مبتورة للصوفيين وفسروها بحسب أهوائهم ودعاويهم الباطلة، وقالوا: إن الله لا يمكن إلا أن يبعث مصلحاً أو هادياً أو مأموراً لمقاومة الفساد، وإنه ليس من المعقول أن يترك الله عز وجل البشر غارقين في الشرور والآثام والمعاصي ضالين دون إرشاد.

ويزعم القاديانيون أن الكفار لن يكونوا خالدين في جهنم وأنهم سوف ينقلون إلى الجنة عملاً بقوله تعالى (ورحمتي وَسِعَت كل شيء) وهذا في زعمهم يدل على أن رحمة الله سوف تظِل الكفار في جهنم، وزعموا أن جهنم لن تعذب الكفار ولن تحرقهم لقوله تعالى (فأمه هاوية) فجهنم أم الكافر، وهي كشأن الأم سوف تعطف عليه وتحنو عليه فلا تمسّه بعذابها. وهكذا طمأن القاديانيون الكفار، فالنار التي وقودها الناس والحجارة لن تؤذيهم لأنها أمهم الحنون.

وقد ادعى القادياني أن الله عز وجل يكلمه ويوحي إليه، وزعم أن قاديان هي أم القرى وليست مكة، وأحلَّ الحج إلى قاديان لأن مكة في أيدي الذين يستحلون قتل القديانيين.

وقد وعد أحمد القادياني من يتبعه بأنه سوف يكون نبياً مثله، ولذلك ادعى الخليفة الثاني ميرزا بشير النبوة وزعم أنه يتلقى بعض المعارف من الملائكة- كتابه دعوة الأحمدية وغرضها ص٨-ومما تلقاه منها تفسير سورة الفاتحة، وزعم أن الله عز وجل يكلمه، ومن قوله في ذلك (وقد أنبأني الله مرة بأن الأمر الذي سأندب إليه يقيم الشيطان وذريته الكثير من العراقيل في سبيله) ونرى أنه ذكر (الله) سبحانه وتعالى دون أن يسبحه ويمجده بينما يحرص على أن يقول كلما ذكر أحمد القادياني (عليه الصلاة والسلام).

وقد صار للقاديانية أتباع في الهند وباكستان وأفغانستان وإيران وغيرهما، وآمن بها من سورية منير الحصني وإخوته ووضع كتاباً في مناصرتها بعنوان (عثرات العلماء).

ومن الكتب التي نشرها القاديانيون من أجل دعوتهم: حياة المسيح ووفاته،

إعجاز المسيح، حقيقة النبوة، تبليغ الرسالة، توضيح المرام، منصب الخلافة، بركات الخلافة.

البابية والبهائية

من أشد الدعوات الهدامة خطراً وضرراً -على الإسلام- مذهب البهائية الضال الذي انتشر انتشار الوباء خلال القرن التاسع عشر وامتدت بلاياه إلى القرن العشرين، ولم تسفر البهائية عن وجهها الخبيث منذ يومها الأول، بل سبقتْها طلائع منكرة كانت أشبه بالبوادر التي سبقتها ومهدت لها، وأهم هذه الطلائع التي كانت أشبه بالمقدمة أو الأساس للبهائية هي دعوة البابية التي تعوّد الباحثون والمؤرخون أن يربطوا بينها وبين البهائية ربطاً كاملاً.

وقد ظهرت البابية في بلاد فارس نسبة إلى زعيمها الذي لقب نفسه بلقب (الباب) ، وكلمة الباب لها أكثر من معنى، فقد يراد منها باب العلم أو باب الحقيقة أو باب السماء أو المبشر بقرب نزول المنقذ المنتظر، ويرى بعض المؤرخين أن لفظة الباب هذه قد استعملتها طائفة الإسماعيلية المشهورة عنواناً على الشيخ أو الأساس الذي يعلم الناس أسرار الدين والدعوة السرية الإسماعيلية، وكان سلمان الفارسي ﷺ معروفاً بين بعضهم بالباب لأن أمر الدعوة كان معهوداً إليه بعد موت الرسول ﷺ كما يزعمون، ويستعملها بعض الصوفية وسواهم، ويطلقونها على أركان الدعوة، لأن هؤلاء الزعماء عندهم هم واسطة الدخول وسبب الوصول.

وتنسب هذه النحلة إلى رجل من أهل شيراز بفارس اسمه: ميرزا محمد علي الشيرازي، وقد ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف للهجرة، من أسرة تزعم أنها من سلالة الحسين بن علي رضوان الله عليهما، وكانت تشتغل بالتجارة، ولما بلغ الشيرازي الخامسة والعشرين من عمره ادعى أنه (الباب) والباب عند الشيعة هو نائب المهدي المنتظر، وكان ذلك سنة ستين ومائتين وألف، وسارع إلى تصديقه الملاّ حسين الملقب عندهم بباب الباب، وهو من أهل خراسان.

وقد زعم ميرزا أنه نبي، وسمى نفسه باب الدين، وادعى أنه خليفة موسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ودعا إلى التقاء أديانهم الثلاثة، وزعم أن دعوته تحقق ذلك، ووصف نفسه بأنه (نقطة التقاء الأديان الثلاثة) ، وقد تدرج الشيرازي في ادعاءاته على النحو التالي: زعم أنه الباب إلى الإمام المنتظر،

وسميت دعوته بالبابية، فالناس في زعمه يتصلون عن طريقه بالإمام ويتلقون أوامره، ثم ادعى النبوة وأنه يوحى إليه، ثم ادعى الألوهية عن طريق الحلول، أي حلول روح الله فيه، وكان يعتمد في دعاواه على رؤى يزعم أنه شاهدها، فهو مثلاً يقول: (إن تبتلي وصلواتي ونسكي كانت نتيجة رؤيا رأيتها قبل إعلان أمري بسنة واحدة، وهي أني رأيت رأس الإمام الحسين سيد الشهداء معلقاً على شجرة يقطر دماً بغزارة من بلعومه المقطوع، فاقتربت من تلك الشجرة وأنا مبتهج أشد الابتهاج، وبسطت كلتا يدي وجمعت قليلاً من قطرات ذلك الدم المقدس، وشربتها بإخلاص، ولما انتبهت شعرت بأن روح الله قد اخترقت جسمي واستولت على نفسي، وابتهج قلبي بفرح الحضرة الإلهية، وتجلت أسرار روحية أمام عيني بكل مجده) .

وقد اشتدت الخصومة بين الباب والعلماء وولاة الأمور، وقد كان رجلاً ضعيف الشخصية، ومما يدل على ذلك أنه لما أظهر علماء شيراز فجوره في دعواه، وطلب منه الحاكم أن يتوب أمام المصلين في المسجد يوم الجمعة، صعد المنبر وأعلن توبته خوفاً وكذباً، وقال: (إن غضب الله على كل يعدّني وكيلاً عن الإمام أو الباب إليه، وإن غضب الله على كل من ينسب إلي إنكار وحدانية الله أو أني أنكر نبوة محمد ﷺ خاتم النبيين أو رسالة أي رسول من رسل الله أو أني أدّعي وصاية على أمير المؤمنين أو على أحد من الأئمة الذين خلفوه) ثم رجع عن توبته وعاد إلى ترديد مزاعمه.

وقد وجد (البابُ) مرتعاً خصباً لدعوته، فقد كان أتباعه في حالة يرثى لها من الجهالة وعدم التبصرة، ويذكرنا ذلك بما روي من أنه ظهر في إيران قديماً رجل يدعي النبوة، فعلم ذلك سلطان زمانه، فدعاه إليه وسأله: أصحيح أنك ادّعيت النبوة؟ فأجاب: هل تسمح يا مولاي بإحضار جمع من أتباعي؟ فلما حضروا نهق بينهم كما ينهق الحمار، فإذا هم يقلدونه جميعاً وينهقون مثله، فقال المتنبئ الكذاب: يا مولاي أنا نبي هؤلاء الحمير.

ومن فظائع الباب في دعوته أنه جعل لنفسه حق التشريع والتغيير في الدين، وقد عقد مؤتمراً في بلدة (بدشت) ، وجاء في التقرير الخاص بهذا المؤتمر ما يلي:

(دار البحث حول الأحكام الفرعية- أي الصلاة والصوم والحج وغيرها- من حيث التبديل وعدمه، وتبيّن بعد المذاكرات الطويلة التي دارت في المجالس

الخاصة بين أكابر الأحباء أن أكثرهم يعتقدون بوجوب النسخ والتجديد، ويرون أن من قوانين الحكمة الإلهية في التشريع الديني أن يكون الظهور اللاحق أعظم مرتبةً وأعمّ دائرةً من سابقه، وأن يكون كلّ خلفٍ أرقى وأكمل من سلفه، فعلى هذا القياس يكون حضرة الباب أعظم مقاماً وآثاراً من جميع الأنبياء الذين خلَوا من قبله، ويثبت أن له الخيار المطلق في تغيير الأحكام وتبديلها) وذهب قلائل إلى عدم جواز التصرف في الشريعة الإسلامية مستندين إلى أن حضرة الباب ليس إلا مُروّجاً لها ومصلحاً لأحكامها مما دخل عليها من البدعة والفساد.

والمتابع لتفاصيل دعوة الباب يعرف أنه استقى مادة دعوته من منابع مختلفة، مما جعلها خروجاً على الإسلام وتشويهاً له وإسرافاً في التطاول على جلال الله ومقام رسوله، فهو قد ادعى مثلاً أنه يوحى إليه بوحي أعظم من القرآن، فهو يقول: (إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن، فهاكم كتابي البيان، فاتلوه واقرؤوه تجدوه أفصح عبارة من القرآن) .

و (البيان) الذي أشار إليه اسم كتاب زعم أنه وحيه، وهو مليء بالأخطاء النحوية واللغوية، ومن المضحك أنه حينما اعترضوا عليه بأن الله عز وجل لا يوحي بهذا اللغو المتضمن لهذه الأخطاء أجابهم إجابة مضحكة فقال: (إن الحروف والكلمات كانت قد عصيت، واقترفت خطيئة في الزمن الأول، فعوقبت على خطيئتها بأن قيدت بسلاسل الإعراب، وحيث إن بعثتنا جاءت رحمة للعالمين، فقد حصل العفو عن جميع المذنبين والمخطئين حتى الحروف والكلمات، فأطلقت من قيدها تذهب إلى حيث تشاء من وجوه اللحن والغلط) .

وكان يرى نفسه أفضل من سيدنا محمد ﷺ ، فهو يقول: (إني أفضل من محمد، كما أن قرآني أفضل من قرآن محمد، وإذا قال محمد بعجز البشر عن الإتيان بسورة من سور القرآن، فأنا أقول بعجز البشر عن الإتيان بحرف من حروف قرآني، إن محمداً كان بمقام الألف وأنا بمقام النقطة) ويريد بالنقطة الحقيقة الإلهية في التعيّن الأول ويريد بالألف الصورة الحاكية عنه.

ومن تشريعاته الضالة المصادمة للإسلام أنه ألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة الجماعة إلا في الجنازة، وقرر أن الطهر من الجنابة غير واجب، وأن القبلة هي البيت الذي ولد فيه بشيراز، ولذلك جعل الحج إلى هذا البيت، وأباح لأتباعه أن يقضوا خمسة أيام قبل الصوم الذي جعله تسعة عشر يوماً في لهو وزنى وخمر تُطْلَق فيها النفوسُ بشهواتها العارمة الجامحة فتفعل ما

تشاء دون تقيد بدين أو قانون أو عادات اجتماعية.

ولما كان الرقم تسعة عشر مقدساً عند هذا الدجال، فقد جعل الصيام تسعة عشر يوماً، وجعل أشهر السنة تسعة عشر شهراً وهذا مناقض للتقويم القمري وللتقويم الشمسي ولا يقوم على أي أساس، ومناقض للقرآن الكريم الذي يقول: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ ، وقد أباح للرجال أن يطلقوا زوجاتهم تسع عشرة طلقة دون أن يفرض عليهم تسريحهن، فللرجال أن يراجعوا زوجاتهم خلال هذه الطلقات كلها، ولا يفقدون حقهم في المراجعة إلا بعد عشرين طلقة.

وقد أنكر هذا الدجال البعث والقيامة، ورأى أن كل ما جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف عنهما قد فسر تفسيراً مغلوطاً، فوصفُهما لم يُقصد به الحقيقة وإنما هو رموز وتعبيرات مجازية لأمور معنوية روحية، وكان يؤمن بوحدة الوجود وبالحلول، ووحدة الوجود تعني أن الله موجود في كل شيء من مخلوقاته، فهو عز وجل بحسب رأيهم موجود في جسم الإنسان وفي جسم الحيوان وفي النبات، وأنه لا يوجد للمخلوقات كيانات مستقلة، فهي صورة من صور الله عز وجل والله موجود فيها، وقد آمن بهذا الهراء بعض المتصوفين قديماً. أما الحُلول فهو يعني وفق أكاذيبهم أن الله يحل في أجساد بعض البشر، ومن حل فيه الله أصبح إلهاً.أيضاً.

ولم تنس البابية أن تستعين بالمرأة والجنس في بث سمومها ونشر أكاذيبها وإغراء أتباعها بتوفير سبل إرواء شهواتهم الجنسية بيسر وسهولة ودون بذل أموال، ومن أفعال البابيين أنهم استعانوا بامرأة جميلة فاتنة ذات شعر ذهبي، تفجرت أنوثتها الطاغية، وكان لها صِلاتها المريبة بمن حَوْلها، وكانوا يلقبونها (قرة العين) واسمها أم سلمى بنت صالح القزويني، ومن عجبٍ أنهم كانوا يلقبونها (الطاهرة) برغم كثرة من يضاجعونها وعلى رأسهم الباب الكبير وأعوانه.

وقد ولدت هذه المرأة الهلوك سنة ١٢٣٠هـ ١٨١٤م - وكانت لسنةً مقتدرة على الحديث والجدل تسلب عقول الرجال بجمالها الطاغي وبحديثها الآسر وبمكرها ودهائها، وقد منحها الباب سلطة الإفتاء، وكان مما أفتت به أنه يحل للمرأة أن تتزوج تسعة رجال دفعة واحدة، أي أن يكون لها تسعة أزواج في وقت واحد (ومن الواضح أن هذه الفتوى كانت لتبرير زناها، وأظن أن اليهود كانوا وراء هذه الدعوة) ، وكان لهذه المرأة دور ملحوظ بارز في مؤتمر البابية الذي

انعقد في بلدة بدشت.

يقول أحد مؤرخيهم مشيراً إلى قوة سلطانها وتأثيرها: كانت تكاليف الأمر الجديد مغلقة غامضة، حتى ذهب بعضهم إلى أن هذه الحركة تابعة للشرع الإسلامي، وتمسك بعضهم بأنها أمر مستقل وشريعة جديدة، وكان القوم يستفتون (قرة العين الطاهرة) كلما عرض لهم أمر مُشْكِل، فتجيبهم عليه، كأن هذه المرأة هي ربة هذا الدين، وقد قادت هذه المرأة الدعوة في المؤتمر إلى نسخ البابية للشريعة الإسلامية، وقالت فيما قالت لقومها: (اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب) ونادت بالمساواة بين الرجال والنساء فقالت فيما قالت: (مزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال وأصلحوهن بعد السلوى وأخرجوهن من الخلوة إلى الجَلْوة، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا، وإن الزهرة لا بد من قطفها وشمها.......) وزعمت هذه المرأة أنها الصور الذي ينفخ فيه يوم القيامة فقالت: (إن الصور الذي تنتظرون في اليوم الآخر هو أنا) ولقد لقيت هذه المرأة جزاءها الدنيوي، فقد أعدمت سنة ١٢٦٩هـ ١٨٥٢م- وهي في ريعان صباها.

وقد أحدثت دعوة البابية رجةً أثيمة وبلبلة واسعة، مما أدى إلى سجن الباب ميرزا محمد علي الشيرازي، وفي سنة١٨٤٨م - خرج أتباع الباب بثورة ضد الشاه، فأخمدها وأعدم كثيرين منهم وأعدم الباب نفسه حيث قتل رمياً بالرصاص في ميدان مدينة تبريز سنة ١٨٥٠م - بعد أن حكم العلماء بكفره وارتداده.

ولم يتمكن البابيون بعد ذلك من ممارسة دعوتهم في إيران وضاقت بهم السُّبُل، فارتحلوا إلى إستانبول سنة ١٨٥٣م - ثم إلى أدرنة وقبرص، وفي سنة ١٨٦٨م- أسسوا لهم مركزاً في عكا تحت زعامة بهاء الدين، وبذلك حلت البهائية محل البابية، أو كانت امتداداً لها، وأهل الكفر أمة واحدة.

وعمل البهائيون مع بقايا البابيين على إقامة قبر للباب ميرزا محمد علي الشيرازي الذي بشّر ببهاء الله في جبل الكرمل بحيفا وقد أسس البهائية زعيم ديني فارسي اسمه حسين علي بن الميرزا عباس بزرك المازندراني النوري، وقد ولد سنة١٨١٧- ومات سنة١٨٩٢م، وسمّى نفسه (بهاء الله) وآمن بالبابية وزعم أن الباب تنبأ له بأنه (مُظْهِر الله) تعالى الله عن ذلك تعالياً كبيراً، ولما انطوى علم البابية أنشأ بهاء الله دعوة البهائية لترث البابية، وقد قضى في السجن بعد ذلك

سنوات كثيرة انتهت بها حياته، وقد بدأ بهاء الله بنشر تعاليم أستاذه الباب في طهران، ثم توجه إلى بلدة مازندران، وحضر مؤتمر بدشت السالف الذكر مع قرة العين، وكان له تأثير عظيم وسلطان عليها، إذ هو الذي أنقذها من سجن وقعت فيه، فحضرت إليه ووقعت في حبه، واستغلّ قوة سلطانه عليها، فكان يوجهها في المؤتمر كما يشاء وكانت تنصاع لمشيئته.

وحدث في أثناء سجنه بأمر الشاه أن ضغطت السفارتان الروسية والبريطانية على الشاه للإفراج عنه فأطلق الشاه سراحه في سنة١٢٦٦هجرية فتوجه إلى بغداد ولكنه لم يصبْ نجاحاً فيها فتوجه إلى مدينة عكا، فأقام فيها إلى أن مات ودفن فيها، وقد أوصى بالأمر من بعده لابنه عباس الذي سمّاه (عبد البهاء) وكان يقال له أيضا (خليفة بهاء الله).

وقد زعم البهاء أن موسى وعيسى ومحمد جاؤوا للتبشير به، وقد كانت ثقافته كما يقول الدارسون مزيجاً من البرهمية والبوذية والزرادشتية والمانوية والمزدكية واليهودية والمسيحية والفرق الباطنية والإسلام، ومن أهم ما أثرّ فيه غلاة الصوفية فيما يتعلق بوحدة الوجود والحلول والفناء، وكان صاحب اقتدار على صياغة الكلام بأسلوب مؤثر، وقد أثرت فيه بوجه خاص النزعة الصوفية في الكتابة والتعبير، وهذا مثال يوضح هذا التأثير، يقول: (يا أيها الطائر في هواء المحبة والوداد، والناظر إلى أنوار وجه ربك مالك الإيجاد، قد أماتتني ظلمة البعد، أين نور قربك يا مقصود العارفين؟ وأهلكتني سطوة الهجر، أين ضياء وصالك يا محبوب المخلصين؟ طوبى لمن فاز بلقائك وشرب رحيق الوصال من أيادي عطائك، إلهي إلهي أسألك بدماء عاشقيك الذين اجتذبهم بيانك الأعلى حيث قصدوا الذروة العليا مقر الشهادة الكبرى، وبالأسرار المكتوبة في علمك، وباللآلئ المخزونة في بحر عطائك أن تغفر لي ولأمي).

وللبهاء زعيم البهائية كتاب سماه (الأقدس) ، وهو كتاب يفيض بالضلالات، فهو يقول: (من يقرأ آية من آياتي خير له من أن يقرأ كتب الأولين والآخرين) ، ويتجرأ فيدعي لنفسه حق التشريع (من يُحْزِن أحداً فله أن ينفق تسعة عشر مثقالاً من الذهب) ويتعرض لتفسير آيات القرآن الكريم فيأتي بأسوأ أشكال التحريف والتخريف، وهذه نماذج من تفسيره: قال تعالى (كما بدأكم تعودون فريقاً هدى وفريقاً حَقَ عليه الضلالة) أي فريقا هدى فآمن ببهاء الله وفريقا لم يؤمن فحق عليه الضلالة.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ﴾ أي علم دين بهاء الله والإيمان به (لقد لبثتم في كتاب الله) والخطاب للأمة المحمدية، أي لبثتم في إقامة كتاب الله وهو القرآن الكريم والعمل بشريعته المطهرة (إلى يوم البعث) أي إلى قيام بهاء الله. وقد زعم البهاء أنه نبي، كما زعم الباب من قبله أنه نبي.

ومن عقيدة البهائية ما يعبر عنه داعيتهم الأكبر أبو الفضائل الجرفادقاني- أو كما ينعته بعضهم أبو الرذائل- في كتابه (الدرر البهية) فهو يقول: (نحن معاشر الأمة البهائية نعتقد أن مظاهر أمر الله ومهابط وحيه هم بالحقيقة مظاهر جميع أسمائه وصفاته ومطالع شموس آياته وبيناته، لا تظهر صفة من صفات الله تعالى في الرتبة الأولية إلا منهم، ولا يمكن إثبات نعت من النعوت الجلالية والجمالية إلا بهم، ولا يعقل إرجاع الضمائر والإشارات في نسبة الأفعال إلى الذات إلا إليهم، لأن الذات الإلهية والحقيقة الربانية غيبٌ في ذاتها، متعال عن الأوصاف بحقيقتها، منزه عن النعوت بكينونتها، لا تدركها العقول، ولا تبلغ إليها الأفهام، ولا تحويها الضمائر، ولا تحيط بها المدارك، فلا توصف بوصف، ولا تسمى باسم، ولا تشار بإشارة) .

وهذا كله خروج على منطق القرآن ومصادمة للمعلوم من الإسلام، وقد علق المرحوم العلامة محب الدين الخطيب على هذرهم هذا بقوله: (لكن الله هو الذي سمى نفسه بأسمائه الحسنى ووصف نفسه بأوصافه العليا، فكيف تبلغ القِحّة بالبهائية أن يكذبوا الله فيما أخبر به عن نفسه، وهل هم أعلم به منه؟ الحقيقة هي أنهم يريدون أن يقولوا: إن الله معدوم، وإن علم الله وعزة الله وقدرته ومشيئته هي صفات (مُظهر أمره) وهو سخيفهم المحتال الخبيث الذي زعم لهم أنه ربهم، فليقولوها بلا مواربة، وبلا تعرض لأسماء الله وصفاته، بل حتى أفعال الله ليست أفعاله بزعمهم، وإنما هي أفعال مظهر أمره الذين يعنون به بهاءهم الأبهى، فأين كان بهاؤهم الأبهى عندما سرق منه أخوه كتاب وحيه وانتحله لنفسه؟ فهلا منع ذلك ودفع هذه السرقة التي بقيت تحز في صدره إلى أن هلك).

إن خطورة نحلة البهائية هنا تأتي من أنها تريد بطريقتها الخبيثة أن تزعم أن الله عز وجل ليس له وجود بأسمائه وصفاته كما قال سبحانه عن ذاته القدسية

وكما أخبر عنه رسله وعلى رأسهم سيدنا محمد ﷺ ، فهذه الصفات الثابتة يزعمون أنها تفتقر إلى من تظهر فيه، فكأن الله عز وجل مفتقر إلى من يظهر صفاته من عبيده، ولذلك بشروا بمظهر الله الأبهى الذي يلقب عندهم باسم (بهاء الله) فهو مظهر صفات الله وهو مصدر أفعال الله وفيه يتجلى الله، تعالى الله عن هذرهم تعالياً عظيماً.

ويبلغ تبجح أتباع البهائية حداً يجعلهم يقولون عن كتاب زعيمهم (إنه كتاب إلهي روحي سماوي) ، ويقولون عنه: (مع ما كانت تصادف ربنا الأبهى طول أيام ظهوره من البلايا والمصائب الجسيمة والدواهي العظيمة، ومع أنه لم يكن من أهل العلم، ولم يدخل المدارس العلمية، فقد ملأ الآفاق من الواحة المقدسة الفارسية والعربية، مما لا نبالغ إذا قلت: إنها تزيد على ما عند ملل الأرض جميعاً من كتبهم السماوية وصحفهم الإلهية) .

لقد جعل البهائيون زعيمهم رباً، ثم بينوا عجزه عن دفع (البلايا والمصائب الجسيمة والدواهي العظيمة) ، فهذا المتأله ضعيف عاجز، ووصفوه بالجهل وانعدام العلم عنده ثم زعموا بأن كتبه هي أفضل من الكتب السماوية جميعها، فأي خبْط هذا؟!.

وهكذا سارت البهائية على درب البابية في ضلالها العظيم، يقع الحافر على الحافر، ولما هلك شيطان البهائية ميرزا حسين علي سنة ١٨٩٢م - تولى البهائية من بعده ابنه عبد البهاء بهائي المولود سنة ١٨٤٠م - والهالك سنة ١٩٢١م -، وهو المسمى عباس أفندي، وقال مقالة السوء التي قالها قرناؤه، وهي أن البهائية نسخت الشرائع كلها بما فيها الإسلام.

وقد اتضح لكل ذي بصر وبصيرة أن رؤوس الحكومات الاستعمارية كانوا يناصرون البابية والبهائية فعندما صدر الحكم بإعدام زعيم البابية في إيران تدخل قنصل القيصر الروسي وقنصلا فرنسا وإنكلترا لإنقاذه ولكن الحكومة الإيرانية كانت قد نفذت حكم الإعدام به، فتدخل هؤلاء القناصل بأمر حكوماتهم للإفراج عن أتباعه المعتقلين ومارسوا ضغوطاً شديدة على الشاه فاضطر للإفراج عنهم مع أنهم كانوا قد قاموا بثورة للإطاحة به، وهذا يدلنا على ثقل الضغوط التي مارسها المستعمرون في مناصرة الكافرين، وما يزال المستعمرون يناصرون كل فرقة كافرة ويناصرون كل حكومة تعادي الإسلام وتضطهد المسلمين، وهم يقيمون الدنيا إذا أصيب أحد الكافرين بأذى طفيف ويتعامون عن المجازر التي

تقام للمسلمين ويتعامون عن أشد صنوف العسف والاضطهاد إذا كان المسلمون هم الضحايا ونحن نرى أميركا في يوم الناس هذا تناصر البهائيين والقاديانيين وغيرهم وتناصر كل من يجهر بكفره في بلدان المسلمين وتجعله رجلاً من رجال الفكر البارزين برغم تفاهته، وفي الوقت ذاته تبذل جهودها لصنع تحالف عالمي لمقاومة الإسلام والمسلمين بحجة كاذبة هي (مقاومة الإرهاب) ويكفي أن نعرف أن دولة إسرائيل هي واحدة من دول التحالف، إسرائيل التي قامت على الإرهاب وما تزال تستخدمه، وقد اغتالت كثيراً من رجال الفكر والأدب والسياسة في دول شتى، وقتلت الأطفال والشيوخ والنساء، واستخدمت الإرهاب ضد اليهود في دول عديدة لإجبارهم على الهجرة إلى إسرائيل، وقتلت رجال الأمم المتحدة، هذه الدولة هي إحدى دول الحلف الذي صنعته الحكومة الأميركية لمقاومة الإرهاب الإسلامي المزعوم، وأميركا رأس الإرهاب في العالم والمسؤولة الأولى عن مجازر صبرا وشاتيلا البشعة لأنها طلبت انسحاب المقاتلين من بيروت الغربية وتعهدت بعدم السماح للصهاينة بدخولها وأرسلت جيشاً لهذه الغاية وبعد سحب المقاتلين سحبت جيشها لكي يقوم الصهاينة بالمجازر الوحشية ، وأميركا ذاتها تصدر البيان تلو البيان ضد الحكومة الإيرانية لأنها في نظرها تضطهد القاديانيين والبهائيين، وهذا يدل على ارتباط هاتين الحركتين بقوى الاستعمار.

ومما جاء في كتاب (حقيقة البابية والبهائية) عن الصلات بين الاستعمار الإنكليزي والبهائية ما يلي: (إن الإنجليز رأوا أن أملهم الأخير يكمن في مناصرتهم للميرزا حسين البهاء وتهيئة الظروف اللازمة لإنجاح دعوته بعد إخفاق الحركة البابية في السيطرة على إيران ولذلك فإنهم لجؤوا إلى كل وسيلة لإنقاذه من الإعدام متعاونين بذلك مع الروس واليهودية العالمية، لأنهم كانوا يرون فيه الشخص الذي بوسعه أن يقدم إليهم أجلَّ الخدمات، إن تشبث الإنجليز بحياة الميرزا قد بلغ حداً دعاهم إلى أن يتصلوا به عن طريق القنصل البريطاني العام في بغداد، فلقد كاتب هذا البهاء، وطلب إليه أن يتجنس بالجنسية الإنجليزية ليحافظ على حياته، وإذا كان لا يريد الإقامة في إنجلترا فبإمكانه أن يسافر إلى الهند التي هي مملكة شرقية وتوافق مذاقه. وأما علاقة الإنجليز بعبد البهاء عباس فعلاقة قوية بلغت حد العمالة العلنية والخدمة المباشرة لمصالحهم، فلقد كان عبد البهاء الجاسوس الإنجليزي الذي كان يعرف كيف يقوم تحت

جنح الظلام بتطبيق ما عقدوا عليه العزم من هدم الإسلام وسلخ جزء عزيز من بلاده لتسليمه إلى اليهود. إن البهائيين أنفسهم يعترفون بأنه لما فتح الإنجليز حيفا في٢٣/٩/١٩١٨م بادر قائد الحامية لزيارة عبد البهاء، ولما صافحه طلب القائد بعض المساعدات من أجل الدخول إلى البلاد العربية لفتحها بسهولة دون تضحية ولا مغامرة، ولما وجد القائد رغبة عبد البهاء في فتوحات الإنجليز للبلاد العربية واستعداده بإبداء المساعدات اللازمة في سبيل خدمة بريطانيا قدم إليه وسام العضوية البريطانية من درجة فارس ممنوحاً من لَدُن صاحب الجلالة ملك الإنجليز لقاء خدماته الجليلة ومساعدة الحكومة البريطانية أيام الحرب الكونية، وقلّد الوسام في حفلة كبرى أقيمت في دار السفارة الإنجليزية في إبريل- نيسان-سنة١٩٢٠) .

(وينبغي أن نتذكر أن الاستعمار الماكر كان يعمل دائماً على محاربة الإسلام وإفساد المسلمين بوساطة أناس من بنيهم يصطفيهم ويقرّبهم ويغدق عليهم ثم يوحي إليهم بما يريد من وراء ستار، فتبدو الأمة الإسلامية كلها تتصارع من داخلها في حرب أهلية تتعدد ألوان الصراع فيها، والحقيقة أن السّمَّ الناقع يتسرب إلى كيانها من ذلك الشيطان الخبيث، والبهائية المخربة لم تكن تتلقى سماً واحداً، بل كانت تتلقى سموماً من ثلاث جهات هي: الاستعمار ومؤامراته، والصهيونية ودسائسها، والصليبية الغربية وتبشيرها).

وقد كان للبهائية وجود في مصر، وقد تآمروا على الإسلام وأعلنوا أنهم من أتباع الدين البهائي، وظلوا يدعون إلى فئتهم الضالة بحرية، حتى فاحت روائح البهائية والماسونية القذرتين واتضح ارتباطهما الكامل بالصهيونية العالمية وتحالفهما مع الاستعمار الغربي، وحينذاك اضطر الرئيس المصري إلى إصدار قرار جمهوري في عام١٩٦٠يقضي بإغلاق المحافل الماسونية والبهائية.

وقد كتب خير الدين الزركلي في- الأعلام٥/١٧- عن الباب ما يلي: (١٢٣٥-١٢٦٦هـ=١٨١٩-١٨٥٠م) علي محمد بن المرزا رضى البزاز الشيرازي مؤسس البابية التي هي أصل البهائية، إيراني، ولد بشيراز، ومات أبوه وهو رضيع فرباه خاله المرزا سيد علي التاجر، ونشأ في أبي شهر فتعلّم مبادئ القراءة بالعربية والفارسية، وتلقى شيئاً من علوم الدين، وتقشّف، فكان يمكث في الشمس ساعات عديدة، وأثّر ذلك في عقله، ولما بلغ الخامسة والعشرين-سنة ١٢٦٠هـ-جاهر بعقيدة ظاهرُها توحيد الأديان، وقِوامُها تلفيق دين جديد، ولقّب

نفسه بالباب-أنا مدينة العِلم وعليّ بابُها- وتبعته جماعة كبيرة، فأذاع أنه- المهدي المنتظر- وقام علماء بلاده يفنّدون أقواله ويظهرون مخالفتها للإسلام. وخشيت حكومة إيران الفتنة فسجنت بعض أصحابه، وانتقل هو إلى شيراز، ثم إلى أصبهان فحماه حاكمها معتمد الدولة منوجهرخان وتوفي هذا، فتلقى خلفه أمراً بالقبض على الباب، فاعتقل وسجن في قلعة ماكو بأذربيجان، ثم انتقل إلى قلعة جهريق على أثر فتنة بسببه، ومنها إلى تبريز وحُكم عليه فيها بالقتل، فأعدم رمياً بالرصاص وألقي جسده في خندقها، فأخذه بعض مريديه إلى طهران، وفي حيفا بفلسطين قبر ضخم للبهائية يقولون إنهم نقلوا إليه جثة الباب خلسةً، له عدة مصنفات، منها كتاب- البيان- بالعربية والفارسية.

وكتب عن البهاء-٢٤٨/٢- ما يلي: (١٢٣٣-١٣٠٩هـ=١٨١٧-١٨٩٢م) حسين علي نوري بن عباس بن بزرك، الميرزا، المعروف بالبهاء أو بهاء الله، رأس البهائية ومؤسسها، إيراني مستعرب، أصله من بلدة نور بمازندران، وإليها نسبته، من أسرة ظهر فيها وزراء وعلماء، ولد بها-وقيل بطهران- واعتنق دعوة كان علي بن محمد الشيرازي الملقب بالباب قد قام بها، ظاهرها الإصلاح الديني والاجتماعي، وباطنُها تلفيق عقيدة جديدة من أديان ومبادئ مختلفة، وقتل الباب رمياً بالرصاص في تبريز-سنة١٢٦٦هـ١٨٥٠م- فخلّفه البهاء في دعوته، فاتُّهم بالاشتراك في مؤامرة لاغتيال ناصر الدين شاه- ملك إيران- انتقاماً للباب، فاعتقل وأُبعِد، فنزل ببغداد، وأقام١٢سنة قضى بعضها في أطراف السليمانية يبشّر ببدعته، وضجَّ منه علماء العراق، فأخرجته حكومة بغداد، فقصد الآستانة، وقاومه شيوخها فنفي إلى أدرنة حيث أقام نحوِ خمس سنين، أُرسل بعدها إلى سجن عكة-عكا- بفلسطين عام ١٨٦٨م، ثم أفرج عنه، فانتقل إلى البهجة- من قرى عكة-والتفَّ حوله مريدوه، وتوفي بها، ودفن في حيفا من آثاره: ما سّماه- الكتاب الأقدس- كتبه بالعربية، -و- الإيقان- بالفارسية وقد تُرجم إلى العربية واللغات الأجنبية، و-الهيكل-أكثره بالعربية، و- الألواح- مجموعة رسائل بالعربية والفارسية.

وكتب عن عباس عبد البهاء-٢٦١/٣-ما يلي: (١٢٦٠-١٣٤٠هـ=١٨٤٤-١٩٢١م) عباس عبد البهاء بن حسين علي نوري الملقب بالبهاء بن عباس بن بُزُرُك، آخر من قام بأمر البهائية وتنظيم جماعتها، فارسيّ مستعرِب، أصلهُ من بلدة نور –بمازندران- ومولده بطهران، خرج مع أبيه البهاء لمّا نفي إلى العراق-

سنة١٢٦٨هـ- فأقاما١٢سنة، وأُبعِدا إلى الآستانة، ومنها إلى أدرنة، فمكثا نحو خمس سنوات، ونفيا إلى قلعة عكة بفلسطين، فمات بها أبوه-سنة١٣٠٩هـ- وخلّفه عباس بعهد منه، وانتقل إلى حيفا، وزار أوربة سنة١٣٣٠هـ وأميركا سنة ١٣٣١هـ وعاد إلى فلسطين، فمات بحيفا، كان متوقد الذكاء، جاداً في نشر بدعته، يستميل الناس بلين الحديث وكرم اليد، وتبعته جماعاتٌ في شيكاغو-بالولايات المتحدة- وبعض البلاد الأخرى، وخلّف آثاراً بالعربية والفارسية، منها مجموعة رسائل باللغتين سّماها- مكاتيب عبد البهاء- ثلاثة أجزاء، و- الخطابات- مجموعة خطب فارسية بعضها عربي، ولسليم قبعين كتاب- عبد البهاء والبهائية- ولمحمد فاضل- الحراب في صدر البهاء والباب- ولعبد الحسين الفارسي- الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية- نقله إلى العربية أحمد فائق رشد، ولعبد الرزاق الحسني- البابيون في التاريخ- رسالة).

دراسة أخرى عن البابية والبهائية

رأيت في كتاب (خطط الشام) لمحمد كرد علي دراسة عن البابية والبهائية فيها معلومات غير موجودة في دراستي، وقد رأيت أنه من المفيد أن أنقلها بتمامها، وهي موجودة في الصفحات٢٧٣إلى٢٧٩ من الجزء السادس، مطبعة المفيد بدمشق١٣٤٧هـ١٩٢٨م، تحت عنوان (البابية) : مؤسس هذا المذهب رجل من فارس اسمه الميرزا علي محمد الشيرازي ولد سنة١٢٣٥هـ وتوفي والده وهو حدثٌ، فكفله خاله وعلّمه مبادئ الفارسية والعربية وحُسن الخط، واشتغل لأول أمره بالتجارة، وفي سن العشرين أخذ يكثر من الرياضة والعبادة، فخاف خاله على صحته، فأرسله إلى العراق، وقضى أشهراً في كربلاء والنجف اجتمع خلالها إلى علماء الشيعة، وخرج من العراق بأفكار تخالف ما عرفه الناس من الإسلام، وأخذ يبث دعوته، فمال إليه جماعة، وحجّ في تلك الأيام.

وكان يقول: ادخلوا البيوت من أبوابها (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها) . يشير إلى أنه واسطة السعادة الأبدية، ثم دعا نفسه-الباب-، ومعنى الباب عند الشيعة- نائب المهدي المنتظر- وتخلى عن اسمه وبعد مدة أُرسل إلى بوشهر، ومنها أرسل دعاته إلى شيراز وأصفهان يبثون دعوته، فعقد والي شيراز لهم مجالس المناظرة مع الفقهاء، فأفتى هؤلاء بكفر البابية ووجوب قتلهم، لكن الوالي اكتفى بقطع العصب الكعبري من كعابهم وسجنهم، وجيء بالباب من بوشهر-١٩ رمضان سنة١٢٦١- وأنزل في دار أبيه ريثما يهدأ روعه، ثم استقدمه الوالي سراً

وبعد المفاوضة تظاهر الوالي بأنه اقتنع بصحة دعوة الباب وجعل هذا في قصره، ثم عقد له مجلساً لمناظرته فأفتوا بكفره، فلم يسع الوالي إلا أن أشار بضربه على رجليه، فلما استغاث أوعزوا إليه أن يصعد المنبر ويعلن توبته ففعل، وظهر الوباء في شيراز واختلّت أحوال فارس، فبعث والي أصفهان يستدعي الباب إليه، فلما رأى والي شيراز ذلك نفى جميع أصحاب الباب من ولايته، ولما حُمل الباب إلى والي أصفهان أوعز هذا بأن يُحسن القوم استقباله فاستقبلوه، ثم عقد له مجلس المناظرة فأفتى العلماء بقتله، فاعتذر الوالي عن تنفيذ فتواهم وخبأه في قصره مطلِقاً له حرية التأليف والكتابة، وبقي في داره حتى قتل الوالي، وخلفه في الحكم ابن أخيه، فطالع هذا رجال عاصمة الملك بالأمر، فأمروا بنفيه إلى آذرباجيان فحبس في قلعة جهريق ثم في قلعة ماكو.

وبث الباب دعاته، وساعده المحيط واختلال الأمن في كثير من الولايات، فاشتد دعاته في بث دعوته فلقيت قبولاً من بعض الناس، وفي مقدمة أتباعه الملا حسين بشرويه الملقب بباب الأبواب في خراسان، والثاني الملا محمد علي البارفروشي بمازندران، والثالثة امرأة من قزوين اسمها زرين تاج من عائلة عريقة في العلم وزوجة أحد المجتهدين، وهي جميلة الصورة جميلة الأدب، تحفظ القرآن وتعرف تفسيره وأسراره، فاقتنعت بصحة دعوة الباب، ولم تلبث أن دعت إليه سراً وجهراً وإن لم تجتمع به، فمال الناس إلى مواعظها وفتنتهم بفصاحتها وجمالها وجميل شعرها، وقد حسرت نقابها ولقبت بقرّة العين، ثم خرجت إلى خراسان فالتقت في رشت بالبارفروشي أحد الدعاة ومعه جند من البابية، فبعثا منادياً ينادي (عجّلوا أيها الناس فقد ظهر الإمام المنتظر) . فنصبوا منبراً ووقفت قرة العين سافرة وحثت الناس على الاعتقاد بالباب، فآمن بعضهم وأنكر الآخر، ثم انتقلت على هودج إلى مازندران والناس يتبعونها، وأخذت تطوف القرى تبشر بدعوة الباب، فقبضت عليها الحكومة وخنقتها وأحرقتها.

ثم قام الملا حسين بشرويه وقد كثر أنصار الباب وألف منهم جيشاً صغيراً قاتل جيش الشاه في مازندران وجعل الملا علي البارفروشي مقدماً وسماه (حضرت أعلى) وحجبه عن الناس، وأصيب بشرويه في إحدى المعارك وأوصى جماعته بأن يطيعوا (حضرت أعلى) ، وتغلبت الحكومة على قلعتهم، وقبضوا على ملا محمد علي وحاكموهم فقتلوهم على بكرة أبيهم، وبلغ عدد من قتل في هذه الوقائع ألفين وخمسمائة من البابية وخمسمائة من الجند وغيرهم، وحدث

مثل ذلك بقيام أحد الدعاة الملا محمد علي الزنجاني في زنجان ولكنه لم يوفق، وكذلك وقع في مدينة تبريز فقاتلت حكومة فارس دعاتهم حتى أبادتهم.

أما الباب فقد كان مسجوناً في سجن جهريق، ولما اندلع لسان الثورة في مازندران وزنجان وتبريز وقتلت الأنفس ارتأى رئيس حكومة فارس قتله فقتله بمشورة الشاه في٢٨ شعبان١٢٦٦هـ، ووضعت حكومة فارس في أشياعهم السيف في جميع بلادها خصوصاً بعد أن ثبت أن الذي حاول اغتيال ناصر الدين شاه سنة١٢٦٨هـ هو من شيعة البابية.

وكان من جملة العلماء الذين فُتنوا بدعوة الباب رجل اسمه بهاء الله ميرزا حسين علي، فلما وقعت هذه الحوادث قبض عليه وسجن ثم حوكم، وكان سفير روسيا يدافع عنه من تهمة الاتفاق مع الخارجين على الشاه، ثم أفرج عنه ونفي إلى العراق، فأرسل مخفوراً بالجند الفارسي مع بعض فرسان من سفارة روسيا في طهران لئلا يغتالوه في الطريق، فأقام في العراق١٢سنة، ثم حمل إلى الآستانة، ومنها إلى أدرنة، فأقام فيها نحو خمس سنين، ثم صدر الأمر بنفيه إلى عكا سنة١٢٨٥ هـ.

ونفي أخوه مرزا يحيى نوري الملقب بعدُ بيحيى صبح أزل إلى قبرص، وظل البهاء في عكا حتى وافاه أجله سنة١٣٠٩ فدفن فيها، وخلفه ابنه عباس أفندي، وكان كأبيه على غاية من حسن السمت والأخلاق وعِظَم النفس وبسط اليد وجمال الأدب وحسن العشرة حتى استمال بأخلاقه من يعتقد بالبابية ومن لا يعتقد، ولما توفي سنة١٩٢٢م تفرق أمر الجماعة وانقلبوا فرقاً كما كان عباس أفندي في حياته مع صبح أزل متخاصمين متشاكسين، وسرت دعوتهم إلى عدد قليل من أبناء البلاد وإلى بعض أهل أوربا وأميركا، ويبالغون في عدد من دانوا بهذا المذهب في الغرب، وهم في الشام وفي أميركا وأوربا بضعة آلاف على الأغلب.

يقولون: إن من تعاليم الباب تحريم الكتب المنزلة قبله ونسخ القرآن وأحكامه.

إنه قضى بهدم المزارات حتى الكعبة وقبر الرسول، وفرض بناء١٩ مزاراً باسمه ومن دخلها كان آمناً، وأبطل الحج، وقسم السنة إلى١٩ شهراً، وجعل الشهر الواحد١٩يوماً، فأيام السنة عنده ٣٦١، وأضاف إليها خمسة أيام سماها المسروقة ورمز عنها بحرف (هـ) ، وجعل أول يوم من شهر (فرور دين ماء)

الفارسي الموافق للحادي والعشرين من شهر مارس الإفرنجي الغربي الذي هو يوم الاعتدال الربيعي وهو يوم عيد النوروز عند الفرس عيداً للفطر وخصه بنفسه وسماه عيد الرضوان، وجعل الصوم١٩ يوماً من شروق الشمس إلى غروبها، وخصص الأيام الخمسة المذكورة للهو والطرب قبل دخول شهر الصيام، والمطهرات عنده خمسة النار والهواء والماء والتراب وكتاب الله (أي البيان كتابه) وكيفية التطهير بالبيان أن يتلى ما تيسر من اسم النقطة أي الباب مع تلاوة آية التطهير٦٦ مرة على كل شيء نجس، وجعل الدم وروث البهائم وغيرها طاهراً.

وللباب وخليفته بهاء الله عدة رسائل وكتب، منها ما كتباه بالفارسية ومنها بالعربية، من أهمها من قلم الباب كتابه البيان، وفيه شريعته وتعاليمه، ومن أهم كتب بهاء الله كتاب أقدس نهج فيه منهج القرآن في ترتيب الآيات والسور ودوّن فيه شريعته وأحكامها باللغة العربية، وقد أدخل البهاء عدة إصلاحات على مذهب الباب اقتضته الحال ذلك، وبعضهم يطلق على أهل هذا المذهب اسم البابية نسبة للمؤسس الأول، وبعضهم يلقبهم بالبهائية نسبة لبهاء الله الذي زاد في المذهب ونقص منه، وهم يسمون أنفسهم أهل البيان.

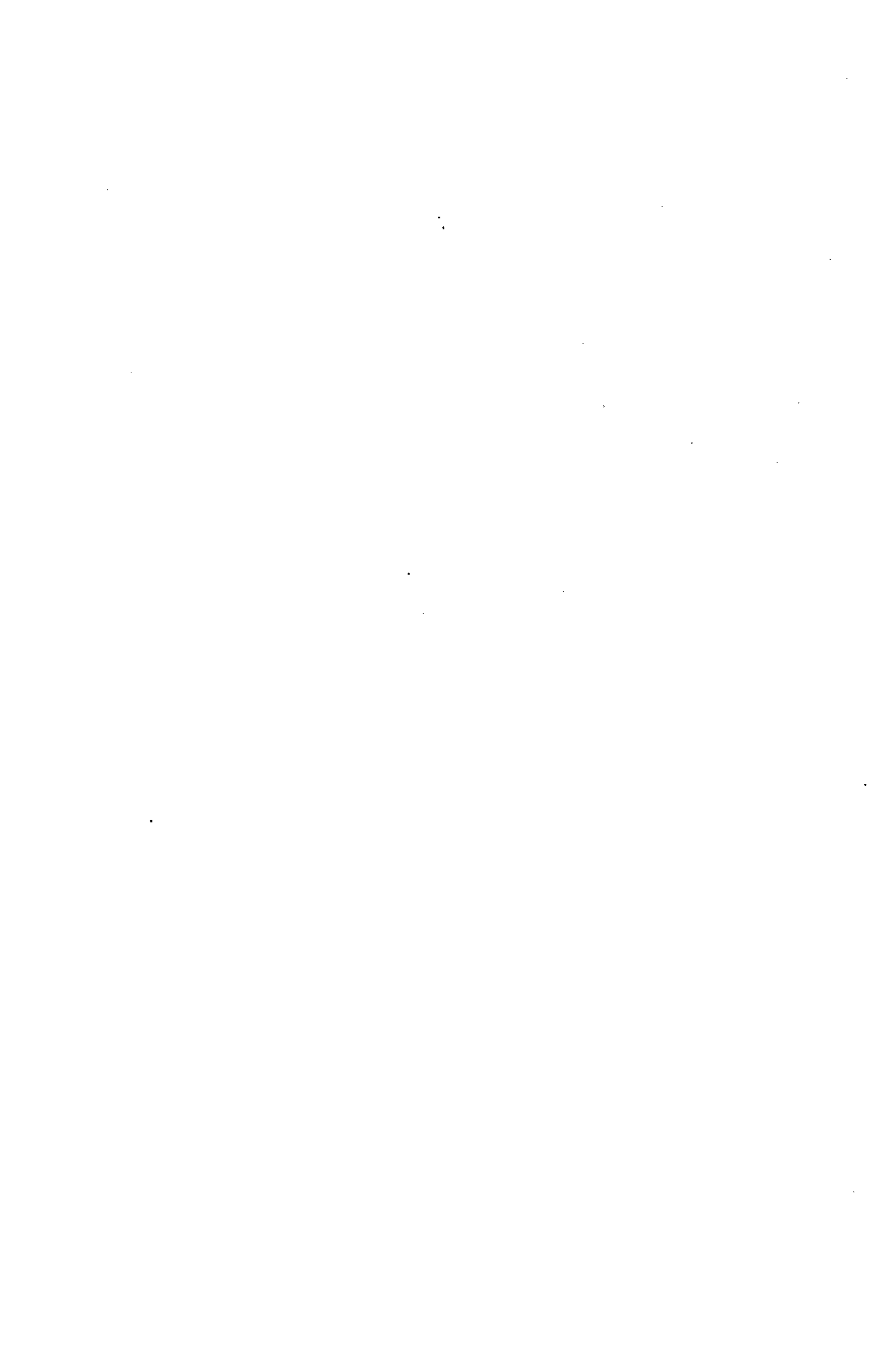
قال كليمان هوار: إن الباب أنشأ ديناً جديداً بتعاليمه وعقائده وأنشأ مجتمعاً جديداً تحت ستار الإصلاح في الإسلام، فالله واحد، وعليٌّ ومحمدٌ مرآته التي ينعكس فيها النور الإلهي ويتأتى لكل إنسان أن يشاهدها.

وقال الباب في كتابه البيان: عليكم أن تجعلوا من أنفسكم ومن أعمالكم مرائي بحيث لا ترون إلا الشمس التي تحبونها، وقد برأ الله العالم على سبع صفات سميت حروف الحقيقة وهي: القدر والقضاء والإرادة والمشيئة والإذن والأجل والكتاب، ويدير شؤون الطائفة١٩ رجلاً، وكل بابي يدفع لهم في السنة خمسة في المئة من قيمة رأس المال، وتلغى جميع العقوبات ما عدا الغرامة التي توضع على زوجين لا يريدان أن يتعاشرا بالمعروف، والتجارة والعقود مشروعة، ويسمح بدفع فائدة عن بضائع بيعت بالنسيئة، والزواج إجباري بعد الحادية عشرة، والطلاق ممقوت، ويمهل الزوجان المتخاصمان سنة لتأليف ذات بينهما، وعلى الأرامل من الرجال والنساء أن يتزوجوا، وعدة الرجال منهم تسعون يوماً والنساء خمسة وتسعون يوماً وإذا لم يفعلا يغرمان غرامة.

ولا يضرب الولد قبل أن يبلغ الخامسة، وبعد ذلك لا يضرب أكثر من خمس ضربات، ويسمح لمن يدينون بهذا المذهب أن يستعملوا الحلي والجواهر

خلافاً لما أمر به الشرع الإسلامي، ويسمح لهم بالوضوء ولكن لا على أنه فرض، ويجب أن يكون في كل حي حمام، ولا يتحجب النساء ويؤذن بالتحدث إليهن دون إكراه وأن يكون الكلام معهن جهراً لا سراً، ويحج أتباع الباب إلى البيت الذي ولد فيه حيث يقام له مسجد أو إلى المكان الذي سجن هو فيه أو خاصة حوارييه، ولا يسمح لمن يدينون بمذهبهم بالارتحال والسياحة إلا لمن اضطر إلى ذلك، ولا يسمح بركوب البحار منهم إلا للحجاج والتجار، ولا تقام صلاة جماعة إلا على الأموات، وخطبة المسجد واجبة، ويدفن الموتى في زجاج أو في حجارة منحوتة مصقولة، ويجعل في يد الميت اليمنى خاتم يكتب على فصه (لئلا يفزع الموتى في قبورهم) ، وليس من حق أحد أن يستعمل الشدة مع إنسان ولا أن يسيء إلى أخيه، ويجيبون على كل من يكلمهم أو يكاتبهم ويفرض عليهم أن يؤدوا الرسالة التي ائتمنوا عليها إلى صاحبها من دون عبث بها، ويحظر عليهم تعاطي المخدرات والمسكرات، ويجب أن يدعو كل واحد منهم في كل شهر تسعة عشر إنساناً، وأن يجتمع معهم ولو على شرب الماء القراح، ومن الضلال إعطاء الشحاذين، وتقسم مواريثهم على الصورة التالية بعد صرف نفقات الدفن والجنازة: للولد٩ من ستين، وللزوج٨ من ستين، وللوالد٧ من ستين، وللأم٦ من ستين، وللأخ٥ من ستين، وللأخت٤ من ستين، وللأستاذ٣ من ستين، ولا يرث أحد من ذوي القربى بعد ذلك، وحظر على البابية لما نزلوا عكا الدعاية إلى مذهبهم في الشام، ولما أعلنت الحرية عام ١٩٠٨ انتقلوا إلى عكا وزاد أشياعهم قليلاً وهم هنا قلائل ربما لم يتجاوزوا المائتين، وهم على غاية من حسن الأخلاق وجميل المعاملة قلما شكا منهم إنسان أو اشتكوا هم من إنسان، ولا تجد بينهم من لا يحترف حرفة ويعمل ويكد، ولاسيما رئيسهم الأخير عباس أفندي، فقد كان محافظاً على صلواته مع الجماعة لم يخرج في سمته عن روح الشرع الإسلامي، فإما أن يكون صادقاً في إسلامه أو أنه عاش في تقية متقنة كما يعيش كثير من أرباب النحل الضعيفة بين المخالفين لهم من السواد الأعظم، وكان عباس على علم وأدب إذا تكلم يمزج الفلسفة بالمنقولات فيتعذر على كل إنسان فهم كلامه، وله خطب ومواعظ انطلق بها لسانه في سياحة له في أوربا وأميركا دامت خمس سنين، ويؤخذ من مجموع أقواله أن البهائية أو البابية ترمي إلى تطبيق الشرائع السماوية على العقل وحل المشاكل القائمة بين أهل الأديان السماوية الثلاثة اليهودية والنصرانية والإسلام.

وقال مرة: إن الباب صاحب المذهب كان يريد التوفيق بين السنة والشيعة، بل كان يرمي إلى وحدة العالم الإنساني ونشر السلام العام والتأليف بين قلوب البشر بقوة الدين وتحكيم العقل والعلم ونبذ التعصب الديني والجنسي والوطني السياسي ونشر العلم وإنشاء محكمة عامة كبرى تفصل الخلافات التي تحدث بين الشعوب والدول، وإلى تربية بني البشر على الفضائل الإنسانية وإلى إقامة القواعد الاقتصادية وتأليف لغة عامة تفهمها جميع الأمم.




نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ
الفتن الدامية بين المسلمين
محمد فهمي الحمدان.



خلافة النبوة ومدتها ومدة قوة الإسلام

٩٤- عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: (تدور رحى الإسلام لخمس وثلاثين- أو: ستّ وثلاثين- أو: سبع وثلاثين- فإن يهلِكوا فسبيل من هلك، وإن يَقمْ لهم دينهم يقم لهم سبعين عاماً) . قال: قلت: أممّا بقي أو مما مضى؟ قال: (مما مضى) – أبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم/ ٤٢٥٤/، وإسناده صحيح، والإمام أحمد في المسند١/٣٩٠-وصححه ابن حبان: موارد، وصححه الحاكم٤/٥٢١ ووافقه الذهبي-.

تدور رحى الإسلام: يقال: دارت رحى الحرب إذا قامت على ساقها أي إذا استعرت واشتدت، والمعنى فيما قيل: إن الإسلام عند قيام أمره على سنن الاستقامة والبعد من أحداث الظلمة إلى أن تنقضي هذه المدة التي ذكرها وهي خمس وثلاثون، ووجهُه أن يكون قاله وقد بقي من عمره ﷺ خمس سنين أو ست سنين، فإذا انضمت إلى مدة خلافة الخلفاء الراشدين- وهي ثلاثون سنة- كانت بالغةً ذلك المبلغ، وإن كان أراد سنة خمس وثلاثين من الهجرة ففيها خرج أهل مصر والكوفة والبصرة وحصروا عثمان وإن كانت سنة ست وثلاثين، ففيها كانت وقعة الجمل، وإن كانت سنة سبع وثلاثين، ففيها كانت وقعة صفّين.

وأما قوله: (يقم لهم سبعين عاماً) فإن الخطّابي قال : يشبه أن يكون مدة ملك بني أمية وانتقاله إلى بني العباس ، فإنه كان بين استقرار الملك لبني أمية إلى أن ظهر دعاة الدولة العباسية بخراسان نحوٌ من سبعين سنة ، والله أعلم .

٩٥- عن سفينة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ، ثم مُلكٌ بعد ذلك) – الترمذي في الفتن باب ما جاء في الخلافة رقم / ٢٢٢٧/ ، ورواه أبو داود في السنة باب في الخلفاء رقم /٤٦٤٦و٤٦٤٧/ بإسناد حسن بهذا اللفظ: (خلافة النبوة ثلاثون سنة ، ثم يؤتي الله الملك من يشاء) .

قال سعيد بن جمهان : قال لي سفينة : أمسِكْ : أبو بكر سنتين ، وعمر عشراً ، وعثمان اثنتي عشرة ، وعلي ستاً . وهذه ألفاظ الإمام أحمد تقريباً وروايته بالمعنى ذاته ، وحساب خلافة الخلفاء الراشدين موجود في رواية الترمذي أيضاً ، وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية : (٣/٢١٩) ورواه النسائي ، وقال الترمذي : حسن ، ولفظه عنده : (الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم يكون مُلكاً عضوضاً) ورواه السيوطي في تاريخ الخلفاء قال: قال الإمام أحمد في مسنده : حدثنا بهز ، حدثنا حماد بن سلمة ، حدثنا سعيد بن جمهان عن

سفينة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون بعد ذلك الملك) وقال السيوطي : أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان وغيره -.

٩٦- قال عبد الرحمن بن عمرو السلمي وحُجر بن حُجر : أتينا العِرْباضَ بن سارية ﷺ وهو ممن نزل فيه : ﴿ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ ﴾ - التوبة ٩: ٩٢- فسلّمنا وقلنا : أتيناك زائرين وعائدين ومقتبسين فقال العرباض: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ، ثم أقبل علينا بوجهه ، فوعظنا موعظة بليغة ذرفت منها العيون ووجلت منها القلوب ، فقال رجل : يا رسول الله كأن هذه موعظة مودّع فماذا تعهد إلينا ؟ قال : (أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة وإن عبداً حبشياً ، فإنه منْ يَعِش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسكوا بها وعضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثةٍ بدعةٌ وكل بدعةٍ ضلالةٌ) - أبو داود في السنة باب لزوم السنة رقم/٤٦٠٧/ ، والترمذي في العلم باب /١٦/ رقم /٢٦٧٨/ وقال : حديث حسن صحيح ، والإمام أحمد في المسند (١٢٦/٤و١٢٧) وابن ماجه في المقدمة باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين رقم /٤٢/ وابن حبان في صحيحه -.

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أنه سيأتي من بعده خلفاء مهديون أطلق عليهم تسمية (الخلفاء الراشدين) وأطلق على خلافتهم تسمية (خلافة النبوة) ، وأمرنا بطاعتهم وأخبرنا أنه مدة الخلافة الراشدة ستكون ثلاثين سنة ، ولقد صدق رسول الله ﷺ فلقد دام حكم الخلفاء الراشدون ثلاثين سنة ثم انتزع الحكم معاوية بن أبي سفيان ليجعل الحكم ملكياً (كلما مات هرقل قام هرقل) كما قال عبد الرحمن بن أبي بكر ، وهذه هي التآريخ ليتولى حسابها من يشاء : كانت وفاة الرسول الأعظم ﷺ في يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة للهجرة ، وبويع أبو بكر الصديق ﷺ وكانت وفاته لثماني ليال بقين من جمادى الآخرة في السنة الثالثة عشرة ، وهو الصحيح ، وقيل غير ذلك وكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال ، وقيل كانت سنتين وأربعة أشهر إلا أربع ليال ، وبويع عمر بن الخطاب عقب وفاة أبي بكر ، وتوفي عمر اغتيالاً لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وعشرين ، وكانت ولايته عشر

سنين وستة أشهر وثمانية أيام ، وقيل وأربعة أيام ، وبويع عثمان ﷺ لثلاث مضين من المحرّم سنة أربع وعشرين أو قبل ذلك بأيام ، وكان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وكانت خلافته اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوماً ، أو إلا ثمانية أيام ، وبويع علي كرم الله وجهه يوم الجمعة لخمس بقين من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين ، وقتل اغتيالاً لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربعين ، وهو الأصح ، وقيل لإحدى عشرة ليلة ، وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ، وبويع الحسن بن علي ﷺ وخلع نفسه وسلم الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان وقد اختلف في تاريخ تسليم الخلافة ولذلك تفاوتت حسابات مدة خلافته ، فعلى قول تكون خلافته خمسة أشهر ونحو نصف شهر ، وعلى قول آخر تكون ستة أشهر وأياماً ، ولكن الخلاف حول تاريخ تنازل الحسن عن الخلافة لا يفسد جوهر قضيتنا ، وتظل مدة حكم الخلفاء الراشدين تدور حول ثلاثين سنة وهي المدة التي أخبرنا عنها رسول الله ﷺ وهكذا حدد رسول الله ﷺ في الحديثين (٩٤و٩٥) مدة حكم الخلفاء الراشدين ، أي مدة الحكم التي سار عليها خلفاؤه دون أي خرق لتعاليم الإسلام ودون إعراض عن أي شيء منها ودون تفريط بأية سنة من السنن التي استنها رسول الله ﷺ، ففي هذه المدة كان الحكم على منهاج القرآن والسنة ، أما في عهد الأمويين فقد فرّطوا ببعض الأحكام وعلى رأسها التفريط بقاعدة الشورى وجعلوا الحكم وراثياً وكانوا كالملوك وإن حافظوا على تسمية أنفسهم بالخلفاء ، فما هم بخلفاء ، لأن الخليفة هو من تجمع عليه الأمة أو العلماء الصالحون ويبايع عن طيب خاطر وليس بالإكراه أو بالإنذار وبالوعيد وليس بقوة السلاح ، ثم إن هؤلاء الخلفاء قد أحدثوا خرقاً في توزيع الأموال بالسوية على الرعية فقد وزعوا أموالاً لكسب تأييد الزعامات وأعطوا من يمدحهم واستأثروا بأموال كثيرة، ثم قتلوا مسلمين دون حق وأطلقوا أيدي بعض الولاة في الرعية يفعلون بها ما يريدون.

وينبغي أن أقول مراراً وتكراراً بأن الحاكمية في معظم الأمور خلال تاريخنا كله كانت لله تعالى، وأن الشريعة الإسلامية كانت هي الحاكم الأول والأخير والمرجع الوحيد في كافة قضايا الدولة والمجتمع وأن حُرمة الدين كانت مصونة وأن المعاصي كانت تُرتكب سراً إلى أن جاء خلال القرن العشرين عملاء الصهاينة وأميركا فقلبوا الأمور قلباً سيئاً في غاية السوء، فالمجتمع

الإسلامي حتى منتصف القرن العشرين كان أفضل من مجتمعنا الحالي في تمسكه بأحكام الشريعة الإسلامية.

فلقد حقق الصهاينة جزءاً كبيراً من أهدافهم المذكورة في بروتوكولاتهم حول إفساد الناس لإبعادهم عن دينهم، وأعانهم على ذلك المتصهينون وحلفاؤهم وعملاؤهم، ولكن الصحوة الإسلامية قادمة وسوف تجرف بإذن الله عز وجل فسادهم وإفسادهم في الأرض.

اتساع الفتوحات والتنافس على الدنيا

٩٧- عن ثوبان ﷺ عن النبي ﷺ قال : (إن الله زوى لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ مُلكها ما زُوي لي منها ، وأُعطيتُ الكنزين الأحمر والأبيض ، وإني سألت ربي لأمتي ألا يهلكها بسنة عامة وألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ، وإن ربي قال : يا محمد إني إذا قضيت قضاءً فإنه لا يُردُّ ، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامّة وألا أسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها – أو من بين أقطارها -حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً) – هذه رواية مسلم ورواه الترمذي وأبو داود وزادا : (وإنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين ، وإذا وضع السيف في أمتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة ، ولا تقوم الساعة حتى يلحق قبائلُ من أمتي بالمشركين ، وحتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان ، وإنه سيكون في أمتي كذابون ثلاثون كلهم يزعم أنه نبي ، وأنا خاتم النبيين ، لا نبي بعدي ، ولا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله) - مسلم في الفتن باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض ، والترمذي في الفتن باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ رقم / ٢١٧٧/ ، وباب ما جاء في الأئمة المضلين /٢٢٣٠/ ، وأبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها /٤٢٥٢/ -.

زوى له : جمعه له وضمه إليه . السنة : المقصود هنا جائحة مهلكة كموتهم غرقاً أو بإعصار أو بخسف الأرض بهم وما يشبه ذلك . يستبيح بيضتهم: ينتصر عليهم ويذلهم ويفتك بهم .

٩٨- عن ابن مسعود ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (إنكم منصورون ومصيبون ومفتوح عليكم فمن أدرك ذلك منكم فليتق الله وليأمر بالمعروف ولينه عن المنكر ، ومن كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من

النار) – الترمذي في الفتن باب /٧٠/ رقم /٢٢٥٨/ بإسناد حسن ، وقال الترمذي: حسن صحيح ، والإمام أحمد في مسنده رقم /٣٦٩٤و٣٨٠١و٤١٥٦/ ، وصححه الحافظ ابن حجر –.

٩٩- عن عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ خرج يوماً فصلى على أهل أحد صلاته على الميت ، ثم انصرف إلى المنبر فقال : (إني فَرَطٌ لكم وأنا شهيد عليكم ، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن ، وإني أعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو : مفاتيح الأرض-، وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي ، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها).

- البخاري في الجمعة باب الصلاة على الشهيد ، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام ، وفي غيرهما - فرَطٌ : متقدم وسابق إلى الحوض .

١٠٠- عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ جلس ذات يوم على المنبر وجلسنا حوله فقال : (إني – وفي نسخة : إن - مما أخاف عليكم بعدي ما يُفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها) - البخاري في الجمعة باب الصدقة على اليتامى ومسلم في الزكاة باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا –.

١٠١- عن عقبة بن عامر ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستفتح عليكم أَرَضُون ويكفيكم الله فلا يعجز أحدكم أن يَلْهُوَ بأسهمه) – مسلم في الإمارة باب فضل الرمي والحث عليه ، والترمذي في التفسير باب ومن سورة الأنفال /٣٠٨٣/ -.

يأمر الرسول ﷺ المسلمين في هذا الحديث بألا يتخلّوا عن الجهاد ويبين لهم أن الجهاد سوف يصبح هيناً ليناً يحرز فيه المسلمون النصر بسهولة ، فاللهو بالأسهم كناية عن بُعد المخاطر والجراح عنهم .وكناية عن أن التدرب على استخدام الأسلحة مفروض على المسلمين دائماً لكي يكونوا مستعدين للتصدي للمعتدين دائماً .

١٠٢- عن المسور بن مخرمة ﷺ أن عمرو بن عوف أخبره أن الرسول ﷺ بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتها ، وكان النبي ﷺ صالح أهل البحرين وأمّر عليهم العلاء بن الحضرمي ، فقدِم أبو عبيدة بمال من البحرين فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيدة فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله ﷺ ، فلما صلى رسول الله ﷺ وانصرف ، فتعرضوا له ، فتبسم رسول الله ﷺ حين رآهم ، ثم قال (أظنكم سمعتم أن أبا عبيدة قدِم بشيء من البحرين ؟) فقالوا أجل يا

رسول الله . فقال : (أبشروا وأمّلوا ما يسركم ، فوالله ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تُبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من كان قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم) - أخرجه البخاري ومسلم والترمذي إلا أن الترمذي لم يذكر الصلح وتأمير العلاء، البخاري في الرقاق باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها ، وفي المغازي باب شهود الملائكة بدراً ، وفي الجهاد باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب ، ومسلم في الرقاق ، والترمذي في صفة القيامة باب خوف الرسول ﷺ على أمته أن تبسط لهم الدنيا /٢٤٦٤/ -.

وجاء في الحديث /٢٧/ برواية الشيخين وغيرهما : (وبينا أنا نائم إذ أوتيت خزائن الأرض) .

١٠٣- عن أبي سنان الدؤلي أنه دخل على عمر بن الخطاب ﷺ وعنده نفر من المهاجرين الأولين ، فأرسل عمر إلى سَفط أتي به من قلعة العراق ، فكان فيه خاتم فأخذه بعض بَنيه فأدخله في فيه ، فانتزعه عمر منه ، ثم بكى عمر ﷺ ، فقال له من عنده : لم تبكي وقد فتح الله عليك وأظهرك على عدوك وأقر عينك ؟ فقال عمر : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا تفتح الدنيا على أحد إلا ألقى الله عز وجل بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة ، وأنا أشفق من ذلك) - الإمام أحمد بإسناد حسن ، والبزار ، وأبو يعلى – السفط : شيء كالقفة أو كالجوالق .

١٠٤- عن أبي ذر ﷺ قال : بينما النبي ﷺ جالس إذ قام أعرابي فيه جفاء فقال : يا رسول الله أكلتنا الضبع ؟ فقال النبي ﷺ (غير ذلك أخوف عليكم ، حين تصب عليكم الدنيا صباباً ، فيا ليت أمتي لا تلبس الذهب) - الإمام أحمد ورواته رواة الصحيح ، ورواه البزار – أكلتنا الضبع : كناية عن السنة المجدبة ، تصب عليكم الدنيا : كناية عن كثرة الرزق.

١٠٥- عن سعد بن أبي وقاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لأنا لفتنة السراء أخوَفُ عليكم من فتنة الضرّاء ، إنكم ابتليتم بفتنة الضراء فصبرتم ، وإن الدنيا حلوة خضِرة) – أبو يعلى ، والبزار، وفيه راو لم يُسمَّ وبقية رواته رواة الصحيح كما قال المنذري –.

١٠٦- عن عوف بن مالك ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ في أصحابه فقال: (الفقر تخافون أو العوز أم تهمكم الدنيا ، فإن الله فاتح عليكم فارس والروم ، وتصَبُّ عليكم الدنيا صباً ، حتى لا يزيغكم بعد أن زغتم إلا هي) – الطبراني ، وفي إسناده بقية ، ولكن له شواهد يتحسن بها – العوز : الحاجة والفقر . زغتم :

ملتم وانحرفتم عن الإسلام ، يقول الله تعالى : ﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾ .

أخبرنا رسول الله ﷺ أن الفتوحات الإسلامية سوف تتسع وأن الدولة الإسلامية سوف تمتد إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وقد امتدت فعلاً إلى المشارق والمغارب ويلاحظ أن رسول الله ﷺ لم يذكر أن التوسع سيكون إلى الشمال وإلى الجنوب ، بل اقتصر على ذكر المشارق والمغارب ، وهكذا كان توسع الدولة الإسلامية ، فلم تتجه الجيوش الإسلامية للسيطرة على شمالي آسيا وأوربا ولم تتجه إلى جنوبي إفريقيا ، ولكن خطط الفاتحين كانت مصممة على بلوغ أقصى المغرب وأقصى المشرق، وهذا ما حققوه .ولقد حقق المسلمون انتصاراتهم العظيمة بصدق إيمانهم وإخلاصهم لله تعالى وبصدق جهادهم فقد كانوا يبذلون طاقاتهم في الجهاد مندفعين لإحراز إحدى الحسنين النصر أو الشهادة، أما المعاييرالمادية فلم تكن في صالحهم، فلقد كانوا أقل عدداً من أعدائهم وأقل عتاداً ولم تكن عندهم وسائل لحمل الطعام الكافي لهم طيلة الحرب فكانوا يحصلون على الطعام من أعدائهم.

ثم انشغل سلاطين المسلمين وأمراؤهم وأغنياؤهم بالاستمتاع بملذات الحياة وإشباع شهواتهم وتوفير أعظم درجات الرفاهية لأنفسهم ، ومضوا يقتتلون للسيطرة على أسباب الترف وعلى رأسها السلطة ، ومضى الأمراء يشقون عصا الطاعة وينشئون دولاً مستقلة لكي يكونوا سلاطين فيها أحراراً في جباية الأموال وإنفاقها على أنفسهم وحيازة وتملك ما يشتهون ، وصار الأخ يقتل أخاه أو ابن أخيه ، وابن الأخ يقتل عمه ، والابن يقتل أباه ، والأب يقتل ابنه ، في سبيل الاستئثار بأعلى منصب يحقق أعظم رفاهية ، والأمثلة كثيرة ، وهي تؤلم النفوس بفظاعتها وبشاعتها ، فأدى هذا التنافس على الدنيا إلى تمزق الدولة الإسلامية وإلى ضعفها وإلى الاستعانة بالأجنبي وبالكافر في سبيل الوصول إلى السلطة أو البقاء فيها ، وهكذا ظلوا يتنافسون على الدنيا من العهد الأموي إلى يوم الناس هذا ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم .

التمكين للأمة الإسلامية في الأرض

١٠٧- عن أبي بن كعب ﷺ قال : (بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والتمكين في الأرض ، ومن عَمِلَ منهم عَمَلَ الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة

نصيب) وفي رواية للبيهقي قال رسول الله ﷺ : (بشر هذه الأمة بالتيسير والسناء والرِّفعة بالدين والتمكين في البلاد والنصر ، فمن عمل منهم بعمل الآخرة للدنيا فليس له في الآخرة من نصيب) – الإمام أحمد في المسند (١٣٤/٥) ، وابن حبان في صحيحه ، والحاكم (٣١١/٤) وقال : صحيح الإسناد ، والبيهقي ، وهو حديث صحيح-.

لقد قال رسول الله ﷺ هذا الكلام وهو صاحب دويلة صغيرة كما في سائر نبوءاته ، فبشر أمته بالسناء والرفعة والتمكين في الأرض ، و لقد تحقق لهذه الأمة ما بشرها به رسولها العظيم ﷺ ، فاتسعت الدولة الإسلامية اتساعاً عظيماً فقد بسطت سلطانها على شبه الجزيرة العربية ، ثم حاربت الإمبراطوريتين العظيمتين الفرس والروم معاً فبسطت سلطانها على الإمبراطورية الفارسية بكاملها وأرجعت الروم إلى أرضهم فحسرت سلطانهم عن بلاد الشام وشمالي إفريقيا ، ثم تغلغل المسلمون في أواسط إفريقيا ، واجتازوا بحر الزُّقاق إلى الأندلس - إسبانيا - ، وساروا شرقاً حتى توغلوا في أراضي الهند والصين ، وصنعوا حضارة عظيمة شملت كل ميادين العلم والمعرفة، ولولا المسلمون لما بلغ الغرب هذه الدرجة العظيمة من الحضارة ، فلقد كان الأوروبيون في ظلام مطبق وجهل عظيم ، وكانت الكنيسة تحرص على بقاء الجهل والتخلف وتقطع رقبة كل عالم يكتشف شيئاً جديداً أو يحاول تصحيح المعلومات المغلوطة السائدة ، ثم استفاق الأوربيون على أيدي المسلمين ، فدرسوا الكتب العربية وتفهموها ثم أضافوا فوقها فكانت هذه الحضارة المعاصرة ، أما المسلمون فقد انشغلوا بالشهوات وهجروا العلوم وغفلوا حتى أصبحوا في أواخر المتخلفين.

الخلفاء الأقوياء

١٠٨- عن جابر بن سمرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول:

(يكون بعدي اثنا عشر أميراً) فقال كلمة لم أسمعها ، فقال أبي: (كلهم من قريش) ، وفي رواية:

(لا يزال أمر الناس ماضياً ما وَلِيَهم اثنا عشر رجلاً) ثم تكلم النبي ﷺ بكلمة خفيت علي، فسألت أبي: ماذا قال رسول الله ﷺ ؟ فقال: (كلهم من قريش) هذه رواية البخاري ومسلم ، وفي أخرى لمسلم: انطلقت إلى رسول الله ﷺ ومعي أبي فسمعته يقول :

(لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة) فقال كلمة أصمَّنيها

الناس ، فقلت لأبي : ما قال ؟ قال : (كلهم من قريش) وفي رواية أبي داود : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (لا يزال هذا الدين قائماً حتى يكون عليكم اثنا عشر خليفة ، كلهم تجتمع عليه الأمة) فسمعت كلاماً من النبي ﷺ لم أفهمه فقلت لأبي : ما يقول ؟ قال: (كلهم من قريش) . وفي رواية فلما رجع إلى بيته أتته قريش فقالوا : ثم يكون ماذا ؟ قال : (ثم يكون الهَرْجُ) . – البخاري في الأحكام باب في الاستخلاف ، ومسلم في الإمارة باب الناس تبع لقريش ، والإمام أحمد في المسند ٥ /٨٧و٩٠و٩٢و٩٥و٩٧و٩٩و١٠١و١٠٧و١٠٨، والترمذي في الفتن باب ما جاء في الخلفاء رقم /٢٢٢٤/ ، وأبو داود ، والبزار – والهرج : القتل ، والمقصود كثرة القتل .

١٠٩- قال السيوطي في تاريخ الخلفاء : وعند أحمد والبزار بسند حسن عن ابن مسعود ﷺ أنه سئل : كم يملك هذه الأمة من خليفة ؟ فقال : سألنا عنها رسول الله ﷺ فقال : (اثنا عشر كَعِدة نقباء بني إسرائيل) .

قال السيوطي في تاريخ الخلفاء : قال القاضي عياض : لعل المراد بالاثني عشر في هذه الأحاديث وما شابهها أنهم يكونون في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره والاجتماع على من يقوم بالخلافة ، وقد وجد هذا فيمن اجتمع عليه الناس إلى أن اضطرب أمر بني أمية ووقعت بينهم الفتنة زمن الوليد بن يزيد ، فاتصلت بينهم إلى أن قامت الدولة العباسية فاستأصلوا أمرهم .

قال شيخ الإسلام ابن حجر في شرح البخاري : كلام القاضي عياض أحسن ما قيل في الحديث وأرجحه ، لتأييده بقوله في بعض طرق الحديث الصحيحة : (كلهم يجتمع عليه الناس) ، وإيضاح ذلك أن المراد بالاجتماع انقيادهم لبيعته ، والذي وقع أن الناس اجتمعوا على أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ، إلى أن وقع أمر الحكمين في صفين فتسمى معاوية يومئذ بالخليفة ، ثم اجتمع الناس على معاوية عند صلح الحسن ، ثم اجتمعوا على ولده يزيد ، ولم ينتظم للحسين أمر ، بل قتل قبل ذلك ، ثم لما مات يزيد وقع الاختلاف إلى أن اجتمعوا على عبد الملك بن مروان بعد قتل ابن الزبير ، ثم اجتمعوا على أولاده الأربعة : الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام ، وتخلل بين سليمان ويزيد عمر بن عبد العزيز ، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين -.

وأقول: بل هم ثمانية : معاوية ، وابنه يزيد ، وعبد الملك بن مروان وابنه الوليد ، وابنه سليمان ، وعمر بن عبد العزيز ، ويزيد بن عبد الملك ، وهشام بن

عبد الملك . ولا يحتاج التأويل إلى ذكر الوليد بن يزيد لاكتمال العدد المذكور ولأن المسلمين لم يجتمعوا على الوليد ، انتهى قولي.

وأواصل عرض تأويل الحافظ ابن حجر: والثاني عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك اجتمع الناس عليه لما مات عمه هشام فولي نحو أربع سنين، ثم قاموا عليه فقتلوه ، وانتشرت الفتن ، وتغيرت الأحوال من يومئذ ، ولم يتفق أن يجتمع الناس على خليفة بعد ذلك ، لأن يزيد بن الوليد الذي قام على ابن عمه الوليد بن يزيد لم تطل مدته ، بل ثار عليه قبل أن يموت ابن عم أبيه مروان بن محمد بن مروان ، ولما مات يزيد ولي أخوه إبراهيم فقتله مروان ، ثم ثار على مروان بنو العباس إلى أن قتل.

ثم كان أول خلفاء بني العباس السفاح ، ولم تطل مدته مع كثرة من ثار عليه ، ثم ولي أخوه المنصور فطالت مدته لكن خرج عنهم المغرب الأقصى باستيلاء المروانيين على الأندلس ، واستمرت في أيديهم متغلبين عليها إلى أن تسمَّوا بالخلافة بعد ذلك ، وانفرط الأمر إلى أن لم يبق من الخلافة إلا الاسم في البلاد بعد أن كان في أيام بني عبد الملك بن مروان يخطب للخليفة في جميع الأقطار من الأرض شرقاً وغرباً ويميناً وشمالاً مما غلب عليه المسلمون ، ولا يتولى أحد في بلد من البلاد الإمارة على شيء منها إلا بأمر من الخليفة .

ومن انفراط الأمر أنه كان في المائة الخامسة بالأندلس وحدها ستة أنفس كلهم يتسمَّى بالخلافة ، ومعهم صاحب مصر العبيدي – أي : الفاطمي – والعباسي ببغداد خارجاً عمن كان يدعي الخلافة في أقطار الأرض من العلوية والخوارج . قال : فعلى هذا التأويل يكون المراد بقوله (ثم يكون الهرج) يعني القتل الفاشي عن الفتن وقوعاً فاشياً ويستمر ويزداد ، وكذا كان .

وقيل : إن المراد وجود اثني عشر خليفة في جميع مدة الإسلام إلى يوم القيامة يعملون بالحق وإن لم تتوال أيامهم ، ويؤيد هذا ما أخرجه مسدد في مسنده الكبير عن أبي الخلد أنه قال : (لا تهلك هذه الأمة حتى يكون منها اثنا عشر خليفة ، كلهم يعمل بالهدى ودين الحق ، منهم رجلان من أهل بيت محمد ﷺ).

وأظن أن مغزى هذا الحديث هو غير مغزى الأحاديث موضوع البحث ، وإن اجتمع معها في عدة الخلفاء ، فهذا الحديث يعني اثني عشر خليفة يتولون الخلافة في بلاد الشام بعد قيام الخلافة الراشدة المنتظرة فيها ، أو يعني الخلفاء

الراشدين مع ثمانية من الخلفاء المنتظرين ، والله أعلم ، وربما كان معهم عمر بن عبد العزيز أما الرجلان اللذان يكونان من أهل بيت محمد ﷺ فهما علي بن أبي طالب والمهدي المنتظر ، وربما كانا المهدي المنتظر وخليفة آخر من خلفاء الخلافة الراشدة المنتظرة ، لأن سيدنا علياً قد انشغل بالحروب ولم ينعم بالاستقرار ، والله أعلم . قال السيوطي : وعلى هذا فقد وجد من الاثني عشر خليفة الخلفاء الأربعة ، والحسن ، ومعاوية ، وابن الزبير ، وعمر بن عبد العزيز ، هؤلاء ثمانية ، ويحتمل أن يضم إليهم المهتدي من العباسيين لأنه فيهم كعمر بن عبد العزيز في بني أمية ، وكذلك الظاهر لما أوتيه من العدل ، وبقي الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من آل بيت محمد ﷺ .

مقتل طائفة من الصحابة رضي الله عنهم

١١٠- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من سره أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله) - الترمذي في المناقب باب مناقب طلحة بن عبيد الله رقم/٣٧٤٠/، وابن ماجه في المقدمة رقم/١٢٥/ وفي سنده الصلت بن دينار وهو متروك، وقال الترمذي: هذا حديث غريب، ورواه أبو نعيم في الحلية ١٠٠/٣ ، ويتقوى بالحديثين التاليين-.

١١١- عن موسى بن طلحة رحمه الله قال: دخلت على معاوية فقال ألا أبشرك؟ قلت: بلى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (طلحة ممن قضى نحبه) - الترمذي في المناقب باب مناقب طلحة بن عبيد الله ﷺ رقم/ ٣٧٤٢/، وابن ماجه في المقدمة رقم١٢٦و١٢٧، وهو حديث حسن-.

١١٢- عن موسى بن طلحة وأخيه عيسى عن أبيهما أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا لأعرابي جاهل: سل رسول الله ﷺ عمن ((قضى نحبه)) - الأحزاب / ٢٣: ٣٣/ - من هو؟ وكانوا لا يجترئون على مسألته، وكانوا يوقرونه ويهابونه، فسأله الأعرابي، فأعرض عنه، ثم سأله، فأعرض عنه، قال طلحة: ثم طلعت من باب المسجد وعلي ثيابٌ خضْر، فلما رآني رسول الله ﷺ قال: (أين السائل عمن قضى نحبه) قال الأعرابي: أنا يا رسول الله. فقال: (هذا ممن قضى نحبه) - الترمذي في المناقب باب مناقب طلحة بن عبيد الله رقم /٣٧٤٣/ وهو حديث حسن - .

١١٣- عن شقيق قال: سمعت حذيفة ﷺ يقول: بينا نحن جلوس عند

عمر إذ قال: أيّكم يحفظ قول النبي ﷺ في الفتنة؟ قال - حذيفة -: فتنة الرجل في أهله وماله - زاد مسلم: ونفسه - وولده وجاره تكفّرها - زاد مسلم: الصيام والصلاة والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال - عمر- : ليس عن هذا أسألك، ولكن التي تموج كموج البحر. قال: ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال عمر: أيُكسر الباب أم يُفتح؟ قال: بل يكسر. قال عمر: إذاً لا يغلق أبداً. قلت- أي حذيفة-: أجل. قلنا لحذيفة: أكان عمر يعلم الباب؟ قال: نعم، كما أعلم أن دون غد ليلةً، وذلك أني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط، فهبنا أن نسأله. - وفي رواية مسلم: أن نسأل حذيفة-: من الباب؟ فأمرنا مسروقاً فقال: من الباب؟ قال - حذيفة-: عمر- البخاري في مواقيت الصلاة باب الصلاة كفارة، وفي الزكاة باب الصدقة تكفر الخطيئة، وفي الصوم باب الصوم كفارة، وفي الأنبياء، وفي الفتن، ومسلم في الإيمان باب رفع الأمانة والإيمان، وفي الفتن باب في الفتنة التي تموج كموج البحر، والترمذي في الفتن باب رقم/٧١/ حديث/٢٢٥٩/- .

١١٤- عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ صعد أُحُداً وأبو بكر وعمر وعثمان، فرجف بهم، فقال: (اثبت أحد- أراه ضربه برجله- فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) وفي رواية (اثبت فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد) - البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي لو كنت متخذاً خليلاً، وباب مناقب عمر بن الخطاب، وباب مناقب عثمان بن عفان، والإمام أحمد في مسنده: /٣/، والترمذي في المناقب باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ رقم/٣٦٩٧/، وأبو داود في السنة باب في الخلف رقم/٤٦٥١/-.

١١٥- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ كان على حراء، هو وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير، فتحركت الصخرة، فقال النبي ﷺ:

(اهدأ فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد) وفي رواية لمسلم ذكر سعد بن أبي وقاص بدلاً من علي، وفي أخرى ذكر علياً وسعداً.- مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل طلحة والزبير ﷺ، وأخرج الترمذي الرواية الأولى في المناقب باب مناقب عثمان ﷺ رقم/٣٦٩٨/، والإمام أحمد في مسنده: /٢/ -.

١١٦- عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: لما حُصر عثمان ﷺ أشرف عليهم فوق داره ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء حين انتفض قال له

رسول الله ﷺ: (اثبت حراء فليس عليك إلا نبيّ أو صديقٌ أو شهيد) قالوا: نعم.

- قطعة من حديث جاء فيه تجهيز عثمان جيش العسرة وشرائه بئر رومة، رواه الترمذي في المناقب باب مناقب عثمان بن عفان ﷺ رقم/٣٧٠٠/ وإسناده حسن وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب-.

١١٧- عن أبي سلمة بن عبد الرحمن أن عثمان ﷺ أشرف عليهم حين حصروه، فقال: أَنْشُد بالله رجلاً سمع من رسول الله ﷺ يقول يوم الجبل حين اهتز فركله برجله فقال: (اسكن فإنه ليس عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان) - النسائي في الأحباس باب وقف المساجد٦ / ٢٣٦/ وإسناده حسن، وهو قطعة من حديث ذكرهم فيه ببيعة الرضوان وإنابة يد رسول الله ﷺ فيها عن يد عثمان ﷺ وتجهيزه جيش العسرة وشرائه بئر رومة-.

١١٨- عن ثُمامة بن حَزْن القشيري رحمه الله قال: شهدت يوم الدار حين أشرف عليهم عثمان، وقد ذكر في هذا الحديث أن سيدنا عثمان ﷺ ذكرهم بشرائه بئر رومة والأرض التي وسع بها المسجد وتجهيزه جيش العسرة ثم قال: وأنشدكم بالله والإسلام هل تعلمون أني كنت على ثبير مكة مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر، فتحرك الجبل حتى تساقطت حجارته بالحضيض، فركضه رسول الله ﷺ برجله وقال: (اسكن ثبير فإنما عليك نبي وصديق وشهيدان) فقالوا: اللهم نعم . فقال: الله أكبر شهدوا لي بالجنة ورب الكعبة . ثلاثاً - الترمذي في المناقب باب مناقب عثمان ﷺ رقم٣٧٠٤، والنسائي ٦ /٢٣٥/ في الأحباس باب وقف المساجد، وإسناده ضعيف ولكن له شواهد بمعناه، ولذلك قال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن عثمان- ثبير: جبل بمكة وهي أربعة أثبرة ثبير غيناء وثبير الأعرج وثبير الأحدب وثبير حراء.

١١٩- قال محمد بن اسحق: حدثني يزيد بن محمد بن خيثم عن محمد بن كعب عن محمد بن خيثم عن يزيد عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: (ألا أحدثك بأشقى الناس؟) قال: بلى. قال: (رجلان أحدهما أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا- يعني قرْنه- حتى تبتل منه هذه- يعني لحيته-) - رواه ابن أبي حاتم، ورواه الحافظ بن كثير في البداية والنهاية١/١٣٥، وفيه عنعنة ابن اسحق، وذكره السيوطي في تاريخ الخلفاء: /١٦٢/ وقال: أخرجه أحمد والحاكم بسند صحيح عن عمار بن ياسر-.

يظهر من استعراض الأحاديث السابقة أن الرسول ﷺ قد اهتزت الأرض

تحت قدميه الشريفتين مرتين: مرة فوق جبل ثبير حراء بمكة، ومرة فوق جبل أحد، وكان معه في المرة الأولى أبو بكر وعمر وعثمان، وفي المرة الثانية أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، وفي المرتين كان الرسول ﷺ يقول للجبل: (اهدأ، فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد) ، وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ قد أخبرنا بأن وفاة أبي بكر الصديق وحده سوف تكون على فراشه ولذا ذكره بلقبه (صديق) ، أما الآخرون فسوف يكونون شهداء، وكذلك أخبر رسول الله ﷺ بأن عمر بن الخطاب ﷺ لن يرى الفتن الدامية لأنها ستكون بعد مقتله، وهذا الكلام جاء في الحديث على لسان حذيفة ﷺ، وقد أكد حذيفة أن عمر يعرفه، والمعروف أن حديث الصحابي بحكم المرفوع لأن الصحابي لا يتحدث برأيه في أمثال هذه الأمور وإنما يقول ما سمعه من رسول الله ﷺ، وأخبر الرسول ﷺ بأنه بعد مقتل عمر ﷺ لن يُرفع السيف عن رقاب المسلمين، وسوف يستمر القتل بينهم وفيهم، ولقد كانت وفاة الصديق ﷺ على فراشه، فلم يمت مقتولاً أما عمر بن الخطاب ﷺ فقد قتله اللعين أبو لؤلؤة الفارسي فيروز في الأيام الأخيرة من سنة ثلاث وعشرين وهو يصلي صلاة الصبح إماماً بالمسلمين، وقد قال عبد الرحمن بن أبي بكر: رأيت عشية أمس الهرمزان وأبا لؤلؤة وعبيد الله بن جفينة– وهو نصراني من نصارى الحيرة – وهم يتناجون، فلما رأوني ثاروا وسقط منهم خنجر له رأسان نصابه في وسطه وهو الخنجر الذي ضرب به عمر، فانطلق عبيد الله بن عمر وقتلهم جميعا – الكامل وغيره–.

أما عثمان فقد قتله أجلاف أعراب العراق ومصر وهو خليفة للمسلمين وكان قتله لثماني عشرة خلت من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وقيل سنة ست وثلاثين، وبذا كان شهيداً– الكامل وغيره–.

أما علي بن أبي طالب ﷺ فقد قتل في شهر رمضان لسبع عشرة خلت منه، وقيل لإحدى عشرة، وقيل في شهر ربيع الآخر، سنة أربعين هجرية، قتله الخارجي اللعين عبد الرحمن بن ملجم المرادي، وبذا كان شهيداً – الكامل وغيره –.

أما طلحة بن عبيد الله ﷺ فقد أصابه سهم في موقعة الجمل سنة/٣٦/ فشك رجله بصفحة الترس فنقل إلى البصرة ومات شهيداً.

أما الزبير بن العوام ﷺ فقد انسحب من القتال ضد علي ﷺ وانطلق فتبعه

بعض أجلاف تميم، وقتله لعين غيلة وهو قائم يصلي سنة/٣٦/- الكامل وغيره-.

أما سعد بن أبي وقاص فقد حيرني لأنه لم يستشهد، بل مات على فراشه في منزله في العقيق على بعد حوالي عشرة أميال من المدينة المنورة ونقل جثمانه إلى المدينة المنورة ودفن في البقيع وبناء على ذلك يكون هناك احتمالان: إما أن الرسول ﷺ قد استخدم أسلوب التغليب وهذا شائع في لغة العرب، فإذا كان الرجال المذكورون كلهم سيكونون شهداء عدا سعداً، بمعنى أن الأكثرية الساحقة شهداء ولا يوجد سوى رجل واحد غير شهيد فيمكن استخدام أسلوب التغليب والتحدث عنهم جملة بأنهم شهداء، ومثل هذا شائع في لغة العرب وفي غيرها. والاحتمال الثاني أن يكون سيدنا سعد شهيداً من الدرجة الثانية، فقد يكون قد مات بالحمى أو الطاعون أو سواهما ويعد عند ذلك شهيداً، ويقوي لدي هذا الظن اختلاف المؤرخين في سنة وفاته ﷺ، فقد جعلها بعضهم سنة/٥٤/ وبعضهم سنة/٥٥/ وبعضهم سنة/٥٨/- انظر طبقات ابن سعد: ٣، وأسد الغابة: ٢، والإصابة: ٢، وجعلها ابن كثير في البداية والنهاية سنة/٥٥/- وسبب الاختلاف راجع إلى أنه اعتزل الناس منذ نشوب الفتنة في عهد سيدنا عثمان ﷺ التي استمرت طيلة خلافة علي ﷺ، فقد مضى سعد ﷺ إلى مسكنه في العقيق على بعد حوالي عشرة أميال من المدينة المنورة، ومكث في معتزله هذا حتى وفاته، وهذا في نظري سبب اختلاف المؤرخين في تحديد سنة وفاته، فإذا كان قد مرض وقضى مريضاً، فلم يعلم الناس بذلك لعدم رؤيتهم له، فأنا أميل إلى ترجيح وفاته بالمرض والله أعلم، وإنني بعد هذا الترجيح أخشى أن يأتي متسرع أهوج أحمق ويظن أنني قد قررت بأن منزلة سعد في الجنة أدنى من منزلة الشهيد المقاتل في سبيل الله، فأنا لم أقل بهذا، وإنما قلت إن شهيد الجهاد أعلى منزلة من شهيد المرض والتردي من جبل شاهق وغير ذلك، غير أن هذا الحكم لا ينطبق على سعد لوجود ميزات أخرى ترفعه فوق مراتب الشهداء إن شاء الله، فهو ثالث المؤمنين بالإسلام، وأول من أسال دم كافر في الإسلام، وأول من رمى سهماً في الإسلام، وهو من قال له رسول الله ﷺ: (ارم سعد فداك أبي وأمي) ، وكان ﷺ يناديه بخاله ويفخر به، وهو بطل جريء مغوار في ساحات الجهاد، وهو قائد المسلمين في القادسية، وهو من أهل بدر وأحد والخندق وبيعة الرضوان وسواها، وهو أحد المبشرين بالجنة، ومآثره كثيرة، ﷺ وأرضاه، وقد جعل الزركلي في الأعلام ولادته في/٢٣/ قبل الهجرة الموافقة

لعام/٦٠٠/ م، ووفاته في/٥٥/ هـ الموافقة لـ/٦٧٥/ م .

قرب موعد الفتن الدامية بين المسلمين

١٢٠- عن زينب بنت جحش ﵂ أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ من النوم محمرّاً وجهه يقول: (لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وعقد سفيان تسعين أو مائة، قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم، إذا كثُر الخَبث) . وفي رواية: إن رسول الله ﷺ دخل عليها فزعاً يقول...الحديث، وفيه (أفنهلك) بدلاً من (أنهلك) ، وحلّق بإصبعيه الإبهام والتي تليها- بدلاً من- وعقد...أو مائة -، وعند الترمذي- وعقد عشراً- . وقد جاءت الروايات جميعها عند مسلم . - البخاري في الفتن باب قول النبي ﷺ: ويل للعرب من شر قد اقترب، وفي باب يأجوج ومأجوج، وفي بدء الخلق باب قصة يأجوج ومأجوج، وفي باب علامات النبوة في الإسلام، وفي غير ذلك، ومسلم في الفتن وأشراط الساعة باب اقتراب الفتن، والترمذي في الفتن باب خروج يأجوج ومأجوج حديث/٢١٨٨/- .

الخبث: الفسوق والفجور والزنى، ويراد به الزنى على الأغلب، حلّق: جعل إصبعه كالحلقة، عقد عشراً: جعل رأس إصبعه السبابة في وسط إصبعه الإبهام من باطنها شبه الحلقة وكانت هذه الإشارة تعبر عن الرقم عشرة، وعقد تسعين: مثلها إلا أنها أضيق منها حتى لا يبين في الحلقة إلا خلل يسير .

١٢١- عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (ويل للعرب من شر قد اقترب، أفلح من كف يده) - أبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم/ ٤٢٤٩ / وإسناده صحيح، وله شواهد في الصحيحين، ورواه الإمام أحمد في مسنده: /٢/ وقد شك الراوي في رفعه إلى رسول الله ﷺ، ولكنه جاء مرفوعاً كما رأينا-.

١٢٢- عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: استيقظ رسول الله ليلة فزعاً يقول:

(سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن- وفي نسخة: ماذا أنزل الليلة- وماذا أنزل من الفتن؟ من يوقظ صواحب الحجرات- أو: صواحباتَ الحجر- رب- أو: يا رب- كاسية في الدنيا عارية في الآخرة) - الإمام مالك في الموطأ: كتاب الجامع حديث/١٦٥٢/، والبخاري في الفتن باب لا يأتي زمان إلا الذي بعده شر منه، وفي العلم باب العلم والعظة بالليل، وفي الجمعة باب تحريض

النبي ﷺ على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، وفي غير ذلك، والترمذي في الفتن باب ما جاء ستكون فتن...حديث/٢١٩٧/- أراد رسول الله ﷺ إيقاظ نسائه لكي يسارعن إلى الصلاة اتقاء للفتن.

١٢٣- عن عديسة بنت أهبان بن صيفي الغفاري قالت: جاء علي إلى أبي فدعاه إلى الخروج معه، فقال له: إن خليلي وابن عمك عهد إلي إذا اختلف الناس أن أتخذ سيفاً من خشب، فقد اتخذته، فإن شئت خرجت به معك . فتركه .- الترمذي في الفتن باب رقم/٣٣/ حديث/٢٢٠٤/ وقال: هذا حديث حسن غريب . وهو كما قال، وقال: وفي الباب عن محمد بن مسلمة، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٦٩/٥و ٣٩٣/٦/ من حديث عديسة و٢٢٥/٤ من حديث محمد بن مسلمة-.

١٢٤- عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فنزلنا منزلاً، فمنا من يصلح خباءه، ومنا من ينتضل، ومنا من هو في جشره إذ نادى منادي رسول الله ﷺ: الصلاة جامعة . فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: (إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقاً عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم، وإن أمتكم هذه جُعِل عافيتها في أولها وسيصيب آخرها بلاء- عند أحمد: بلاء شديد- وأمور تنكرونها، وتجيء فتنة فيرقّق بعضهم بعضاً، وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه- عند أحمد: هذه مهلكتي. ثم تنكشف، ثم تجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه . ثم تنكشف- فمن أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه إن استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) - مسلم في الإمارة باب الأمر بالوفاء ببيعة...، والإمام أحمد في مسنده: ٢ /١٦١و١٩١/، وابن ماجه في الفتن باب ما يكون من الفتن حديث٣٩٥٦: ٢/١٣٠٦و١٣٠٧، وأبو داود مختصراً في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها حديث/٤٢٤٨/، والنسائي مختصراً في البيعة باب ما على من بايع الإمام..: ٧/ ١٥٢و١٥٣ /- هذه هذه: جاء في رواية الإمام أحمد (هذه مهلكتي) وهذا يفسر المعنى المقصود .

١٢٥- عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: كنا عند رسول الله ﷺ فذكر فتنة عظّم أمرها، فقلنا- أو: قالوا-: يا رسول الله لئن أدركتنا هذه لَنَهْلِكَنَّ، فقال رسول الله ﷺ: (كلا، إن بحسبكم القتل) قال سعيد: فرأيت إخواني قتلوا- أبو داود في

الفتن باب ما يرجى في القتل رقم/٤٢٧٧/، وإسناده صحيح كما قال عبد القادر الأرناؤوط — .

١٢٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: (هي هرب وحرب، ثم فتنة السّراء دَخَنُها من تحت قدمي رجل من أهل بيتي، يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كَوَرِكٍ على ضلع، ثم فتنة الدُّهَيماء لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) — أبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم/٤٢٤٢/ وإسناده صحيح، والحاكم بسند صحيح، والإمام أحمد في المسند/٢/، وهو حديث صحيح —.

الأحلاس: شبه هذه الفتنة بالأحلاس وهي جمع حلس، وهو كساء يكون على ظهر البعير لدوام هذه الفتنة ولزومها، هرب وحَرَب: نهب مال الناس وتركهم لا شيء عندهم، كورك على ضلع: أي مُعْوَجّ، الدهيماء: الفتنة السوداء العمياء التي تقتل كثيراً من البشر دون حق ودون بصيرة، ويختلط فيها الحق بالباطل فيصعب التمييز بينهما عند بعض الناس ويغرق كثير منهم في الضلال ويبيعون دينهم ما بين عشية وضحاها أي يفعلون أفاعيل تخرجهم من الإسلام وتدفعهم إلى الخلود في النار الفسطاط: الخيمة والمدينة، والمقصود هنا معسكر.

١٢٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: (تكون أربع فتن: الأولى يستحل فيها الدم، والثانية يستحل فيها الدم والمال، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفرج، والرابعة الدجال) — الطبراني-.

١٢٨- عن كرز بن علقمة الخزاعي رضي الله عنه قال رجل: يا رسول الله هل للإسلام من منتهى؟ قال: (أيما أهل بيت من العرب أو العجم أراد الله بهم خيراً أدخل عليهم الإسلام) قال: ثم مه؟ قال: (ثم تقع الفتن كأنها الظلل) قال: كلا والله إنشاء الله قال: (بلى، والذي نفسي بيده، ثم تعودون فيها أساود صباً يضرب بعضكم رقاب بعض) — الإمام أحمد في مسنده: /٣/- أساود صباً: الحية السوداء القادرة على الانتصاب والوثب .

١٢٩- عن أبي ذر الغفاري قال: دعاني رسول الله ﷺ، فقلت: لبيك . فقال: (كيف أنت إذا أصاب الناس موت يكون البيت فيه بالوصيف- يعني: القبر؟) قلت: الله ورسوله أعلم، قال: (عليك بالصبر) . قال حماد: فبهذا قال من قال بقطع يد النباش لأنه دخل على الميت بيته.- رواه أبو داود في الحدود باب في قطع يد النباش رقم/٤٤٠٩/، وفي سنده مشعث بن طريف لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات.

١٣٠- عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يكون في هذه الأمة أربع فتن، في آخرها القتل) - أبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم/٤٢٤١/، وفي سنده رجل مجهول، وقد جاء الحديث هكذا في جامع الأصول/١٠/٣١رقم/٧٤٨٦/، أما في نسخ أبي داود المطبوعة فقد ورد (في آخرها الغناء) ، والمرجح أن الكلمة الأصلية هي الفناء وقد صحِّفت -.

١٣١- عن أم مالك البهزية رضي الله عنها قالت: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، قالت: قلت: يا رسول الله من خير الناس فيها؟ قال: (رجل في ماشية يؤدي حقها ويعبد ربه، ورجل آخذ برأس فرسه يخيف العدو ويخوفونه) - الترمذي رقم/ ٢١٧٨/ في الفتن باب ما جاء كيف يكون الرجل في الفتنة، وفي سنده جهالة، وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وقال أيضاً: وفي الباب عن أم مبشر وأبي سعيد الخدري وابن عباس، وقال عبد القادر الأرناؤوط: وللفقرة الأولى منه شاهد عند البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وللفقرة الثانية منه شاهد عند الترمذي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فالحديث حسن بشواهده، وقال المنذري: ورواه ليث بن أبي سليم عن طاووس عن أم مالك.

١٣٢- عن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: وايم الله لقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن السعيد لمن جنب الفتن) قالها ثلاثاً (ولمن ابتلي فصبر، فواهاً) - أبو داود رقم/٤٢٦٣/ في الفتن باب في النهي عن السعي في الفتنة، وإسناده صحيح- وواهاً: هنا تفيد التفجع والتحسر على ما سوف يحل بالمسلمين والله أعلم .

١٣٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: (فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا- وعقد وهيب تسعين) - الإمام أحمد في مسنده: /٢/، والبخاري في الأنبياء باب: ويسألونك عن ذي القرنين، وفي الفتن باب يأجوج ومأجوج، ومسلم في الفتن باب اقتراب الفتن .

ومر بنا الحديث ٩٧ برواية الترمذي وهو صحيح أن رسول الله ﷺ ذكر الفتن فقرّبها، ثم قال عن عثمان بن عفان ﷺ (هذا يومئذ على الهدى) ، لقد أنبأنا رسول الله ﷺ بأن فتناً دامية ستقع بين المسلمين، وأنها ستقع عما قريب، ووجّه المسلمين إلى ضرورة اعتزالها، وطلب من بعضهم بصورة إفرادية أن يعاهدوه على عدم الاشتراك في الفتن الدامية التي ستقع بين المسلمين وأن يعتزلوا الناس ويتخذوا سيوفاً من خشب وهذا يعني ألا يقاتلوا فيها، وطلب منهم ألا يقتلوا أحداً، وأن عليهم أن يكونوا مقتولين فيها لا قاتلين إذا اضطروا، وقد مرت بنا طائفة أخرى من الأحاديث في بحث ابتلاء عثمان ﷺ.

وقد وقعت هذه الفتن الدامية في عهد سيدنا عثمان ﷺ وانتهت بمقتله، واستمرت في عهد علي ﷺ إلى أن انتهت بمقتله أيضاً، وأخبر رسول الله ﷺ بأن فتناً دامية سوف تحل بين المسلمين بعد موته، وأخبر في هذه الأحاديث وفي غيرها أن بعض أصحابه سوف يُقتلون وأن الفتن الدامية سوف تقع بعد موته وسوف تزداد بعد موت أصحابه وأن القتل بين المسلمين سوف يستمر إلى قيام الساعة.

وأود أن أنبه إلى أن رسول الله ﷺ يأمر المسلمين باعتزال الفتن حينما تقع بين طائفتين مسلمتين متمسكتين بالإسلام بصورة واضحة، أما حينما يكون القتال بين طائفة مسلمة وطائفة كافرة أو مشركة أو منافقة أو فاسقة فعلى المسلمين أن ينحازوا إلى الطائفة المسلمة ويقاتلوا معها، وكل من يتخلف عن الجهاد في مثل هذا الموقف لا يقبل منه إيمان ولا إسلام ويكون من أصحاب النار المخلدين فيها، ولذلك كان على المسلمين أن يشرعوا أسلحتهم ويقتلوا الثائرين على عثمان ﷺ، ولكنهم غفر الله لهم لم يتبينوا حقيقة الثائرين على عثمان وظنوهم مسلمين فالتزموا أوامر رسول الله ﷺ حيث أمر باعتزال الفتن وعدم قتل المسلمين، وقد أمر المسلمين بأن يرتضوا لأنفسهم القتل فإن أرغمهم أحد على الاشتراك في القتال وجرهم إلى وسط ميدان المعركة فعليهم أن يقفوا دون حراك حتى يأتيهم سهم فيقتلهم وإن اقتحم أحد عليهم ببيوتهم فعليهم أن يستسلموا للقتل، وفي هذه الأحاديث إجابة لمن يسأل عن الرجل الذي يأتمر بأوامر كافرين أو فاسقين ويقتل مسلمين لا يستحقون القتل في الشريعة الإسلامية، فهذا الرجل يكون من الخالدين في النار ولا ينفعه القول بأنه عبد مأمور وأنه لا يستطيع مخالفة الأوامر ولا تنفعه أمثال هذه المزاعم التي يكذب بها على نفسه، فلا طاعة

لمخلوق في معصية لخالق، إن عليه أن يفر وأن ينضم إلى طائفة المسلمين إن وجدت أو أن يعتصم بجبل أو بمغارة أو ببيت غير معروف وأن يقتل ما يستطيع من الكافرين باستمرار، وإذا لم يتمكن من مطاولتهم والإغارة على جنودهم وأنصارهم باستمرار فعليه أن يواجههم بالقوة فيقتل ما يستطيع قتله قبل أن يُقتل، وفي هذا يكون قد أثبت بالعمل أنه مسلم صادق الإيمان.

لقد أمر الله عز وجل بقتال الطائفة المؤمنة الباغية حتى ترجع عن بغيها ، فإن لم ترجع وجب استئصالها، فغير المسلمين أولى بالقتل وبعدم الإذعان لهم.

تحذير المسلمين من أن يرجعوا كفاراً يقتل بعضهم بعضاً

١٣٤ - عن أبي بكرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان، أي شهر هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال: (أليس ذا الحجة؟) قلنا: بلى. قال: (أي بلد هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس البلدة الحرام؟) قلنا: بلى . قال: (فأي يوم هذا؟) قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: (أليس يوم النحر؟) قلنا: بلى قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلّغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى من بعض من سمعه) ثم قال: (ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟) قلنا: نعم . قال: (اللهم اشهد) - البخاري في الحج باب الخطبة أيام منى، وفي الأضاحي وفي التفسير وفي بدء الخلق وفي الفتن وفي العلم، ومسلم في القسامة باب تحريم الدماء وأبو داود في الحج باب الأشهر الحرم-.

١٣٥ - عن عبد الله بن عباس ﷺ أن رسول الله ﷺ خطب الناس يوم النحر فقال: (يا أيها الناس، أي يوم هذا؟) قالوا: يوم حرام . قال: (وأي بلد هذا؟) قالوا: بلد حرام . قال: (فأي شهر هذا؟) قالوا: شهر حرام . قال: (فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا) فأعادها مراراً، ثم رفع رأسه فقال: (اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟) قال ابن عباس: فوالذي نفسي بيده إنها لوصيته إلى أمته: (فليبلغ الشاهد

الغائب، لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) – البخاري في الحج باب الخطبة أيام منى-.

١٣٦- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ قال: (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) - البخاري في الفتن باب لا ترجعوا بعدي كفاراً، والترمذي رقم/٢١٩٤/-.

١٣٧- روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال في حجة الوداع: (ويحكم- أو: ويلكم- لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) وقد جاءت هذه العبارة في حديث أبي بكرة مرفوعاً، ورواه أيضاً عن ابن عباس مرفوعاً وفيه (لا ترتدّوا) بدلاً من (لا ترجعوا) ، ورواه عن جرير بن عبد الله البجلي مرفوعاً، كل هذا في الفتن باب قول النبي ﷺ: لا ترجعوا بعدي كفاراً..، ورواه في الحدود وفي الديات وفي الحج وفي المغازي وفي الأدب، ورواه مسلم في الإيمان باب لا ترجعوا بعدي كفاراً..عن جرير وعن ابن عمر، وأبو داود في السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه عن ابن عمر رقم/ ٤٦٨٦/، والترمذي عن ابن عباس في الفتن باب ما جاء لا ترجعوا بعدي كفاراً..حديث/٢١٩٤/، والنسائي عن ابن عمر وابن مسعود وجرير بن عبد الله البجلي في تحريم الدم باب تحريم القتل ١٣٦/٧و١٢٧و١٢٨، والإمام أحمد في مسنده: /٢/ عن ابن عمر-.

١٣٨- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع: (ألا أي شهر تعلمونه أعظم حرمة؟) قالوا: ألا شهرنا هذا، قال: (ألا أي بلد تعلمونه أعظم حرمةً؟) قالوا: ألا بلدنا هذا. قال: (ألا أي يوم تعلمونه أعظم حرمةً؟) قالوا: ألا يومنا هذا . قال: (فإن الله تبارك وتعالى قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم إلا بحقها كحرمة يومكم هذا في بلدكم هذا في شهركم هذا، ألا هل بلّغت؟) – ثلاثاً – كل ذلك يجيبونه: ألا نعم. قال: (ويحكم- أو: ويلكم- لا ترجعن بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) – البخاري في الحدود باب ظهر المؤمن حمىً، وفي الديات باب قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْيَاهَا ﴾ ، وفي الحج باب الخطبة أيام منى، وفي المغازي باب حجة الوداع، وفي الفتن باب قول النبي ﷺ (لا ترجعوا بعدي كفاراً) وفي الأدب باب قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ ﴾ ، وأخرجه مسلم بنحوه في

الإيمان باب قول النبي ﷺ (لا ترجعوا بعدي كفاراً) ، وأخرجه أبو داود في السنة باب الدليل على زيادة الإيمان رقم/٤٦٨٦/، وأخرجه البخاري في الحج باب الخطبة في أيام منى عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما-.

يحذّر رسول الله ﷺ المسلمين بعامة والعرب بخاصة من أن يرجعوا كفاراً يضرب بعضهم رقاب بعض، ولكن تحذير رسول الله ﷺ في هذا الحديث الصحيح المتواتر وتحذيراته في أحاديث أخرى مر بنا بعضها وسيمر بنا آخر ذهبت أدارج الرياح، ولم يأخذ بها سوى طائفة من الصحابة ﷺ، فلقد عاد العرب إلى صراعاتهم القبلية، وجدّت صراعات أخرى حول الزعامة والمغانم والمكاسب الدنيوية، فوقعت خلال التاريخ وما تزال تقع مجازر تقشعر الأبدان من بشاعتها، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

١٣٩- عن أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون فتن، ألا ثم تكون فتنة، القاعد فيها خير من الماشي فيها، والماشي فيها خير من الساعي إليها، ألا فإذا نزلت - أو وقعت - فمن كان له إبل فليلحق بإبله، ومن كان له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه) قال: فقال رجل يا رسول الله أرأيت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض؟ قال: (يعمد إلى سيفه فيدق على حده بحجر ثم لينج إن استطاع النجاء، اللهم هل بلّغت؟ اللهم هل بلغت؟ اللهم هل بلغت؟) قال: فقال رجل: يا رسول الله أرأيت إن أكرهت حتى ينطلق بي إلى أحد الصفين أو إحدى الفئتين، فضربني رجل بسيفه أو يجيء سهم فيقتلني؟ قال: (يبوء بإثمه وإثمك ويكون من أصحاب النار) - البخاري في الفتن باب تكون فتنة القاعد..، ورواه بإسنادين آخرين وقف فيهما عند (إن استطاع النجاء) ولم يذكر ما بعدها، وروى مسلم الروايتين في الفتن باب نزول الفتن، ورواه أبو داود في الفتن باب النهي عن السعي في الفتنة حديث/٤٢٥٦/ بلفظ (إنها ستكون فتنة المضطجع فيها خير من الجالس، والجالس فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي) قال: يا رسول الله فما تأمرني؟ قال: (من كانت له إبل فليلحق بإبله، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه) قال: فمن لم يكن له شيء من ذلك؟ قال: (فليعمد إلى سيفه فليضرب بحده على حرّة ثم لينجُ ما استطاع النجاء) .

١٤٠- عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: يا رسول الله أرأيت إن دخل علي بيتي وبسط يده ليقتلني؟ قال ﷺ: (كن كابن آدم القائل: لئن بسطت إلي يدك

لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك) – أبو داود في الفتن باب النهي عن السعي في الفتنة حديث/٤٢٥٧/، وهو صحيح–.

١٤١ – عن سعد بن أبي وقاص ﷺ أنه قال: أشهد أن رسول الله ﷺ قال: (إنها ستكون فتنة، القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي) قال: أفرأيت إن دخل بيتي فبسط يده ليقتلني؟ قال: (كن كابن آدم) – الإمام أحمد في مسنده: /١/١٨٥/، والترمذي في الفتن باب ما جاء أن تكون فتنة.. حديث/٢١٩٥/ وهو حديث صحيح–.

١٤٢ – عن عمرو بن وابصة بن معبد الأسدي عن أبيه أن عبد الله بن مسعود ﷺ زاره في الكوفة وكان مما حدثه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تكون فتنة، النائم فيها خير من المضطجع، والمضطجع فيها خير من القاعد، والقاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الراكب، والراكب خير من المُجْري، قتلاها كلها في النار) قلت: يا رسول الله ومتى ذلك، قال: (ذلك أيام الهرج) قلت: ومتى أيام الهرج؟ قال: (حين لا يأمن الرجل جليسه) قلت فما تأمرني إن أدركت ذلك؟ قال: (اكفُف نفسك ويدك وادخل دارك) قلت: يا رسول الله أرأيت إن دخل علي رجل داري؟ قال: (فادخل مسجدك واصنع هكذا) وقبض بيمينه على الكوع وقال: (و قل: ربي الله حتى تموت على ذلك) – الإمام أحمد في المسند١/٤٤٨، وعبد الرزاق في مصنفه في كتاب الجامع باب الفتن حديث٢٠٧٢٧: ١١/٣٥٠، والحاكم في الفتن باب ذكر الهرج٤/٤٢٦و٤٢٧، ورواه أبو داود بنحو ذلك في الفتن باب النهي عن السعي في الفتنة حديث ٤٢٥٨ بإسناد فيه القاسم بن غزوان لم يوثقه غير ابن حبان وباقي رجاله ثقات وفيه إجابة سؤال: فما تأمرني إن أدركني ذلك الزمان؟ قوله ﷺ: (تكفُّ لسانك ويدك وتكون حِلساً من أَحْلاس بيتك) وفيه عن الفتنة (قتلاها كلهم في النار) ، وفيه فلما قتل عثمان طار قلبي مطاره فركبت حتى أتيت دمشق، فلقيت خُرَيْمَ بن فاتك فحدثته فحلف بالله الذي لا إله إلا هو لسَمِعتُهُ من رسول الله ﷺ كما حدثنيه ابن مسعود– الحلس: هو ما يبسط في البيت من حصير ونحوه تحت كريم المتاع، ويقال هو حلس بيته أي لا يبرحه، والمقصود أنه يلزم بيته ولا يبرحه في أوقات الفتن بين المسلمين، والحِلس في الأصل هو الكساء الذي يكون على ظهر البعير .

هذا الحديث هو عن الفتنة التي ستكون بعد قيام الخلافة الراشدة في

الشام، والله أعلم، حيث يتنازع أبناء خلفاء على الخلافة، فقتلى مثل هذه الفتنة كلهم في النار، وكذلك قتلى كل فتنة تحدث بين المسلمين من أجل الحصول على السلطة والمغانم الدنيوية أو غير ذلك ما لم يكن فيها طرف مؤمن وطرف فاسق، فحينما يكون القتال بين مؤمنين وفاسقين يكون القتال فرضاً على كل مؤمن ومن يتخلف عن القتال لا يقبل منه إيمان .

١٤٣- عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في الفتنة:

(كَسِّروا فيها قِسِيَّكُم وقطعوا فيها أوتاركم والزموا فيها أجواف بيوتكم وكونوا كابن آدم) – الترمذي بسند صحيح في الفتن باب رقم٣٣حديث٢٢٠٥-.

١٤٤- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ستكون فتن- أو: فتنة-، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرّف لها تستشرفه، فمن وجد فيها- أو منها- ملجأ أو معاذاً فليعذ به) – البخاري في الفتن باب تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، و الإمام أحمد في مسنده: ٢ ومسلم في الفتن باب نزول الفتن كمواقع المطر وفيه (و من وجد فيها ملجأ فليعذ به) وعنده رواية بهذا اللفظ (تكون فتنة، النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الساعي، فمن وجد ملجأ أو معاذاً فليستعذ) -.

١٤٥- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً) – سقط هنا كلام وبمقارنة هذا الحديث بغيره يتبين أن ما سقط هو (تكون فتنة) ونواصل سرد الحديث: (القاعد فيها خير من القائم، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم وقطعوا أوتاركم واضربوا سيوفكم بالحجارة فإن دُخِلَ على أحد منكم فليكن كخير ابني آدم) – أبو داود في الفتن باب النهي عن السعي في الفتنة حديث٤٢٥٩ و٤٢٦٢ وهو حديث صحيح، ولكنه يجمع حديثين عن خبرين، أولهما عن فتنة الدهيماء التي تقع قبل ظهور الدجال، والثاني عن فتنة عائشة والزبير وطلحة مع علي أو علي مع معاوية وما يشبههما، وقد تبينت ذلك من خلال المقارنة مع أحاديث أخرى صحيحة .

١٤٦- عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (يأتي على الناس زمان تكون الغنم خير مال المسلم يتبع فيها شَعَفَ الجبال – وفي نسخة: سعف

الجبال وهو تصحيف- في مَواقع- وفي نسخة: ومواقع – القطر يفر بدينه من الفتن) وفي رواية: (يوشك أن يكون خير مال المسلم غنم يتبع.. الحديث) - البخاري في الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، وفي الإيمان وفي الفتن وفي الرقاق والإمام مالك في الموطأ في الجامع في الاستئذان باب ما جاء في أمر الغنم٢/٩٧٠، والإمام أحمد في مسنده: ٣، وأبو داود في الفتن باب ما يرخص رقم: ٤٢٦٧، و النسائي في الإيمان باب الفرار بالدين من الفتن٨/١٢٣ و١٢٤- شَعَف وشِعاف وشُعوف: رؤوس الجبال . مفردها شعَفة . وَصْفُ الفتنة بالعمى يعني أنها تقتل الناس دون تمييز أي تقتل حتى من لا يشارك فيها فهي كالعمياء تقتل كل من تلتقيه ويختلط فيها الحق بالباطل . ووصفها بالصمم دلالة على أن المشاركين يطحن بعضهم بعضاً دون أن يكترثوا بالدعوات التي تدعو إلى الرجوع إلى الدين وإلى المصالحة والكف عن إراقة الدماء، والوصفان يدلان أيضاً على شدة الفتنة وضراوتها .

لقد أخبر الرسول ﷺ في هذه الأحاديث وفي غيرها بأنه ستقع بين المسلمين فتن دامية، وأمر المسلمين بعدم الاشتراك في هذه الفتن واعتزالها والفرار منها، وأمر المسلم بعدم قتل المسلم وأن يلتزم هذا الأمر مهما حدث، فهو يطلب منه إذا سيق مرغماً إلى ساحة القتال أن يقف حتى يصاب ويُقتَل، وإذا دخل عليه أحد في بيته يريد قتله فعليه ألا يمد إليه يده بسوء وأن يستسلم للقتل، ويطلب منه عدم الاشتراك في هذه الفتنة بمختلف الوسائل فلا يبدي فيها أي نشاط ولا يشارك فيها بالكلام المهيج والمحرض ولا يزود طرفاً بسلاح أو طعام أو كساء أو أداة نقل ، وباختصار يجب أن يكون كأي شيء جامد لا روح فيه وكأية قطعة من أثاث بيته، وكل من يشارك في مثل هذه الفتنة يكون في النار.

هذه الأوامر الصارمة يجب أن يلتزمها المسلم في أية فتنة تقوم بين المسلمين في سبيل أهداف دنيوية كالفتن التي كانت تقع في سبيل الوصول إلى السلطة في بداية العهد الأموي وفي نهايته، وكالفتنة العظمى التي انتهت بالإطاحة بالأمويين وإقامة الدولة العباسية، وكالفتن التي وقعت في سبيل الصراع على منصب الخلافة أو على غيره خلال العصر العباسي وغيره، وكالفتن التي كان يقوم بها العلويون، أما حينما يكون القتال بين طائفة مؤمنة وطائفة كافرة أو مشركة أو فاسقة فيجب على المسلم أن ينحاز إلى الفريق المؤمن، أما من يقاتل مع الطائفة الأخرى فهو من أهل النار ولن ينفعه أن يقول إنه عبد مأمور مسلوب

الإرادة ضعيف لا يستطيع رفض الأوامر، فمثل هذه الحجج لا قيمة لها عند الله تعالى، لقد قام الاستعمار الفرنسي والإنكليزي وغيرهما بحشد المسلمين وأمروهم بقتال مسلمين في بلدان أخرى وكان على هؤلاء أن ينحازوا إلى المسلمين أو أن يقوموا بمساعدة المسلمين سراً وهم في جيش المشركين، فلهم أن يقتلوا من يستطيعون قتله وأن يسمموا طعامهم وماءهم وأن يسرقوا أسلحتهم وأن يفعلوا أي شيء فيه مناصرة للمسلمين وإضعاف للمشركين، ويمكنهم أن يوجهوا رصاصهم إلى جنود الكافرين خلال المعركة ولكن لا يحل لهم أبداً أن يوجهوا رصاصهم إلى مسلمين وإذا فعلوا فهم من أهل النار لأنه لا يحل قتل المسلم إلا إذا قتل مسلماً بغير وجه حق أو ارتد عن دينه أو زنى بعد إحصان أو عاث في الأرض فساداً.

المسلمون يقتل بعضهم بعضاً

١٤٨- عن عائشة رضي الله عنها قالت : دخل علي رسول اله ﷺ وهو يقول: (يا عائشة قومك أسرع بي لحاقاً) قالت : فلما جلس قلت : يا رسول الله جعلني الله فداءك، لقد دخلت وأنت تقول كلاماً ذعرني قال: (وما هو؟) قالت: تزعم أن قومي أسرع أمتك بك لحاقاً . قال: (نعم) قلت: وعمّ ذلك ؟ قال: (تستحلهم المنايا وتنفس عليهم أمتهم)قالت: فكيف الناس بعد ذلك؟ قال: (دبىً يأكل شدادُه ضعافَه حتى تقوم الساعة) - الإمام أحمد في مسنده : ٨١/٦ - الدبى: هي الجنادب التي لم تنبت أجنحتها، و الجنادب: جمع جندب وهو نوع من الجراد .

١٤٩- عن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية حتى إذا مر بمسجد بني معاوية دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه ودعا ربه طويلاً، ثم انصرف إلينا فقال ﷺ : (سألت ربي ثلاثاً ، فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة ، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة فأعطانيها ، وسألته أن لا يهلك أمتي بالغرق فأعطانيها وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها) - مسلم في الفتن باب هلاك هذه الأمة -.

١٥٠- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ ﴾ قال: (أعوذ بوجهك) ﴿ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قال: (أعوذ بوجهك) قال: فلما نزلت: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ قال رسول الله ﷺ: (هاتان أهون- أو أيسر-) - البخاري

في تفسير سورة الأنعام باب قوله ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ ...﴾ وفي الاعتصام باب قول الله تعالى: ﴿ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا ﴾ وفي التوحيد باب قوله تعالى: ﴿ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ﴾، والترمذي في التفسير: ومن سورة المائدة رقم ٣٠٦٧ والطبري بنحوه رقم١٣٣٦٦- يلبسكم شيعاً: الشيع: جمع شيعة وهي الفرقة من الناس، واللبس: الخلط.

والمراد أنه يجعلكم فرقاً مختلفين متنافرين.

١٥١- عن سلمة بن نفيل السكوني التراغمي الكندي ﷺ قال: كنت جالساً عند رسول الله ﷺ فقال رجل: يا رسول الله أذال الناسُ الخيلَ ووضعوا السلاح، قالوا: لا جهاد، قد وضعت الحرب أوزارها. فأقبل رسول الله ﷺ بوجهه وقال: (كذبوا، الآن جاء القتال، ولا تزال من أمتي أمة يقاتلون على الحق، ويزيغ الله لهم قلوب أقوام، ويرزقهم منهم حتى تقوم الساعة، وحتى يأتي وعد الله، الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة، وهو يوحى إليَّ أني مقبوض غير ملبَّث وأنتم تتبِعوني أفناداً يضرب بعضكم رقاب بعض، وعُقرُ دار المؤمنين الشام) - الإمام أحمد في مسنده٤/٢١٤ و٢١٥، والنسائي في الخيل٦/٢١٤و ٢١٥، وإسناده صحيح- . أفناد: جماعات متفرقون، قومُ بعد قوم ذوو عجز وكفر للنعمة وخطل رأي وفساد تدبير وربما تضمنت معنى الخرف والكذب .

١٥٢- عن عبد الله بن عبد الله بن جابر بن عتيك رحمه الله قال: جاءنا عبد الله بن عمر في بني معاوية- وهي قرية من قرى الأنصار- فقال: هل تدرون أين صلى رسول الله ﷺ في مسجدكم هذا؟ فقلت له: نعم. وأشرت إلى ناحية منه، فقال لي: هل تدري ما الثلاث التي دعا بهن فيه؟ قلت: نعم. قال: فأخبرني بهن . فقلت: دعا بأن لا يُظهر عليهم عدواً من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين، فأعطيهما، ودعا بأن لا يجعل بأسهم بينهم، فمُنعها. قال: صدقت. قال ابن عمر: فلا يزال الهرج إلى يوم القيامة .- الإمام مالك في الموطأ في الصلاة باب ما جاء في الدعاء٥٠٣ وإسناده صحيح-.

١٥٣- عن خباب بن الأرت ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة فأطالها فقالوا: يا رسول الله صليت صلاة لم تكن تصليها؟ قال: (أجل إنها صلاة رغبة ورهبة إني سألت الله فيها ثلاثاً فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة، سألته أنه لا يهلك أمتي بسنة فأعطانيها، و سألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم

فأعطانيها وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها) هذه رواية الترمذي، ورواية النسائي هي: أن خباباً رقب رسول الله ﷺ في ليلة صلاها، فلما فرغ من صلاته جاءه خباب، فقال: يا رسول الله بأبي أنت وأمي لقد صليت الليلة صلاة ما رأيتك صليت نحوها؟ قال رسول الله ﷺ : (أجل إنها صلاة رغب ورهب سألت ربي عز وجل ثلاث خصال فأعطاني اثنتين ومنعني واحدة سألت ربي أن لا يهلكنا بما أهلك به الأمم فأعطانيها وسألت ربي أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها وسألت ربي أن لا يُلبسنا شيعاً فمنعنيها) - الترمذي رقم٢١٧٦ في الفتن باب ما جاء في سؤال النبي ﷺ ثلاثاً في أمته وقال هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال، ورواه النسائي٣ /٢١٧ في قيام الليل باب إحياء الليل-.

١٥٤- عن أنس بن مالك ﷺ قال: رأيت رسول الله ﷺ في سفَر صلى سبحة الضحى ثمان ركعات فلما انصرف قال: (إني صليت صلاة رغبة ورهبة سألت ربي عز وجل ثلاثاً فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت أن لا يبتلي أمتي بالسنين ففعل، وسألت أن لا يُظهر عليهم عدوهم ففعل، وسألته أن لا يلبسهم شيعاً فأبى عليَّ) - الإمام أحمد في مسنده٣/١٤٦، والحاكم١/٣١٤، وابن خزيمة ١٢٢٨، ورجاله ثقات عدا الضحاك بن عبد الله فإنه مجهول وقد صححه الحاكم ووافقه الذهبي-.

لقد صلى النبي ﷺ من صلاة رغبة ورهبة، فقد كان يخشى تعالى ويرغب في رحمته وكرمه، وهذا ما يجب أن يكون عليه حال المؤمن دائماً، فيجب ألا تفارق فؤاده خشية الله تعالى وألا يقنط من رحمة الله الواسعة وجوده الفياض ونصره وتأييده ، وينبغي على المؤمن أن يدعو ربه باستمرار، فالدعاء عبادة إذا كان من مؤمن صادق الإيمان مستعيذ بالله عز وجل بصدق وبخشوع وبخوف واثق بأن الله تعالى وحده القادرعلى أن يغيثه، وينبغي على المؤمن أن يصلي قبل الدعاء ركعتين على الأقل بخشوع كما فعل النبي ﷺ القدوة، وينبغي عليه أن يحمد الله تعالى ويجله ويعظمه ثم يصلي على النبي ﷺ ثم يدعو بما يشاء، فلقد ذكر أحد الصحابة ﷺ أنهم كانوا يدعون الله عز وجل في كل شأن ، من شؤون حياتهم وأن بعضهم كان يقول : (اللهم زوجني فلانة) وهذا يدل على أنهم كانوا يدعونه في أمور الدنيا والآخرة معاً.

ولقد دعا النبي ﷺ بعد صلاته بأن يعطيه الله ثلاثة أمور: الأول: ألا يهلك الأمة الإسلامية بعقوبة كما أهلك قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وسواهم من

الأقوام الأخرى دفعة واحدة في لحظة واحدة، فاستجاب الله عز وجل واعطاه هذا الأمر، ولله الحمد على هذه النعمة العظمى. والثاني: إلا يسلط عليهم عدواً من غيرهم. وقد أعطاه الله تعالى هذا الأمر أيضاً واستجاب دعاءه، ولقد تعرض المسلمون لاجتياحات ضارية شرسة، كان من أعظمها اجتياح المغول والتتار ثم هجوم أوربا باسم الحروب الصليبية، ثم اجتياحات الأوربيين لبلدان المسلمين في القرنين التاسع عشر والعشرين، ولم تتمكن أي أمة من البقاء فوق أراضي المسلمين والتحكم برقابهم، فلقد أندحرت هذه الأمم برغم كثرة جيوشها وكثرة عتادها وكثرة أموالها ، ولن تستطيع أية أمة مهما بلغت عظمة جيوشها وعتادها وأموالها أن تبقى فوق أراضي المسلمين وأن تستعبدهم والحمد لله على هذه النعمة العظمى.

والثالث: أن لا يجعل الله عز وجل بأس المسلمين فيما بينهم أي ألا يقتل بعضهم بعض ولم يستجب الله عز وجل دعاء نبيه الأعظم هذا لأنه يعلم أن المسلمين كثيرين سوف يمرقون مروقاً كاملاً من الدين وأنهم سوف يجاهرون بالمعاصي يعملون بها علانية وعدم استجابة الله عز وجل لنبيه محمد ﷺ هذا الدعاء شبيه بعدم استجابته لدعاء مشابه دعا به إبراهيم خليل الله عليه الصلاة والسلام فلقد قال الله عز وجل ﴿ ۞ وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ - البقرة٢: ١٢٤ -.

فالمارقون من الدين غير مشمولين برحمة الله تعالى ونصره وكرمه، بل هم معرضون لغضبه ولسخطه ولعقابه في الدنيا والآخرة معاً، قال الله تعالى لسيدنا نوح عليه الصلاة والسلام ﴿ وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَـٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾ - هود١١: ٣٧- فالله تعالى لا يستجيب الدعاء للرحمة بالعصاة المارقين ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ - هود١١: ٤٥، ٤٦ - فالدعاء للعصاة المارقين معصية حذرا الله عز وجل

من إتيانها، ولقد جعل للعصاة عذاباً دنيوياً يخزيهم به إضافة إلى عذاب أخروي أشد وأخزى، ولقد جعل رحمته وجوده ونصره وتأييده لمن يطيعه ويطبق أوامره في الحياة الدنيا، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ ﴾ - نوح٧١: ١ إلى ٤-.

ففي طاعة الله عز وجل أمان من سخطه وعقابه، وقال عز وجل ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ۝ ﴾ - يونس١٠: ٧٣-فلقد أغرق الله عز وجل العصاة ونجى المؤمنين المطبقين لشريعته المنصاعين لطاعته وغمرهم بكرمه وبجوده وأعزهم وجعلهم خلفاء في الأرض يحكمونها .

وإنه لمن العجيب أن يضعف إيمان البشر وإخلاصهم لله تعالى وأن يتخلوا عن طاعته فيما أمر شيئاً فشيئاً وأن يقترفوا المعاصي شيئاً فشيئاً مبتدئين بالمعاصي الصغرى إلى أن يصلوا إلى اقتراف المعاصي الكبرى دون خوف من الله تعالى بعد مضي زمن على بعثة كل نبي وعلى بطشة الله عز وجل العظمى بعصاة قومه، مع أن الله تعالى قد أنعم على البشر بعقول تفكر وتتدبر وتتأمل وتستخلص العبر وتعرف أن عمر الإنسان في الدنيا قصير وأن عليه أن يسعى بكل ما يملك من قوة للحصول على نعيم الآخرة وهو نعيم العظيم المقيم الخالي من الأحزان والعذاب والمنغصات .

فالعرب بخاصة والمسلمون بعامة سوف يسيرون على الطريق الذي سارت عليه الأقوام الغابرة الهلكى ، فقد جاء في الحديث الصحيح رقم ١٢٠عن زينب بنت جحش رضي الله عنها أنها قالت: استيقظ النبي ﷺ محمراً وجهه يقول : (لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر اقتراب، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه) وعقد تسعين أو مائة – أي ضم السبابة إلى الأبهام مصوراً بالإصبعين ثقباً صغيراً – قيل: أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: (نعم إذا كثرالخبث) .أي .مجاهرة الله عز وجل بارتكاب الفواحش وسائر المعاصي .

وجاء في الحديث الصحيح رقم ١٢٤ الذي يصور كثرة الفتن الدامية

والقتل الذي يتفشى بين العرب بخاصة والمسلمين بعامة (وتجيء الفتنة فيقول هذه هذه) وعند الإمام أحمد (هذه مهلكتي) وهما بمعنى واحد، وهذا يصور عظمة كل فتنة وخطورتهاوشدة ضراوتها وانعدام الأمن حتى أن كل مؤمن يظن أنه سوف يقتل فيها دون أن يكون مشتركاً بها، وقد مرت هذه الفتن وما زالت.

وقد ذكر النبي ﷺ في أحاديثه الشريفة إضافة إلى القرآن الكريم أسباب العذاب الدنيوي، ومما قاله عن أسباب كثرة القتل بين المسلمين ما جاء في الحديث ٤٩٦: (ما نقص قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الموت) وفي الحديث ٤٩٧ (ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدواً من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم) وفي الحديث ٤٩٩ (ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ، ولا قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو) وفي الحديث ٥٠٠ (ولا حكم أمراؤهم بغير ما أنزل الله إلا سلط عليهم عدوهم فاستنفذوا بعض ما في أيديهم، وما عطلوا كتاب الله وسنة نبيه إلا جعل الله بأسهم بينهم) وفي الحديث ٥٠١ (ما نقص قوم العهد إلا كان القتل بينهم، ولا ظهرت الفاحشة في قوم إلا سلط الله عليهم الموت) .

ويبدو مما سبق أن إعراض المسلمين عن الالتزام الصادق بدينهم يؤدي مما يؤدي إلى تسلط العدو عليهم وسيطرته على بعض بلدانهم وأن عدم تحكيم الشريعة يؤدي إلى اقتتالهم فيما بينهم وكثرة القتل بأيديهم.

قال تعالى ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ - الأعراف ٧: ٩٦- وقال عز وجل: ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ -الحج٢٢، ٤٠: ٤١- وقال جل جلاله: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾ - هود١١: ١١٧-.

وينبغي الإشارة إلى أن قتل المؤمن الصادق الإيمان عمداً وزر عظيم لا ترجى له مغفرة، قال الله عز وجل: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ

خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ ﴾ - النساء ٤: ٩٣.

فلقد صرح الله عز وجل بخلوده في جهنم كالكفار وصرح بنزول غضب الله عليه، وغضبه عز وجل ينزل على الكفار، ثم إن اللعن لا يكون إلا على الكافر، ثم إن عبارة (أعدّ الله عذاباً عظيماً) تعني أنه يحل به عذاب أعظم من عذاب الكفار خصّ به الله عز وجل أهل المعاصي العظيمة، فهذه الألفاظ المرعبة لا توحي بقبول توبة لمقترف هذه المعصية والجريرة العظمى.

ومعلوم أن هذه الآية قد نزلت بحق مِقيس بن صُبابة الليثي الكناني بعد غزوة بني المصطلق أواخر السنة السادسة للهجرة فقد قتل رجل من الأنصارهشام بن صبابة في الغزوة المذكورة وهو يظنه كافراً، وبعد الغزوة جاء أخوه مقيس إلى المدينة يتظاهر بالإسلام وطلب دية أخيه وقبضها ثم إنه قتل قاتل أخيه وفر إلى مكة، فأمر النبي ﷺ بقتله يوم فتح مكة وإن كان ممسكاً بثوب الكعبة مع من أمر بقتلهم من الرجال والنساء وتم قتله.

عن سعيد بن جبير رحمه الله قال: قلت لابن عباس: ألمن قتل مؤمناً متعمداً من توبة؟ قال: لا. فتلوت عليه هذه الآية التي في الفرقان ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ...﴾ إلى آخر الآية، قال: هذه آية مكية نسختها آية مدنية ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ ﴾ ، وفي رواية قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن، فرحلت فيه إلى ابن عباس، فقال: نزلت في آخر ما نزل ولم ينسخها شيء.

وفي أخرى: قال ابن عباس: نزلت هذه الآية بمكة ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ إلى قوله ﴿ مُهَانًا ﴾ فقال المشركون: وما يُغني عنا الإسلام وقد عدلنا بالله، وقد قتلنا النفس التي حرم الله وأتينا الفواحش.

فأنزل الله عز وجل ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ إلى آخر الآية- الفرقان ٧٠- زاد في رواية: فأما من دخل في الإسلام وعقله ثم قتل فلا له- البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، وفي تفسير سورة النساء باب ومن مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم،

وفي تفسير سورة الفرقان ﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ وباب ﴿ يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾ وباب ﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ . ومسلم في التفسير، وأبو داود رقم ٤٢٧٣ و٤٢٧٤ و٤٢٧٥ في الفتن باب تعظيم قتل المؤمن، والنسائي ٨٥/٧ و٨٦ في تحريم الدم باب تعظيم الدم-.

وقد رأى كثير من العلماء أن باب التوبة مفتوح وأن الله عز وجل قد يغفر هذه المعصية، وإذا صحّ ذلك فإن هذا الوزر يبقى من الأوزار العظيمة التي لا يطمئن الإنسان إلى عفو الله عنها.

ولقد وقع ما أخبرنا به رسول الله ﷺ، فقد أعرض المسلمون عن تحكيم الشريعة في قضاياهم ومنازعاتهم فسلط عليهم العدو واغتصب أجزاء كثيرة من بلدانهم، وأعرض كثير من المسلمين عن التزام أوامر الله ورسوله فجعل الله عز وجل بأسهم بينهم وكثر قتل المؤمنين على أيدي رجال محسوبين على الإسلام لأسباب كثيرة تندرج كلها في باب الصراع على الدنيا، وقد يقع القتل أحياناً لأسباب تافهة، ولن يصلح أمر آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أمر أولها، ولا خروج من النكبات إلا بالتزام الإسلام وتحكيمه في أمور الحياة كلها.

الزبير يقاتل علياً وهو ظالم له

١٥٥- قال الحافظ ابن كثير: روى الحافظ أبو يعلى الموصلي فقال: حدثنا أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الدوري حدثنا أبو عاصم عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي عن جده عبد الملك عن أبي حزم المازني قال: شهدت علياً والزبير حين توافقا: فقال له علي: يا زبير أنشدك الله أسمعت رسول الله ﷺ يقول: إنك تقاتلني وأنت ظالم؟ قال: نعم لم أذكره إلا في موقفي هذا . ثم انصرف. وقد رواه البيهقي عن الحاكم عن أبي الوليد الفقيه عن الحسن بن سفيان عن قطن بن بشير عن جعفر بن سليمان عن عبد الله بن محمد بن عبد الملك بن مسلم الرقاشي عن جده عن أبي حزم المازني عن علي والزبير به .

١٥٦- وقال عبد الرزاق: حدثنا معمر عن قتادة قال: لما ولى الزبير يوم الجمل بلغ علياً فقال: لو كان ابن صفية يعلم أنه على حق ما ولى وذلك أن رسول الله ﷺ لقيهما في سقيفة بني ساعدة فقال: (أتحبه يا زبير؟) فقال: وما يمنعني؟ قال: (فكيف بك إذا قاتلته وأنت ظالم له؟) قال: فيرون أنه إنما ولى

لذلك . قال البيهقي: وهذا مرسل، وقد روي موصولاً من وجه آخر: أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسن القاضي حدثنا أبو عامر بن مطر حدثنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن سوار الهاشمي الكوفي حدثنا منجاب بن الحارث حدثنا عبد الله بن الأجلح حدثنا أبي عن مرثد الفقيه عن أبيه. قال: وسمعت فضل بن فضالة يحدث عن حرب بن أبي الأسود الدؤلي- دخل حديث أحدهما في حديث صاحبه- قال: لما دنا علي وأصحابه من طلحة والزبير، ودنت الصفوف بعضها من بعض خرج علي وهو على بغلة رسول الله ﷺ فنادى: ادعوا لي الزبير بن العوام فإني علي فدعي له الزبير فأقبل حتى اختلفت أعناق دوابهما فقال علي: يا زبير نشدتك الله أتذكر يوم مر بك رسول الله ﷺ ونحن في مكان كذا وكذا فقال: (يا زبير ألا تحب علياً؟) فقلتَ: ألا أحب ابن خالي وابن عمتي وعلى ديني؟ . فقال ﷺ: (يا زبير أما والله لتقاتلنه وأنت ظالم له) فقال الزبير: بلى، والله لقد نسيته منذ سمعته من رسول الله ﷺ ثم ذكرته الآن، والله لا أقاتلك. وقد انسحب من القتال ومضى إلى المدينة المنورة، لكن عمرو بن جرموز وفضالة بن حابس ونفيع بن غولة، وهم من أجلاف الأعراب، وكلهم من تميم، تبعوه، وقد اغتاله عمرو بن جرموز وهو قائم يصلي في وادي السباع على بعد سبعة فراسخ من المدينة المنورة، وعاونه فضالة ونفيع، وعاد إلى علي ؓ يبتغي العطاء والمكافأة، فوقف على بابه في صلف وقال لحاجبه: استأذن لقاتل الزبير. فقال علي: ائذن له وبشره بالنار. وهذه البشارة سمعها علي من رسول الله ﷺ كما قال، ونظر علي ؓ إلى سيف الزبير وقال: هذا سيف طالما فرج الكرب عن رسول الله ﷺ .

وقد كان قتله في جمادى الأولى وربما كان في العاشر منه كما في أسد الغابة سنة٣٦ هـ، وله من العمر ست أو سبع وستون سنةً، ولكن الزركلي جعل ولادته سنة٢٨ق هـ= ٥٩٤م، ووفاته في ٣٦هـ= ٦٥٦ م فيكون عمره أربعاً وستين سنةً وفق التقويم الهجري وهو يوافق ما يستخلص من بعض الأقوال التي قيلت عن عمره حينما آمن .

والزبير بن العوام الأسدي القرشي ؓ ابن عمة رسول الله ﷺ صفية بنت عبد المطلب ؓ، ومن السابقين إلى الإسلام، وهو أسد من أسود الله وسيف من سيوفه المسلولة البتارة وأحد الأبطال البواسل وهو أول من سلَّ سيفاً في سبيل الله عز وجل، وكان حينما يقاتل العدو يخترق صفوفه دائماً بسبب جرأة عظيمة وقوة جسدية خارقة تمتع بهما وإيمان راسخ مكين يغذيهما ويلهبهما،

وكان في جسده وفي صدره بخاصة ثقوب مثل العيون من طعنات الرماح والسيوف وكان بعضها تدخل فيه إصبعان كما روى عروة بن الزبير وقد اخترق ﷺ صفوف جيش الروم العظيم يوم اليرموك حتى خرج من الجانب الآخر، ثم اخترقه ثانية، وهذا عمل لا يجرؤ عليه ولا يستطيعه رجل فوق ظهر الأرض كلها، ولا يهم به سوى من كان صادق الإيمان .

وكان الزبير ممن هاجر إلى الحبشة وإلى المدينة المنورة، وشهد بدراً وأحداً والخندق، وغير ذلك من المشاهد، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله ﷺ، وهو أحد المبشرين بالجنة، وأحد حواريي النبي ﷺ، لذلك يعجب المرء من اجتراء علج أثيم على قتل مثل هذا المؤمن الصالح، ولكن ألم يقل الله تعالى: ﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا ﴾ أي خضعنا للمسلمين بسبب قوتهم وظهورهم، .

وإن مما يحز في النفس أن معظم مآسي الأمة قد جاءت من أجلاف البدو أو بسببهم قديماً وحديثاً وكان الزبير تاجراً محظوظاً يربح كثيراً في تجارته، وقد سئل: بم أدركت في التجارة ما أدركت؟ فقال: لأني لم أشتر غبناً ولم أرد ربحاً والله يبارك لمن يشاء .

وإنني ألفت نظر التجار إلى معاني إجابة الزبير، فلقد رأيت تجاراً يبخسون الناس أشياءهم ويبذلون جهودهم لشراء الحاجات من الناس بثمن بخس، ويبيعونها بأرباح فاحشة، وإني أنبههم إلى المبدأين اللذين التزمهما الزبير في تجارته، فهو يشتري الشيء بثمنه الذي يستحقه، ولا يبغي الحصول على الأرباح الفاحشة، والله سبحانه وتعالى يبارك له في رزقه .ويسوق إليه الأرباح الجزيلة سوقاً.

ولكن الزبير كان بحراً فياضاً من الكرم، وكان يقضي حاجات الناس ويتفقد فقراءهم فيعينهم، لذلك مات وعليه ديون عظيمة بسبب جوده المفرط الواسع، وأوصى ابنه عبد الله بأن ينادي: يا مولى الزبير. كلما ضاقت به الأمور، وكثرت عليه المطالب، وقد انفرجت الكروب وسددت الديون وفاضت أمواله المباركة بعد موته رحم الله الزبير ورضي عنه وأرضاه .

إيقاع الفتن بين المهاجرين

جاء في الحديث الصحيح قول رسول الله ﷺ : (إذا فتحت عليكم

فارس والروم أي قوم أنتم؟) قال عبد الرحمن بن عوف ﷺ: نكون كما أمرنا الله عز وجل . قال رسول الله ﷺ : (أو غير ذلك تتنافسون ثم تتحاسدون ثم تتدابرون ثم تتباغضون ثم تنطلقون في مساكين المهاجرين فتحملون بعضهم على رقاب بعض) – رواه مسلم .

وجاء في الحديث١٤٨ باب المسلمون يقتل بعضهم بعضاً قول رسول الله ﷺ: (يا عائشة قومك أسرع بي لحاقاً.. تستحلهم المنايا وتنفّس عليهم أمتهم) – رواه الإمام أحمد-.

صدق رسول الله ﷺ ، فقد وقع ما أخبرنا به، لقد فتح المسلمون فارس والروم، وأصابهم خير كثير، وأصبحوا أغنياء، وانتشر بينهم التنافس والتحاسد والتدابر والتباغض، وهذا وصف دقيق لما حصل في خلافة عثمان بن عفان ﷺ في موقف بعض الناس منه ومن ولاته، وحينما انتشرت هذه الأمراض بين المسلمين، أو بين فريق منهم، انطلقوا إلى المهاجرين فحملوهم على محاربة بعضهم، ولقد حدث كل هذا في عهد عثمان، وانطلق أهل الكوفة يحثون الزبير ﷺ على تسلم الخلافة، وأهل البصرة يحثون طلحة بن عبيد الله ﷺ، وأهل مصر يحثون علي بن أبي طالب ﷺ، وقد فعلوا ذلك قبل مقتل عثمان وخلال محاصرته وبعد مقتله، وأحكموا نسج المكائد والدسائس حتى حملوا المهاجرين على قتال بعضهم، فكانت موقعة الجمل المؤلمة التي كان ضحاياها ثلاثة عشر ألف قتيل، على رأسهم الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله رضي الله عنهما، ثم كانت موقعة صفين التي كانت جراحها أعمق في القلوب، وكانت هذه الفتن الدامية تحصد رقاب المهاجرين وأبناءهم كما تحصد شفرات الحصادات سنابل القمح، وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

اقتتال فئتين عظيمتين من المسلمين

١٥٧- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان- وفي رواية: فئتان من المسلمين- وتكون بينهما مقتلة عظيمة، ودعواهما واحدة) – البخاري في الفتن باب خروج النار، وفي الأنبياء باب علامات النبوة..، وفي استتابة المرتدين، ومسلم في الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، وفي الفتن باب إذا تواجه المسلمان بسيفيهما، والإمام أحمد في مسنده: ٢-.

وقد مر بنا الحديث٣١ برواية البخاري ومسلم: (لا تقوم الساعة حتى تقتتل

فئتان عظيمتان يكون بينهما مقتلة عظيمة دعوتهما واحدة) . وأشارت الأحاديث الصحيحة التي جاءت عن مقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما من١٥٩ إلى١٦٤ إلى أن عمار بن ياسر تقتله الفئة الباغية، وسوف يأتي ذكر القتال في الأحاديث الواردة في باب الخوارج، فقد جاء في الحديث١٦٨ برواية مسلم: (يكون في أمتي فرقتان فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق) وسوف يأتي في باب الحسن رضي الله عنه يصلح بين فئتين من المسلمين الحديث١٦٧ (ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) . وفي رواية (فئتين عظيمتين) - برواية البخاري وغيره.

لقد أنبأنا رسول الله ﷺ بأن قتالاً سوف يكون بين فئتين عظيمتين من المسلمين وسيكون بينهما مقتلة عظيمة، ولقد وقع ما أخبر عنه رسول الله ﷺ ، فلقد أخبر عن الحرب بين علي ومعاوية وقد بلغت ذروتها في موقعة صفين أواخر سنة٣٦ وأوائل سنة٣٧ هجرية التي وقعت قرب مدينة الرقة في سورية على شاطئ نهر الفرات في مكان اسمه صفين، ولقد اختلف في تقدير عدة الجيشين نظراً لضخامتهما، واختلف في تقدير عدة القتلى نظراً لكثرتهم وقد ذكر المسعودي في مروج الذهب٢/٣٨٤ الخلاف وقال عن عدة جيش علي: والمتفق عليه من قول الجميع تسعون ألفا. وقال عن عدة جيش معاوية: والمتفق عليه من قول الجميع خمسة وثمانون ألفاً. وقال عن عدة الجيشين والقتلى: ٢/٤٠٤ و٤٠٥: وقد تنوزع في مقدار من قتل من أهل الشام والعراق بصفين فذكر أحمد بن الدورقي عن يحيى بن معين أن عدة من قتل بها من الفريقين في مائة يوم وعشرة أيام مائة ألف وعشرة آلاف من الناس من أهل الشام تسعون ألفاً ومن أهل العراق عشرون ألفاً. ونحن نذهب إلى أن عدد من حضر الحرب من أهل الشام بصفين أكثر مما قيل في هذا الباب، وهو خمسون ومائة ألف مقاتل سوى الخدم والأتباع، وعلى هذا يجب أن يكون مقدار القوم جميعاً من قاتل منهم ومن لم يقاتل من الخدم وغيرهم ثلاثمائة ألف، بل أكثر من ذلك، لأن أقل من فيهم معه واحد يخدمه، وفيهم من معه الخمسة والعشرة من الخدم والأتباع وأكثر من ذلك، وأهل العراق كانوا في عشرين ومائة ألف مقاتل دون الأتباع والخدم .

وأما الهيثم بن عدي الطائي وغيره مثل الشرقي بن القطامي وأبي مخنف لوط بن يحيى فذكروا ما قدمنا، وهو أن جملة من قتل من الفريقين جميعاً

سبعون ألفاً، من أهل الشام خمسة وأربعون ألفا، ومن أهل العراق خمسة وعشرون ألفاً، فيهم خمسة وعشرون بدرياً، وأن العدد كان يقع بالتقصي والإحصاء للقتلى في كل وقعة، وتحصيل هذا يتفاوت، لأن في قتلى الفريقين من يُعرف ومن لا يُعرف، وفيهم من غرق، وفيهم من قُتل في البر فأكلته السباع فلم يدركهم الإحصاء، وغير ذلك مما يَعْتَوِرُ ما وصفنا.

وجاء في تاريخ أبي الفداء١/١٧٤ أحداث سنة٣٧ : وكانت بينهم وقعات كثيرة بصفين، قيل: كانت تسعين وقعة، وكان مدة مقامهم بصفين مائة وعشرة أيام، وكان عدةُ القتلى بصفين من أهل الشام خمسة وأربعين ألفاً، ومن أهل العراق خمسة وعشرين ألفا، منهم ستة وعشرون رجلاً من أهل بدر. واختار ابن الوردي١/٢٤٠ ما ذكره أبو الفداء.

وهكذا نرى أن رسول الله ﷺ قد صدق فيما أخبر عنه، وهو الصادق المصدق دائماً وأبداً، ونرى من خلال استعراض الأحاديث النبوية أنه بيَّنَ فيها بوضوح وجلاء أن طائفة علي هي على الحق وأن الطائفة الأخرى على الباطل، وإذا كان معاوية حين ذكروا له أن رسول الله ﷺ قد أخبر عن عمار بن ياسر بأن الفئة الباغية هي التي تقتله قال: لقد قتله من أحضره إلى القتال فماذا يقال في الأحاديث التي وردت بشأن الفئة المارقة وإخبار رسول الله ﷺ بأنه تقتلها أولى الطائفتين بالحق وقد قتلتها طائفة علي ﷺ .

رفع المصاحف في صفين

١٥٨ قال السيوطي في تاريخ الخلفاء-١٦٢-: أخرج أحمد والحاكم بسند صحيح عن ابن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال لعلي: (إنك تقاتَلُ على القرآن كما قاتلت على تنزيله) لعل هذا الحديث يخبر كما يبدو عن قضية رفع المصاحف في موقعة صفين، فلقد انتصر جيش علي ﷺ وأوشك جيش معاوية أن ينهزم، فاقترح أحدهم فكرة شيطانية، ويقال إنها فكرة الداهية عمرو بن العاص ﷺ، وهي أن يرفع جيش معاوية القرآن الكريم على رؤوس رماحهم ويقولون: - هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم، من لثغور الشام بعد أهله ؟- أي بعد مقتل أهله- من لثغور العراق بعد أهله؟ فلما فعلوا ذلك قال أناس في جيش علي: نجيب إلى كتاب الله فطلب منهم علي ألا ينخدعوا برفع المصاحف على الرماح، فهو قد طلب من خصومه أن يحتكموا إلى القرآن الكريم قبل القتال فأبوا وأصروا على القتال في سبيل الدنيا لا في سبيل الله، ولما أوشكوا أن

ينهزموا رفعوا المصاحف خديعة ومكيدة . فقال له مسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي في عصابة من القراء الذين صاروا خوارج فيما بعد: يا علي أجب إلى كتاب الله عز وجل إذ دعيت إليه وإلا دفعناك برمَّتك إلى القوم أو نفعل بك ما فعلنا بابن عفان . وفرضوا على سيدنا علي أن يتوقف جيشه عن القتال وأرسلوا من يسأل معاوية عما يريد، فاقترح أن يرسل حكماً ويرسل علي حكماً ويتفق الرجلان على ما يرَيانه، وفرض القراء على علي قبول الاقتراح.

وفرضوا عليه أن يكون أبو موسى الأشعري ﷺ ممثلاً له في الاحتكام مع أنه ليس أهلاً لمثل هذا الموقف، وكانوا يهددون علياً بالانشقاق عنه ومحاربته فأذعن لطلبهم مكرهاً حفاظاً على وحدة الجيش، ولكن حِلمه هذا لم ينفع فقد انشق القراء عنه بعد اتفاق الحكمين ، فقد شعروا بأنهم قد خدعوا، وهكذا قاتلوا علياً باسم القرآن أيضاً.

وهكذا صدق قول رسول الله ﷺ، فقد قوتل علي باسم القرآن والإسلام من قبل أنصار معاوية ومن قبل القراء الذين خرجوا من جيشه، وأطلق عليهم تسمية الخوارج كما قاتل المشركين من قبل حينما كان القرآن يتنزل على رسول الله ﷺ، وكان يقاتل آنذاك لنشر الدعوة الإسلامية، أما مع أنصار معاوية والخوارج بخاصة فقد صاروا يقاتلون على أساس أنهم هم المؤمنون الذين يؤمنون بالقرآن ويسيرون على أحكامه في طريق الهدى وعلى أساس أنه هو الضال الخارج على أحكام القرآن والإسلام .

مقتل عمار بن ياسر في فتنة دامية

١٥٩- عن أبي الأسود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ويح عمار تقتله الفئة الباغية، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) - البخاري في الجمعة باب ثناء الناس على الميت، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٣ بهذا اللفظ عن أبي سعيد الخدري ﷺ-.

١٦٠- عن عكرمة مولى ابن عباس ﷺ قال: قال لي ابن عباس ولابنه علي: انطلقا إلى أبي سعيد فاسمعا من حديثه. فانطلقنا، فإذا هو في حائط يصلحه، فأخذ رداءه فاحتبى ثم أنشأ يحدثنا حتى أتى على ذكر بناء المسجد، فقال: كنا نحمل لبنة لبنة وعمار يحمل لبنتين، فرآه النبي ﷺ، فجعل النبي ﷺ ينفض التراب عنه ويقول: (ويح عمار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) قال: ويقول عمار: أعوذ بالله من الفتن- رواه البخاري في الصلاة باب التعاون

في بناء المساجد، وفي الجهاد -.

١٦١- عن أم سلمة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ لعمار: (تقتلك الفئة الباغية) وفي رواية (تقتل عماراً الفئة الباغية) - مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل .

١٦٢- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أخبرني من هو خير مني أبو قتادة أن رسول الله ﷺ قال لعمار حين جعل يحفر الخندق وجعل يمسح رأسه ويقول: (بؤس ابن سمية، تقتلك فئة باغية) - رواه مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل..، والإمام أحمد في مسنده-٣- بلفظ :(ويحك يا بن سمية تقتلك الفئة الباغية) -.

١٦٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لعمار: (أبْشر عمار، تقتلك الفئة الباغية) - الترمذي في المناقب باب مناقب عمار بن ياسر رضي الله عنهما رقم٣٨٠٢، .

وهو حديث صحيح، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب ، وقال: وفي الباب عن أم سلمة وعبد الله بن عمر وأبي اليسر وحذيفة. وقال الحافظ ابن حجر: روى حديث (تقتلك الفئة الباغية) جماعة من الصحابة منهم: قتادة بن النعمان وأم سلمة عند مسلم وأبو هريرة عند الترمذي، وعبد الله بن عمرو بن العاص عند النسائي، وعثمان بن عفان وحذيفة وأبو أيوب وأبو رافع وخزيمة بن ثابت ومعاوية وعمرو بن العاص وأبو اليسر وعمار نفسه وكلها عند الطبراني وغيره، وغالب طرقها صحيحة أو حسنة، وفيه عن جماعة آخرين يطول عددهم-.

١٦٤- عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ لعمار: (ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية) - الإمام أحمد في مسنده: ٢-.

أسلم عمار بن ياسر رضي الله عنهما مع صهيب بن سنان الرومي رضي الله عنه مع السابقين إلى الإسلام، وتعرض مع صهيب وآل ياسر لتعذيب شديد من طغاة قريش، وبشرهم الرسول ﷺ بالجنة، وهاجر إلى المدينة، وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، واشترك في حفر الخندق وفي بناء مسجد الرسول، وكان الرجال يحملون لبنة لبنة بينما هو يحمل لبنتين لبنتين لبناء المسجد، فقال له رسول الله ﷺ: (تقتلك الفئة الباغية) وقال هذا المعنى أيضاً خلال حفر الخندق، وقد ورد عند ابن سعد أنه قال له هذه العبارة أيضاً حينما

كان يعذب في مكة، وحينما كان يحفر الخندق، وحينما كان يحمل اللبنات لبناء المسجد، وقد رواها عدد كبير من الصحابة رضوان الله عليهم، ووصلتنا تلك الروايات بطرق صحيحة، وقد وقف عمار مؤيداً لعلي بن أبي طالب ﷺ في مواقفه كلها، وعمل على إقناع الناس بمبايعته في المفاوضات وفي الحرب، وقد قتل ﷺ في صفين، وكان قد أتي بلبن فضحك وقال: قال لي رسول الله ﷺ: (إن آخر شراب تشربه لبن حتى تموت) وقتل وهو يومئذ ابن أربع وتسعين أو إحدى وتسعين، أو ابن ثلاث وتسعين وهو الأرجح، وقد قتله أبو غادية المزني، واحتز آخر رأسه، ويقال إنه اشترك ثلاثة في قتله هم: عقبة بن عامر الجهني وعمر بن الحارث الخولاني وشريك بن سلمة المرادي، ويقال إن الذي قتله هو أولهم، ويقال بل ثانيهم، ويقال اشترك في قتله: حوي السكسكي وأبو الغادية المزني، ونُقلت عن الأخير روايات يصرح فيها بقتله لعمار بن ياسر، هذا ما ذكره ابن سعد ولم يجزم باسم قاتل عمار، وذكر ابن كثير الأقوال السابقة ولم يرجح قولاً- انظر: الطبقات الكبرى ٢٤٦/٣، والكامل في التاريخ: حوادث سنة: ٣٧ ، والاستيعاب ٤٧٦/٢، والإصابة٥١٢/٢، وذكر أن عمره ثلاث وتسعون سنة، وأسد الغابة ٤٣/٤، وحلية الأولياء١٣٩/١، وقد أخرج جميعهم أقوال رسول الله ﷺ في مقتل عمار.

موازنة بين علي ومعاوية

يخشى بعض المسلمين من إقامة موازنة بين علي ومعاوية واستخلاص حكم قاس على معاوية لأنه صحابي من كتاب الرسول ﷺ، مع أنهم متفقون جميعاً على تفضيل علي، أما بالنسبة للخلاف فيقول هؤلاء الخائفون: لقد اجتهد الصحابة المتحاربون وطلبوا الخلافة ليس عن حب للدنيا وإنما لأن كلاً منهم يرى أنه أقدر من غيره على خدمة الإسلام، والله سبحانه يفصل بينهم يوم القيامة، وهذا الكلام ينطبق على خلاف طلحة والزبير مع علي، ولكنه لا ينطبق أبداً على عصيان معاوية، لأن معاوية كان يسعى إلى الدنيا، وكان يسعى إلى التمتع بالملك والسلطان، ولقد قام في خلافته بأعمال حسنة أرجو أن تكفّر له سيئاته، أما في مجال الموازنة في خلافه مع علي فكفة علي هي الراجحة في كل شيء على الإطلاق، وسوف أقتصر على ذكر الأمور الهامة:

١- إن علي بن أبي طالب أسن من معاوية، فعلي ولد سنة-٢٣ قبل الهجرة وتوفي سنة-٤٠ للهجرة وتوافق-٦٠٠-٦٦١ للميلاد، أما معاوية فقد ولد سنة٢٠

قبل الهجرة وتوفي سنة-٦٠ للهجرة وتوافق ٦٠٣ –٦٨٠ للميلاد ، ومعروف في شروط التفاضل أنه إذا تساوى الرجلان في كل شيء تكون الأفضلية للأسن ما لم يبلغ مرحلة الخرف أو العجز.

٢- وعلي بن أبي طالب من بيت النبوة فهو ابن عم الرسول ﷺ، وهذه ميزة عظمى إذا اجتمعت مع الإيمان الراسخ الصادق، وقد اجتمعتا في علي.

٣-وعلي بن أبي طالب زوج أحب الخلق إلى رسول الله ﷺ وهي سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وهذه ميزة عظمى.

٤- وعلي كرم الله وجهه أقدم إسلاماً من معاوية، فهو أول من آمن من الصبيان مع خديجة وأبي بكر، أما معاوية فقد أسلم يوم فتح مكة، فهو من الطلقاء، وهذه ميزة عظمى لعلي، وقد وردت صريحة ساطعة في القرآن الكريم، قال الله تعالى: ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ﴾ - الحديد٥٧/١٠- وهذه الميزة وحدها كافية للفصل بين الرجلين لأن الله تعالى هو الذي قضى بذلك بصريح العبارة بأن علياً ومعاوية لا يستويان .

٥- ولعلي أيضاً ميزة الهجرة، وهي ميزة عظمى، قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ - التوبة ٩/٢٠-.

٦- وعلي من أوائل المسلمين الذين التفوا حول رسول الله ﷺ معرضين أنفسهم لأشد المخاطر وقد امتدحهم الله تعالى في قرآنه وأعلن أنه رضي عنهم ورضوا عنه قال الله تعالى: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ التوبة ٩/١٠٠ وهذه ميزة عظمى.

٧- له ميزة الاشتراك في غزوة بدر، وهذه ميزة عظمى .

٨- له ميزة الاشتراك في غزوة أحد والثبات حول رسول الله ﷺ، وهذه

ميزة عظمى .

٩- له ميزة الاشتراك في بيعة الرضوان، وهذه ميزة عظمى، يقول الله تعالى: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ﴾ .

وإنزال السكينة والإثابة يدلان على أن الله تعالى قد علم ما في قلوبهم من إيمان راسخ وقد صرح بذلك .

١٠- له ميزة الاشتراك في غزوات وسرايا رسول الله ﷺ التي وقعت قبل إسلام معاوية المتأخر.

١١- وعلي شهيد ومعاوية ليس بشهيد، والشهادة ميزة عظمى .

١٢- وعلي أحد المبشرين بالجنة ومعاوية ليس مبشراً بالجنة .

١٣- وصحبة رسول الله ﷺ على درجات، وهذا أمر بالغ الأهمية، ويجب أن ينتبه إليه المسلمون .

١٦٥-عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تسبّوا أصحابي فلو أن أحَداً أنفق مثل أحُد ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه) وفي رواية قال: كان بين خالد بن الوليد وبين عبد الرحمن بن عوف شيء، فسبه خالد، فقال رسول الله ﷺ: (لا تسبوا أصحابي ...الحديث) - البخاري في فضائل أصحاب النبي ﷺ باب قول النبي ﷺ : لو كنت متخذاً خليلاً، ومسلم في فضائل الصحابة باب تحريم سب الصحابة ﷺ، وأبو داود رقم٤٦٥٨ في السنة باب النهي عن سب أصحاب النبي ﷺ ، والترمذي رقم ٣٨٦٠ في المناقب باب فيمن سب أصحاب النبي ﷺ-.

فإذا كان هناك بَوْن شاسع بين عبد الرحمن بن عوف ﷺ أحد السباقين الأوائل إلى الإسلام وأحد المبشرين بالجنة وبين خالد بن الوليد ﷺ الذي آمن بعد الحديبية أي قبل معاوية فكم تكون المسافة بين علي ومعاوية ؟ ولخالد على معاوية فضل السبق إلى الإسلام واعتناق الإسلام عن طواعية وله فضل الاشتراك في الجهاد قبل معاوية وله فضل لقب سيف الله المسلول، وله أجر الهجرة قبل فتح مكة.

١٤- ثم إن البيعة قد تمت لعلي ﷺ، وهو أمير المؤمنين الشرعي، ولم تثبت عليه معصية صريحة لله تعالى حتى يُخلع، أما معاوية فلا تصح بيعته وعلي

مضطلع بأعباء الخلافة، وحُكمه في الإسلام أن يُقتل.

١٥- وقد تم ترشيح علي للخلافة من قبل عمر بن الخطاب ﷺ، وهذه ميزة عظمى .

١٦- ثم إن الأحاديث النبوية تنصُ بصورة قاطعة على أن علياً على حق ، وأن جيش معاوية هو (الفئة الباغية) - والبغي هو الظلم والفساد والكبر والاستطالة على الناس ومجاوزة الحد، كما في لسان العرب، وهذه النعوت تتنافى مع الإيمان الصادق، والبغي من المحرمات، يقول الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ الأعراف ٣٣/٧ ورسول الله يستخدم لغة القرآن حينما يصف جيش معاوية بالبغي .

١٧- وقد جاء في صحيح البخاري عن أبي الأسود ﷺ: (يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار) وكذلك عن عكرمة عن ابن عباس- الحديثان مرا بنا برقم ١٥٩ و١٦٠- وهذه كلمة الفصل في هذه القضية فقد حُكم بصريح القول بأن جيش معاوية هي الفئة الباغية وأنهم في النار وأن أصحاب علي الصادقين المخلصين هم أصحاب الحق ومن أهل الجنة، وهذا ليس بغريب، فقد قُتل في صفين وحدها نحو سبعين ألفاً عدا من قتل في الحروب والمناوشات للاستيلاء على الأمصار قبل صفين وبعدها، وأوزارهم جميعاً في رقبة معاوية الذي أوقد نيران الفتنة طلباً للملك .

١٨- انضمام المؤمنين الصادقي الإيمان من المهاجرين والأنصار إلى جيش علي يشير إلى أنه الأحقّ، فلقد كان معه من أهل بدر سبعون رجلاً، ومن أهل بيعة الرضوان سبعمائة رجل، ومن سائر المهاجرين والأنصار أربعمائة رجل- تاريخ اليعقوبي ١٨٨/٢- بينما لم ينضم إلى معاوية سوى بضعة رجال من الأنصار ليس فيهم واحد ممن عُرفوا بصدق الإيمان وصدق الجهاد .

١٩- أخبر رسول الله ﷺ عن ظهور الخوارج وقال: (-تتولى قتلها أولى الفئتين بالحق) وقد تولى جيش علي.قتلهم .

وأريد أن يعلم المسلمون جميعاً أن كون معاوية قد كتب لرسول الله ﷺ رسائل أو أنه كان من كتاب الوحي فهذه ليست ميزة له، بل إنها ليست دليلاً على إيمان صادق، ولم تُذكر هذه الميزة لا في القرآن ولا في الحديث، فهي ليست

بشيء، والقرآن والحديث يذكران بوضوح وجلاء أن معيار الإيمان الصادق هو التضحية بالنفس وبالمال والنهوض إلى الجهاد كلما دعت الحاجة .

محمد بن مسلمة لا تضره الفتنة

١٦٦- عن ثعلبة بن ضبيعة قال: دخلنا على حذيفة ﷺ فقال: إني لأعرف رجلاً لا تضره الفتنة، قلنا من هو ؟ قال: صاحب ذلك الفسطاط. فخرجنا فإذا فسطاط مضروب، فدخلنا، فإذا فيه محمد بن مسلمة، فسألناه عن ذلك فقال: ما أريد أن يشتمل علي من أمصاركم شيء حتى تنجلي عما انجلت. وفي رواية عن حذيفة قال: ما أحد من الناس تدركه الفتنة إلا أنا أخافها عليه إلا محمد بن مسلمة فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تضرك الفتنة) - أبو داود رقم ٤٦٦٣ و٤٦٦٤ و٤٦٦٥ في السنة باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة، وهو حديث صحيح -.

محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ولد سنة ٣٥ ق.هـ ٥٨٩ م بناء على قول الواقدي، وأسلم على يد مصعب بن عمير ﷺ قبل إسلام سعد بن معاذ ﷺ، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ غير تبوك فقد استخلفه فيها على المدينة، وقد قام بأعمال فدائية تلبية لطلب رسول الله ﷺ، منها قتل الزعيم اليهودي كعب بن الأشرف، فكان سيفاً من سيوف الله وبطلاً جريئاً مقداماً محباً لرسول الله ﷺ، وقد أوصى بأمواله كلها لرسول الله ﷺ إذا قُتل في أُحُد، ولقد وضع نفسه وأمواله في خدمة الدعوة الإسلامية، ولقد قال عنه الرسول ﷺ إنه لن يشترك في الفتن التي سوف تقع بين المسلمين، ولقد صدق رسول الله ﷺ، فلقد بذل محمد بن مسلمة جهده ليصلح الأمور في الفتنة التي وقعت في عهد عثمان ﷺ، وتولى أمر المفاوضة بين عثمان والعصاة المصريين، فلما قتل عثمان اعتزل الناس، وسكن الربذة، وقال ابن عبد البر: وكان ممن اعتزل الفتنة فلم يشهد الجمل ولا صفين، وقد قال ابن حجر في الإصابة: وأخرج ابن شاهين من طريق هشام عن الحسن أن محمد بن مسلمة قال: أعطاني رسول الله ﷺ سيفاً فقال: (-قاتل به المشركين ما قاتلوا فإذا رأيت أمتي يضرب بعضهم بعضاً فائت به أُحُداً فاضرب به حتى ينكسر ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يد خاطئة أو منية قاضية).

واتخذ بعد مقتل عثمان سيفاً من خشب وقال: بذلك أمرني رسول

الله ﷺ .

قال الواقدي: مات بالمدينة في صفر سنة ست وأربعين وهو ابن سبع وسبعين، وأرّخه المدائني سنة ثلاث وأربعين، وقال محمد بن الربيع في صحابة مصر: مات بالمدينة سنة ثلاث وأربعين وله سبع وسبعون سنة، وقال ابن حجر في أسد الغابة: توفي في المدينة سنة ست وأربعين أو سبع وأربعين.

وقيل غير ذلك، قيل كان عمره سبعاً وسبعين سنة، وذكر ابن الأثير أنه مات في صفر سنة ثلاث وأربعين بالمدينة عن سبع وسبعين سنة، وكذا في مجمع الزوائد ٣١٩/٩و ٣٢٠، وهذه السنة توافق ٦٦٣م، وذكر ابن حجر في الإصابة: وقال ابن أبي داود: قتله أهل الشام، وكذا قال يعقوب بن سفيان في تاريخه: دخل عليه رجل من أهل الشام من أهل الأردن وهو في داره فقتله .

ثلاث فتن عظمى

جاء في الحديث ١١ برواية مسلم: ولكن رسول الله ﷺ قال يوماً وهو في مجلس يتحدث فيه عن الفتن ويعُدّهنّ: (منها ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنها فتن كرياح الصيف، منها صغار ومنها كبار).

لقد أخبر رسول الله ﷺ في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى كثيرة عن كثرة الفتن الدامية التي تقع بين المسلمين، وأخبر عن أن بعضها صغير محدود وبعضها كبير، ولقد وقع كل ذلك في بلاد المسلمين بعد وفاته، ولكن رسول الله ﷺ خص بالذكر ثلاث فتن عظيمة لا تكاد تترك إنساناً حياً، وأظن أن المقصود هو الفتنة التي وقعت في آخر خلافة عثمان بن عفان ﷺ إلى حرب علي والزبير وطلحة وعائشة ﷺ إلى حرب علي ومعاوية ثم حرب علي مع الخوارج ثم استتباب الأمر لمعاوية مع استمرار القتل بنشوء الخوارج والشيعة وغيرهما بسبب هذه الفتنة وثورة الحسين وثورة عبد الله بن الزبير ثم الاقتتال القبلي في الشام والجزيرة والعراق وغيرها، فهذه واحدة، والله أعلم، وأما الفتنة الثانية فربما كانت أثناء وقوع الانقلاب العباسي على الأمويين فلقد وقعت مجازر في شرق البلاد على يد جيش العباسيين الذي يقوده أبو مسلم الخراساني، ثم زحفت نيران الفتنة إلى الغرب حتى بلغت الشام، وعكفت السيوف العباسية المتوحشة على حصد رؤوس المسلمين حتى بلغت صعيد مصر وهي تطارد فلول الأمويين وأنصارهم، وأظن أن هذه الفتنة هي الفتنة العظمى في تاريخ العرب والمسلمين، أما الفتنة الثالثة فربما كانت فتنة الدهيماء التي سوف يأتي الحديث عنها فيما بعد، وربما

كانت فتنة أخرى من الفتن التي وقعت بعد ضعف الدولة العباسية .

الحسن يصلح بين فئتين عظيمتين

١٦٧- عن أبي بكرة ﷺ قال: بينما النبي ﷺ يخطب جاء الحسن فقال النبي ﷺ: (ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين) وفي رواية (فئتين عظيمتين) - البخاري في الفتن باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي.. ، وفي الصلح، وفي الأنبياء، وفي فضائل أصحاب النبي ﷺ ، والترمذي في المناقب باب مناقب الحسن والحسين رقم ٣٧٧٥، والنسائي في الجمعة باب مخاطبة الإمام رعيته وهو على المنبر ١٠٧/٣، وأبو داود في السنة باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة رقم ٤٦٦٢، وقال الحافظ ابن كثير: إن الإمام أحمد رواه عن جابر بن عبد الله- البداية والنهاية ٣٦/٨-.

الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، أمه فاطمة الزهراء رضي الله عنها، وهو سيد شباب أهل الجنة عدا عيسى وزكريا عليهما الصلاة والسلام، ولد في النصف من رمضان في السنة الثالثة للهجرة على أرجح الأقوال- الاستيعاب ٣٦٩/١- وقد نَسَبَ هذا التأريخ في الإصابة ٣٢٨/١ إلى ابن سعد وابن البرقي وغير واحد، وقد أخرج هذا التأريخ في أسد الغابة ١٠/٢ عن أبي بكر بن عبد الرحيم الزهري وقال: وقيل وُلد بعد أُحُد بسنة وقيل بسنتين، وجاء في الإصابة: وقيل ولد سنة أربع وقيل سنة خمس، والأول أثبت، أي سنة ثلاث .

قال في أسد الغابة: وكان حليماً كريماً ورعاً، دعاه ورعه وفضله إلى أن ترك الملك والدنيا رغبة فيما عند الله تعالى وكان يقول: ما أحببت أن ألي أمر أمة محمد ﷺ على أن يهراق في ذلك محجمة دم- الاستيعاب- والمحجمة هنا هي الآلة التي يجمع فيها دم الحجامة .

وكان من الذين دافعوا عن عثمان بن عفان ﷺ بسيوفهم، وقُتل علي ﷺ وقد بايعه أربعون ألفاً على الموت، وكان ذلك لثلاث عشرة ليلة بقيت من رمضان سنة أربعين، وقد بايعوا الحسن بإمارة المؤمنين، وكانوا أطوع له من أبيه كما تقول المراجع كلها، وصار أمره نافذاً في العراق والحجاز واليمن وخراسان وما وراءها، ودامت خلافته نحو سبعة أشهر، وقد اختلف في تقدير مدة خلافة الحسن نتيجة لاختلافهم حول الزمن الذي سلم فيه زمام الأمور إلى معاوية، فكانت التقديرات تتراوح ما بين خمسة أشهر ونصف وثمانية أشهر، وأرجح الأقوال أنه سلم الأمر في السنة الحادية والأربعين، وقد سار إليه معاوية من

الشام، وانطلق الحسن لمواجهته، فلما تقاربا علم أنه لن تغلب إحدى الطائفتين حتى يُقتل أكثر الأخرى، فأرسل الحسن إلى معاوية يعرض عليه تسليم الأمر إليه على أن تكون الخلافة له من بعده، وعلى أن لا يطلب أحداً من أهل المدينة والحجاز والعراق بشيء مما كان أيام أبيه وغير ذلك من القواعد، فأجابه معاوية إلى ما طلب .

وأخرج ابن حجر في الإصابة نقلاً عن ابن سعد أن معاوية كان يعلم أن الحسن أكره الناس للفتنة، فراسله وأصلح الذي بينهما، وأعطاه عهداً إن حَدَثَ حَدَثٌ والحسن حي ليجعلنّ هذا الأمر إليه، قال: فقال عبد الله بن جعفر: قال الحسن: إني رأيت رأياً أحب أن تتابعني عليه. قال: ما هو؟ قال: رأيت أن أعمد إلى المدينة فأنزلها وأخلي الأمر لمعاوية فقد طالت الفتنة وسُفكت الدماء وقُطعت السبل .

قال: فقلت: جزاك الله خيراً عن أمة محمد ﷺ، فبعث إلى حسين، فقال: أعيذك بالله فلم يزل به حتى رضي .

وجاء في الاستيعاب أن رجلاً قال للحسن: السلام عليك يا مذل المؤمنين. فقال: لا تقل يا أبا عامر، فإني لم أذل المؤمنين ولكن كرهت أن أقتلهم في طلب الملك .

وقيل للحسن: ما حملك على ما فعلت؟ فقال: كرهت الدنيا ورأيت أهل الكوفة قوماً لا يثق بهم أحدٌ أبداً إلا غُلِبَ، ليس أحدٌ منهم يوافق آخر في رأي ولا هوى، مختلفين لا نية لهم في خير ولا شر، لقد لقي أبي منهم أموراً عظاماً، فليت شعري لمن يصلحون بعدي، وهي أسرع البلاد خراباً - الكامل أحداث سنة٤١ -.

وقالوا إن الحسن قد أرسل كتاباً إلى معاوية يعرض الصلح، وإن معاوية قد أرسل في الوقت نفسه ورقة بيضاء مختوم على أسفلها، وكتب إليه أن اشترط في هذه الصحيفة التي ختمت أسفلها ما شئت فهو لك- الكامل- وقد أكثر الحسن شروطه وقبلها معاوية ولكنه نكث عن تنفيذ بعضها .

وأخرج أبو نعيم في الحلية-٢/٣٧- قول الحسن: قد كانت جماجم العرب في يدي يحاربون من حاربت ويسالمون من سالمت، فتركتها ابتغاء وجه الله وحقن دماء أمة محمد ﷺ .

وأخرج في أسد الغابة وفي الكامل أن الحسن ألقى كلمة في جنوده حين

صح عزمه على مصالحة معاوية فقال بعد حمد الله عز وجل: إنا والله ما ثنانا عن أهل الشام شكٌ ولا ندمٌ، وإنما كنا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فسلبت السلامة بالعداوة والصبر بالجزع، وكنتم في منتدبكم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم فأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وإنا لكم كما كنا، ولستم لنا كما كنتم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين قتيل بصفين تبكون عليه وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، فأما الباقي فخاذلٌ، وأما الباكي فثائر، ألا وإن معاوية دعانا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن أردتم الموت رددناه عليه وحاكمناه إلى الله عز وجل بظباء السيوف، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضاء.

فناداه القوم من كل جانب: البقية البقية. فلما أقرّوه أمضى الصلح .

وكان الذي طلب الحسن من معاوية أن يعطيه بيت مال الكوفة وهو خمسة ملايين درهم وخراج دارابجرد من فارس وألا يشتم علياً، فلم يجبه إلى الكف عن شتم علي، فطلب ألا يشتم وهو يسمع، فأجابه إلى ذلك ثم لم يفِ به أيضاً، وأما خراج دارابجرد فإن أهل البصرة منعوه منه وقالوا: هو فيئنا لا نعطيه أحداً، وكان منعهم بأمر معاوية أيضاً– الكامل أحداث سنة٤١–.

وقيل إن الحسن لما بلغ المدائن نودي بأن قيس بن سعد بن عبادة قد قتل فانفروا، وكان قيس على مقدمة الجيش وكان النبأ كاذباً، فدبت الفوضى ووقع الانتهاب في العسكر واجتاح أجلاف البدو سرادق الحسن، فنهبوا متاعه ونازعوه بساطاً كان تحته-الكامل والإصابة وقال: وطعنه رجل من بني أسد بخنجر.–

وأخرج ابن عبد البر في الاستيعاب أن عمرو بن العاص طلب من معاوية حينما جاء الكوفة أن يأمر الحسن بإلقاء خطبة أمام الناس يبين فيها ما تم الاتفاق عليه بينهما، فطلب منه معاوية ذلك، فنهض الحسن فتشهد وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أمّا بعد، فإن الله هداكم بأولنا، وحقن دماءكم بآخرنا، وإن لهذا الأمر مدةً، والدنيا دولٌ، وإن الله عز وجل يقول: ﴿ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِى لَعَلَّهُۥ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾ ﴾ – الأنبياء٢١: ١٠٩إلى١١١ – فطلب منه معاوية أن يجلس فجلس .

وقد أخرج أبو نعيم في الحلية وابن حجر في الإصابة وابن سعد في الطبقات الكبرى أن الحسن قد مات مسموماً، وأخرج ابن عبد البر في

الاستيعاب أن الذي سمّه امرأته بنت الأشعث بن قيس الكندي بتدبير معاوية، وقد قال في الإصابة وفي الكامل أحداث سنة٤٩: إن اسمها جعدة، واختلف في سنة وفاته، فقيل مات سنة تسع وأربعين وهذا قول الواقدي وقد اختاره ابن الأثير، وقيل بل مات في ربيع الأول سنة خمسين وهذا قول المدائني، وقيل سنة إحدى وخمسين، وهناك أقوال أخرى. ودفن في البقيع رحمة الله عليه، فلقد حقن دماء المسلمين كما أخبر رسول الله ﷺ.

الخوارج

١٦٨- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون في أمتي فِرقتان، فتخرج من بينهما مارقة يلي قتلهم أولاهم بالحق) وفي رواية (تمرق مارقة في فُرقة من الناس فيلي قتلهم أولى الطائفتين بالحق) - مسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، وأبو داود في السنة باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة رقم ٤٦٦٧ وإسناده صحيح، والإمام أحمد في مسنده: ٣، وفي رواية للإمام أحمد (لا تقوم الساعة حتى تقتتل فئتان عظيمتان دعواهما واحدة، تمرق بينهما مارقة، فتقتلها أولى الطائفتين بالحق) -.

١٦٩-وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج في هذه الأمة- ولم يقل منها- تَحْقِرون صلاتكم مع صلاتهم - وفي رواية: وصيامكم مع صيامهم، وعملكم مع عملهم- يقرؤون القرآن لا يجاوز حُلوقهم- أو: حناجرهم- قوم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، فينظر الرامي إلى سهمه إلى نَصْله إلى رصافه، فيتمارى في الفُوقة هل عَلِق بها من الدم شيء) - رواه البخاري في فضائل القرآن باب إثم من راءى بقراءة القرآن أو تأكل به، وفي الأنبياء، وفي استتابة المرتدين، ومسلم في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، والإمام مالك في الموطأ في الصلاة باب ما جاء في القرآن ٤٧٨ وأبو داود في السنة باب في قتال الخوارج رقم ٤٧٦٤ ورواه بنحوه عن أبي سعيد الخدري وعن أنس ﷺ رقم٤٧٦٥، والنسائي في الزكاة باب في المؤلفة قلوبهم وفي تحريم الدم باب من شهر سيفه ثم وضعه في الناس ٨٧/٥ وهو حديث صحيح، وروى البخاري وآخرون رواية أخرى عن أبي سعيد الخدري ﷺ فيها نص الحديث السابق وزاد فيها وصف زعيم الخوارج: (آيتهم رجل إحدى يديه- أو قال: ثدييه- مثل ثدي المرأة- أو قال مثل البَضْعة- تَدَرْدَرُ، يخرجون على حين فُرقة من الناس- أو: على خير فِرقة-) قال أبو سعيد ﷺ:

أشهد سمعت من النبي ﷺ ، وأشهد أن علياً قتلهم وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي ﷺ - البخاري في استتابة المرتدين باب من ترك قتال الخوارج، والإمام أحمد في مسنده: ٣، ومسلم في الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج، ورواه في باب ذكر الخوارج وصفاتهم بنحوه عن زيد بن وهب الجهني عن علي رضي الله عنه في سيره لقتال الخوارج، وأبو داود في السنة باب في قتال الخوارج رقم ٤٧٦٨ و٤٧٦٩ و٤٧٧٠-.

الرصاف: عَقَبٌ يُلْوَى على مدخل نصل السهم ويشد به، الفُوقة: رأس السهم، آيتهم: علامتهم . البَضْعة: القطعة من كل شيء، تدردر: هي تتدردر وحذفت إحدى التاءين للتخفيف والمعنى تجيء وتذهب أي ترجرج .

١٧٠- عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ (إنّ من ضئضئ هذا - أو: في عَقِب هذا- قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز حناجرهم يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام ويدَعون أهل الأوثان، لئن أنا أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد) - البخاري في بدء الخلق باب قول الله عز وجل: ﴿ وَأَمَّا عَادٌ ﴾ ، وفي التوحيد باب ﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾ ومسلم بنحو ذلك في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٣ حتى كلمة الرمية -.

وجاء في قصة هذا الحديث أن علياً رضي الله عنه وهو باليمن أرسل للنبي ﷺ ذهباً فقسمه بين أربعة من المؤلفة قلوبهم وهم: الأقرع بن حابس الحنظلي، وعيينة بن بدر الفزاري، وزيد الطائي النبهاني، وعلقمة العامري الكلابي، فقال ذو الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير البجلي التميمي: ما عدلتَ يا محمد. فقال ﷺ... الحديث وهو يشير إليه، وكان الخوارج فيما بعد من نسله، وقد جاء في تاريخ ابن الوردي في أحداث السنة الثامنة للهجرة أن حرقوصاً هذا هو أول من بويع من الخوارج بالإمامة. وحرقوص هذا كان من المارقين على سيدنا عثمان رضي الله عنه ومن رؤوس العصاة وأذناب اليهودي ابن سبأ، وقد قُتل ولله الحمد في معركة النهروان سنة ٣٧هـ.

١٧١- عن سهل بن حُنيف رضي الله عنه قال: عن رسول الله ﷺ سمعته يقول وأهوى بيده قِبل العراق: (يخرج منه قوم يقرؤون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرميّة) وفي رواية قال: (يتيه قومٌ قِبل

المشرق محلَّقة رؤوسهم) - البخاري في استتابة المرتدين باب من ترك قتال الخوارج للتألف ٢٦٩/١٢، ومسلم في الزكاة باب الخوارج شر الخلق والخليقة ١٠٦٨، والإمام أحمد في مسنده: ٣-.

١٧٢- عن سويد بن غفلة عن علي ﷺ قال: إني سمعت النبي ﷺ يقول: (سيخرج أقوام في آخر الزمان حُدَّاثٌ- وفي نسخة: أحداث، وفي رواية: حُدَثاء، وكلها بمعنى واحد – الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون مِن خير قول البرية، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم، يمرقون من الدين- وفي رواية: من الإسلام – كما يمرق السهم من الرميّة، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة) - البخاري في استتابة المرتدين والمعاندين.. باب قتل الخوارج والملحدين، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، وفي التفسير باب من رايا بقراءة القرآن، وفي فضائل القرآن باب من راءى بقراءة القرآن ٩/ ٨٦، ومسلم رقم ١٠٦٦ في الزكاة باب التحريض على قتل الخوارج وفيه وفي بعض روايات البخاري (يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم) ، وأبو داود في السنة باب في قتال الخوارج رقم ٤٧٦٧، والنسائي في تحريم الدم باب من أشهر سيفه ثم وضعه في الناس ١١٩/٧، والإمام أحمد، وابن ماجه، ورواه الترمذي بنحوه عن عبد الله بن مسعود ﷺ في الفتن باب في صفة المارقة رقم ٢١٨٩ وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال -.

حُدّاث أو أحداث أو حدثاء: صِغار الأعمار أي في سن الشباب . **الأحلام:** العقول .

١٧٣- عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: كان الناس **يسألون** رسول الله ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر ؟ قال: (نعم) قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير ؟ قال: (نعم وفيه دَخَن) قلت: وما دخنُه ؟ قال: (قوم يَهدون بغير هدي تعرف منهم وتُنكر) قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر ؟ قال: (نعم دُعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها) قلت: يا رسول الله صفهم لنا.قال: (هم من جِلدتنا ويتكلمون بألسنتنا) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال (تَلزم جماعة المسلمين وإمامهم) قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: (فاعتزلْ تلك الفِرَق كلها ولو أنْ تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك) وفي رواية: (نعم فتنة عمياءُ صمّاءُ عليها دُعاة

على أبواب النار، فإن مت يا حذيفة وأنت عاضٌّ على جِذْل شجرة خيرٌ لك من أن تتَّبع أحداً منهم) وفي روايات زيادة: (يا حذيفة تعلَّمْ كتاب الله واتَّبع ما فيه) ثلاث مرات، وفي رواية: فما العصمة من ذلك ؟ قال: (السيف) قلت: فهل للسيف من بقية ؟قال: (نعم) وفي رواية زيادة: (بقية على أقذاء وهدنة على دخن) - البخاري ١١/٣٠و ٣١ في الفتن باب كيف الأمر إذا لم تكن جماعة، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم رقم ١٨٤٧ في الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن وفي كل حال، وأبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٤٢٤٤و٤٢٤٥و ٤٢٤٦ و٤٢٤٧، وابن ماجه مختصراً بنحوه (حديث ٣٩٧٩و٣٩٨١) ٢/١٣١٧و ١٣١٨- بقية على أقذاء وهدنة على دخن: أي أن الناس يُظهرون الصلح والاتفاق فيما بينهم ولكن في باطنهم خِلاف ذلك. جِذْل الشجرة: أصلها وجذل كل شيء أصله .

١٧٤- عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: (سيكون في أمتي خِلاف وفُرقة، قوم يحسنون القيل ويسيئون الفعل، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يَحْقِر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم، يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية، لا يرجعون حتى يرتدّوا على فُوقه، هم شر الخلق والخليقة، طوبى لمن قتلهم وقتلوه، يدعون إلى كتاب الله وليسوا منه في شيء، من قاتلهم كان أولى بالله منهم) قالوا: يا رسول الله ما سيماهم ؟ قال: (التحليق) - الإمام أحمد في مسنده : ٣، وقد رواه أبو داود عن أبي سعيد الخدري وعن أنس بن مالك ﷺ، وهو حديث صحيح، وفي رواية عن أنس ﷺ قال: (سِيماهم التحليق والتسبيد، فإذا رأيتموهم فأنِيموهم) في السنة باب في قتال الخوارج رقم: ٤٧٦٥-.

١٧٥- عن جابر بن عبد الله ﷺ أن رسول الله ﷺ قال عن الرجل الذي طلب من الرسول ﷺ أن يَعْدِل في قسمة المال- أي عن حرقوص-: (إنّ هذا وأصحابه يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية) - الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

١٧٦- وروى الإمام أحمد قال: حدثنا وكيع وعثمان بن القاسم بن الفضل عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: (تمرق مارقة عند فُرقة من المسلمين تقتلهم أولى الطائفتين بالحق) ورواه بمعناه عن أبي عوانة عن قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد، ورواه عن ابن أبي عدي عن سليمان عن أبي

نضرة عن أبي سعيد الخدري بلفظ: أن رسول الله ﷺ ذكر قوماً يكونون في أمته يخرجون في فرقة على الناس سيماهم التحليق هم شر الخلق -أو من شر الخلق- يقتلهم أدنى الطائفتين من الحق. ورواه بطرق أخرى عديدة، ورواه أبو داود بإسناد صحيح أيضاً في السنة باب ما يدل على ترك الكلام في الفتنة رقم ٤٦٦٧ وعنده (يقتلها) بدلاً من (يقتلهم) ، ورواه مسلم رقم ١٠٦٥ في الزكاة باب ذكر الخوارج وصفاتهم -.

١٧٧- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (سيخرج أناس من أمتي من قِبل المشرق كلما خرج منهم قَرْنٌ قُطع، كلما خرج منهم قرن قطع) حتى عدّها زيادة على عشر مرات (كلما خرج منهم قرن قطع، حتى يخرج الدجال في بقيتهم) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف-.

يقول رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث:

١- إن طائفتين من المسلمين سوف تقتتلان، وقد تبين أنهما جيش معاوية وجيش علي بن أبي طالب.

٢- إن فرقة سوف تخرج من إحدى الطائفتين. وبالفعل خرجت هذه الفرقة من جيش علي وقد أطِلق عليها اسم [**الخوارج**].

٣- إن هذه الفرقة المارقة سوف يقتلها **أولى الطائفتين** بالحق، وقد قتلها جيش علي.

٤- إن هذه الفرقة المارقة تصلي كثيراً وتصوم كثيراً وتقرأ القرآن كثيراً، ولكنها تتلو القرآن بلسانها ولا ينفذ إلى قلوبها فلا تفهمه، **فإيمانها** سطحي دون فهم ولا تفكرٍ ولا تدبرٍ .

٥- إن من علامات هذه الفرقة التحليق والتسبيد، والتحليق حلق الشعر، والتسبيد من معانيه استئصال الشعر والحلق وترك التدهن وغسل الرأس .

٦- إن أتباع هذه الفرقة الضالة يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان .

٧- وهذه الفرقة تقول قولاً حسناً فإذا سمعه إنسان يراه مستخلصاً من تعاليم الإسلام وربما ينخدع به.

٨- ووصف رسول الله ﷺ زعيمهم الأول بأن في إحدى يديه قطعة من اللحم متدلية متهدلة كثدي المرأة ترجرج وتتحرك إلى الجهات جميعها .

٩- وأخبر النبي الأعظم ﷺ بأن بعض الخوارج سيكون من أبناء ذي

الخويصرة التميمي حرقوص بن زهير.

١٠- أما الحديث الذي رواه حذيفة ﷺ عن رسول الله ﷺ فهو لا يقتصر على الخوارج وإنما يمتد إلى الفتن المتتابعة التي وقعت فيما بعد، وربما كانت الهدنة المشار إليها بهذا القول البليغ (بقية على أقذاء وهدنة على دخن) هي الصلح الذي تم بين الحسن ومعاوية، فقد وقع الصلح والقلوب مملوءة بالحقد وقد تفجرت فيما بعد .

ولقد صدق رسول الله ﷺ في كل ما قال، ووقع كل ما قال، فقد لجأ معاوية بن أبي سفيان إلى الحيلة في موقعة صفين حينما رأى جيشه يوشك ان ينهزم، فأمر الجيش برفع المصاحف على أسنة الرماح، وأبى علي ﷺ وقف القتال لأنه بذل جهوده قبل التصادم لحل الخلاف دون إراقة دماء فأبى معاوية، ولكن فريقاً من جيش علي أطلِقَ عليهم تسمية [القراء]، والتسمية مأخوذة من إكثارهم من قراءة القرآن، هذا الفريق فرض على علي وقف القتال وهددوه بالانشقاق عنه ومقاتلته، فاستجاب إلى طلبهم مكرهاً، وأوقف القتال، وأرسل إلى معاوية يسأله عما يريد من وراء رفع المصاحف، فاقترح معاوية أن يجتمع حكم من قبله وحكم عن علي ويأخذان عليهما عهد الله بأن ينصحا الأمة ويعملا ما فيه خيرها، واختار معاوية عمرو بن العاص حكماً عنه، وفرض القراء على علي أن يكون حكماً عنه أبو موسى الأشعري، فوافق مكرهاً، واجتمع الحكمان في الثالث عشر من صفر سنة سبع وثلاثين وكتبا كتاباً بذلك واتفقا على أن يجتمعا للتحكيم في شهر رمضان سنة ٣٨ ، وأحس القراء أنهم خدعوا، فطلبوا من علي ﷺ أن يرجع عن التحكيم فأبى وقال لهم: لقد فرضتم علي وقف الحرب وفرضتم علي قبول التحكيم وفرضتم علي الحَكَم والآن تريدون مني أن أنقض العهد فهذا ما لا يكون.

وقد رأى القراء أن ما فعلوه من وقف الحرب وقبول التحكيم خطأ يجب أن يتوبوا إلى الله منه، وحاجّهم علي فأبوا أن يتراجعوا، ولما رجع من صفين فارقوه وأتوا حروراء، فلذلك سُموا بالخوارج وبالحرورية، وجعلوا أمير القتال شبث بن ربعي التميمي وأمير الصلاة عبد الله بن أبي أوفى اليشكري المعروف بابن الكوا، ونادوا بأن تكون الخلافة شورى بعد الانتصار على علي ومعاوية، وأن تكون البيعة لله عز وجل، ونادوا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا كلام حسن كما أخبر عنه رسول الله ﷺ ولكن أريد به باطل لأنهم استباحوا دماء

المسلمين وشقوا عصا الطاعة على الإمام، وكفّروا كل من لا يرى رأيهم من المسلمين وكفروا كل من يقترف معصية، وخرجوا من الكوفة وعبروا دجلة وساروا إلى النهروان، وهم كلهم ما بين سبئي ومخدوع بأحابيل السبئيين وبينهم المارقون على عثمان ولذلك تبعهم على الفور سبئيو البصرة، ولم يقتنعوا بحجج سيدنا علي ﷺ، بل أرسلوا إليه يخبرونه بأنه قد أصبح كافراً وفقد حقه في الولاية عليهم وأصبح من المفروض عليهم قتاله، وعليه أن يتوب، وإذا تاب فإنهم سوف ينظرون في أمر مبايعته .

وأراد علي أن يتركهم وأن يواصل قتال أصحاب معاوية، ولكن الخوارج أمسكوا عبد الله بن خباب وسألوه عن الخلفاء الأربعة فأثنى عليهم جميعاً فقضوا بقتله وذبحوه، وكانت معه زوجته وهي حامل فبقروا بطنها، وقتلوا ثلاث نسوة من طيئ، وقتلوا أم سنان الصيداوية، وفي الوقت ذاته أراد أحدهم أن يأكل تمرة ساقطة من شجرة، فنهره آخر لأنه أخذها بغير حِلّها وبغير ثمن فألقاها، وقتل أحدهم خنزيراً فقال له آخر: هذا فساد في الأرض. فلقي صاحب الخنزير فأرضاه، وقد روى بعضهم أنه قال للخوارج حينما اعترضوه إنه مجوسي فتركوه لأنهم يرونه من أهل الذمة ولا يحل قتله، ولو قال إني مسلم لقتلوه لأنهم كفّروا عامة المسلمين، فلما رأى علي بغيهم وفسادهم اتجه لقتالهم، فالتقاهم في النهروان عند الجسر سنة٣٧ وقيل سنة٣٨، وكانوا أربعة آلاف لم ينج منهم سوى بضعة رجال، وقتل من جيش علي سبعة، وكان ذو الثدية الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ بين المقتولين، وقد شوهد على عضده لحمٌ مجتمع كثدي المرأة وحلمة عليها شعرات سود فإذا مدت امتدت حتى تحاذي يده وإذا تركت تنقبض إلى منكبيه .

وتواصلت حركات الخوارج طيلة العصر الأموي ونشطوا للدعوة إلى إقناع الناس بآرائهم، وقد طالبوا بأن يكون منصب الخلافة من حق أي مسلم، ونادوا بضرورة مساواة الموالي بالعرب في تولي المناصب الرفيعة في الدولة، واستمروا في الحكم العباسي بعد الأموي، وقد أرادوا بمطالبهم كسب تأييد غير العرب.

وهذه لمحة عن حركات الخوارج:

في سنة ٣٨ ظهر الخريت بن راشد من بني ناجية وتبعه بعض العرب والأكراد والفرس وتبعته قوات علي إلى الأهواز وبعض جبال رامهرمز واقتتلوا معه فقتلوه مع مائة وسبعين رجلاً وأسروا وسبوا خمسمائة ثم أطلقوهم. وخرج

أشرس بن عوف الشيباني بالدسكرة في مائتين، ثم سار إلى الأنبار فوجه علي إليه الأبرش بن حسان فواقعه وقتل في ربيع الآخر. وخرج هلال بن عُلفة من تيم الرباب فوجه علي إليه معقل بن قيس الرياحي فقتله وقتل أصحابه وهم أكثر من مائتين في جمادى الأولى. ثم خرج الأشهب بن بشر وقيل الأشعث، وهو من بجيلة، في مائة وثمانين رجلاً، وجرى القتال معه بجرجرايا من أرض جوخى، فقتل وأصحابه في جمادى الآخرة. وخرج سعيد بن نفيل التيمي، من تيم الله بن ثعلبة، في رجب بالبندنيجين ومعه مائتا رجل فأتى درزنجان، وهي من المدائن على فرسخين، فخرج إليهم سعد بن مسعود فقتلهم في رجب. ثم خرج أبو مريم السعدي التميمي، فأتى شهرزور، واجتمع معه مائتا رجل وقيل أربعمائة، وهم من الموالي، وواقعتهم قوات علي قرب الكوفة، فقتلوا إلا خمسين رجلاً استأمنوا فأمنهم، وكان قتلهم في رمضان.

وفي سنة٤١ عادوا للخروج من جديد، فقد خرج فروة بن نوفل الأشجعي في خمسمائة وعسكروا في النخيلة عند الكوفة، وقتلوا في ربيع الأول وقيل الآخر، أما فروة فقد حبسته قبيلته قبل المعركة الفاصلة، فبايع الخوارج عبد الله بن أبي الحوسا وقد قتل وخرج حوثرة بن وداع بن مسعود الأسدي وسار من براز الروز إلى النخيلة في مائة وخمسين، وانضم إليه الهاربون من جماعة ابن أبي الحوساء وهم قليلون، وقتل مع أصحابه إلا خمسين رجلاً دخلوا الكوفة، وكان مقتلهم في جمادى الآخرة، وخرج فروة بن نوفل الأشجعي على المغيرة بن شعبة وقتل بشهرزور أو ببعض أرض السواد، وخرج شبيب بن بجرة قرب الكوفة وقتل مع أصحابه، وخرج معين بن عبد الله من محارب وقُتل، وخرج أبو مريم مولى بني الحارث بن كعب ومعه امرأتان قطام وكحيلة وقتل ببادوريا، وخرج أبو ليلى وهو أسود ومعه ثلاثون من الموالي وقتل بسواد الكوفة سنة ٤٢، وخرج سهم بن غالب الهجيمي في سبعين رجلاً منهم الخطيم الباهلي واسمه يزيد بن مالك الباهلي ونزلوا بين الجسرين والبصرة فمر بهم عبادة بن فرص الليثي قادماً من الغزو مع ابنه وابن أخيه فسألوهم عن أمرهم فأخبروهم بأنهم مسلمون فقتلوهم، وخرج إليهم عبد الله بن عامر فقتل منهم عدة ثم أمنهم فاستسلموا وعفا عنهم، فلما أتى زياد ابن أبيه إلى البصرة خرج سهم والخطيم في الأهواز ثم أقبلوا إلى البصرة ولقوا قوماً فسألوهم عن أمرهم فقالوا: نحن يهود. فتركوهم، وقتلوا سعداً مولى قدامة بن مَظعُون، ثم تفرقوا، فاختفى سهم،

وبحث عنه زياد حتى أمسك به فقتله وصلبه في داره سنة ٤٦، وقيل إن عبيد الله بن زياد هو الذي صلبه سنة ٥٤، وقيل: قبل ذلك، أما الخطيم فقد قتله ورماه في قبيلته .

وفي سنة ٤٣، اجتمع أربعمائة من الخوارج ومعهم المستورد بن عُلّفة- أو عُلّفة- التيمي من تيم الرباب ومعاذ بن جوين الطائي وحيان بن ظبيان السُّلمي وولّوا المستورد وبايعوه وخاطبوه بأمير المؤمنين وخرجوا في غرّة شعبان سنة ٤٣، ثم اجتمع منهم ثلاثمائة في سوراء وساروا إلى الصَّراة، ولم ينج منهم غير خمسة أو ستة .

وفي سنة ٥٢- خرج زياد بن خراش العجلي في ثلاثمائة فارس فأتى أرض مسكن من السواد، فسيرّ إليه زياد خيلاً عليها سعد بن حذيفة أو غيره فقتلوا وهم في ماه. وفي هذه السنة خرج معاذ من طيئ فأتى نهر عبد الرحمن ابن أم الحكم في ثلاثين رجلاً، فبعث إليه زياد من قتله وأصحابه وقيل بل استأمن .

وفي سنة ٥٨- خرج طواف بن غَلاّق، وكان الخوارج يجتمعون إلى رجل اسمه جدار، فعلم بهم زياد وأمسك بهم، وأمر بعضهم بقتل بعض على أن يعفو عن القاتلين، فكان طَوّاف من القاتلين، وهيأ نفسه للخروج وبويع سنة ٥٨- وكان معه سبعون رجلاً من بني عبد القيس في البصرة، ووصل خبره إلى زياد، فاضطر طواف إلى التعجيل بالخروج، فقُتل مع أصحابه. واشتدّ زياد في تعقب الخوارج وقتل بعضهم، وخرج أبو بلال مرداس ابن أُدَّية، وأدية أمه، وأبوه حدير الحنظلي التميمي، وسار إلى الأهواز والتقى جيشاً أرسله عبيد الله بن زياد بقيادة أسلم بن زرعة الكلابي سنة ٦٠، وقد هزمهم أبو بلال في مكان يدعى آسك بأربعين رجلاً، ثم أرسل إليه ابن زياد جيشاً ثانياً بقيادة عَبّاد بن الأخضر فقاتلهم في توَّج ثم تحاجزوا للصلاة، فغدر بهم ابن الأخضر وقتلهم جميعاً وهم يصلّون .

وفي سنة ٦٤ دبت الفرقة بين الخوارج، وانقسموا، فقد رأى نافع بن الأزرق الحنظلي التميمي أن من تخلَّف عن الجهاد معه لا يحل مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا تقبل شهادتهم ولا يؤخذ علم الدين عنهم ولا يحل ميراثهم، وأحلَّ قتل الأطفال، ورأى أن جميع المسلمين كفار لا يُقبل منهم إلا الإسلام على مذهب الخوارج أو القتل، وسميت هذه الفرقة بالأزارقة .

ورأى عبد الله بن إباض التميمي أن المسلمين ليسوا مشركين ولكنهم كفار بالنعم والأحكام ولا يحل إلا دماؤهم، وما سوى ذلك فهو حرام، وسميت هذه

الفرقة بالإباضية .

وقد قال له عبد الله بن الصفّار السعدي التميمي: برئ الله منك فقد قصرتَ، وبرئ الله من ابن الأزرق فقد غلا ، وأنشأ فرقة ثالثة سميت بالصفارية .

وذهب نجدة بن أبي عامر الحنفي إلى اليمامة وأطاعه الخوارج الذين بها وتركوا أبا طالوت وهو من بني بكر بن وائل، واشتدت شوكة ابن الأزرق وكثرت جموعه وأقام بالأهواز يجبي الخراج، وفي سنة ٦٥هـ وقعت معارك كثيرة دامية مع الأزارقة، وكانت أعنف المعارك وأضْراها بقيادة المهلب بن أبي صفرة ، وحدثت المعارك بين البصرة والاهواز، وانتهت بهزيمة الخوارج .

وأغار نجدة بن عامر الحنفي على بني كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة في ذي المجاز فقتل منهم مقتلة عظيمة سنة ٦٦هـ، وأصبح أتباعه ثلاثة آلاف فسار إلى البحرين سنة ٦٧هـ، فواجهه بنوعبد القيس وغيرهم بالقطيف فانهزموا وقُتِل منهم كثير، ثم أرسل ابنه المطرّح فقاتل المنهزمين في الثوير فقتلوه، وأغار نجدة على الخط، وأرسل إليه مصعب بن الزبير جيشاً من أربعة عشر ألفاً سنة ٦٩هـ فباغتهم نجدة في القطيف وانتهى القتال بهزيمة جيش مصعب، وبسط نجدة سيطرته على عُمان فلم يقدر عليها فمضى إلى كرمان، فطارده المهلب حتى قتله بقندابيل، وقيل قتله الخوارج كما سيأتي .

ثم قاتل أصحاب نجدة بني تميم بكاظمة، وأغاروا على أهل طويلع فقتلوا منهم نيّفاً وثلاثين رجلاً، ثم اتجه نجدة إلى صنعاء فبايعه أهلها، وأرسل جماعة إلى حضرموت، وحج سنة ٦٨و قيل ٦٩ في طائفة من الخوارج، وخالفه أصحابه وولوا أمرهم أبا فُدَيك عبد الله بن ثور أحد بني قيس بن ثعلبة، واستخفى نجدة ولكنهم علموا مكانه وقتلوه .

وفي سنة ٦٨جرت وقائع مع الخوارج في إصطخر وقتل منهم تسعون وهربوا، وشنوا الغارة على أهل المدائن يقتلون الرجال والنساء والولدان ويشقون بطون الحبالى، وشنوا غارة على أهل ساباط وغارة على الكرخ، وانطلقوا يفسدون في الأرض، فطاردهم جيش ففروا منه حتى بلغوا أصبهان فكفَّ عنهم، فهاجموا الري ثم أصبهان، وقُتل أميرهم الزبير بن الماحوز وبايعوا قَطَرِيَّ بن الفُجاءة المازني، وقوِي في كرمان، ثم اتجه إلى الأهواز، والتقاهم المهلب بسُولاف واقتتلوا بها ثمانية أشهر.

ولو أردت أن أتتبع حركات الخوارج لطال الكلام واحتاج إلى مجلد كبير،

فقد استمروا في الخروج طيلة العصر الأموي، واستمروا في العصر العباسي، ولكنني سوف أشير إلى أهم الوقائع، ومن أراد الاستزادة فإنه يجدها في كتب التاريخ القديمة والحديثة .

ففي سنة ٧٢ كانت لهم وقائع كثيرة دامية، وفي سنة ٧٣ هوجموا في البحرين وقتل أميرهم أبو فديك مع ستة آلاف وأسر ثماني مائة، وفي سنوات ٧٥ و٧٦ و٧٧ جرت معارك كثيرة دامية مع الخوارج، وكان شبيب قد تولى أمرهم سنة ٧٦ وهو شجاع فاتك فخاض بهم معارك كثيرة طاحنة ثم قتل في سنة مبايعته، وفي إحدى معاركهم في جِيرَفْت أهم مدينة في كرمان قتل منهم أربعة آلاف .وفي سنة ١٣٤ حدث قتال مع أصحاب الجُلُنْدى واسمه شيبان بن عبد العزيز في عمان وهم إباضية فقُتل منهم عشرة آلاف . وفي سنة ١٣٨ حدث قتال مع ملبّد بن حرملة الشيباني الذي خرج في الجزيرة سنة ١٣٧ أو١٣٨ ووقعت معارك عنيفة قتل في آخرها ملبد في ألف ومائتين وخمسين رجلاً من أصحابه عدا قتلى الفريق الآخر . وخرجوا على أبي جعفر المنصور في تونس بزعامة أبي حاتم الإباضي وتبعهم كثير من البربر فحاربهم يزيد بن حاتم بن قبيصة خمس عشرة سنة حتى تمكن من قتل زعيمهم وثلاثين ألفاً من أتباعه الإباضية والصفرية الذين اتبعوه، والآن تأمَّلْ قول رسول الله ﷺ (كلما خرج منهم قرن قُطع) .

الفتن الدامية في المدينة المنورة

١٧٨ - عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: أشرف النبي ﷺ على أُطُم من آطام المدينة فقال: (هل ترون ما أرى) قالوا: لا قال: (فإني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كوقع القطر) هذه رواية البخاري، واللفظ عند مسلم (إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر) - البخاري في المظالم باب الغرفة والعلية، وفي الفتن باب قول النبي ﷺ ويل للعرب من شر قد اقترب، وفي الحج باب آطام المدينة، وفي غير ذلك، ومسلم في الفتن باب نزول الفتن ..-.

الأطم: حصن مبني من الحجارة أو بناء مرتفع، وآطام جمعه .

لقد اخبرنا رسول الله ﷺ بأن المدينة المنورة سوف تتعرض لبلاء عظيم، وقد شبه رسول الله ﷺ المصائب التي سوف تنزل بالمدينة المنورة بالمطر، وهذا التشبيه يفيد معنى الكثرة والتتابع والانتشار، فالمصائب كثيرة ومتلاحقة وعامة تنال أهل المدينة جميعهم بأذاها، وقد وقع ما أنبأ به رسول الله ﷺ، فقد تعرضت المدينة المنورة لمصائب كثيرة وعظيمة، ومن أعظمها الفتنة التي وقعت في عهد

الخليفة الراشدي الثالث عثمان بن عفان ﷺ سنة ٣٥، فقد اجتمع في المدينة المنورة جنود السبئي اليهودي- عبد الله بن سبأ- ولحقهم أجلاف البدو وأغبياؤهم من الكوفة والبصرة ومصر وغيرها، وظلوا حوالي شهرين يعيثون فساداً فيها، وقد أصاب أهل المدينة منهم شر عظيم .

ثم وقعت المصيبة العظمى بأهل المدينة المنورة سنة ٦٣هـ في عهد يزيد بن معاوية بن أبي سفيان، وهي ما عُرف باسم وقعة الحرة، فلقد تأثر أهل المدينة بمقتل الحسين ﷺ سنة ٦١ وتذمروا، وثار نجدة بن عامر الحنفي باليمامة سنة ٦١، وثار عبد الله بن الزبير سنة ٦٢، وتذمرت المدينة المنورة وتململت تريد الثورة، وقد حاول يزيد أن يصلح الأمور فولى عليها عثمان بن محمد بن أبي سفيان فأرسل عثمان وفداً كبيراً من أهل المدينة إلى يزيد سنة ٦٢، فيهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة، وعبد الله بن أبي عمرو بن حفص بن المغيرة المخزومي، والمنذر بن الزبير، وأكرمهم يزيد وأعطاهم أموالاً لم يعطها أحد قبله، وأذكر على سبيل المثال أنه أعطى حنظلة مائة ألف درهم وكان معه ثمانية أولاد فأعطى كل واحد منهم عشرة آلاف درهم، ولكنهم عادوا من عنده يقولون (قدمنا من عند رجل ليس له دين يشرب الخمر ويضرب بالطنابير ويعزف عنده القيان ويلعب بالكلاب ويسمر عنده الخُرّاب وإنا نُشهدكم أنا قد خلعناه) والخُرّاب: اللصوص. فأرسل إليهم يزيدُ النعمانَ بن بشير الأنصاري لإقناعهم بالانصراف عن ثورتهم، ولكن مساعيه أخفقت ونصائحه ذهبت أدراج الرياح، وفي سنة ٦٣ هـ أخرج أهل المدينة المنورة أميرهم عثمان بن محمد بن أبي سفيان وحصروا بني أمية ثم طردوهم مشترطين عليهم ألا يظاهروا عليهم أحداً وألا يدلّوا على عورة لهم أي على نقطة ضعف، وكان يزيد قد أرسل جيشاً بقيادة مسلم بن عقبة المُرّي وقال له: ادْعُ القوم ثلاثاً- أي ثلاثة أيام- فإن أجابوك وإلا فقاتلهم، فإذا ظهرتَ عليهم فانهبها ثلاثا، فكل ما فيها من طعام أو مال أو دابة أو سلاح فهو للجند، فإذا مضت الثلاث فاكفف عن الناس، وانظر علي بن الحسين واكفف عنه واستوص به خيراً فإنه لم يدخل مع الناس، وإنه قد أتاني كتابه.

وقد قيل إن يزيد قد أمر باستباحة نساء المدينة المنورة وإن هذا الأمر الشائن قد نُفّذ، والله أعلم.

وقد التقى جيش مسلم الأمويين الخارجين من المدينة، فدعا عمرو بن عثمان بن عفان وقال له: خبرني ما وراءك وأشِر علي. فقال: لا أستطيع، قد أخذ

علينا العهود والمواثيق أن لا ندل على عورة ولا نظاهر عدواً عليهم. فانتهره وقال: والله لولا أنك ابن عثمان لضربت عنقك، وايم الله لا أقيلها قرشياً بعدك. فخرج إلى أصحابه وأخبرهم، فأرسل مروان بن الحكم ابنه عبد الملك فاقترح على مسلم أن يسير بجيشه إلى ذي نخلة ثم يدور إلى اليسار ويأتي المدينة من شرقها من الحرّة، واقترح ان يدخل المدينة مع شروق الشمس فتصعب الرؤية على أهل المدينة، وقد أخذ مسلم بن عقبة بهذه الخطة وقاتل أهل المدينة وتغلب عليهم وأباح المدينة ثلاثة أيام، يقتلون الناس ويأخذون المتاع.

ودعا مسلم بن عقبة الناس إلى البيعة ليزيد على أنهم: [خولٌ له يُحكّم في دمائهم وأموالهم وأهليهم من شاء] فمن امتنع قتله. والخول هم العبيد والجواري. وقد طُلب الأمان ليزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود ولمحمد بن أبي الجهم بن حذيفة، ولمعقل بن سنان الأشجعي، وليزيد بن وهب، فأبوا أن يبايعوا على هذه الصورة المهينة وقالوا: نبايع على كتاب الله وسنة رسوله. فقتلهم الطاغية- الكامل في التاريخ-.

وكانت وقعة الحرة لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ثلاث وستين.

وذكر المسعودي في مروج الذهب-٧٩/٣- أسماء خمسة قتلى من آل عبد المطلب، وقال: وبضعة وتسعون رجلاً من سائر قريش، ومثلهم من الأنصار، وأربعة آلاف من سائر الناس ممن أدركه الإحصاء دون من لم يعرف. وقال اليعقوبي في تاريخه-٢/٢٥٠-وأباح حَرَمَ رسول الله ﷺ حتى ولدت الأبكار لا يُعْرف من أولدهن. وجاء في تاريخ أبي الفداء-١/١٩٢- وأباح مسلم مدينة النبي ﷺ ثلاثة أيام يقتلون فيها الناس، ويأخذون ما بها من الأموال، ويفسقون بالنساء، وعن الزهري أن قتلى الحرة كانوا سبعمائة من وجوه الناس من قريش والمهاجرين والأنصار وعشرة آلاف من وجوه الموالي وممن لا يُعرف .

ويستخلص مما سبق أنه قد وقعت مقتلة عظيمة، وإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

وهؤلاء القتلى الذين ذكرهم المسعودي من آل عبد المطلب: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب، والفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وحمزة بن عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب.

وهؤلاء قتلى من الصحابة وأبنائهم ترجم لهم ابن سعد في طبقاته:

عبد الرحمن بن حويطب بن عبد العزى٥/١٧٢، وجعفر بن عبد الله بن لُجينة٥/١٧٧، وعبد الله بن عتبة بن غزوان بن جابر٥/١٧٧، وعبد الله بن محمد بن أبي بكر الصديق٥/١٩٤، وأبو سعيد بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة٥/٢١١، وعمارة بن صهيب بن سنان بن مالك أي عمارة بن صهيب الرومي٥/٢٤٥، وعبد الله بن عبد الرحمن بن حاطب بن أبي بلتعة٥/٢٥١، -والكامل- ويعقوب بن طلحة بن عبيد الله التيمي وأبوه أحد المبشرين بالجنة٣/٢١٤و٥/١٦٥، وعمرو وعمير ابنا سعد بن أبي وقاص الزهري أحد المبشرين بالجنة٥/١٦٨، وإبراهيم بن نعيم بن عبد الله النحام من بني عدي بن كعب٤/٧٢ و٥/١٧١، ومحمد بن أبي الجهم بن حذيفة بن غانم من بني عدي بن كعب٥/١٧١، وذكوان أبو عمرو مولى عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها يُظن أنه من قتلى الحرة ٥/٢٩٦، وعبد الله بن عمرو بن سعد بن معاذ من بني عبد الأشهل من الأوس٣/٤٢٠ ، وأولاد زيد بن ثابت من بني النجار: سعد٥/٢٦٣، وسليمان ويحيى٥/٢٦٤، وسليط وعبد الرحمن وعبد الله وزيد٥/٢٦٥، وأولاد ثابت بن قيس بن الخطيم من الأوس: عمرو ومحمد ويزيد٥/٢٥٩، وزيد بن محمد بن مسلمة من الاوس٥/٢٥٦، وجعفر بن يزيد بن سلكان من بني عبد الأشهل من الأوس٥/٢٥٦، وعباد بن أبي نائلة سلكان بن سلامة من بني عبد الأشهل من الأوس وابنه سلمة ٥/٢٥٥، وولدا خوات بن جبير: حبيب٣/٤٧٧و٥/٢٥٩، وعمرو٥/٢٥٩، وولدا مجمع بن جارية من الأوس: يحيى وعبيد الله٥/٢٦٠و٤/٣٧٢، ومحمد بن جبر بن عتيك من الأوس٥/٢٦١، وعباد بن عاصم بن عدي٥/٢٦١، وعيسى بن عبد الرحمن بن يزيد بن جارية بن عامر من الأوس٥/٨٤، وأسيد بن رافع بن يزيد من بني عبد الأشهل من الأوس٣/٤٤٢، وسويد بن عويم بن ساعدة من الأوس، أبوه مبشر بالجنة٣/٤٥٩، وأولاد محمد بن ثابت بن قيس بن شماس من الخزرج: عبد الله وسليمان ويحيى٥/٨٢، ومعمر بن تميم بن غزية من بني النجار وأخوه ثابت٥/٨١، ومحمد بن عمرو بن حزم من بني النجار٥/٧٠، والكامل- ومحمد بن أُبَيٍّ بن كعب بن قيس من بني النجار ٥/٧٦، وعمارة بن عقبة بن كديم بن عدي بن حارثة من بني النجار٥/٢٦٦، ومحمد بن نبيه بن جابر بن مالك بن عدي بن زيد مناة وأخوه عبد الملك من بني النجار٥/٢٦٧، وعبد الله بن الحارث بن عبد الله بن كعب من بني مازن بن النجار٣/٥١٨، وأفلح مولى أبي أيوب الأنصاري ويكنى أبا كثير٥/٨٧، وابنه كثير٥/٢٩٨، وعبد الله بن

حنظلة- غسيل الملائكة- ابن أبي عامر الراهب من الخزرج ٥/٦٨و٨/٣٨٣، والكامل- وبشير بن أبي زيد الأنصاري٧/٢٧، وعبد الرحمن بن عبد الله بن خبيب بن يساف من الخزرج٥/٢٧٠، وعبد الرحمن بن أبي قتادة بن ربعي بن بلذمة من بني سلمة من الخزرج٥/٢٧٤، ويزيد بن أبي اليسر واسمه كعب بن عمرو من بني سلمة من الخزرج ٥/٢٧٥، وسليمان بن أبي عياش واسمه عبيد بن معاوية بن صامت من بني زريق وأخوه بشير ٥/٢٧٨، وفروة بن أبي عبادة سعد بن عثمان بن خلدة من بني زريق وابنه عثمان وأخوه عقبة ٥/٢٧٨، ومسعود بن عبادة بن أبي عبادة٥/٢٧٩، وإسحاق بن كعب بن عجرة من بلي قضاعة حليف لبني قوقل من بني عوف من الخزرج وأخوه محمد٥/٢٨٠، ومعقل بن سنان الأشجعي ٤/٢٨٣و٦/٥٥، قتله مسلم بن عقبة المري وهو جريح ويزيد بن هرمز الفارسي٧/٢٢٠، وقال عنه: كان ثقة. وأضاف صاحب الكامل في التاريخ٤/١٢١ أحداث سنة٦٣:

عبد الله بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، وزبير بن عبد الرحمن بن عوف، ووهب بن عبد الله بن زمعة بن الأسود، وعبيد الله بن عبد الله بن موهب، وعبد الله بن عاصم الأنصاري، وعبد الله بن زيد بن عاصم، ووجدت في أوراقي اسم: يزيد بن عبد الله بن ربيعة بن الأسود من قريش ولا أدري من أين استخرجته .

ثورة النفس الزكية

لقد خرج محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وأخوه إبراهيم على أبي جعفر المنصور الخليفة العباسي الثاني سنة١٤٥للهجرة مضطراً كما قال الإخباريون، فلقد كان أبو جعفر المنصور يخشاه على سلطانه لأنه سبق لأبي جعفر أن بايعه قبل الانقلاب العباسي فلما ولي الخلافة قبض على أبيه، وقد ثار محمد في المدينة المنورة وتمكن منها، وأرسل من استولى على مكة، وثار أخوه إبراهيم في البصرة، فأرسل أبو جعفر المنصور عشرة آلاف فارس من الشجعان المنتخبين، وجعل فيهم قادة محمد بن أبي العباس السفاح وجعفر بن حنظلة البهراني وحميد بن قحطبة، وولى عليهم جميعاً عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وفي البداية والنهاية ذكر أن الجيش كان عشرة آلاف، أما في الكامل فقد ذكر أن عيسى بن موسى قد سار في أربعة آلاف فارس وألفين من المشاة وتبعه محمد بن قحطبة في جيش كثيف،

وقد اشتبك جيش أبي جعفر مع مناصري محمد من أهل المدينة المنورة، وكانت الموقعة عند[أحجار الزيت]، وهو مكان في سوق المدينة المنورة أو إلى جانب سوقها، وتم قتل محمد بن عبد الله بن حسن في هذا المكان في يوم الاثنين بعد العصر لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان سنة خمس وأربعين ومائة- البداية والنهاية١٠/٨٩ وما قبلها- وورد في الكامل قول عبد الله بن عامر الأسلمي بأنه رأى دم محمد بن عبد الله عند أحجار الزيت في المدينة المنورة، ولم أجد من ذكر عدة القتلى، لكنهم كانوا بالمئات كما يستخلص من الأخبار، والله أعلم.

١٧٩- عن أبي ذر ﷺ قال: ركب رسول الله ﷺ وأردفني خلفه، فقال: (يا أبا ذر أرأيت إن أصاب الناس جوع شديد لا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك كيف تصنع؟) وفي رواية بعد كلمة (الناس) بدلاً مما يليها (موتٌ يكون البيت فيه بالوصيف) قال: الله ورسوله أعلم. قال: (اصبر) قال: (يا أبا ذر أرأيت إن قتل الناس بعضهم بعضاً حتى تغرق حجارة الزيت من الدماء كيف تصنع؟) قلت: الله ورسوله أعلم. قال: (اقعد في بيتك وأغلق عليك بابك) قال: فإن لم أترك؟ قال: (فأنت من أنت منهم، فكن فيهم) قال: فآخذ سلاحي؟ قال: (إذا تشاركهم فيما هم فيه، ولكن إن خشيت أن يروعك شعاع السيف فألقِ طرف ردائك على وجهك يبوء بإثمه وإثمك) وفي رواية (يبهرك) بدلاً من (يروعك) وفي رواية جاء فيها أمر رسول الله ﷺ بأن يلزم بيته (عليك بمن أنت فيه) -الإمام أحمد في مسنده: ٥، وابن ماجه في الفتن باب التثبت في الفتنة٣٩٥٨، وأبو داود بنحوه في الفتن باب النهي عن السعي في الفتنة٤٢٦١، وهو حديث حسن-.

إن هذه الفتنة تندرج أيضاً مع الفتن الدامية في المدينة المنورة ولكنني أفردتها لأن الرسول ﷺ قد أخبرنا عنها منفردة، فقد أخبرنا رسول الله ﷺ في الحديث السابق عن اقتتال محمد بن عبد الله وأخيه إبراهيم مع أبي جعفر المنصور، ولقد ذكر الرسول ﷺ اسم المكان الذي ستقع فيه المعركة وهو (حجارة الزيت) وهو داخل المدينة المنورة، وقد أمر رسول الله ﷺ باعتزالها وعدم الاشتراك فيها .

وينبغي أن أشير هنا إلى أن ما وصلنا من أخبار يدل على أن أبا جعفر المنصور كان معتدياً، فقد مضى يطارد محمد بن عبد الله الملقب بالنفس الزكية، واختفى هذا، ولم يتمكن جواسيس أبي جعفر المنصور من معرفة مخبئه، فاعتقل أبو جعفر أبا محمد وعمومته وكثيرين من أهله وحبسهم لإرغام محمد على

الثورة لكي يستبيح بعدها دمه، فثار محمد بسبب ظلم أبي جعفر، وقد نقلت لنا الكتب أن أبا جعفر قد فرح بثورة محمد وأعلن أنه نجح في إخراج الثعلب من وكره، وأبو جعفر يمتلك جيشاً مطيعاً له في كل شيء ويستطيع أن يذبح به العرب جميعاً، لذلك كان اعتزال هذه الفتنة هو السبيل الصحيح لحقن دماء المسلمين.

بلاء واضطهاد لآل بيت النبي الأعظم صلى الله عليه وسلم

١٨٠- عن عبد الله ﷺ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم رسول الله ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه، فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً تكرهه. فقال: (إنا أهل بيتٍ اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاءً شديداً وتطريداً حتى يأتي قومٌ من قِبَل المشرق ومعهم راياتٌ سودٌ، فيسألون الخير فلا يعطون، فيقاتلون فينصرون، فيُعطَون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قسطاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك منكم ذلك فليأتهم ولو حبواً على الثلج) -ابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي حديث رقم٤٠٨٢: ١٣٦٦/٢-.

١٨١- عن زيد بن أرقم ﷺ قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمّاً، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكّر، ثم قال: (أما بعد، ألا أيها الناس، إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به) فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: (وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي) فقال له حصين- ابن سبرة-: ومن أهل بيته يا زيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته مَنْ حُرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس. قال: كلّ هؤلاء حُرِمَ الصدقة؟ قال: نعم.- رواه مسلم في فضائل الصحابة باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ-.

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن أهل بيته وهم آل علي وجعفر وعقيل أبناء عمه أبي طالب وآل عمه العباس سيلقون مصائب عظيمة وسيطاردون في البلدان، وهذا لم يكن يتوقعه أي مسلم، فما كان أحد يظن أن الناس سيؤذون ويقتلون آل بيت النبوة، ولكن رسول الله ﷺ كان يوحى إليه فيعرف ما سوف يقع، وقد أمر المسلمين بالترفق بأهل بيته وحقن دمائهم، ولكن حب الدنيا وشهوة الملك

يُعميان ويُصمّان ويُنسيان أصحابهما ذكر الله تعالى فكيف بما هو دونه؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وسوف أذكر طائفة من آل بيت النبوة الذين قتلوا، وفي ذكر هذه الطائفة كفاية للبرهنة على صدق رسول الله ﷺ في هذا المجال وفي كل قول قاله، وما ينطق عن الهوى، إن هو إلا وحي يوحى:

في سنة٤٠أرسل معاوية بن أبي سفيان بُسْرَ بن أبي أرطاة وهو من عامر بن لؤي في ثلاثة آلاف رجل فدخل المدينة المنورة ثم مكة المكرمة ثم سار إلى اليمن وكان عبيد الله بن عباس عاملاً عليها لعلي بن أبي طالب فهرب منه إلى علي في الكوفة واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي، فأتاه بُسْر بن أبي أرطاةً، وقتله وقتل ابنه، وأخذ ابنين لعبيد الله بن عباس صغيرين هما عبد الرحمن وقثم وكانا عند رجل من كنانة بالبادية فقتلهما- الكامل والمختصر وتتمة المختصر ومروج الذهب٣/٣٠-.

وفي سنة٦٠ قتل مسلم بن عقيل بن أبي طالب في الكوفة، فقد دعا أهل الكوفة الحسين بن علي رضي الله عنهما لمبايعته فأرسل ابن عمه وانفض عنه أهل الكوفة بعد التجمع واختفى مسلم، وقتله عبيد الله ابن زياد بن أبيه صبراً لثمان مضين من ذي الحجة.

وفي موقعة كربلاء التي وقعت في عاشوراء أي في العاشر من المحرم سنة ٦١ قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما، وقتل معه إخوته أبو بكر[الطبقات٣/١٩]، والعباس الأكبر وعثمان وجعفر الأكبر وعبد الله ومحمد الأصغر[الكامل والطبقات٣/٢٠ومروج الذهب٣/٧١] وجاء في الكامل أن عبيد الله بن علي قتل مع الحسين وقال: وقيل: قتل في قتال المختار الثقفي بالمذار وكان عبيد الله في جيش مصعب بن الزبير وكذا جاء في طبقات ابن سعد٥/١١٨و٣/١٩، وهو الأرجح.

وقتل أيضاً في كربلاء: علي بن الحسين بن علي- الكامل- وعبد الله بن الحسين بن علي- الكامل - وأبو بكر بن الحسن بن علي-الكامل ومروج الذهب- والقاسم بن الحسن بن علي- الكامل ومروج الذهب- وعون بن جعفر بن أبي طالب- الكامل ومروج الذهب - ومحمد بن عبد الله بن جعفر- الكامل ومروج الذهب- وجعفر بن عقيل بن أبي طالب- الكامل- وعبد الرحمن بن عقيل- الكامل- وعبد الله بن عقيل- الكامل ومروج الذهب- وعبد

الله بن مسلم بن عقيل- الكامل ومروج الذهب- ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل- الكامل- وعبد الله بن الحسن بن علي-مروج الذهب٣/٧١-.

وفي سنة١٢١و١٢٢خرج زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب بالكوفة وقُتل سنة١٢٢- الكامل والطبقات٥/٣٢٦- وفي سنة١٢٥ قُتل يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في خراسان- الكامل٥/٣٢٥- وفي سنة١٢٧خرج عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب في الكوفة وأسِرَ وعفي عنه وخرج ثانية سنة١٢٩ببلاد فارس وقُتل. وقتل أبو جعفر المنصور طائفة منهم فقد أحضر محمد بن إبراهيم بن الحسن وبنى عليه أسطوانة وهو حي فمات، وحبس حسن بن حسن بن حسن بن علي بن أبي طالب وأخويه عبد الله وإبراهيم وماتوا في سجنه بالكوفة- الكامل أحداث سنة١٤٤والطبقات٥/ ٣١٩-.

وفي سنة١٤٥خرج عليه محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وأخوه إبراهيم وقُتلا.

وقد كان الحسين بن علي رضي الله عنهما في مائة وخمسين من أقربائه في موقعة كربلاء وقد قُتل معظمهم، وقُتل من آل البيت النبوي جماعة في موقعة الحرة، وقُتلت جماعات منهم مع كل ثورة علوية تقوم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

كذاب ومُبير من ثقيف

١٨٢- عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: إن رسول الله ﷺ حدثنا أن في ثقيف كذاباً ومبيراً.

فأما الكذاب فرأيناه، وأما المبير فلا إخالك إلا إياه. قال: فقام عنها- أي الحجاج بن يوسف الثقفي- ولم يراجعها.-مسلم في فضائل الصحابة باب ذكر كذاب ثقيف ومبيرها-.

١٨٣- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (في ثقيف كذاب ومبير) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، والترمذي في الفتن باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير رقم٢٢٢١، وهو حديث صحيح-.

١٨٤- قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية٩/١٢٠و١٢١: وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف حدثنا عون عن أبي الصديق الناجي أن الحجاج دخل على أسماء بنت أبي بكر بعدما قُتل ابنها عبد الله فقال: إن ابنك ألحد في

هذا البيت، وإن الله أذاقه من عذاب أليم. فقالت: كذبت، كان براً بوالديه صواماً قواماً، والله لقد أخبرنا رسول الله أنه يخرج من ثقيف كذابان، الآخر منهما شرّ من الأول وهو مبير.

١٨٥- وروى أبو يعلى عن وهب بن بقية عن خالد عن عون عن أبي الصديق الناجي قال: بلغني أن الحجاج دخل على أسماء فذكر مثله. وقال أبو يعلى: حدثنا زهير حدثنا جرير عن يزيد بن أبي زياد عن قيس بن الأحنف عن أسماء بنت أبي بكر الصديق، قالت: سمعت رسول الله ﷺ نهى عن المثلة. وسمعته يقول: (يخرج من ثقيف رجلان كذاب ومبير) قالت: فقلت للحجاج: أما الكذاب فقد رأيناه، وأما المبير فأنت هو ياحجاج- البدايةوالنهاية٩/١٢٠-.

١٨٦- وعن عبيد بن حميد أنبأنا يزيد بن هارون أنبأنا العوام بن حوشب حدثني من سمع أسماء بنت أبي بكر الصديق تقول للحجاج حين دخل عليها يعزيها في ابنها: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرج من ثقيف رجلان مبير وكذاب) فأما الكذاب فابن أبي عبيد- تعني المختار- وأما المبير فأنت-البداية والنهاية ٩/١٢٠-.

١٨٧- قال أبو يعلى: حدثنا أحمد بن عمر الوكيعي حدثنا وكيع حدثتنا أم عراب عن امرأة يقال لها عقيلة عن سلامة بنت الحر قالت: قال رسول الله ﷺ : (في ثقيف كذاب ومبير) تفرد به أبو يعلى-البداية والنهاية٩/١٢٠-.

١٨٨- روى الإمام أحمد عن وكيع عن أم عراب- واسمها طلحة- عن عقيلة عن سلامة حديثاً آخر في الصلاة، وأخرجه أبو داود وابن ماجه، وروى من حديث ابن عمر، فقال أبو يعلى: حدثنا أمية بن بسطام حدثنا يزيد بن ربيع حدثنا إسرائيل حدثنا عبد الله بن عصمة قال: سمعت ابن عمر: أنبأ رسول الله ﷺ أن في ثقيف مبيراً وكذاباً. وأخرجه الترمذي من حيث شريك عن عبد الله بن عاصم ويقال: عصمة. وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حيث شريك- البداية والنهاية٩/١٢١-.

لقد أخبر الرسول الأعظم ﷺ أن في قبيلة ثقيف كذاباً ومبيراً، ومعنى مبير مهلك يسرف في إهلاك الناس- لسان العرب٤/٨٦- ولقد ظهر مبير كبير من بني ثقيف هو الحجاج بن يوسف الثقفي لعنة الله عليه، فقد استخدمه عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي في محاربة عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين، ولقد حاصر مكة ورماها بالمنجنيق وأصاب الكعبة بحجارته، ثم ولاه عبد الملك على

العراق سنة خمس وسبعين، ثم ولاه على المناطق الشرقية بكاملها، وظل والياً عليها حتى مات سنة٩٥هـ ٧١٤م، وكانت ولادته سنة٤٠هـ ٦٦٠م، وكان حاكماً ظالماً جائراً سفاحاً مستبداً هدفه الأكبر والأول توطيد دعائم السلطة وإخضاع الناس لها دون النظر إلى تطبيق شريعة الله والتزامها، ولا يبالي إن قتل آلاف الناس في سبيل ذلك، ولقد جاء في الكامل والبداية والنهاية وفي الترمذي في رواية النضر بن شميل عن هشام بن حسان: أحصي مَنْ قتله الحجاج صبراً فكانوا مائة ألف وعشرين ألفاً [١٢٠٠٠٠].

وقال الترمذي: المبير هو الحجاج بن يوسف الثقفي، فإنهم أحصوا من قتلهم صبراً فكان عددهم مائة ألف وعشرين ألفاً فما بالك بغيرهم . وقد روى هذا القول بإسناد صحيح إلى هشام بن حسان رقم ٢٥٢١ في الفتن باب ما جاء في ثقيف كذاب ومبير. وقال الترمذي: يقال الكذاب المختار بن أبي عبيد- الثقفي-.

والمختار الثقفي ولد في السنة الأولى للهجرة ٦٢٢م وقتل سنة ٦٧هـ- ٦٨٧م ويبدو أنه كان من عُشّاق الزعامة، فقد بايع ابن الزبير والتمس منه أن يجعله ذا شأن عنده، ولكن ابن الزبير خيب ظنونه، وقد بقي معه حتى حَصْره الأول، ثم ذهب إلى الكوفة بإذن من ابن الزبير، وكان له في الكوفة وجهان، فهو يتظاهر بالولاء لابن الزبير أمام واليها عبد الله بن مطيع الموالي لابن الزبير، وهو يتصل بالشيعة سراً ويَدَّعي أنه أمين آل محمد ورسولهم إلى العراق، وقد اكتشف ابن مطيع لعبة المختار فأرسل إليه إياس بن المضارب العجلي، وكان أميراً للشرطة، فاعتقله، ولكن الشيعة والموالي استنقذوه وقتلوا ابن المضارب، فولّى ابن مطيع راشد بن إياس بن المضارب على الشرطة، فأرسل إليه المختار رجلاً من أصحابه في عصابة من الخَشَبية فقتله وأتى برأسه إليه، ففرَّ ابن مطيع، وواصل المختار ممارسة لعبته، فأرسل كتاباً إلى عبد الله بن الزبير يقول فيه: قَدِمْتُ الكوفة وأنا على طاعتك فرأيت عبد الله بن مطيع مداهناً لبني أمية فلم يسعني أن أُقِرَّه على ذلك لما حَمَلْتُ في عنقي من بيعتك، فخرج من الكوفة، وأنا ومَنَ قِبَلي على طاعتك – الطبقات ١٤٧/٥ و ١٤٨- واتصل المختار بشيعة علي وحضّهم على الثورة وبَشَّرهم بالنصر، فثاروا بقيادة سليمان بن صُرَد الخزاعي سنة ٦٥، فعمل على تثبيط هممهم وتنفيرهم من سليمان للتخلص منه كي تنضوي الشيعة تحت إمرة المختار، وكان يدعو لمحمد ابن الحنفية، وقد أخرج لشيعة علي كتاباً

زعم ان ابن الحنفية قد كتبه له، وكان المختار كاذباً في زعمه، وقد ذكر ابن الأثير في الكامل انه خطب الشيعة فقال: إن المهديّ ابن الوصيّ بعثني إليكم أميناً ووزيراً ومنتخباً وأميراً، وأمرني بقتل الملحدين والطلب بدم أهل بيته والدفع عن الضعفاء، فكونوا أوَّلَ خَلْقِ الله إجابة – الكامل أحداث سنة ٦٤- وأكد هذا ابن خلكان في وفيات الأعيان-١٧٢/٤- إذ قال ما ملخصه أن المختار بن أبي عبيد الثقفي يدعو الناس إلى إمامة محمد ابن الحنفية، ويزعم أن ابن الحنفية هو المهدي، وسار في سُبُل منحرفة، واتَّبَعَ الكذب والخداع للوصول إلى الزعامة، وقام بثورته سنة ٦٦، وسيطر على العراق، وتتبَّع قَتَلَة الحسين ﷺ فقتلهم، ثم توجَّه إليه مصعب بن الزبير فأخمد ثورته وقتله سنة ٦٧ .

وإن ما ذكره ابن سعد في طبقاته- ٥/من٩١إلى ١١٦- وكذلك ما ذكره المؤرخون يدل على ان محمد ابن الحنفية لم يكن يثق بالمختار وكذلك لم يكن يحب إراقة الدماء، وظل حريصاً على ذلك حتى لقي وجه ربّه في أول سنة إحدى وثمانين وعمره خمس وستون سنة، وكان يقول دائماً إنه لا يَقْبَلُ الخلافة إذا بقي رجل واحد لم يبايعه، وكان يأمر أنصاره دائماً بالكف عن إراقة الدماء، ولم يبايع ابن الزبير ولا عبد الملك حرصاً منه على عدم إراقة الدماء، وكان يقول لهما إنه سينتظر حتى يتم إجماعُ الأُمّة على أحدهما فيبايعه .

وقد جاء في طبقات ابن سعد- ١١٧/٥- في ترجمة عبيد الله بن علي بن أبي طالب أنه قدم من الحجاز على المختار بالكوفة وسأله فلم يُعْطِه، وقال له: أَقَدِمْتَ بكتاب من المهدي؟ قال: لا فحبسه أياماً ثم خَلَّى سبيله وقال له: اخرج عنا .

وهذا يؤكد على أن المختار الثقفي كان يريد الزعامة لنفسه، ولذلك طرد عبيد الله بن علي، لأنه لو مكث فلن يكون مقبولاً أن يترأس المختار شيعة علي بوجود أحد أبناء علي، وأرسل المختار إلى علي الأصغر ابن الحسين بن علي بن أبي طالب مائة ألف فكره أن يأخذها وخاف أن يردّها، وقد قام فيما بعد على باب الكعبة فلعن المختار، فقال له رجل: جعلني الله فداك تلعنه وإنما ذُبِحَ فيكم؟ فقال: إنه كان كذاباً يكذب على الله وعلى رسوله – الطبقات ٢١٣/٥- وكان عبد الله بن عباس رضي الله عنهما يَقْبَلُ عطاء المختار ولا يردُّه، وكان له مذهب في قبول العطاء من أية جهة جاء، أما قوله عن المختار أمام بَعْثٍ بعثه المختار لتخليص محمد ابن الحنفية من سجن عبد الله بن الزبير: أدرك ثأرنا وقضى ديوننا وأنفق

علينا – الطبقات ١٠٥/٥ وغيره- فهذا القول يقوله ابن عباس على سبيل الإخبار عن أمور فعلها المختار ولا ينطوي على مديح له أو تأييد أو موافقة له على فعله، والدليل على ذلك واضح وهو أن ابن عباس قد ذكر منافع مادية قدَّمها المختار لآل البيت الهاشمي، ولم يصفه بالتقوى أو بالصلاح أو بالهداية، ولم يَرِدْ في الكلام أي تأييد له أو رضاء عمّا فعل..

الارتحال للتعلم والإمام مالك

١٨٩- عن أبي هريرة ﷺ قال: (يوشك أن يضرب الناسُ أكبادَ الإبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة) قال عبد الرزاق: هو مالك بن أنس، وقال ابن عُيَيْنة: يُرَوْنه مالك بن أنس- رواه الإمام أحمد في مسنده: ٢٩٩/٢، والترمذي في العلم باب ما جاء في عالم المدينة رقم ٢٦٨٢، وقد حسَّنه، وقال عبد القادر الأرناؤوط: فيه عنعنة ابن جريج وأبي الزبير –.

أخبر الرسول ﷺ في هذا الحديث عن أمرين من أمور الغيب، الأمر الأول أن الناس سوف يسافرون في طلب العلم، وهذا لم يكن موجوداً في حياته ﷺ ، فالعرب كانوا أُمّةً أُمّيّةً والذين كانوا يعرفون الكتابة منهم معدودون، وبعد مدة وجيزة من ظهور الإسلام انشغل المسلمون في طلب العلم بسبب حضّ الإسلام على التعلم وقد جعل اكتسابه فرضاً وجعل لمن يكتسبه ثواباً عظيماً عند الله تعالى إذا أراد به نفع المسلمين، وقد فرض الإسلام على المسلمين تحصيل كافة العلوم النافعة للمسلمين فتحصيل ما يحتاج المسلم إلى معرفته هو فرض عَيْنٍ على كل مسلم وتحصيل علم الفقه الإسلامي والعلوم الدنيوية فرض كفاية إذا قامت به طائفة وكان عملها كافياً للأمة الإسلامية فإنه يسقط عن الآخرين، أمّا إذا لم تنهض به طائفة أو إذا لم يكن عمل هذه الطائفة كافياً للأمة الإسلامية فإن الأمة الإسلامية كلها تكون آثمة باستثناء من يعملون في هذا العلم. وأضرب مثالاً يوضح الحكم الإسلامي في هذه القضية، فالأمة الإسلامية اليوم لا تصنع السلاح والسلاح ضروري لها، فالله سبحانه وتعالى سوف يحاسب أولياء الأمور على تقصيرهم وسوف يحاسب كل غني يستطيع إنشاء مصنع للأسلحة أو يستطيع المساهمة مع غيره من الأغنياء في إنشاء مصنع، وسوف يحاسب كل طالب علم يستطيع تعلم شيء عن هذه الصناعة ثم يتقاعس، أما إذا كانت هناك عقبات لا يستطيعون اجتيازها ولا يستطيعون العمل في أي بلد إسلامي فالإثم يكون على صانعي العقبات وعلى كل من يتقاعس عن إزالة العقبات من الأمة

كلها، ولذلك نَشِط المسلمون في اكتساب العلم خوفاً من عقاب الله تعالى وطمعاً بثوابه العظيم، وصنع المسلمون في زمن قصير أعظم حضارة في العالم، وكثرت الرحلات في طلب العلم، وهذا ما أخبر عنه رسول الله ﷺ .

والأمر الثاني الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ هو ظهور العلم في المدينة المنورة، فعبارة (فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة) قد تعني انتشار العلم والعلماء في المدينة المنورة وتفوقهم على علماء الأمصار، ومعروف أن المسلمين قد ذكروا فقهاء بارزين ظهروا في المدينة المنورة من التابعين، منهم فقهاء المدينة السبعة، وكان إلى جانبهم فقهاء آخرون لا يقلّون عنهم علماً، وقد أخذ معظم المسلمين علم الفقه من علماء المدينة المنورة التابعين، وأرجّح أن رسول الله ﷺ أراد هذا المعنى، والله أعلم .

ولكن عبد الرزاق وابن عيينة وهما من كبار رجال الفقه ورواة الحديث وجامعيه قد فسّرا بأن المراد هو عالم واحد، وحينذاك يكون المقصود هو الإمام مالك بن أنس جَزْماً لأنه أعظم الفقهاء الذين ظهروا في المدينة المنورة، وهناك خلاف يسيرٌ حول تأريخ ولادة الإمام مالك، ففي تاريخ ابن الفرات مولده سنة تسعين، وفي الأنساب للسمعاني في ثلاث أو أربع وتسعين، ويضيف صاحب وفيات الأعيان تأريخاً آخر هو سنة خمس وتسعين، واختار صاحب الأعلام لولادته ووفاته التأريخ التالي ٩٣-١٧٩هـ =٧١٢-٧٩٥م، ومعظم المراجع تتفق على تأريخ وفاته المذكور سوى خبر رواه ابن الفرات بصيغة التمريض فقال: وقيل إنه توفي سنة ثمان وسبعين ومائة .

وهو[إمام دار الهجرة] بلا منازع، أي إمام المدينة المنورة، وقد قيل: [لا يفتى ومالكٌ في المدينة] وصار هذا القول مثلاً عند جماهير المسلمين حتى زماننا. وقد قال الإمام مالك: [قل رجلٌ كنت أتعلم منه ومات حتى يجيئني ويستفتيني] وهو صاحب[المذهب المالكي] وصاحب[الموطأ] وهو من الكتب التي جمعت أحاديث رسول الله ﷺ ، ويعد من الكتب الستة المقدّمة على كتب الحديث عند جمهور المسلمين، وله رسالة في[الوعظ] وكتاب في[المسائل] ورسالة في[الرد على القدرية] وكتاب في[النجوم] و[تفسير غريب القرآن].

ولجلال الدين السيوطي كتاب فيه بعنوان[تزيين الممالك بمناقب الإمام مالك]، وقد تعلم الإمام الشافعي من الإمام مالك، وقد أخرج أبو نعيم في الحلية ٣١٦/٦الخبر التالي عن ضرب الإمام مالك: ضرب جعفر بن سليمان مالك بن

أنس في طلاق المكره، وقد حُلِقَ وحُمِلَ على بعير وقيل له: نادِ على نفسك. فقال: ألا من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي وأنا أقول طلاق المكره ليس بشيء. فبلغ جعفر بن سليمان أنه ينادي على نفسه بذلك فقال: أدركوه أنزلوه.

وكان طلاب العلم وحديث النبي الأعظم ﷺ يرتحلون إليه من كل صوب، ويكفي أن يكون الإمام الشافعي ممن ارتحلوا إليه طلباً للعلم، وحينما مات الإمام مالك قالوا: مات عالم الدنيا.

وقضية طلاق المكره اختلف العلماء فيها، وهي أن يطلق الرجل زوجته مرغماً بالقوة والإكراه، فقال فقهاء: إنه يقع، وقال آخرون: إنه لا يقع، وتدخلت السياسة في هذه القضية، فقد أوهم بعض علماء السلاطين أبا جعفر المنصور بأن هذه الفتوى تنطبق على البيعة التي تعقد للخلفاء العباسيين، فإذا كان طلاق المكره لا يقع فإن البيعة التي تؤخذ من الناس تحت تأثير الخوف لا تنعقد وتكون باطلة، ولذلك يجب ان يصح طلاق المكره حتى تصح البيعة، ولهذا انطلق أبو جعفر المنصور وولاته لإرغام الفقهاء على القول بصحة طلاق المكره، وكان الإمام مالك رأس من واجهوا جبروت السلطان وتعرضوا للمحنة وصبروا عليها .

أمراء يؤخرون الصلاة

١٩٠- عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يميتون الصلاة–أو قال: يؤخرون الصلاة– عن وقتها؟) قلت: ما تأمرني؟ قال: (صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة) وفي رواية: (فإن أقيمت الصلاة وأنت في المسجد فصلّ) وفي أخرى: (فإن أدركتك- يعني الصلاة– معهم فصلّ، ولا تقل: إني قد صليت فلا أصلي) وفي أخرى جاء:إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً مجدع الأطراف وأن أصلي الصلاة لوقتها.. وذكر الحديث بنحوه، وفصل مسلم السمع والطاعة منه. – مسلم في المساجد باب كراهية تأخير الصلاة عن وقتها، وفي الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء، وأبو داود في الصلاة باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت رقم٤٣١، والترمذي في الصلاة باب تعجيل الصلاة إذا أخرها الإمام رقم ١٧٦، والنسائي في الإمامة باب الصلاة مع أئمة الجور، وباب إعادة الصلاة بعد ذهاب وقتها مع الجماعة٢/٧٥-.

١٩١- عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال لي رسول الله ﷺ: (كيف بكم إذا أتت عليكم أمراء يصلون الصلاة لغير ميقاتها؟) قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك يا رسول الله؟ قال: (صل الصلاة لميقاتها واجعل صلاتك معهم سبحةً) - مسلم في المساجد باب الندب إلى وضع الأيدي على الركب في الركوع، وأبو داود في الصلاة باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت رقم٤٣٢ واللفظ له، والنسائي في الإمامة باب الصلاة مع أئمة الجور، وباب موقف الإمام إذا كانوا ثلاثة والاختلاف في ذلك٢/٧٥و٧٦، وقد تركت رواية مسلم لهذا الحديث لاحتوائها على أمور أخرى-.

١٩٢ – عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إنها ستكون بعدي أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة لوقتها حتى يذهب وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها) فقال رجل: يا رسول الله أصلي معهم؟ قال: (نعم) وفي رواية: إن أدركتها أصليها معهم؟ قال: (نعم إن شئت) - أبو داود في الصلاة باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت رقم٤٣٣وإسناده صحيح-.

١٩٣- عن قبيصة بن وقّاص قال: قال رسول الله ﷺ: (ليأتين عليكم أمراء يقربون شرار الناس، ويؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فمن أدرك ذلك منكم فلا يكونن عريفاً ولا شرطياً ولا جابياً ولا خازناً) - ابن حبان في صحيحه-.

١٩٤- عن قبيصة بن وقّاص ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يكون عليكم أمراء من بعدي يؤخرون الصلاة، فهي لكم، وهي عليهم، فصلوا معهم ما صلوا القبلة) - أبو داود في الصلاة باب إذا أخر الإمام الصلاة عن الوقت رقم٤٣٤، وفي سنده صالح بن عبيد لم يوثقه غير ابن حبان، لكن يشهد له ما تقدم-.

لقد أخبر رسول الله ﷺ بأنه سيأتي بعده أمراء يؤخرون تأدية الصلاة حتى نهاية وقتها، وقد كان خلفاء بني أمية أول من أخر تأدية الصلاة كما يتضح من الأخبار التالية:

روى الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية٩/٨٩: وقال الزهري: دخلت على أنس بن مالك بدمشق وهو يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف مما كان رسول الله ﷺ وأصحابه إلا هذه الصلاة، وقد صنعتم فيها ما صنعتم. وفي رواية: وهذه الصلاة قد ضيعت. يعني ما كان يفعله خلفاء بني أمية من تأخير الصلاة إلى آخر وقتها الموسع، كانوا يواظبون على التأخير إلا عمر بن عبد العزيز أيام خلافته.

وجاء في الصفحة١٦٦: روى ابن عساكر أنه- أي: زياد بن حارث التميمي الدمشقي رحمه الله- دخل يوم الجمعة إلى مسجد دمشق وقد أخرت الصلاة، فقال: والله ما بعث الله نبياً بعد محمد ﷺ أمركم بهذه الصلاة هذا الوقت، قال: فأخذ فأدخل الخضراء فقطع رأسه، وذلك في زمن الوليد بن عبد الملك.

وجاء في الصفحة١٧٨ في حديثه عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله: ورد الصلاة إلى ميقاتها الأول بعد أن كانوا يؤخرونها إلى آخر وقتها.

وهكذا وقع ما أخبر به رسول الله ﷺ ، وقد طلب ﷺ ممن يشهد صلاة مؤخري الصلاة ألا يقول لهم: (إني قد صليت فلا أصلي) بل طلب منه أن يصلي دون اعتراض ودون كلام لأن الرسول ﷺ قد علم أن الأمويين سوف يقطعون رقبة من يعترض، والخضراء المقصود بها القبة الخضراء وهي في المسجد ذاته.

وطلب رسول الله ﷺ من المسلمين إطاعة الحاكمين ما داموا يصلون إلى القبلة ويحكمون بشريعة الله تعالى.

الفتن في العراق والجفاء في مشرق جزيرة العرب

١٩٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دعا نبي الله ﷺ فقال: (اللهم بارك لنا في صاعنا ومدنا وبارك لنا في شامنا ويمننا) فقال رجل من القوم: يا نبي الله وعراقنا؟ قال: (إن بها قرن الشيطان وتهيج الفتن وإن الجفاء بالمشرق) - الطبراني في الكبير، ورواته ثقات-.

قرن الشيطان قيل معناه: أتباع الشيطان وأشياعه. وقيل: شدته وقوته ومحل ملكه وتصريفه، والمعنيان مقصودان كما هو واضح في هذا الحديث وفي أحاديث أخرى سوف تمر بنا جاء فيها (قرن الشيطان) أيضاً لقد أخبر رسول الله ﷺ في هذا الحديث عن شيئين: الأول أن العراق سيكون مسرحاً للفتن الدامية ومراحاً للشيطان، والثاني هو أن القسوة والغلظة تكون بالمشرق، أي في المنطقة الشرقية من جزيرة العرب، وهذه المنطقة استوطنتها في الماضي شراذم من البدو القساة القلوب لم تعرف الإسلام ولم تعرف حلاوة الإيمان وصدقه، وصارت تعيش على السلب والنهب، واعتدت مع القرامطة وبدونهم على حجاج بيت الله الحرام بالقتل وباغتصاب الأعراض وبالسلب وبالنهب، وقطعت طريق الحج، وأخذت الأموال في بعض السنين من الحجاج حتى تأذن لهم بالمرور.

أما العراق فقد كان كما أخبرنا عنه رسول الله ﷺ ، ويحتاج إحصاء الفتن الدامية التي وقعت في العراق إلى مجلد كبير، ولذلك أكتفي بإعطاء فكرة مُجْمَلة

عنها، فلقد ساهم مستوطنو العراق في الفتنة ضد عثمان ثم في عهد علي ثم في عهد الحسين ثم كانوا سبب مقتل الحسين وأقاربه، وكان العراق مسرحاً لمعظم حركات الخوارج والشيعة فيما بعد، وساهم مستوطنو العراق في الصراع بين عبد الله بن الزبير والأمويين، وكانوا في ثورة المختار الثقفي، واحتاج الأمويون إلى زمن طويل وإلى حاكمين جلادين من مثل زياد ابن أبيه وابنه عبيد الله والحجاج بن يوسف الثقفي وغيرهم حتى هدأت الأحوال في العراق إلى حين، ثم كانت ثورة أبناء المهلب، ثم ثورات قبيل نهاية الحكم الأموي وفي الانقلاب العباسي، ثم خلال الحكم العباسي من أمثال ثورة الزنج، وحينما ضعفت الدولة العباسية أصبح العراق مسرحاً للفتن الدامية، وصار كل من يلمس في نفسه قوة يأتي إلى بغداد على رأس جيش لكي يستولي على مقاليد السلطة، وأصبحت سلطة الخلافة اسمية، ولما سيطر البويهيون على مقاليد السلطة وهم شيعة انفجر صراع طويل بين السنيين والشيعة بسبب ما أحدثه الشيعة بإضافة (حيّ على خيرِ العمل) في ختام الأذان وبلعن الصحابة وبالبكاء واللطم وتمزيق النساء ثيابهن وخلعهن أغطية الرأس في عاشوراء في ذكرى مقتل الحسين كل عام، وغير ذلك من فتن.

الصراع على منصب الخلافة

١٩٦- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون بعدي خلفاء فيكثرون) قالوا: فماذا تأمرنا؟ قال: (أوفوا ببيعة الأول، ثم أعطوهم حقهم، واسألوا الله الذي لكم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم) - البخاري في الأنبياء باب ذكر بني إسرائيل، ومسلم في الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأول فالأول، والإمام أحمد في مسنده: ٢-.

وقد أمرنا رسول الله ﷺ في أحاديث صحيحة بأن نفي ببيعتنا للخليفة الذي بايعناه وأن نقتل من يطلب الخلافة بالقوة مع وجود خليفة، فلا يسمح بوجود أكثر من خليفة في الدولة الإسلامية.

وهكذا أخبرنا رسول الله ﷺ بأنه سوف يكون بعده خلفاء كثيرون، وأنه لا نبي بعده، وأنه سوف يكون صراع على منصب الخلافة، ويطلب من المسلمين أن يتمسكوا بمن بايعوه وألا يسمحوا بخلعه، ويطلب من المسلمين أن يعطوا الخليفة وعماله حقهم المفروض عليهم وهو الطاعة في غير معصية الله، ويطلب

من المسلمين أن يتغاضوا عن إحجام الخليفة عن إعطائهم حقوقهم، والمقصود هو المال، فقد ذكر رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة أن الخلفاء لن يوزعوا أموال الخزينة على الرعية بالسوّية وأنهم سوف يستأثرون بالأموال، وقد طلب رسول الله ﷺ من المسلمين أن يتغاضوا عن هذا الأمر ما دام الحاكم مطبقاً للشريعة الإسلامية، ولكنه لم يطلب منهم أبداً أن يسكتوا عن المعاصي والفجور والكفر وتعطيل أحكام الشريعة الإسلامية، ففي هذه الحالات يفرض على المسلمين خلع حكامهم وإلا فإنهم سيكونون حطباً لجهنم، ولقد طلب رسول الله ﷺ في أحاديث أخرى أن يطيع المسلمون خليفتهم ما دام يحكم بشريعة الله تعالى، أما إذا هجرها فعليهم خلعه وقتله، وإن كل من يطيعه ويدافع عنه في هذه الحال يكون كافراً وإن صام وصلى وحج واعتمر وأطال الذقن، لأن شريعة الله تعالى نزلت لتطبق وليس لتهجَر.

هلاك الأمة على أيدي قريش وغلمانها

١٩٧- عن عمرو بن يحيى بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص قال: أخبرني جدي قال: كنت جالساً مع أبي هريرة في مسجد النبي ﷺ بالمدينة ومعنا مروان، قال أبو هريرة: سمعتُ الصادقَ المصدوق يقول: (هلكة أمتي على يدي– وفي نسخة: على أيدي– غِلمة من قريش) فقال مروان: لعنة الله عليهم غلمةً. فقال أبو هريرة: لو شئت أن أقول: بني فلان وبني فلان لفعلت. فكنت أخرج مع جدي إلى بني مروان حين ملكوا بالشأم فإذا رآهم غلماناً أحداثاً قال لنا: عسى هؤلاء أن يكونوا منهم. قلنا: الله أعلم- البخاري في الفتن باب قول النبي ﷺ: هلاك أمتي..، وفي الأنبياء باب علامات النبوة..، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل..، والإمام أحمد في مسنده: ٢وعنده نعت [سفهاء] لغلمة-.

١٩٨-عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يُهلِك أمتي هذا الحي من قريش) قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: (لو أن الناس اعتزلوهم) - البخاري في الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، وفي الفتن باب قول النبي ﷺ : هلاك أمتي على أيدي غلمة سفهاء، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل..-.

أخبرنا رسول الله ﷺ بأن هلاك الأمة الإسلامية سوف يتم على أيدي قريش ومعظم الهلاك سوف يتم على أيدي غلمان قريش، والغلام كما في[لسان

العرب] الطارّ الشابّ، وقيل هو من حين يولد إلى أن يشيب، وهذا ينطبق على الفتيان الذين تولوا شؤون الحكم خلفاء وولاة وقادة جيوش قبل أن يكتمل نمو شواربهم، أو قبل أن يكتمل نضج عقولهم ومداركهم، وقد وقع هذا على أيدي الأمويين وأيدي من خرج عليهم، وعلى أيدي العباسيين وأيدي من خرج عليهم، وهذه بعض الأمثلة على المعارك الطاحنة التي أزهقت فيها أرواح كثير من المسلمين: موقعة الجمل، موقعة صفين، ثم كربلاء والحرة وغيرهما في عهد يزيد بن معاوية وهو يمكن أن يوصف بالغلام، ثم الحروب بين الأمويين وعبد الله بن الزبير والشيعة، ثم الحروب التي وقعت منذ بيعة الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة١٢٥حتى نهاية الحكم الأموي سنة١٣٢وكان معظم مسعّريها من الغلمان، ومن هذه الحروب أرسل إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك جيشاً من مائة وعشرين ألف مقاتل لمحاربة جيش مروان بن محمد وهو من ثمانين ألفاً سنة١٢٧، وفي السنة ذاتها خلع سليمان بن هشام بن عبد الملك مروان بن محمد، وكان مع سليمان سبعون ألف مقاتل، وقُتل في الموقعة أكثر من ثلاثين ألف قتيل، ثم الفتن الدامية التي رافقت الانقلاب العباسي وشملت الأرض الإسلامية من مشرقها إلى مغربها، وقد استحرّ القتل في أمة الإسلام من سنة١٢٨ إلى سنة١٥٢، وقدّر من قتلهم أبو مسلم الخراساني صبراً بستمائة ألف، ولا يعلم إلا الله تعالى عدة نفوس المسلمين التي قتلت في سبيل وصول العباسيين إلى الحكم وفي سبيل توطيد حكمهم، ثم الفتن الدامية التي رافقت صراع الأمين والمأمون على الحكم وهما غلامان من سنة١٩٥إلى١٩٨، ثم ظهرت محنة القول بخلق القرآن وسامَ العباسيون فيها علماء الإسلام شتى صنوف الإيذاء، ومضى العباسيون يقتل بعضهم بعضاً في سبيل الحكم، وتقطعت صلة الأرحام بينهم، فقتل الابن أباه، والأخ أخاه، والعم ابن أخيه، واستمر الصراع حتى حينما أصبح الخليفة في قفص كما يقول الشاعر وأصبح أضحوكة ليس له أمرٌ ولا نهيٌ وظل العباسيون يقتل بعضهم بعضاً في سبيل دخول القفص...

وهكذا أصاب الأمة الإسلامية أذى كبير على أيدي قريش بعامة وعلى أيدي غلمانها بخاصة، وكادوا أن يهلكوا هذه الأمة، وقد أوهنوها، وجعلوها غير قادرة على صد جيوش الطامعين بها بعد أن كانت أقوى أمةً في الأرض، وحبذا لو وعت هذه الأمة وصية نبيها باعتزال القرشيين وعدم تحريض بعضهم على بعض وعدم الوقوف معهم في اقتتالهم على السلطة.

الخلافة في قريش

١٩٩- عن محمد بن شهاب الزهري رحمه الله قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث أنه بلغ معاوية وهو عنده في وفد من قريش أن عبد الله بن عمرو بن العاص يحدث: [أنه سيكون ملك من قحطان] فغضب معاوية، فقام، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: أما بعد، فإنه بلغني أنّ رجالاً منكم يتحدثون أحاديث ليست في كتاب الله، ولا تؤثر عن رسول الله ﷺ فأولئك جُهّالكم، فإياكم والأماني التي تُضِل أهلها، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنَّ هذا الأمر في قريش، لا يُعاديهم أحدٌ إلا كَبَّه الله على وجهه ما أقاموا الدين) - البخاري في الأحكام باب الأمراء من قريش، وفي الأنبياء باب مناقب قريش -.

٢٠٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم اثنان) - البخاري في الأحكام باب الأمراء من قريش، وفي الأنبياء باب مناقب قريش، ومسلم في الإمارة باب الناس تَبَعٌ لقريش، والإمام أحمد في مسنده: ٢-.

٢٠١- عن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: (قريش ولاة الناس في الخير والشر إلى يوم القيامة) - الترمذي في الفتن باب ما جاء أن الخلفاء من قريش إلى أن تقوم الساعة رقم ٢٢٢٨، وإسناده صحيح، قال ابن حجر في الفتح: أخرجه أصحاب السنن وصححه ابن حبان، وقال الترمذي: وفي الباب عن عمر وعلي رضي الله عنهما قالا: لم يعهد النبي ﷺ في الخلافة شيئاً -.

٢٠٢- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: (الناس تَبَعٌ لقريش في الخير والشر) - مسلم في الإمارة باب الناس تبع لقريش -.

٢٠٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (الناس تَبَعٌ لقريش في هذا الشأن، مُسْلِمُهم تَبَعٌ لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم، الناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، تجدون من خير الناس أشدَّ الناس كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه) - البخاري في الأنبياء باب المناقب، ومسلم في الإمارة باب الناس تبع لقريش..، والإمام أحمد في مسند٢/٢٤٣ و٢٦١و ٣٩٥ و٤٣٣.-.

٢٠٤- حدثنا سكين بن عبد العزيز عن سيار بن سلامة عن أبي برزة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (الأئمة من قريش ما حكموا فعدلوا ووعدوا فوفوا واستُرحموا فرحموا) - أخرجه الإمام أحمد وأبو يعلى في مسنديهما، والطبراني، وأبو داود

والطيالسي في مسنده، والسيوطي في تاريخ الخلفاء-.

٢٠٥- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (المُلْكُ في قريش، والقضاء في الأنصار، والأذان في الحبشة، والأمانة في الأزد) - والأزد يمانيون، رواه الترمذي في المناقب باب في فضل اليمن حديث رقم ٣٩٣٢ مرفوعاً من حديث زيد بن الحباب عن معاوية بن صالح عن أبي مريم الأنصاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، وقد رواه عبد الرحمن بن مهدي عن معاوية بن صالح عن أبي مريم عن أبي هريرة نحوه لم يرفعه، وقال الترمذي: وهذا أصح من حديث زيد بن الحباب- ومعنى ذلك أن الحديث من قول أبي هريرة يقرر ما يراه من استخلاف قرشيين وفقه ثابت بن زيد الأنصاري وأذان بلال..، ومعنى ذلك أنه لا يحمل نبوءة نبوية باستثناء ما عرفه أبو هريرة من رسول الله ﷺ من أن الخلافة والملك سيكونان في قريش .

٢٠٦ قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: روى الإمام أحمد بسند رجاله موثّقون حدثنا الحاكم بن نافع، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن ضمضم بن زرعة، عن شريح، عن كثير بن مرة، عن عتبة بن عبدان، أن النبي ﷺ قال: (الخلافة في قريش، والحكم في الأنصار، والدعوة في الحبشة) وأرى هذا الحديث كسابقه .

٢٠٧- قال السيوطي في تاريخ الخلفاء: روى البزار: حدثنا إبراهيم بن هانيء، حدثنا الفيض بن الفضل، حدثنا مسعر، عن سلمة بن كهيل، عن أبي صادق، عن ربيعة بن ماجد، عن علي بن أبي طالب ﷺ قال: الأمراء من قريش أبرارها أمراء أبرارها، وفجارها أمراء فجارها.

أخبرنا رسول الله ﷺ بأن مقاليد الحكم سوف تؤول إلى القرشيين بعد موته، وهذا ما وقع في خلافة الراشدين والأمويين والعباسيين، ويستخلص من هذه الأحاديث ومن أحاديث أخرى أن رسول الله ﷺ امتدح خلافة الراشدين وحدهم، أما خلافة الآخرين فلم يكن راضياً عنها، وأخبر عن تمسك الراشدين بكتاب الله وسنة رسوله وعن انحراف الآخرين، فأحاديث رسول الله ﷺ قد جاءت على وجه الإخبار وليس على وجه الإلزام، فالقرشيون بعامة يمتلكون خصال السيادة، ولذلك يتولون زعامة المسلمين وزعامة الكافرين وزعامة الحركات الانقلابية والانفصالية، فالذين فهموا أن رسول الله ﷺ قد عهد بالخلافة لقريش كانوا مخطئين، لأننا إذا حملنا أقواله ﷺ على معنى الأمر ترتّب على ذلك أن يكون ﷺ قد أمر الكافرين أيضاً بتأمير قرشي عليهم، وهذا محال،

فرسول الله ﷺ يخبر أن الناس سينقادون لقريش في حالتي الكفر والإسلام، فالكافرون ينقادون لقرشي كافر، والمسلمون ينقادون لقرشي مسلم، وقد عبّر رسول الله ﷺ عن الإسلام والكفر بالخير والشر في أحاديث أخرى، فالخير هو الإسلام والشر هو الكفر وهذا واضح، فالذين يبترون حديث جابر ويقولون: (الناس تبع لقريش) . ويقررون أن رسول الله ﷺ قد أمر أن تكون الخلافة في قريش يفعلون مثلما يفعل من يقول: قال الله تعالى: ﴿ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ ، ومن فهم منه أن رسول الله ﷺ قد أمر بأن ينقاد المسلمون لقريش في الخير والشر يكون أسوأ مسلم وأسوأ مفسر للغة العربية، وقد مر بنا وصية رسول الله ﷺ للمسلمين بأن يعتزلوا قريشاً .

وأما حديث عمرو بن العاص عند الترمذي ٢٠١ ففيه زيادة غير مقبولة وهي (إلى يوم القيامة) ولا أعلم من أين جاءت، وهل جاءت عن سوء فهم أم عن إساءة فهم متعمدة ؟ فليس في أحاديث رسول الله ﷺ ما يوافقها، وهناك كثير ينقضها.

الإخبار بتولي الوليد

٢٠٨ قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية- ٦/١٠-: وقد قال الإمام أحمد: حدثنا أبو المغيرة، حدثنا ابن عياش، حدثني الأوزاعي وغيره عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: ولد لأخي أم سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ غلام فسموه الوليد، فقال النبي ﷺ : (سميتموه باسم فراعينكم، ليكونن في هذه الأمة رجل يقال له الوليد، لهو أشد فساداً لهذه الأمة من فرعون لقومه) قال الحافظ ابن عساكر: وقد رواه الوليد بن مسلم ومعقل بن زياد ومحمد بن كثير وبشر بن بكر عن الأوزاعي، فلم يذكروا عمر في إسناده وأرسلوه، ولم يذكر ابن كثير سعيد بن المسيب ثم ساق طرقه هذه كلها بأسانيدها وألفاظها، وحكى عن البيهقي أنه قال: هو مُرسَل حسن .

٢٠٩- ثم ساق من طريق محمد عن محمد بن عمر بن عطاء عن زينب بنت أم سلمة عن أمها قالت: دخل النبي ﷺ وعندي غلام من آل المغيرة اسمه الوليد، فقال: (من هذا يا أم سلمة ؟) قالت: هذا الوليد. فقال النبي ﷺ : (قد اتخذتم الوليد حناناً- أو حساناً- غيّروا اسمه، فإنه سيكون في هذه الأمة فرعون يقال له الوليد) .

٢١٠- وروى ابن عساكر من حديث عبد الله بن محمد بن مسلم حدثنا محمد بن غالب الأنطاكي حدثنا محمد بن سليمان بن أبي داود حدثنا صدقة عن هشام بن الغاز عن مكحول عن أبي ثعلبة الخشني عن أبي عبيدة بن الجراح عن النبي ﷺ قال: (لا يزال هذا الأمر قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية) .

أخبرنا رسول الله ﷺ في هذه الأحاديث عن أمرين:

١- ظهور حاكم في الأمة الإسلامية يقال له: الوليد أشد فساداً لهذه الأمة من فرعون لقومه .

٢- ستظل الخلافة قائمة بالقسط حتى يثلمها رجل من بني أمية .

ولقد رأى بعض الإخباريين أن الفرعون المفسد هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك، وجعلوا الحديث ٢٠٨ ينطبق عليه أيضاً، والمعروف أنه حينما يشبه رجل بفرعون يتبادر مباشرة إلى الذهن معنى الطغيان والظلم والاستبداد بالرأي، ثم إن الفساد لا يقتصر في لغة القرآن والحديث على شرب الخمر واللهو الذي عُرف عن الوليد بن يزيد، وإنما الطغيان رأس الفساد، ولذلك أرى أن هذا الحديث ينطبق على الوليد بن عبد الملك بن مروان (٤٨-٩٦هـ-٦٦٨-٧١٥م) ، ولي الخلافة بعد وفاة أبيه سنة ٨٦، صحيح أن هذا الحاكم قد قام بأعمال جليلة أنست الناس عيوبه، ومنها تجديد بناء المساجد بأشكال فنية بديعة وبناء مساجد بديعة والإنفاق عليها بإسراف عظيم، منها مسجد الرسول ﷺ والمسجد الأقصى والجامع الأموي، ومنها انشغاله بالفتوحات شرقاً وغرباً، ومنها إصلاح الطرق وعمل الآبار وبناء المستشفيات ومنع المجذومين من مخالطة الناس، وتخصيص أرزاق لهم وتخصيص قائد لكل ضرير وخادم لكل مُقْعَد ..

لكن هذه الأعمال الجليلة لا تنسيني سيئته العظمى الحجاج بن يوسف الثقفي، فالحجاج كان الرجل الأول في دولته، وكان مسموع الكلمة عنده، بل إن سلطان الحجاج عند الوليد كان فوق سلطان بني أمية جميعاً بما فيهم إخوة الوليد، ومعروف أن الإخباريين ورجال ذلك الزمان قد قدّروا مَن قتلهم الحجاج صبراً بمائة ألف وعشرين ألفاً، وكان الوليد يعرف ظلم الحجاج، ولا يُقْبَل من الحاكم ان يزعم أنه يجهل مظالم رجال دولته، فالحاكم مسؤول أمام الله تعالى عن ظلم أعوانه ومرؤوسيه جميعاً، ولا يوجد حاكم لا يعرف ما يفعله أعوانه، والوليد يعرف ظلم الحجاج، ومع ذلك أطلق يده في الأمة يفعل بها ما يشاء، وأعطاه من السلطات والصلاحيات فوق ما أعطاه والده عبد الملك بن مروان

بكثير مع اختلاف كبير بينهما، فعبد الملك كان في وقت كثرت فيه الاضطرابات، أما الوليد فقد كان في عهد استقرار، ومع ذلك أطلق يد الحجاج يضطهد الناس ويقتلهم ولا يفعل الوليد شيئاً، ويعذب التقي النقي العلامة سعيد بن جبير ثم يتوِّج جرائمه بقتله، ولا يفعل الوليد شيئاً، ويفر الناس من ظلم الحجاج إلى المدينة المنورة ومكة المكرمة حيث الرجل الصالح عمر بن عبد العزيز يظلهم بجناح اللين والرحمة والعدل ويطمئنون عنده من غوائل الظالمين، ويستكينون فلا يعزمون على إثارة فتنة أو إحداث تمرد، لكن هذا لا يروق الحاكم الظالم المتعطش للدماء، فيشكو الحجاج إلى الوليد إيواء عمر للعراقيين الفارين، فيستجيب الوليد الفرعون لشكوى الحجاج استجابة تدل على تأييده العظيم لسياسة الظلم، فيعزل ابن عمه وزوج أخته عمر بن عبد العزيز سنة ٩٣، ويرسل طاغية من تلاميذ مدرسة الحجاج وهو خالد بن عبد الله القسري والياً على مكة لينفذ ما يريده الحجاج الطاغية، فيخرج العراقيين إلى العراق كرهاً وعنوة ويهدد كل من أنزل عراقياً عنده أو أجَّره داراً بالويل والثبور وعظائم الأمور، واشتد على أهل الحجاز وجار فيهم، وأرسل إلى المدينة المنورة عثمان بن حيان وهو من مدرسة الحجاج أيضاً، وقد فعل أفاعيل أخيه والي مكة، والاثنان اقترحهما الحجاج واستجاب الوليد .

وعبد الملك بن مروان كان يخيف الحجاج وكان يتدخل إن لزم الأمر، أما الوليد فقد أسلم الأمر كله للحجاج، وزاد على ذلك أنه أصبح مطيعاً للحجاج ينفذ رغباته، فالوليد بن عبد الملك أشد طغياناً وأعظم فساداً من الوليد بن يزيد، وهو أولى منه بلقب فرعون، والخبر الذي مر بنا عن قطع رقبة الرجل الذي أنكر تأخير الصلاة في المسجد كان في زمن الوليد بن عبد الملك .

أما الوليد الذي رأى بعضهم أنه المقصود فهو الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان (٨٨-١٢٦هـ =٧٠٧-٧٤٤م) ولي الخلافة سنة ١٢٥ بعد وفاة عمه هشام فمكث في الخلافة سنة وثلاثة أشهر، وكان محباً للهو وسماع الغناء وشرب الخمر، وجعله بعضهم كافراً، وهذا غير صحيح على الأرجح قال ابن خلدون: (ساءت القالة فيه كثيراً، وكثير من الناس نفوا ذلك عنه، وقالوا إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به) فلقد تعرضت سمعته للتشويه من أصحاب الأغراض، وشارك أقرباؤه في تلطيخ سمعته، والعجيب أن بعضهم يقول عنه إنه تقي، ومهما يكن من أمره، فيمكن تصنيفه مع أهل اللهو والمجون ولا يصح

تصنيفه مع المتجبرين الطغاة، ولا يصح تشبيهه بفرعون موسى، والوليد بن عبد الملك أولى منه بهذا، وقد نقل عن عمر بن عبد العزيز أنه قال: لو جاء الناس بذنوبهم وجئنا بالحجاج لرجحت ذنوبنا على ذنوب الناس .

أما الأمر الثاني الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ بقوله: (لا يزال هذا الأمر قائماً بالقسط حتى يثلمه رجل من بني أمية) فربما انطبق هذا الأمر على الوليد بن يزيد لأنه انصرف إلى شرب الخمر وسماع المغنين والمغنيات، إن صح ذلك عنه، فلم يُعرف عن أحد من سابقيه أنه عكف على اللهو وجعله شغله الشاغل، وقد يكون صاحب الثلمة هو يزيد بن الوليد بن عبد الملك الذي سعى لخلع الوليد بن يزيد فأحدث أمراً جديداً وهو خلع الخليفة بعد تنصيبه واغتصاب الخلافة منه، وتكرر هذا الأمر كثيراً في الأزمنة التالية .

ولكنني أرجح أن صاحب الثلمة هو معاوية بن أبي سفيان، فقد كان الأمر قائماً بالقسط في عهد الخلفاء الراشدين وحدهم، أما غيرهم فلهم انحرافات تقل وتكثر، وجاء معاوية وصارع على الخلافة واغتصبها اغتصاباً، واستمال خاصة الناس بإغداق الأموال عليهم فخرق المنهج العادل الذي كان يسير عليه الخلفاء الراشدون في توزيع الأموال على الرعية، ثم أخذ البيعة لابنه يزيد فجعل الحكم وراثياً، وهذه الخروق الثلاثة تكفي للحكم على معاوية بأنه صاحب الثلمة، وقد سن بهذا سنناً سيئة عمل بها من جاء بعده .

إمارة الصبيان وشرور سنة سبعين

٢١١- قال ابن سعد في الطبقات-٨٧/٤- قال: أخبرنا الفضل بن دكين قال: حدثنا يزيد بن مردانبة عن خليفة بن سعيد المرادي عن عمه قال: رأيت سلمان الفارسي في المدائن في بعض طرقها يمشي فزحمته حِمْلةٌ من قصب فأوجعته فتأخر إلى صاحبها الذي يسوقها فأخذ بعضده فحركه ثم قال: لا مِتَّ حتى تدرك إمارة الشباب .

٢١٢- قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية- ١١٢/٨-: قال الحافظ أبو بكر بن مالك: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل حدثني أبو بكر ليث بن خالد البجلي حدثنا عبد المؤمن بن عبد الله السدوسي قال: سمعت أبا يزيد المديني يقول: قام أبو هريرة على منبر رسول الله ﷺ دون مقام رسول الله ﷺ بعتبة فقال: ويل للعرب من شر قد اقترب، ويل لهم من إمارة الصبيان، يحكمون فيها بالهوى ويقتلون بالغضب .

٢١٣- وقال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية- ٨/٢٣٠قال الحافظ أبو يعلى: حدثنا زهير بن حرب حدثنا الفضل بن دكين حدثنا كامل أبو العلاء: سمعت أبا صالح سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ : (تعوذوا بالله من سنة سبعين ومن إمارة الصبيان) .

ولقد ذكر رسول الله ﷺ أنه سوف يأتي زمان يُوَلَّى فيه الصبيان الإمارة فيحكمون وفق أهوائهم ويقتلون إذا غضبوا دون أن يكون المسلم المقتول مستحقاً للقتل شرعاً، ومعلوم أن المسلم لا يحل قتله إلا إذا زنى وهو محصن، أو إذا زنى بإحدى محارمه، أو إذا ارتد عن الإسلام أو إذا قتل مسلماً متعمداً ، وأخبر رسول الله ﷺ بأنه سوف تقع شرور سنة سبعين .

وإمارة الصبيان والغلمان وقعت حينما جعل معاوية بن أبي سفيان الحكم وراثياً، وأصبح من جاء بعده من الأمويين والعباسيين والعبيديين والأتراك والأكراد وغيرهم يَعْقِدون البيعة لأبنائهم في حياتهم مهما كانوا صغاراً، وصار السلاطين يولّون أبناءهم وأقاربهم على الجيوش والأمصار، ولقد أحدث هذه البدعة معاوية أيضاً، فحينما أراد أن يأخذ البيعة لابنه وهو غير كفء جعله أميراً للحملة التي أرسلها لغزو القسطنطينية مع أنه لا يفقه من أمور الحرب شيئاً وأطلق عليه لقب فتى العرب وأعجبت هذه البدعة الملوك الذين أتوا بعده فصاروا يؤمّرون أبناءهم وهم غلمان، ويعقدون البيعة لهم في حياتهم، وصاروا يعقدون أكثر من بيعة في وقت واحد، فقد عقد عبد الملك بن مروان البيعة لأولاد أربعة دفعةً واحدة (الوليد وسليمان ويزيد وهشام) ، وكذلك فعل هارون الرشيد حينما أخذ البيعة للأمين والمأمون، وفي البداية كان السلطان إذا كان ولده صغيراً يولي أخاه على أن يعود المُلك لابنه فيما بعد، ولكنهم فيما بعد صاروا لا يتورعون عن أخذ البيعة للأطفال الصغار، فلقد خلع الأمين أخاه المأمون وعزم على أخذ البيعة لابنه موسى وقد كان عمره خمس سنوات، ثم جاءت المضحكات فيما بعد، فقد صار الأطفال يُنَصَّبون ملوكاً وأمراء مهما كانوا صغاراً حتى لو كانوا رضعاً لم يخرجوا من اللفة، وأصبح الأمر غير محتاج لأن يأخذ الأب البيعة لابنه في حياتِهِ، فقد ينهض من يأخذ له البيعة بعد وفاة أبيه، وهاهي بعض الأمثلة:

سنة ٢٩٥ بويع جعفر بن المعتضد بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفي بالله، ولُقب بالمقتدر بالله، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، وفي سنة ٣٠١ ولي الأمير أبو

العباس بن المقتدر على مصر والمغرب وعمره أربع سنوات، واستخلف على مصر مؤنس الخادم، وكان مؤنس يستخلف من يشاء. وفي هذه السنة قتل أمير خراسان وما وراء النهر أحمد بن إسماعيل بن أحمد الساماني وولي بعده ابنه أبو الحسن نصر بن أحمد وهو ابن ثماني سنين .

وفي سنة ٣٦٦ توفي حاكم الأندلس الخليفة المستنصر بالله ابن الناصر لدين الله عبد الرحمن الأموي، فبويع ولده هشام وله عشر سنين ولقب بالمؤيد بالله، وسيطر عليه حاجبه المنصور بن أبي عامر وأطفأ ذكر الخليفة الطفل فأصبح كالسجين وأصبح المنصور الحاكم الفعلي. وفي السنة ذاتها توفي الأمير منصور بن نوح الساماني صاحب خراسان وما وراء النهر، فولي بعده ولده أبو القاسم نوح، وكان عمره ثلاث عشرة سنة، ولقب بالمنصور .

وفي سنة ٣٨٦ بويع الحاكم بأمر الله العبيدي في مصر بعد أبيه العزيز بن المعز، وكان عمره إحدى عشرة سنة وستة أشهر كما في الكامل والبداية والنهاية، ولكن صاحب وفيات الأعيان قال إن عمره خمس سنوات. وفي هذه السنة ولي على إفريقية باديس بن المنصور بن يوسف بلكين وهو ابن اثنتي عشرة سنة .

وفي سنة ٣٨٧ توفي فخر الدولة أبو الحسن علي بن ركن الدولة البويهي وأقيم ولده رستم مكانه وكان عمره أربع سنوات، ولقب بمجد الدولة .

وفي سنة ٤٠٦ ولي المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميري الحكم في إفريقية بعد وفاة أبيه، وكانت تخضع اسمياً لحكم العبيديين في مصر، وكان عمر المعز ثماني سنوات وقيل إحدى عشرة سنة .

وفي سنة ٤١١ فُقد الحاكم بأمر الله العبيدي في ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال، وقد قيل إن أخته دبرت مقتله، وبويع ولده علي، وكنيته أبو الحسن، ولقب بالظاهر لإعزاز دين الله، وكان عمره سبع عشرة سنة.

وفي سنة ٤٢٧ توفي حاكم مصر الظاهر العبيدي وبويع ولده معد، وكنيته أبو تميم، وعمره سبع سنين، ولقب بالمستنصر بالله.

وفي سنة ٤٦٧ توفي القائم بأمر الله بعد أن أخذ البيعة لحفيده عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين وكان عمره تسع عشرة سنة، ولقب بالمقتدي بأمر الله .

وفي سنة ٤٨٥ ولي محمود بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق السلطنة بعد وفاة أبيه، وكان عمره خمس سنين أو أربع سنين وشهوراً .

وفي سنة ٤٨٧ توفي الخليفة العباسي المقتدي بأمر الله، وقد ولي الخلافة وعمره تسع عشرة سنة، وبويع ابنه أبو العباس، واسمه أحمد، وعمره ست عشرة سنة وشهران، ولقب بالمستظهر بأمر الله .

وفي سنة ٤٩٥ توفي حاكم مصر المستعلي أو المستنصر بالله في ذي الحجة، وكان قد ولي وعمره سبع سنوات، وولي ابنه علي وله تسع سنوات، كما في البداية والنهاية، وخمس سنين وشهر كما في تاريخ أبي الفداء .

وفي سنة ٤٩٧ توفي الملك دُقاق بن تتش صاحب دمشق وولي ابنه وعمره سنة واحدة، ثم انقلبت ولاية السلطنة لعمه بكتاش وعمره اثنتا عشرة سنة، ثم أعيدت إلى الطفل ابن السنة، فاستعان العم بالفرنجة ولم يستجيبوا له .

وفي سنة ٤٩٨ توفي السلطان بركيارُق بن ملكشاه وولي ابنه ملكشاه وعمره أربع سنين وشهور.

وفي سنة ٥٠٠ ولي زنكي بن جكرمش الموصل بعد وفاة أبيه وعمره إحدى عشرة سنة .

وفي سنة ٥٠٦ ولي على مملكة خلاط، وهي من أهم الثغور في مواجهة الروم، الطفل سكمان بن إبراهيم سكمان وعمره ست سنين .

وفي سنة ٥١١ توفي السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان سلطان العراق وخراسان وغيرهما وولي ابنه محمود وعمره أربع عشرة سنة .

وفي سنة ٥١٣قامت حركة عصيان للمطالبة بتنصيب طُغْرُل على السلطنة وكان عمره عشر سنوات .

وفي سنة ٥٤٤ مات سيف الدين غازي زنكي صاحب الموصل، وولي بعده أخوه قطب الدين مودود، وكان عمره تسع عشرة سنة .

وفي سنة ٥٤٩ قتل حاكم مصر الظافر العبيدي وولي ابنه عيسى، وكان عمره خمسة شهور كما في البداية والنهاية، أو ثلاث سنوات كما في تاريخ أبي الفداء، أو خمس سنوات كما في الكامل في التاريخ.

وفي سنة ٥٥٥ مات حاكم مصر الفائز العبيدي وولي عبد الله بن يوسف الحافظ ابن المستنصر، ولقب العاضد لدين الله، وكان يومئذ قد ناهز الاحتلام، وبموت هذا الحاكم أنهى صلاح الدين الأيوبي حكم العبيديين، وكان صلاح الدين عاملاً لنور الدين زنكي.

وفي سنة ٥٦٩ ولي في أواخرها إسماعيل بن نور الدين زنكي المُلك

وعمره إحدى عشرة سنة، ومُلكه كان في الشام ومصر أي على جبهة القتال مع الصليبيين .

وفي سنة ٥٨٠ توفي صاحب ماردين الأرتقي فولي الطفلان حسام الدين بولق أرسلان ثم أخوه قطب الدين مع أن الإمارة على جبهة قتال.

وفي سنة ٥٨١- ولى صلاح الدين الأيوبي شيركوه على حمص وعمره اثنتا عشرة سنةً والإمارة على جبهة قتال .

وفي سنة ٥٩٥ توفي الملك العزيز بن صلاح الدين الأيوبي واتفق رجال السلطنة على تولية ابنه محمد وعمره عشر سنين، ولقبوه ناصر الدين المنتصب في السلطنة والقائم بالأمر.

وفي سنة ٦١٥ توفي نور الدين أرسلان صاحب الموصل وولي أخوه محمود وعمره ثلاث سنوات ولقب بناصر الدين .

وهذه الأمثلة تكفي، ولم أذكر أسماء الغلمان الذين تولوا حكم ولاية أو ولايات وهم عادة يكونون من أبناء الخلفاء والملوك والسلاطين.

ولقد حذر رسول الله ﷺ من شرور سنة سبعين، وهذا تلخيص لما وقع في هذه السنة:

لقد صالح عبدُ الملك بن مروان الرومَ على أن يؤدي إليهم الجزية لكي يتفرغ لقتال مصعب بن الزبير. ثم وقعت الحروب المفجعة بين قيس وتغلب، وهكذا حدث صَدْعان في صَرْح الدولة الإسلامية هما حروب قيس وتغلب، والحروب المضرية اليمانية، وقد أدّيا إلى تمزق الدولة الإسلامية وإضعافها لأن هذه الفتنة الدموية العمياء قد امتدت إلى مشارق بلاد المسلمين ومغاربها وعبرت البحر إلى الأندلس ليس كعبور الجيش الإسلامي المشرِّف المُبْهِج، وإنما عبرته عبوراً مُخْزياً مُفْجِعاً، فأصبح الإخوة العرب المسلمون يقتتلون والعدو متربص بهم.

وفي حروب سنة سبعين وفي الأيام الشهيرة بين قيس وتغلب في الجزيرة السورية وحدها كان قتلى بني تغلب في يوم ماكسين خمسمائة، وفي يوم الثرثار الأول قتلت تغلب من قيس مقتلة عظيمة وبقروا بطون ثلاثين امرأة من بني سُليم، ووقع بينهما يوم الثرثار الثاني ويوم الفُدَيْن ويوم السُّكَيْر ويوم المعارك ويوم الشرْعبية ويوم البَليخ وانهزمت فيه تغلب وكثر القتل فيها وبُقرت بطون النساء، ويوم الحَشّاك ويوم الكُحَيْل وفيه قُتل رجال من بني فَدَوْكَس بطن من

تغلب واستبيحت نساؤهم، وفي اللقاء مع بني تغلب كثُر فيهم القتل وبُقرت بطون النساء، ويوم البِشْر أسرف فيه القيسية في القتل وبقر بطون النساء .

نار من أرض الحجاز

معلوم أن من أشراط الساعة خروج نار من اليمن وأرجح أن تكون من عدن، لأن عدناً تقوم على جبل من الصخور البركانية، والله أعلم، تنطلق هذه النار لتسوق الناس إلى أرض المحشر وهي بلاد الشام، ويكون الناس آنذاك كفاراً، وسوف يمر بنا في الأحاديث الصحيحة رقم٧٨٨ (أول أشراط الساعة نارٌ تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) أي تحشر الناس جميعاً، ورقم٧٩٠ (ستخرج نار من حضرموت قبل القيامة تحشر الناس) ورقم٧٩١ (سيخرج عليكم في آخر الزمان نار من حضرموت تحشر الناس) وبلاد حضرموت هي الشطر الجنوبي من اليمن وعدن منها، ورقم ٦١٣ (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وفي رواية (ونار تخرج من قعرة عدن ترحل الناس) وهذه الأحاديث الصحيحة تتحدث عن نار تخرج من اليمن تسوق الناس إلى بلاد الشام، وهذه النار هي من علامات الساعة، ولكنني وجدت حديثاً لأبي هريرة رواه الشيخان هذا نصه٧٨٩: (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) -- البخاري في الفتن باب خروج النار، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز- ففي هذا الحديث ذكر لنار تخرج من الحجاز وليس فيه نص على أنها تسوق الناس إلى المحشر، ولا يُفْهَم من الحديث أنها النار التي تسبق نفخة الصور، وقد جاء في تاريخ أبي الفداء أحداث سنة ٦٥١هـ: في هذه السنة وصلت الأخبار من مكة بأن ناراً ظهرت من عدن وبعض جبالها بحيث كانت تظهر في الليل ويرتفع منها في النهار دخان عظيم .

وجاء في أحداث سنة ٦٥٥: وفي هذه السنة أو التي قبلها ظهرت نار بالحرّة عند مدينة رسول الله ﷺ ، وكان لها بالليل ضوء عظيم يظهر من مسافة بعيدة جداً .

وجاء في البداية والنهاية في أحداث سنة ٦٥٤ نقلاً عن أبي شامة في الذيل خبر عن ظهور نار من أرض الحجاز أضاءت لها أعناق الإبل ببصرى ، .

وأبو شامة معاصر لهذه النار فقد توفي سنة ٦٦٥ وكانت النار سنة ٦٥٤، وقد نقل وصفاً لهذه النار من رسائل وردت من المدينة المنورة، وقد استخلصت

منها أن بركاناً قد تَفجَّر في حَرّة المدينة المنورة وأن ضوء نيرانه كان يصل إلى مسافات بعيدة .

قتال الفرس وغيرهم

٢١٤- عن قيس بن أبي حازم قال: أتينا أبا هريرة فقال: صحبت رسول الله ﷺ ثلاث سنين لم أكن في سني أحرص على أن أعي الحديث مني فيهن، سمعته يقول- وقال هكذا بيده-: (بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر، وهو هذا البارز) قال سفيان مرة: وهم أهل البارز، ويعني بأهل البارز أهل فارس، كذا هو بلغتهم .- البخاري في بدء الخلق باب علامات النبوة في الإسلام-.

هذا الحديث مدْرج، أدرج فيه أبو هريرة عبارة (وهو هذا البارز) فهي من عند أبي هريرة فقد فهم من إشارة رسول الله ﷺ نحو الشرق أنه يخبر عن قتال الفرس، ولكن رسول الله ﷺ يخبر عن القتال مع أمة وراء الفرس .

٢١٥ عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر) - البخاري في الجهاد باب قتال الذين ينتعلون الشعر، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل..، وأبو داود في الملاحم باب في قتال الترك رقم ٤٣٠٣، والنسائي ٤٥/٦ في الجهاد باب غزوة الترك والحبشة، والترمذي في الفتن باب ما جاء في قتال الترك رقم ٢٢١٦، والإمام أحمد في مسنده: ٢-.

وأخرج مسلم رواية ثانية بلفظ: (لا تقوم الساعة حتى تقاتلكم أمة ينتعلون الشعر وجوههم مثل المَجانّ المطرقة) ورواية ثالثة بلفظ (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين ذُلْف الآنف) ورواية رابعة بلفظ (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون الترك قوماً وجوههم كالمَجانّ المُطْرقة يلبسون الشعر ويمشون في الشعر) ورواية خامسة بلفظ (تقاتلون بين يدي الساعة قوماً نعالهم الشعر كأن وجوههم المجان المطرقة، حمر الوجوه، صغار الأعين) .

وقد أخرج البخاري الرواية الخامسة في الجهاد باب قتال الترك، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، وأخرج النسائي الرواية الرابعة، وأخرجها أبو داود إلا أنه لم يذكر (يمشون في الشعر) ، والبخاري في الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر،

وحتى تقاتلوا الترك صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة) وله أيضاً (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة) قال سفيان: وزاد فيه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

(صغار الأعين ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة) . وقد رواه البخاري في الجهاد والسير باب قتال الذين ينتعلون الشعر، والإمام أحمد بلفظ (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً كأن وجوههم المجان المطرقة نعالهم الشعر) وللبخاري أيضاً (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا الترك، صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر) وقد رواه البخاري في الجهاد باب قتال الترك، ورواه الخمسة في الجهاد، والإمام أحمد في مسنده: ٢ وقد جعله حديثين، وللإمام أحمد في مسنده: ٢ عن أبي هريرة ﷺ قال: قال إني رأيته- أي النبي ﷺ يقول بيده: (قريب بين يدي الساعة تقاتلون قوماً نعالهم الشعر وتقاتلون قوماً صغار الأعين حمر الوجوه كأنها المجان المطرقة) ، وللبخاري في الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام وللإمام أحمد في مسنده: ٢ (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا خوزاً وكرمان من الأعاجم حمر الوجوه فطس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة، نعالهم الشعر) ، ولابن ماجه (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين عراض الوجوه كأن أعينهم حَدَقَ الجراد، كأن وجوههم المجان المطرقة، ينتعلون الشعر ويتخذون الدرق ويربطون خيولهم بالنخيل) .

٢١٦ عن عمرو بن تغلب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً ينتعلون نعال الشعر، وإن من أشراط الساعة أن تقاتلوا قوماً عراض الوجوه كأن وجوههم المجان المطرقة) - البخاري في الجهاد باب قتال الترك، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام -.

٢١٧عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً صغار الأعين عراض الوجوه كان أعينهم حدق الجراد، كأن وجوههم المجان المطرقة ينتعلون الشعر ويتخذون الدرق حتى يربطوا خيولهم بالنخيل) الإمام أحمد في مسنده: ٣، وللإمام أحمد في مسنده: ٢ (لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً ينتعلون الشعر، وحتى تقاتلوا قوماً عراض الوجوه خُنْس الأنوف صغار الأعين كأن وجوههم المجان المطرقة).

المجان المطرقة: التروس التي ألبست العقب شيئاً فوق شيء، أراد أنهم عراض الوجوه غلاظها . المجان: جمع مجنة وهو الترس . الذلف: قصر الأنف وصغره وقيل قصر القصبة وصغر الأرنبة، وقيل هو كالخنس وقيل هو غلظ واستواء في طرف الأرنبة، وقيل صغر الأنف واستواء الأرنبة والخنس في الأنف: تأخر الأرنبة في الوجه وقصر الأنف وقيل انقباض قصبة الأنف وعرض الأرنبة. خوز: بلاد الأهواز وتستر وكان يطلق على أهل هذه البلاد .كرمان: بلاد ما بين النهرين وبحر الهند، والمراد هنا هو البلدان الشرقية كنيسابور والسند وبلاد ما وراء النهر والهند والصين وغيرها .

إن الأوصاف المذكورة في الأحاديث السابقة تنطبق على سكان شرقي آسيا، وهم أبناء العرق الأصفر، فهي تنطبق على الأندونوسيين والكوريين والفتناميين والفلبينيين والصينيين واليابانيين وعلى المغول والتتار بخاصة الذين كانوا ومازالوا يستوطنون الصين وجمهوريات الاتحاد السوفييتي المنقرض، فهذه الأحاديث أخبرت عن قتال المسلمين لأمم من العرق الأصفر، وقد جاء فيها ذكر الأتراك والخوز والكرمان، وقد وقع قتال طويل عنيف دامٍ مع هذه الأمم، ثم داهم المغول والتتار البلدان الإسلامية ووقع قتال عنيف معهم، وربما يقع قتال آخر معهم، ولكن القتال قد وقع.

ثلاثة مواقف للمسلمين من التتار

٢١٨- عن أبي بكرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ينزل ناس من أمتي بغائط يُسَمُّونه البصرة عند نهر يقال له دِجْلة يكون عليه جسر يكثر أهلها وتكون من أمصار المسلمين، فإذا كان في آخر الزمان جاء بنو قنطوراء عراض الوجوه صغار الأعين حتى ينزلوا على شط النهر، فيتفرق أهلها ثلاث فرق، فرقة يأخذون أذناب البقر والبرية وهلكوا، وفرقة يأخذون لأنفسهم وكفروا، وفرقة يجعلون ذراريهم خلف ظهورهم ويقاتلون وهم الشهداء) - أبو داود في الملاحم باب في ذكر البصرة رقم ٤٣٠٦ -.

لقد ذكر رسول الله ﷺ في هذا الحديث البصرة قبل أن يتم بناؤها، وحدد موقعها على نهر دجلة، وذكر أنها سوف تكون من أمصار المسلمين وأنه سوف يكثر أهلها، ولقد وقع ذلك في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ، وذكر رسول الله ﷺ أنه بعد زمن من عمارة البصرة وكثرة أهلها يأتي بنو قنطوراء وينزلون عند شط النهر، وبنو قنطوراء هم الأتراك عند كثير من رواة الحديث، ولقد قال

القرطبي إن قنطوراء اسم جارية كانت لسيدنا إبراهيم الخليل ﷺ ولدت أولاداً كان الترك من نسلهم، وقيل هم من ولد يافث، قال وهم أجناس كثيرة، ومهما يكن الأمر، فلقد وصف النبي ﷺ هؤلاء القوم الذين ينزلون على شط النهر بجانب البصرة، فهم عراض الوجوه صغار الأعين، وهذا الوصف ينطبق على أبناء العِرْق الأصفر بعامة وعلى المغول والتتار بخاصة، وقد أخبر رسول الله ﷺ بأن المسلمين سوف ينقسمون إلى ثلاث فرق في مواجهة هؤلاء الأعداء:

فرقة تقعد عن الجهاد وتتمسك بالحياة وتنشغل بتربية المواشي وبغير ذلك من الأعمال الدنيوية، وهؤلاء يكونون من الهالكين أي من أصحاب جهنم .

وفرقة تأخذ الأمان من العدو، وهؤلاء يكونون كفاراً عند الله تعالى أيضاً، لأنه لا يحل للمسلمين أن يوادعوا عدواً يحتل جزءً من أراضيهم ويعتدي على إخوان لهم، حتى لو اعتدى على مسلم واحد أو مسلمة واحدة .

وفرقة يجعلون أبناءهم خلفهم ويقاتلون الأعداء حتى يفوزوا بالشهادة .

وقد قال الحافظ ابن كثير إن هذا قد وقع سنة ٦٥٦هـ عندما اجتاح المغول والتتار العراق، وقد ذكر ذلك في كتابه (البداية والنهاية) ، والله أعلم، وقد رأينا في الأحاديث السابقة وصفاً لهؤلاء القوم وذكراً للقتال معهم، وعلى هذا يمكن أن يكون هذا الخبر قد وقع في الماضي أو لم يقع بعد .

ويلات في قتال الترك

٢١٩-عن أبي سكينة، رجل من البحرين، عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (دعوا الحبشة ما ودعوكم، واتركوا الترك ما تركوكم) - أبو داود في الملاحم باب في النهي عن تهييج الترك والحبشة رقم ٤٣٠٢، وأبو سكينة مجهول، وقال المنذري في مختصر سنن أبي داود: ولم أجده من رواية غيره ولا من سمَّاه. وانظر المقاصد الحسنة للسخاوي، ورواه النسائي في الجهاد باب غزوة الترك والحبشة٦/٤٣، ورواه الطبراني في الكبير والأوسط من حديث ابن مسعود ﷺ، وله شاهد عند الطبراني من حديث معاوية، فهو حديث حسن-.

٢٢٠- عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله ما يمنع الحبشة أن يأتوك إلا مخافة أن تردَّهم . قال: (لا خيرَ في الحبشة، إن جاعوا سرقوا، وإن شبعوا زنوا، وإنّ فيهم مع ذلك خلَّتين حسنتين: إطعام الطعام وشدة عند البأس) - ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٣٥/٤ ونسبه للطبراني والبزار وقال: رجال

البزار ثقات، وعوسجة المكي فيه خلاف لا يضر ووثقه غيرُ واحد-.

لعل رسول الله ﷺ يطلب منا عدم استثارة الأحباش في آخر الزمان، والله أعلم، حيث سيقوم حبشي بهدم الكعبة واستخراج كنوزها بعد انقراض الإسلام والمسلمين، وسيأتي الحديث عن هذا.

ولا أستبعد نشوب معارك ضارية بين المسلمين في مصر والمغرب العربي وسواهما وبين الزنوج خلال العصور المنصرمة، فالعرب كانوا يطلقون تسمية الأحباش على الزنوج، ولقد ذكر رسول الله ﷺ أبرز صفاتهم مع أنه لم يعايشهم، فهم إذا جاعوا سرقوا وإذا شبعوا زنوا، وفيهم صفتان حميدتان هما إطعام الطعام واستماتة وشدة في القتال، وهذه الصفات ما تزال في الزنوج حتى يوم الناس هذا، بما فيهم المحسوبون على الإسلام، إلا أقلة منهم تمسّكوا بالدين الإسلامي فهذّب نفوسهم.

أما الأتراك فلقد ذاق المسلمون منهم الويلات حينما اصطدموا بهم في بلدان المشرق، فقد ذكر ابن كثير في البداية والنهاية-٣٠/٩- أنه في سنة تسع وسبعين هجرية قُتل في المصادمات مع ملك الترك رتبيل من المسلمين ثلاثون ألفاً ومن الترك أضعافهم، ولقد قُتل كثير من المسلمين والأتراك في حروب كثيرة، وكان كثير من الأتراك في جيش المغول والتتار، وفي معظم هذه الحروب كان المسلمون هم الذين يتحرشون، وهذا يدل على أن المتحرشين لم يكونوا يحفظون حديث رسول الله ﷺ المذكور.

هزيمة الترك أو غيرهم

٢٢١- عن بريدة بن الحصيب ؓ عن النبي ﷺ من حديث: (يقاتلكم قوم صغار الأعين) يعني الترك، قال: (تسوقونهم ثلاث مِرار حتى تُلْحقوهم بجزيرة العرب، فأما في السياقة الأولى فينجو من هرب منهم، وأما الثانية فينجو بعض ويهلك بعض، وأما في الثالثة فيُصْطلمون) -أبو داود في الملاحم باب في قتال الترك رقم ٤٣٠٥، وفي سنده بشير بن المهاجر الغنوي الكوفي وهو صدوق ليّن الحديث وباقي رجاله ثقات- يصطلمون: يُستأصلون أي يهلكون جميعهم.

هذا الحديث عليه مقال، وإن صح فما أدري هل وقع فيما مضى من الزمان أثناء قتال العرب مع الترك أو أثناء قتالهم مع المغول والتتار لأنه كان معهم أتراك كثيرون، أو أنه سوف يقع فيما يأتي من الزمان.

فناء المسلمين بالطعن والطاعون

٢٢٢- عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (فَناء أمتي بالطعن والطاعون) فقيل: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال: (وَخْزُ أعدائكم من الجن، وفي كلٍّ شهادة) - الإمام أحمد بأسانيد أحدها صحيح، ورواه أبو يعلى والبزار والطبراني -.

٢٢٣- عن عائشة ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: (لا تَفْنى أمتي إلا بالطعن والطاعون) قلت: يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون ؟ قال (غُدّة كغدة البعير، المقيمُ بها كالشهيد، والفارُّ منه كالفار من الزحف) - الإمام أحمد وأبو يعلى والطبراني .

إن هناك حديثاً لرسول الله ﷺ يأمر فيه حينما ينتشر الوباء في بلد بعدم خروج من كان فيه وبعدم دخول أحد من خارجه، وهذا هو ما ينتهجه الناس في زماننا، ويبين رسول الله ﷺ لمن يصيبه الطاعون في بلد ولا يخرج منه أجْر شهيد، أما من يخرج من البلد الموبوء فهو كالفار من الجهاد فهو من الخالدين في جهنم، لأنه على الأكثر سوف ينقل الوباء إلى بلد آخر، ولذا استحق عقوبة قاسية .

أمّا عن النبوءة التي يحملها هذان الحديثان، فمن يستعرض أي كتاب من أمهات كتب التاريخ فإنه سيرى كثرة القتلى من العرب والمسلمين منذ خلافة الراشدين حتى يوم الناس هذا، ويرى أيضاً وباء الطاعون يجتاح بلدان المسلمين ويحصد منهم عشرات الألوف في كل اجتياح، وعلى هذا صدق رسول الله ﷺ، فلقد كادت الحروب والطاعون أن يستأصلا أمتنا، ومع التقدم الطبي الذي تحقق في بلدان المسلمين فإن القتل ما يزال مستمراً، ولا أظن أن يوماً واحداً يمر دون أن يقع فيه قتلى، وإن من يقارن كثافة السكان الضئيلة في بلاد العرب بخاصة وبلاد المسلمين بعامة بكثافة السكان العظيمة المرتفعة في أميركا وأوربا يدرك أن الأمة الإسلامية قد فقدت كثيرين من رجالها قتلاً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وأسأل الله تعالى اللطف بالمسلمين .




نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ
فتنة الدهيماء
محمد فهمي الحمدان



غزو ديار المسلمين واستضعافهم

٥٦٣-عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لثوبان (كيف أنت يا ثوْبان إذا تَداعتْ عليكم الأمم كتَداعيهم إلى قُصَيعة الطعام يصيبون منه) قال ثوبان: بأبي أنت وأمي يا رسول الله أمنْ قلّةٍ بنا؟ قال: (لا، بل أنتم يومئذ كثير، ولكن يُلْقى في قلوبكم الوهن) قالوا: وما الوهن يا رسول الله؟ قال: (حبّكم الدنيا وكراهيتكم القتال) - الإمام أحمد في مسنده: ٢/٣٥٩-.

٥٦٤- عن ثوبان ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يوشِك الأمم أنْ تداعى عليكم كما تداعى الأكلَةُ إلى قصْعتها) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله؟ قال: (بلْ أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السّيْل، ولينْزعنّ الله من صدور عدوّكم المهابة منكم وليقذفنّ في قلوبكم الوهن) فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: (حبّ الدنيا وكراهية الموت) - أبو داود في الملاحم باب في تداعي الأمم على الإسلام رقم٤٢٩٧، بسند صالح كما قال ابن كثير، وفي سنده أبو عبد السلام صالح بن رستم الهاشمي وهو مجهول، ولكن الإمام أحمد رواه من طريق آخر بسند قوي في المسند٥/٢٧٨-.

٥٦٥- عن ثوبان مولى رسول الله أن رسول الله ﷺ قال: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكَلَةُ على قصعتها) - أبو نعيم في الحلية ١/١٨٢-.

القصعة: إناء يوضع فيه الطعام، الأكلة جمع: آكل، . تتداعى: يدعو بعضها بعضاً، غثاء السيل: زبد الفيضان وهو الفقاعات التي تظهر على سطح الماء.

أخبرنا رسول الله ﷺ بأن الأمم سوف يدعو بعضها بعضاً إلى غزو بلاد المسلمين، فالجيوش التي سوف تشارك في الغزو متعددة الجنسيات، من أمم عديدة، ولقد وقع هذا في زماننا في استعمار العراق عام٢٠٠٣ وفي استعمار أفغانستان عام ٢٠٠٢ وقد يقع في حروب أخرى، لأن خطط الإدارة الأميركية المتصهينة معدّة لاجتياح بلاد العرب والمسلمين كلها دون استثناء لضمان أمن إسرائيل، وهذه الأمم يدعو بعضها بعضاً إلى غزو بلاد المسلمين مثلما يفعل رجال وضع أمامهم قصعة طعام ليأكلوه فصار كل واحد منهم يدعو الآخرين ليتقدموا وليأكلوا، وهذا يدل على أن الغزاة يريدون التهام المسلمين والتهام أموالهم وخيراتهم، ويدل من جهة ثانية على ضعف المسلمين وعلى استهانة

الأمم الأخرى بهم، فغزو ديار المسلمين يشبه تقدم الرجال لالتهام الطعام، وقد صرح رسول الله ﷺ بأن ضعف المسلمين ليس سببه قلة عددهم، فهم كثيرون، يبلغون ملياراً أو يزيد، ولكنهم كزبد السيل، وهذا يعني أنهم في منتهى الضعف، وهل يوجد في الدنيا شيء أضعف من الفقاعات التي تنتفخ حينما يتلاطم الماء ثم تتلاشى دون أن تترك أثراً؟.

وبيّن رسول الله ﷺ بأن هيبة المسلمين سوف تسقط في عيون الأعداء وسوف تزول من قلوبهم، ومعلوم أن الرسول ﷺ ومن جاء بعده قد نصروا بالرعب يلقيه الله عز وجل في قلوب الكافرين، أمّا في زماننا فقد ألقى الله عز وجل الرعب في قلوب المسلمين جزاءً وفاقاً على غرقهم بمحبة الدنيا وقعودهم عن الجهاد وتعطيلهم الشريعة الإلهية وتحكيم الأهواء والقوانين اليهودية في قضايا المسلمين، ولقد ألقى الله عز وجل الوهن في قلوب المسلمين، والوهن هو أشدّ درجات الضعف، فإذا أصيب به إنسان تلاشت قُواه وخارت وسقط على الأرض غير قادر على الحركة، وحينما سئل رسول الله ﷺ عن الوهن ذكر السببين اللذين ينتشران بين مسلمي القرن العشرين ويؤدّيان إلى إصابة المسلمين بالوهن وهما: حب الدنيا وكراهية القتال وهي كراهية الجهاد، فهذان هما السببان في ضعف المسلمين الذي نراه في زماننا، وقد صدق رسول الله ﷺ في كل ما قال، فحب الدنيا وحده يورّث الوهن فكيف إذا أضيف إليه كراهية القتال؟ إن الإنسان يكون حينذاك حريصاً على حياته-، والحرص على الحياة يجعله جباناً.

قلوب كافرة وألسنة عربية

٥٦٦- عن سهل بن سعد الساعدي أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم لا يدركني زمانٌ- أو قال: لا تُدركوا زماناً- لا يتبع فيه العليمُ، ولا يُستحيَى فيه من الحليم، قلوبهم قلوب الأعاجم، وألسنتهم ألسنة العرب) - الإمام أحمد في مسنده، وفي إسناده ابن لهيعة ولكن لفقراته شواهد- العُجْم والعَجَم هم خلاف العُرْب والعَرَب كما في لسان العرب، وكذلك الأعاجم، فالمقصود من لم يكن عربياً، وهو يقابل مصطلح الأجانب في زماننا الذي يطلق على رعايا الحكومات غير العربية.

أخبرنا رسول الله ﷺ بأنه سوف يأتي زمان لا يُتبع فيه العليم، وقد تحقّق ذلك في الشطر الثاني من القرن العشرين، فالمسلمون لا يتبعون علماءهم الصادقي الإيمان المخلصين لله تعالى العاملين بأحكام الشريعة القائلين والمفُتين

بما يرضي الله عز وجل... وإنما أصبح المسلمون ينقادون للعصاة الفاسقين ويسيرون في الدروب التي تؤدي إلى اكتساب المال والجاه وإرواء الشهوات المحرمة.

وأخبرنا رسول الله ﷺ أنه في هذا الزمان (لا يستحيى فيه من الحليم)، وقد وقع هذا في زماننا أيضاً، فقد أصبح المسلمون يرون الحليم رجلاً ذليلاً قذراً تافهاً جباناً فيحتقرونه ويزدرونه، ويرون الحلم ضعفاً وعاراً، ولذلك لا نكاد نجد من يستحيي من الحليم ويوشك أهل الحياء أن ينقرضوا، فنحن في زمان يكاد ينعدم فيه الحياء وأهله، وهؤلاء الذين يحتقرون الحليم ولا ينقادون للعليم وهم بعض عرب الشطر الثاني من القرن العشرين (قلوبهم قلوب الأعاجم وألسنتهم ألسنة العرب)، فهم يتكلمون باللغة العربية ولكن قلوبهم غير عربية، فهي كقلوب الأجانب الحاقدين على العرب والمسلمين، وقد صدق رسول الله ﷺ، فنحن نرى عرباً قُساةً على العرب يفعلون بهم ما لم يفعل مثله وحوش المغول والتتار والصليبيين والصهاينة، وهم يستمعون إلى أخبار قتل العرب دون أن يغضبوا لأن قلوبهم ليست عربية، وهم أنفسهم يقتلون من العرب أكثر مما يقتله الأجانب، وسوف أذكر نوعاً آخر من الأخبار، لقد ذكر شاهد عيان أنه رأى مظاهرة في باريس وكان هناك عربي على طرف جسر على نهر السين فخرج فرنسي من التظاهرة وانقض على العربي ودفعه بعنف فسقط في النهر وغرق وعاد الفرنسي إلى التظاهرة دون أن يعتقله البوليس المرافق للتظاهرة لأن المقتول عربي لا قيمة له، وكتب عربي مقيم بباريس يقول إن العرب يتعرضون لاضطهاد وعدوان البوليس الفرنسي ذاته، وإن البوليس يلفق لهم تهماً كاذبة ليقودهم إلى مراكزه ويعتدي عليهم بالضرب المبرح، وإن رجال بوليس قد اغتصبوا نساء عربيات علانيةً في مراكز بوليس وقتل العرب مستمر في العراق وفلسطين وسواهما بصورة يومية، ويتعرض العرب للاضطهاد في أميركا وسواها من الدول (الديموقراطية)، ولم أسمع من ينكر عدواناً على عربي، ولكنهم ينكرون الإرهاب الإسلامي المزعوم، وتقوم الدنيا ولا تقعد إذا قيل بأنه يُظنّ بأن عربياً قد قتل أميركياً، وتُهدد دول عربية وإسلامية بالتدمير.

شرقي جزيرة العرب منبع الفتن

٥٦٧- عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبلٌ المشرق يقول: (ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان) - الإمام مالك في

الموطأ كتاب الجامع رقم ١٧٨١، ومسلم في الفتن باب الفتنة من المشرق بطريقين عن ابن عمر وبنحو ذلك عن سالم بن عبد الله عن أبيه، والبخاري في بدء الخلق باب صفة إبليس وجنوده، وفي الجهاد، وفي الأنبياء، وفي الطلاق، وفي الفتن، والترمذي في الفتن باب رقم٧٩، والإمام أحمد في مسنده: ٢ بهذا اللفظ، ورواه بتكرار جملة (ألا إن الفتنة هاهنا) ، وروى أيضاً أنه ﷺ كان قائماً بباب عائشة فأشار بيده نحو المشرق فقال: (الفتنة هاهنا، حيث يَطلع قرنُ الشيطان) ، وفي رواية له: (ها إن الفتن من هاهنا، إن الفتن من هاهنا، إن الفتن من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان).

وقد جاء في الروايات تصريح بأن النبي الأعظم ﷺ كان على المنبر: (سمعت رسول الله ﷺ يقول وهو على المنبر) ، وجاء في رواية للبخاري قال: (قام النبي ﷺ خطيباً، فأشار نحو مسكن عائشة، فقال: هنا الفتنة- ثلاثاً- من حيث يطلع قرنُ الشيطان) ، وجاء في رواية للإمام أحمد أن رسول الله ﷺ (كان قائماً بباب عائشة) ، وفي رواية لمسلم (خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال) ، وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ قد ذكر هذا الحديث أكثر من مرة والله أعلم-.

٥٦٨- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (الفتنة من هنا) وأشار إلى المشرق.- البخاري في الطلاق باب الإشارة في الطلاق والأمور، والإمام أحمد في مسنده: ٢ بلفظ (تجيء الفتنة من هاهنا من المشرق) -.

٥٦٩- عن سالم عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قام إلى جنب المنبر فقال: (الفتنة هاهنا، الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان- أو قال: قرن الشمس-) - البخاري في الفتن باب قول النبي ﷺ الفتنة من قبل المشرق، والإمام أحمد في مسنده: ٢، بلفظ: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق يقول: (ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا، ها إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع الشيطان قرنيه) ، وله رواية: صلى رسول الله ﷺ الفجر ثم سلّم فاستقبل مطلع الشمس فقال: (ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا، حيث يطلع قرن الشيطان) وله رواية بلفظ: رأيت رسول الله ﷺ يشير إلى المشرق ويقول: (ها إن الفتن هاهنا، إن الفتن هاهنا، حيث يطلع قرن الشيطان) -.

٥٧٠- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان) يعني المشرق، وفي روايتين قال: (حيث

يطلع قرنا الشيطان) - مسلم في الفتن باب الفتنة من المشرق، والإمام أحمد في مسنده: ٢ بلفظ: خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: (إن الكفر من هاهنا...) -.

وخروج رسول الله ﷺ من بيت عائشة رضي الله عنها يمكن أن يتكرر لأن بيتها كان متصلاً بالمسجد فباب بيتها يفضي إلى المسجد مباشرة وهو المقصود هنا، وللبيت باب آخر، ويمكن أن يتكرر هذا الحديث من رسول الله ﷺ ، ولعل هذا هو سبب وجود تغييرات طفيفة في اللفظ دون المعنى، والله أعلم.

٥٧١- عن أبي مسعود البدري رضي الله عنه يبلغ به النبي ﷺ قال: (من هاهنا جاءت الفتن نحو المشرق، والجفاء والقسوة وغلظ القلوب في الفدّادين أهل الوبر عند أصول أذناب الإبل والبقر في ربيعة ومضر) - البخاري في الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾ ، وفي بدء الخلق باب قول الله تعالى: ﴿ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ ﴾ ، وفي المغازي باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن، وفي الطلاق باب اللعان-.

٥٧٢- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (رأس الكفر نحو المشرق، والفخرُ والخيلاءُ في أهل الخيل والإبل والفدادين أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم) - البخاري في بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم...، وفي المغازي، وفي الأنبياء، ومسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان...، وفي رواية لمسلم وللإمام أحمد: (الإيمانُ يمانٍ، والكفرُ قبل المشرق، والسكينة في أهل الغنم، والفخر والرياء في الفدادين من أهل الخيل والوبر) وفي رواية لمسلم زيادة (والحكمة يمانية) بعد (الإيمان يمان) ، وفي رواية له (والفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر قبل مطلع الشمس) ، ورواه الإمام مالك في الموطأ كتاب الجامع في باب ما جاء في أمر الغنم حديث ١٧٦٧، والإمام أحمد في مسنده: ٢ ، وعنده رواية بلفظ: (الفخر والخيلاء في الفدادين من أهل الوبر، والسكينة في أهل الغنم، والإيمان يمان، والحكمة يمانية) -.

٥٧٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (جاء أهل اليمن، هم أرقّ أفئدةً، الإيمان يمانٍ، والفقه يمانٍ، والحكمة يمانيةٌ) وفي رواية زيادة (رأس الكفر قبل المشرق) ، وفي رواية زيادة (والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أصحاب الشاء) - مسلم في الإيمان باب تفاضل أهل

الإيمان، والإمام أحمد في مسنده: ٢ وعنده رواية تضم الحديث مع زياداته، والترمذي في الفتن باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة وفيه زيادة عن المسيح الدجال: (يأتي المسيح حتى إذا جاء دُبُر أحدٍ صرفت الملائكة وجهه قبل الشام وهنالك يهلك) -.

٥٧٤- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الإيمان يمان، والكفر قبل المشرق، والسكينة في أهل الغنم، والفخر والرياء في الفدادين، يأتي المسيح من قِبل المشرق، وهِمَّته المدينة، حتى إذا جاء دُبُرَ أحُد ضربت الملائكة وجهه قبل الشام، هنالك يهلك) وقال راوي الحديث مرة: (صرفت الملائكة وجهه..) - الإمام أحمد في مسنده: ٢-.

٥٧٥- عن عقبة بن عمرو أبي مسعود البدري ﷺ قال: أشار رسول الله ﷺ بيده نحو اليمن فقال: (الإيمان يمان هاهنا، ألا إن القسوة وغلظ القلوب في الفدادين عند أصول أذناب الإبل حيث يطلُع قرنا الشيطان في ربيعة ومضر) - البخاري في بدء الخلق باب خير مال المسلم غنم..، وفي غير ذلك، ومسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان..-.

٥٧٦- عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (غلظ القلوب والجفاء في المشرق، والإيمان في أهل الحجاز) - مسلم في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان فيه..-.

٥٧٧- عن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: (اللهم باركْ لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا: وفي نجدنا؟ قال: (اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا) قالوا: وفي نجدنا؟ قال: (هنالك الزلازل والفتن منها) أو قال: (بها يطلع قرن الشيطان) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، ورواه البخاري متصلاً بحديث ابن عمر السابق، ورواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب-.

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن منبع الفتن سوف يكون في شرقي جزيرة العرب، وفي نجد بخاصة، وأبى أن يدعو لها بالبركة كما دعا للشام واليمن، وقد وقعت في الماضي فتنة عظيمة في هذه المناطق هي فتنة القرامطة، فقد قطعوا طريق الحج، وقتلوا حجاجاً وسبوا نساءهم وبقروا بطون بعضهن واغتصبوا الأموال، وفي الأوقات التي رحموا فيها الحجاج فرضوا فيها الجزية عليهم، ولقد كانت هذه البلاد خلال القرون المنصرمة مسرحاً لفتن عظيمة دامية أهوالها أعظم من فتنة القرامطة وقتلاها أكثر ومجازرها أبشع.

فتنة الدَّهَيْماء

٥٧٨- عن عوف بن مالك ﷺ قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قُبّة أدمٍ فقال: (اعْدُدْ ستاً بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مُوتانٌ يأخذ فيكم كقُعاص الغنم، ثم استفاضة المال حتى يُعطى الرجل مائة دينار فيظلّ ساخطاً، ثم فتنةٌ لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته، ثم هدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غايةً، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً) - البخاري في الجهاد باب ما يحذر من الغدر، وابن ماجه في الفتن باب أشراط الساعة حديث ٤٠٤٢، ٢/١٣٤١و١٣٤٢، وأبو داود، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٦/٢٥ وعنده زيادة (وفسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق) وهذه الزيادة توجد أحاديث تشهد لها- موتان: موت يقع في الماشية فيهلكها، والقعاص داء يأخذ الغنم ويسرع بها إلى الموت، وبنو الأصفر الروم بحسب تسمية العرب لهم.

٥٧٩- عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ قال: دخلت على النبي ﷺ وهو يتوضأ وضوءاً مكيثاً فرفع رأسه فنظر إلي فقال: (ستٌ فيكم أيتها الأمة: موت نبيكم) ﷺ ، فكأنما انتزع قلبي من مكانه، قال رسول الله ﷺ : (واحدة) ، قال: (ويفيض المال فيكم حتى أن الرجل ليعطى عشرة آلاف فيظل يتسخطها) قال رسول الله ﷺ : (ثنتان) ، قال: (وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم) قال رسول الله ﷺ (ثلاث) ، قال: (وموتٌ كقعاص الغنم) قال رسول الله ﷺ (أربع، وهدنةٌ تكون بينكم وبين بني الأصفر يجمعون لكم تسعة أشهر كقدر حمل المرأة، ثم يكونون أولى بالغدر منكم) قال رسول الله ﷺ : (خمسٌ) قال: (وفتح مدينة) قال رسول الله ﷺ : (ست) قلت: يا رسول الله أيّ مدينة؟ قال: (قسطنطينية) - الإمام أحمد في مسنده-.

لقد جاء فتح القسطنطينية في الحديث الثاني بدلاً من فتح بيت المقدس في الحديث الأول، أمّا باقي الفقرات فمتطابقة تطابقاً تاماً، والحديثان يذكران أموراً خطيرة سوف تقع في هذه الأمة، وقد وقع منها أربعة وانقضت: موت النبي الأعظم ﷺ ، وفتح بيت المقدس في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، ومُوتانٌ يأخذ بالأمة كما تجتاح الأوبئة قطعان الماشية، وقد بدأ الموت يفتك بالأمة منذ اشتعال الفتنة في عهد عثمان إلى زماننا، وتدفقت أنهار الدم الإسلامي بغزارة على امتداد التاريخ وما تزال تتدفق بغزارة أعظم مما سبق، واستفاضة المال وكثرة العطايا

ظهرتا في العصر الأموي واستمرتا زمناً طويلاً، ولكنني أرجح أن (استفاضة المال) لن تكون إلا في عهد قيام الخلافة الراشدة في الشام وظهور المهدي ونزول عيسى عليه الصلاة والسلام، أما (كثرة المال) فقد ظهرت منذ عهد عمر بن الخطاب ﷺ إلى العصرين الأموي والعباسي بما فيهما الأندلسي، فهناك فارق عظيم بين كلمتي الكثرة والفيضان، أما الفتنة، وهي فتنة الدهيماء، فقد وقعت في الشطر الثاني من القرن العشرين الميلادي وما تزال، وبقي منها أهوال أعاذنا الله منها وحفظ لنا ديننا فيها، وبقي من هذه الأمور الحرب مع الروم والهدنة والغدر وخوض الملحمة الكبرى معهم وفتح القسطنطينية، وأرجح أن يكون المقصود هو فتح القسطنطينية الذي يقع قبيل ظهور المسيح الدجال حيث نصت أحاديث على أنها تكون آنذاك في قبضة الروم، والقسطنطينية هي الآستانة وإسلام بول وأصبح اسمها أخيراً استانبول، وليس المقصود هو فتحها في الماضي على يد السلطان محمد الفاتح، إنما المقصود فتح جديد كما يتضح من أحاديث أخرى تأتي، أما الفتنة فهي فتنة عظيمة (لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته)، ولقد أخبر رسول الله ﷺ عن فتن دامية كثيرة، ولكنه أفرد هذه الفتنة بالذكر لشدتها ولاتساع رقعتها ولاستطالة زمانها ولكثرة ضحاياها.

ولقد استرعى انتباهي في أحاديث الفتن صنفان: أحاديث ينهى فيها رسول الله ﷺ المسلمين عن الاشتراك في الفتن ويأمرهم باعتزالها وباتخاذ سيف من خشب فيها وبالجلوس في بيوتهم، ويأمرهم أن يكونوا كخير ابني آدم، فيستسلموا للقتل دون أن يدافعوا عن أنفسهم، ويقفوا جامدين دون حراك إذا اقتادهم أحد بالقوة إلى وسط المعركة، ولا يشاركوا فيها مهما فعِلَ بهم، فالمسلم لا يقتل مسلماً أبداً إلا إذا قضت الشريعة الإلهية بقتله لاقترافه ما يوجب القتل.

وأحاديث يذكر فيها رسول الله ﷺ هذه العبارة: (يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قومٌ دينهم بعرضٍ من الدنيا قليلٍ).

ولقد تبين لي بعد جمع الأحاديث ومقارنتها ببعضها أن الصنف الأول من الأحاديث يخص الفتن التي وقعت بين مسلمين في الماضي لا يُشكّ في صدق إيمانهم وإن كان فيهم قلة من المنافقين مندسة في صفوفهم، وهي الحروب التي لا تكون في سبيل الله تعالى بل تكون لغايات دنيوية، ويأتي على رأسها الحروب التي وقعت في عهد سيدنا علي ﷺ وما بعدها، فلولم يقاتل أحد مع علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ولا مع معاوية بن أبي سفيان لحُقنت دماء المسلمين

ولتدخل المسلمون لحل الخلاف بالحسنى.

أما أحاديث الصنف الثاني التي لم يأمر بها رسول الله ﷺ بما أمر به في الصنف الأول فهي عن فتنة الدهيماء وهذه بعضها:

عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا) - مسلم في الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال..، والترمذي في الفتن باب ما جاء ستكون فتن...-.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (ويل للعرب من شر قد اقترب، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قومٌ دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر- أو قال: على الشوك-) - الإمام أحمد في مسنده-.

عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يكون بين يدي الساعة فتنٌ كقطعِ الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا) .الترمذي في الفتن باب ما جاء ستكون فتن.. رقم ٢١٩٦ وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال-.

عن الضحاك بن قيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم فتناً كقطع الدخان، يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام خِلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا) - الإمام أحمد في مسنده-.

فهذه الأحاديث تخبر عن فتن بصيغة الجمع، وهي في حقيقة الأمر فتن وليست فتنة واحدة، فهي تقع في أماكن عديدة من أرض العرب في أوقات مختلفة قبل أن تشتعل على أرض العرب كلها في وقت واحد، فهي من هذا المنظار فتن كثيرة، ولكن إذا نظر إلى نهايتها وإلى اتحاد أوصافها فإنها تُعدّ فتنة واحدة، وقد شبه رسول الله ﷺ هذه الفتن بقطع الليل المظلم، وهذه الصورة تفيد أن الفتنة متقطعة لأنها تشتعل في أماكن عديدة في أزمنة متتالية، وتفيد بأن الفتن شديدة وعمياء، وشدتها تعني كثرة ضحاياها، وعماها يعني أنها محاطة باللّبْس والغموض والمزاعم الكاذبة، ويعني أيضاً مقتل أبرياء فيها من غير أن يشاركوا في أحداثها، يقتلون خطأً أو على الظن أو اعتماداً على وشاية كاذبة أو بسبب حقدٍ أعمى متنوع الأسباب، فالفتنة عمياء جامحة يقتل فيها مذنبون

وأبرياء، ويحدث فيها انقلابات جذرية في نفوس المسلمين وفي مواقفهم وتنتقل قلوبهم من النقيض إلى النقيض، فتنتقل من الإيمان إلى الكفر فيما بين المساء والصباح أو بين الصباح والمساء أي يقوم بعضهم بما يوجِب وَصمَه بالكفر ويتحول من صفوف المؤمنين إلى صفوف الكافرين ما بين المساء والصباح أو ما بين الصباح والمساء، تغريه مباهج الدنيا وملذاتها فيشارك في الفتنة ضد الإسلاميين بالقول أو بالعمل منحازاً إلى الجانب الذي يوفر له المباهج والملذات والمال والجاه والكلمة المسموعة تاركاً العمل بأحكام الدين، وبذلك يُعدّ عند الله عز وجل من الكافرين وإن كان يظن أنه مسلم، حتى وإن صام وصلى وحج واعتمر، والمؤمن المتمسك بدينه في هذه الفتنة كالقابض على الجمر، فهو يتعرض لأفانين من العذاب والتنكيل والاضطهاد والإيذاء من جهاتٍ شتى لا تريد تطبيق تعاليم الشريعة الإسلامية لأنها تضرّ مصالحها وتقلم أظفار هيمنتها وتقطع عليها سبل الكسب غير المشروع والتسلط غير المشروع واتّباع الأهواء وتسدّ سبل إرواء الشهوات بالطرق المحرمة وسبل التبرج والعري وسائر المحظورات في الإسلام، وسوف نرى إشارات واضحة إلى هذه الأمور في أحاديث رسول الله ﷺ .

وقد ذكر رسول الله ﷺ هذه الفتن وسماها فتنة الدهيماء في حديث واحد صحيح، في حدود اطلاعي المتواضع على طائفة من كتب الحديث النبوية، وقد مرّ هذا الحديث برقم ١٢٦ وهو: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا عند النبي ﷺ فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس، فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: (هي هربٌ وحربٌ، ثم فتنة السّراء، دخنها من تحت قدمي رجلٍ من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني، وإنما أوليائي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء، لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) - الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم ٤٢٤٢، والحاكم، كلهم بسند صحيح-.

وفي هذا الحديث ذكر رسول الله ﷺ أن فتنة السراء يثيرها رجل من سلالة بيت النبوة ثم يتبرأ منه ويصرح بأن النسب لا قيمة له إذا لم يكن صاحبه تقياً.

وكلمة الدهيماء معناها الفتنة السوداء المظلمة والداهية الجامحة، فالتسمية تدل على كثرة قتلاها وعلى اللبس الذي يحيط بها، وعلى الحيرة والضلال اللذين يرافقانها.

وقد استبانت لنا الرابطة بين هذا الحديث وحديثي عوف بن مالك وعبد الله بن عمرو بن العاص، فقد جاء في حديث عوف بن مالك (ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته) ، وجاء في حديث عبد الله بن عمرو (وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم) ، وجاء في هذا الحديث (لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة) ، فالمعنى في الأحاديث الثلاثة واحد، والتراكيب الثلاثة تفيد أن هذه الفتنة سوف تعمّ بلاد العرب جميعاً، ولن يسلم منها أحدٌ ولن يكون فيها حيادٌ حتى يصير العرب جميعاً إلى معسكرين معسكر إيمان ومعسكر نفاق، وسوف ينتصر المؤمنون على المنافقين كما جاء في الأحاديث.

واستبانت كذلك الرابطة بين حديث فتنة الدهيماء وحديث أنس بن مالك وحديث الضحاك بن قيس وحديثي أبي هريرة ﷺ، ففي هذه الأحاديث قد جاء في وصف الإيمان عند بعض المحسوبين على الإسلام (يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً..) كما جاء في حديث فتنة الدهيماء، فقد حذر رسول الله ﷺ في أحاديث كثيرة من فتنة الدهيماء دون أن يذكرها باسمها وحذر من المعاصي التي تقع في زمانها، وأوصى بالتمسك بالإسلام وبأحكامه وبالانحياز إلى جانب المؤمنين وبعدم بيع الدين بالدنيا وباحتمال الأذى وبالصبر على المكاره في سبيل الله عز وجل.

وقد جاء في وصف هذه الفتنة أنها تأتي متقطعة ثم تعمّ بلاد العرب كلها، فهي تندلع ثم تخمد حتى يحسبها الناس قد انتهت وانقضت (فإذا قيل انقضت تمادت) فتنفجر من جديد بأشد مما كانت عليه، ويبيع فيها كثير من الناس دينهم بدنياهم، وينحازون إلى معسكر النفاق سعياً وراء المكاسب الدنيوية، ويظل حال الفتنة على هذا حتى يصير الناس إلى معسكرين معسكر إيمان خالص صادق ومعسكر نفاق لا إيمان فيه، فيقتتلان وينتصر المؤمنون.

وقد روى أبو نعيم في الحلية-٣/٣٥٨-حديثاً يبيّن ويحدّد زمان وقوع هذه الفتنة، وقد مرّ برقم٢٧٧: عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (من اقتراب الساعة اثنتان وسبعون خصلة: إذا رأيتم الناس أماتوا الصلاة، وأضاعوا الأمانة، وأكلوا الربا، واستحلوا الكذب، واستخفوا بالدماء، واستعلوا

البناء، وباعوا الدين بالدنيا، وتقطعت الأرحام، ويكون الحلم ضعفاً، والكذب صدقاً، والحرير لباساً، وظهر الجور، وكثر الطلاق، وموت الفُجاءة، وائتمن الخائن، وخُوّن الأمين، وصُدّق الكاذب، وكُذّب الصادق، وكثر القذف، وكان المطر قيظاً، والولد غيظاً، وفاض اللئام فيضاً، وغاض الكرام غيضاً، وكان الأمراء فجرة، والوزراء كذبة، والأمناء خونة، والعُرفاء ظلمةً، والقُراءُ فسقةً إذا لبسوا مسوك- أو: مُسُوح- الضأن، قلوبهم أنتن من الجيفة، وأمرّ من الصبر، يغشيهم الله فتنةً يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظّلمة، وتظهر الصفراء، وتطلب البيضاء، وتكثر الخطايا، وتغل الأمراء، وحُلّيت المصاحفُ، وصورت المساجد، وطولت المنائر، وخربت القلوب، وشربت الخمور، وعطلت الحدود، وولدت الأمة ربها، وترى الحفاة العراة وقد صاروا ملوكاً، وشاركت المرأة زوجها في التجارة، وتشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، وحلف بالله من غير أن يستحلف، وشهد المرء من غير أن يستشهد، وسُلّم للمعرفة، وتفقه لغير الدين، وطلبت الدنيا بعمل الآخرة، واتخذ المغنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرماً، وكان زعيم القوم أرذلهم، وعق الرجل أباه، وجفا أمه، وبر صديقه، وأطاع زوجته، وعلت أصوات الفسقة في المساجد، واتخذت القينات والمعازف، وشربت الخمور في الطرق، واتخذ الظلم فخراً، وبيع الحكم، وكثرت الشرط، واتخذ القرآن مزامير، وجلود السباع صفافاً، والمساجد طرقاً، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليتقوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً ومسخاً وآياتٍ) - وقال أبو نعيم: غريبٌ من حديث عبد الله بن عبيد بن عمير لم يروه عنه فيما أعلم إلا فرج بن فضالة- وأقول: إن لفقرات هذا الحديث شواهد يتقوى بها، كما أن للحديث شواهد يتقوى بها، كما أن وقوع هذه الأمور كلها في زماننا دلالة أخرى على صحة الحديث.

والملاحظ أن العلامات في هذا الحديث قد بلغت ستاً وستين، ويبدو أن ست علامات قد أسقطها النسّاخ سهواً وربما سقطت خلال طباعة الكتاب الموجود عندي -طبعة دار الكتاب العربي- بيروت، ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م - وأرجح أن العلامات الناقصة هي من المعاصي التي أخبرنا رسول الله ﷺ بوقوعها وقد وقعت، وهي مذكورة في أحاديث أخرى.

فهذه العلامات قد وقعت كلها في زماننا، وقد وقعت فيه أيضاً مجازر للمسلمين على أرض العرب نصبها رجال محسوبون على الإسلام، وهذا يرجح أن فتنة الدهيماء قد غشيتنا وسوف تتمادى وتتسع لتشمل وتعمَّ أرض العرب

كلها، أعاذنا الله من ويلاتها.

وهذه الفتنة هي عقوبة من الله عز وجل للمسلمين العرب بسبب اجتراء بعض علمائهم على الكذب على الله عز وجل والإفتاء بنقيض تعاليم الشريعة في سبيل الحصول على المال والجاه والمتع الدنيوية الرخيصة، فقد جاء في الحديث السابق (والقراء فسقة) أي يصبح فريق من قراء القرآن ودارسيه مارقين من الدين لا يطبقون تعاليمه، إذا لبسوا جلود الأغنام بمعنى أنهم يتظاهرون بمظهر لطيف لين ناعم، و(قلوبهم أنتن من الجيفة وأمر من الصبر) ، فالمظهر الذي يتظاهرون به كاذب مصطنع، فهو يخفي قلوباً قذرة خبيثة لئيمة تطلب الدنيا للاستمتاع بها وتخلو من الإيمان خلواً تاماً، وتحقد على من يظفر بغنيمة يتنافسون على اقتناصها، وتحقد على من يحظى بمنزلة يتسابقون على بلوغها، ويبيعون من أجل ذلك دينهم بدنياهم، ويكذبون على الله وعلى المسلمين، ويهينون أنفسهم، ويمسحون أحذية الدنيويين بلحاهم ويلعقونها بألسنتهم التي اعتادت على الكذب والتضليل، وهؤلاء يغضبون الله عز وجل بتكالبهم على الدنيا وباجترائهم على الكذب عليه، فيعاقب الله عز وجل العرب بفتنة الدهيماء، وعقوبة الله عز وجل للعرب هي بسبب ظهور المعاصي وإعراضهم عن الإسلام وبسبب القعود عن الجهاد وقعودهم عن قطع رؤوس الذين يتجرؤون على الكذب على الله عز وجل وقعودهم عن نصرة المسلمين الذين يضطهدون ويقتلون لأنهم يجهرون بكلمة الحق مضحين بأنفسهم وبالدنيا في سبيل الله عز وجل، وقعودهم عن التصدي لأميركا والصهاينة اللتين تعتديان على المسلمين باستمرار.

وسوف يكون العلماء الدنيويون الذين يجترئون على الكذب على الله عز وجل ممن يصطلون بأوار الفتنة ويحترقون بنيرانها ويمزقون أشلاء ويخسرون دنياهم وآخرتهم، فهم أول من تمتد إليهم يد الجبار بالبطش (يغشيهم الله فتنة يتهاوكون فيها تهاوك اليهود الظلمة) ، وقد جاء في (لسان العرب) أن التهوك هو السقوط في هوة الردى، وهو ركوب الذنوب والخطايا، وهو الوقوع في الشيء بقلة مبالاة وغير روية، وهو التحير. وقد روي عن عمر بن الخطاب ﵁ أنه قال للنبي ﷺ : إنا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا أفترى أن نكتبها؟ فقال النبي الأعظم ﷺ : (أمتهوكون أنتم كما تهوكت اليهود والنصارى؟! لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي) فالتهوك في حديث رسول

الله ﷺ هو الضلال والانحراف عن جادة الدين سعياً وراء الملذات الدنيوية، وهو السقوط الأعظم.

وينبغي ألا يغيب عن الأذهان أن وصف العلماء الدنيويين بأن قلوبهم أمر من الصبر يعني أنهم عند الله عز وجل كافرون لأن الإيمان وصف في الحديث النبوي بالحلاوة، فاقتضى أن يوصف نقيضه بالمرارة، فكيف يكون الحال إذا كانت القلوب ليست مرة فحسب وإنما هي أمر من الصبر؟!.

وقد جاء وصف هؤلاء العلماء الضالين المضلين في حديثين آخرين هما:

عن أبي هريرة ﷺ قال رسول الله ﷺ : (يكون في آخر الزمان رجال يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي يغترون؟! أم علي يجترئون؟! فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيران/) - الترمذي في الزهد باب رقم ٦٠ حديث ٢٤٠٦، وهو حديث حسن-.

يختلون: الختل؟ الخدع، الاجتراء: الجسارة.

وعن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال النبي ﷺ : (إن الله قال: /لقد خلقت خلقاً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، فبي حلفت لأتيحنهم فتنة تدع الحليم منهم حيران، فبي يغترون أم علي يجترئون؟!/) - الترمذي في الزهد باب رقم ٦٠ حديث ٢٤٠٧، وهو حديث حسن-.

والمدهش أن هؤلاء العلماء الضالين يقتطعون من هذين الحديثين جملة (فتنة تدع الحليم حيران) ويرصعون بها فتاواهم الباطلة متجاهلين أن الحديثين ينطبقان عليهم وأن الإنذار الإلهي موجه إليهم.

وقد أطلقت على هؤلاء العلماء تسمية (حاخامات الإسلام القينقاعي) فهو مناسب لهم.

فهؤلاء العلماء لا يتخذون الدين وسيلة لإرضاء الله عز وجل، وإنما يتخذونه وسيلة للحصول على المال والجاه، ويتبعون أساليب الخداع والتضليل للظفر بما يشتهون، ويصطنعون اللّين ويتظاهرون به، ويحرصون في معظم الأحيان على أن يكون كلامهم حلواً، فيتحدثون باسم الدين، ويتظاهرون بالتقوى والورع، وخلْف مظهرهم اللّين وكلامهم المعسول تكمن قلوب قاسية غادرة حاسدة حاقدة كقلوب الذئاب نهمة شرهة ترضى بقتل علماء المسلمين والمسلمين الصادقي الإيمان وبإعدام المجاهدين في مقابل غنيمة دنيوية، ويطْغى

حبهم للملذات الدنيوية على خوفهم من الله تعالى فيتجاسرون على الكذب على الله تعالى، فيغضب الله عز وجل غضباً شديداً عليهم ويحلف بذاته العلية أن يرسل عليهم فتنة دامية ضروساً طاحنة (تدع الحليم حيران) بسبب عظمة أهوالها وبسبب عجزهم عن الإفلات من براثنها، فهم ممن يؤذى ويُقتل فيها، ولن تقْوى أحابيلهم وأقوالهم المعسولة على إنقاذهم، وبذلك يخسرون دنياهم بعد أن خسروا آخرتهم، فدماؤهم مهدورة بسبب كذبهم على الله عز وجل في سبيل الاستمتاع بالدنيا، فقتلهم جهاد في سبيل الله عز وجل.

وقد روى ابن سعد في الطبقات الكبرى-٥٨٨/٣-حديثين عن معاذ ﷺ يلْقيان أضواء أخرى على هذه الفتنة، ومعاذ ﷺ هو مستودع سرّ رسول الله ﷺ عن المنافقين، ومن أعْلم المسلمين بالفتن لأنه كان أكثرهم سؤالا لرسول الله ﷺ عنها كما قال، والحديث الأول هو:

لمّا أصيب أبو عبيدة بن الجرّاح ﷺ في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتدّ الوجعُ ، فقال الناس لمعاذ: ادْع الله يرفعْ عنا هذا الرّجْز، قال: إنه ليس برجز، ولكنه دعوة نبيّكم ﷺ وموْت الصالحين قبْلكم وشهادة يختصّ بها الله من يشاء منكم أيها الناس، أربع خلال من استطاع أنْ لا يدركه شيء منهن فلا يدركه قالوا: وما هي؟ قال: يأتي زمانٌ يظْهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر، ويقول الرجل: والله ما أدري على ما أنا لا يعيش على بصيرة ولا يموت على بصيرة، ويعطى الرجل المال من مال الله على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله اللهم آت آل معاذ نصيبهم الأوفى من هذه الرحمة.

والحديث الثاني- رقم٥٨٧-: من استطاع منكم أن يموت فليمت من قبل فتن ستكون: من قبل أن يكفر المرء بعد إسلامه، أو يقتل نفساً بغير حلها، أو يظاهر أهل البغي، أو يقول الرجل: ما أدري على ما أنا إن مت أو عشت أعلى حق أو على باطل.

فهذه الأمور التي ذكرها معاذ ﷺ تقع في فتنة الدهيماء.

وسبيل النجاة من التردي في ضلال فتنة الدهيماء هو أن يكون المسلم صادق الإيمان مخلصاً لله تعالى ساعياً إلى إرضائه مطبقاً لتعاليم دينه منحازاً إلى معسكر الإيمان معادياً للمنافقين الذين يتخذون الدين وسيلة لاقتناص الملذات الدنيوية ويتجرؤون على الكذب على الله عز وجل في سبيل الظفر بالمال والجاه.

من أحاديث فتنة الدهيماء

٥٨٠- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يكون في آخر الزمان رجالٌ يختلون الدنيا بالدين، يلبسون للناس جلود الضأن من اللين، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوب الذئاب، يقول الله تعالى: أبي يَغترّون أم عليّ يجترئون؟ فبي حلفت لأبعثن على أولئك منهم فتنة تدع الحليم حيران/) - الترمذي في الزهد باب رقم ٦٠ حديث ٢٤٠٦ وهو حديث حسن-.

٥٨١- عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال النبي ﷺ : (إن الله قال: لقد خلقتُ خَلقاً ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمرُّ من الصبر، فبي حلفت لأتيحنّهم فتنة تدع الحليم منهم حيران، فبي يغترون أم علي يجترئون/) - الترمذي في الزهد باب رقم ٦٠ حديث ٢٤٠٧ وهو حديث حسن-.

٥٨٢- عن عرفجة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستكون هناتٌ وهناتٌ، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميعٌ فاضربوه بالسيف كائناً من كان) وفي رواية (فاقتلوه) هذه رواية مسلم، وفي رواية أبي داود (وهنات) مرة ثالثة، وأخرجها النسائي أيضاً، وله في أخرى قال: رأيت النبي ﷺ على المنبر يخطب الناس، فقال: (إنها ستكون بعدي هناتٌ وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة- أو: يريد أن يفرّق أمة محمد- كائناً من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، والشيطان مع من فارق الجماعة يركض) - مسلم في الإمارة باب حكم من فرّق أمر المسلمين وهو مجتمع، وأبو داود في السنة باب في قتل الخوارج ٤٧٦٢، والنسائي في تحريم الدم باب قتل من فارق الجماعة ٩٣/٧-.

هنات: جمع هنة: الخصلة من الشر، ولا تقال في الخصلة من الخير.

٥٨٣- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بادروا بالأعمال فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا) - مسلم في الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال...، والترمذي في الفتن ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم-.

٥٨٤- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (ويلٌ للعرب من شر قد اقترب، فتناً كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، يبيع قومٌ دينهم بعرض من الدنيا قليلٍ، المتمسك يومئذ بدينه كالقابض على الجمر- أو قال: على الشوك-) - الإمام أحمد في مسنده: ٣٩٠/٢-.

٥٨٥- عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يكون بين يدي

الساعة فتنٌ كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا) - الترمذي في الفتن باب ما جاء ستكون فتن.. رقم ٢١٩٦، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال-.

٥٨٦- عن الضحاك بن قيس ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن بين يدي الساعة فتناً كقطع الليل المظلم، فتناً كقطع الدخان، يموت فيها قلبُ الرجل كما يموت بدنه، يصبح الرجل مؤمناً، ويمسي كافراً، ويمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع أقوام خلاقهم ودينهم بعرض من الدنيا) - **الإمام أحمد في مسنده: ٣**-.

٥٨٧- روى ابن سعد في الطبقات الكبرى- ٥٨٨/٣-: أخبرنا **عبيد الله** بن موسى قال: أخبرنا موسى بن عبيدة عن أيوب بن خالد عن **عبد الله** بن رافع قال: لمّا أصيب أبو عبيدة بن الجراح في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل، واشتد الوجع، فقال الناس لمعاذ: ادع الله يرفع عنا هذا الرجز. قال: إنه ليس برجزٍ ولكنه دعوة نبيكم ﷺ وموت الصالحين قبلكم وشهادةٌ يختص بها الله من يشاء منكم. أيها الناس، أربع خلالٍ من استطاع أن لا يدركه شيء منهن فلا يدركه. قالوا: وما هي؟ قال: يأتي زمان يظهر فيه الباطل ويصبح الرجل على دين ويمسي على آخر، ويقول الرجل: والله ما أدري على ما **أنا، لا يعيش على بصيرة** ولا يموت على بصيرة، ويعطى الرجل المال من مال **الله-أي من بيت المال-** على أن يتكلم بكلام الزور الذي يسخط الله. اللهم آت **آل معاذ نصيبهم الأوفى** من هذه الرحمة.

٥٨٨- وروى ابن سعد في الطبقات الكبرى- ٥٨٩/٣- **عن إسماعيل بن عبد الله** بن أبي أويس المدني عن إبراهيم بن أبي حبيبة **عن داود بن الحصين أن** معاذاً ﷺ قال: من استطاع منكم أن يموت فليمت من قبلِ **فتنٍ ستكون: من قبل** أن يكفر المرء بعد إسلامه، أو يقتل نفساً بغير حلها، أو **يظاهر أهل البغي، أو** يقول الرجل: ما أدري على ما أنا إن مت أو عشت، أعلى حق **أو على باطل.**

ومر حديث **عبد الله** بن عمر رضي الله عنهما رقم١٢٦ وفيه: (**ثم فتنة الدهيماء لا** تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت **تمادت، يصبح الرجل فيها** مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: **فسطاط إيمان لا نفاق** فيه، وفسطاط نفاقٍ لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا **الدجال من يومه أو من** غده) - **الإمام أحمد في مسنده**: ٢، وأبو داود، والحاكم، **بإسناد صحيح**-.

وأشير مرة أخرى إلى أن هذه الفتنة سوف تمر بأرض العرب جميعها، ففي الحديث السابق (لا تدع أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة) ، وجاء في الحديث رقم٥٧٨ (ثم فتنة لا يبقى بيت من العرب إلا دخلته) ، وفي الحديث رقم٥٧٩ (وفتنة تدخل بيت كل رجل منكم) فهي تشتعل في قطر عربي ثم تخمد حتى يظن بأنها قد انتهت، ولكنها تشتعل من جديد في القطر ذاته أو في قطر عربي آخر، وأذى هذه الفتنة يمتد إلى العرب وإن أرادوا عدم الاشتراك فيها، فلن تترك لهم الفرصة لكي يكونوا حياديين، وإذا لم ينحازوا أحرقتهم نيران الفتنة دون رحمة، فهم عرضة للأذى على كل حال، والعاقل من يختار إرضاء الله عز وجل.

وإن أخطر ما في هذه الفتنة هي انحياز بعض المسلمين إلى الكافرين ما بين مساء وصباح أو صباح ومساء (يصبح الرجل مؤمناً ويمسي كافراً، أو يمسي مؤمناً ويصبح كافراً، يبيع دينه بعرض من الدنيا) ، فهناك طرفٌ في الفتنة يمتلك المغريات من مال وجاه، وبسبب ضعف الإيمان لدى كثير من المسلمين وبسبب غلبة حب الشهوات في نفوسهم على حبهم لله تعالى، وبسبب إيثارهم متاع الدنيا الزائل على نعيم الجنة الخالد، وبسبب غلبة خوفهم من الإيذاء والاضطهاد في الدنيا على خوفهم من نارٍ وقودها الناس والحجارة، بسبب ذلك ينحاز مسلمون إلى صفوف الكافرين ضد المؤمنين فيصبحون كافرين عند الله عز وجل كما جاء في الأحاديث الصحيحة السابقة.

وبعض المسلمين تستبد بهم الحيرة فلا يعرفون أهم على حق أم على باطل؟ وبعضهم يقتُل ولا يعرف لماذا قتل وهل هو على حق أو على باطل، وبعضهم يُقتل ولا يعرف لماذا قاتل حتى قُتل وهل هو على حق أو على باطل فاللبس وعدم الوضوح واحتجاب الحقائق والضلال والتضليل تكتنف هذه الفتنة.

وقد جاء في (مختصر تذكرة القرطبي) للإمام الشعراني في (باب ذكر أمور تكون بين يدي الساعة) : وروى الحكيم الترمذي في نوادر الأصول أن رسول الله ﷺ قال: (سيكون في آخر الزمان ديدان القراء، فمن أدرك ذلك الزمان فليتعوذ بالله من شره، وهم الأنتنون، ثم تظهر قلانس البرد- لعل في هذه الكلمة تصحيفاً ولعلها اليهود-، يستحيي يومئذ من الرياء- أي لكثرته وقذارة أشكاله وقذارة أصحابه- والمستمسك يومئذ بدينه أجره كأجر خمسين) قالوا: منا أو منهم؟ قال: (بل منكم) .

وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول: سيبلى القرآن في صدور أقوام كما يَبلى الثوب يتهافت، يقرؤونه لا يجدون له شهوة ولا لذة- يريد: لا يتأثرون به- يلبسون جلود الضأن على قلوب الذئاب- مظهرهم لينٌ وقلوبهم قاسية فظةٌ لا ترحم- أعمالهم طمعٌ لا يخالطه خوفٌ- من الله عز وجل- إن قصروا قالوا سنبلغ، وإن أساؤوا قالوا سيغفر لنا إنا لم نشرك بالله شيئاً- وقد ورد مثل هذا التمني في القرآن الكريم على ألسنة اليهود وبين الله عز وجل أنهم سيكونون من المخلدين في النار- ولقد رأيت في (تاريخ اليعقوبي) في أحاديث اختارها من أقوال رسول الله ﷺ قوله ﷺ : (إن الله عز وجل يقول: / ويلٌ للذين يختلون الدنيا بالدّين يسير المؤمن بينهم بالتقيّة، إياي يغُرّون أم عليّ يجترئون؟ فإني حلفت لأتيحنّهم فتنةً تترك الحليم منهم حيران) - يسير المؤمن بينهم بالتقية أي يخشى المؤمن من إظهار إيمانه أمام هؤلاء الدنيويين-.

وجاء في الحديث١٤٢ قلت: ومتى أيام الهرج؟ قال ﷺ : (حين لا يأمن الرجل جليسه).

وجاء في الحديث١٢٧ (تكون أربع فتن: الأولى يستحل فيها الدم، والثانية يستحل فيها الدم والمال، والثالثة يستحل فيها الدم والمال والفَرْجُ، والرابعة الدجال) والثالثة هي الدهيماء.

وجاء في الحديث١٣٠ (يكون في هذه الأمة أربع فتن في آخرها القتل) ، والحديثان السابقان يتحدثان عن الفتن الكبرى العظيمة، وجاء في الحديث (ستكون فتنةٌ صماء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، وإشراف اللسان فيها كوقوع السيف) ، وجاء في الحديث٣٩ والحديث٩٧ والحديث ٤٢٨ (إنما أخاف على أمتي الأئمة المضلين) وجاء هذا المعنى في أحاديث كثيرة جداً عن رجال يتفقهون في الدين من أجل الدنيا، وقد جاء في الحديث٤٢٤ وبمعناه في الحديث٤٢٣ (إنّ أخوف ما أخاف عليكم بعدي كل منافق عليم اللسان) . وأرجح أن فتنة الدهيماء سوف تبقى إلى ما بعد قيام الدولة الإسلامية في الشام.

من فتاوى فقهاء فتنة الدهيماء الكافرين أو حاخامات الإسلام القينقاعي

مرت بنا أحاديث يخبر فيها رسول الله ﷺ بأنه سيكون في هذه الفتنة فقهاء يكذبون على الله عز وجل، فيفتون بنقيض أوامر الله عز وجل زاعمين أن هذه أوامر الله عز وجل، ويجعلون الحرام حلالاً ويصرون على أنه حكم الله عز وجل، ويزعمون أنهم وحدهم الذين يسيرون على نهج الإسلام الصحيح، ويجعلون

الحقّ باطلاً والباطل حقاً، ويخرجون من الإسلام الدّعاة الصادقي الإيمان المخلصين لله تعالى ويصفونهم بالمروق من الدين، ويدخلون في الإسلام أعداءه المجاهرين بالعداوة وبمحالفة الكافرين وبالخيانة وبالمعاصي كلها ويزعمون أن هؤلاء الكفرة هم الذين يمثلون الإسلام الصحيح، ويخرجون من الإسلام كل من يجاهد في سبيل الله عز وجل مضحياً بروحه وبماله وبكل مغريات الحياة الدنيا، ويدخلون فيه حلفاء الكفار ويجعلونهم المسلمين الورعين.

وهؤلاء الفقهاء يفعلون ذلك في سبيل الدنيا ولذائذها.

ولقد ظهر هؤلاء الفقهاء بعد منتصف القرن العشرين الميلادي ولكنهم كانوا أقلة، وأصبح بعض المسلمين يتفقه في الدين للدنيا، وتمادى هؤلاء في الكذب المفضوح على الله عز وجل وتمادوا في الجرأة الوقحة على الله عز وجل وعلى رسول الله ﷺ وعلى الإسلام، وهذا لم يظهر له مثيل في التاريخ وهو دليل قوي على أننا في فتنة الدهيماء جزماً بغض النظر عن ظهور علامات الفتنة بكاملها دون نقصان.

ولقد أدهشني أن معظمهم قد تجاوز الستين أو السبعين من عمره أي أنه يوشك أن يموت ومع ذلك يظل حريصاً على الدنيا ويكذب على الله عز وجل في سبيلها.

وإنني أظنهم أحياناً صهاينة تفقهوا بالإسلام لتحطيمه، وأعود فأقول: عبيد الدنيا أنجس من الصهاينة والكافرين، وإن هؤلاء الفقهاء سيكونون خالدين مخلدين في الدّرك الأسفل من النار مع المنافقين ولن تنفعهم مؤلفاتهم الدينية وإن كانت كثيرة، لأن الأعمال الصالحة تذهب هباء ولا تنفع مع الكفر أو النفاق، مع أنها ليست أعمالاً صالحة، فهم أرادوا الدنيا بها، والله تعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً لوجهه الكريم، ولو أرادوا رضاه لما كذبوا عليه.

وهذه أمثلة من كذب هؤلاء الفقهاء على الله عز وجل:

- صنف أحدهم كتاباً عن الجهاد أفتى فيه فتاوى كثيرة باسم الإسلام مناقِضة لأحكام الإسلام، وكذب فيه كثيراً على الله ورسوله، ولو اجتمع أعداء الإسلام جميعاً من يهود وصليبيين ووثنيين وخصصوا مكافأة عظمى لمن يضع كتاباً يحض فيه المسلمين على القعود عن الجهاد باسم الإسلام لما توقعوا أن يأتيهم مثل هذا الكتاب.

وهذا الرجل كسائر الحاخامات يزعم أنه الناطق الوحيد باسم الإسلام وأن

قوله هو الفصل وأن حملة ألوية الدعوة الإسلامية كلهم على باطل وهو في سبيل ذلك يبتر النصوص ويشوه معانيها ويحرفها ويلغي من القرآن ما لا يوافق هواه زاعماً في كل ذلك أنه يسلك منهجاً علمياً في البحث.

وقد زعم أن كل آيات الجهاد الموجودة في القرآن الكريم ليست موجهة إلى المسلمين، وهذا القول لم يقله عالم قبله ولم يتجرأ على قوله أي حاخام سواه، وقد أسقط عن المسلمين فريضة الجهاد، وقد أسقط عن المسلمين المطالبة بتطبيق شريعة الله عز وجل المعطلة، فعلى المسلم أن يظل قاعداً حتى يرى الناس جميعاً مؤمنهم وفاسقهم وكافرهم، قد أجمعوا على تحكيم الشريعة بمحض اختيارهم، فهو لا يجيز إكراههم عليها، ويجيز تعطيل الشريعة الإسلامية إلى الأبد ولكي يضمن الحاخام تعطيل الشريعة الإسلامية إلى الأبد ابتدع قولاً من القول المزخرف الذي يوحي به الشياطين إلى أوليائهم، فقال الحاخام: إن أحوالنا في زماننا هذا تشبه المرحلة المكية في سيرة النبي الأعظم ﷺ ، والنبي الأعظم ﷺ لم يجاهد في مكة المكرمة ولم يطالب بإقامة دولة إسلامية وتحكيم الشريعة حتى هاجر إلى المدينة المنورة، فتطبيق الشريعة مشروط عند الحاخام برضاء الرعية وبرغبتها مجتمعة دون أي اعتراض، وهذا لم يحدث في عهد النبي ﷺ، ولقد تناسى الحاخام وجود ثلاث قبائل يهودية في المدينة المنورة، وتناسى وجود من لم يؤمن ومن آمن نفاقاً، أي تناسى وجود يهود وكافرين ومنافقين في المدينة المنورة، وكان هذا النسيان ضرورياً ليبني عليه فتواه المتهافتة.

وحينما تحدث عن عدم الجهاد في الفترة المكية وعدم المطالبة بإقامة دولة خرج عن منهجه العلمي المزعوم وقال: فإن قلت إن النبي الأعظم ﷺ لم يفعل ذلك بسبب قلة المؤمنين فقد شككت بقدرة الله عز وجل وكفرت لأن الله عز وجل قادر على أن ينصره. فأي منهج علمي هذا؟.

إن النبي الأعظم ﷺ لم يجاهد ولم يطالب بإقامة دولة إسلامية في مكة المكرمة بسبب قلة المؤمنين برغم أنف الحاخام، فالمؤمنون لم يكونوا يبلغون المائة من الرجال والنساء فكيف ينشئ دولة إسلامية بهم؟! ولقد أنشأها في المدينة المنورة برغم وجود اليهود والكافرين والمنافقين.

ولا يمكن أن يقاس زماننا على الفترة المكية، لأن المسلمين اليوم أكثر من مليار نفس، فالمسلمون موجودون لكن الشريعة مغيبة.

ثم إن رسول الله ﷺ كان ينفذ أوامر الله تعالى، وقد كان يأمره بتبليغ

الدعوة وبالصبر في الفترة المكية، ثم جاء الإذن الإلهي بالقتال بعد الهجرة إلى المدينة المنورة، فقال الله تعالى: ﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَـٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّـٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ - الحج٢٢: ٣٩إلى٤١-.

وقد كان المسلمون أقلة فهم مئات من الرجال ومع ذلك فقد أُمِروا بتطبيق الشريعة الإسلامية وبجهاد المشركين الذين كانوا كالبحر المتلاطم حول المدينة المنورة من جهاتها كلها.

فكيف يأمر هذا الحاخام أكثر من مليار مسلم بالقعود عن الجهاد وعن المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية؟.

وكيف يقيس وجود أكثر من مليار مسلم بوجود أقل من مائة رجل؟.

وكيف يتناسى أن الله تعالى فرض على المسلمين الجهاد وتطبيق الشريعة الإلهية مع قلة المسلمين ووجود أكثرية يهودية وكافرين عرب في المدينة المنورة ومع وجود هؤلاء المسلمين وسط بحر متلاطم من الكافرين؟ ثم يطالب أكثر من مليار مسلم بالقعود عن الجهاد وعن المطالبة بتحكيم الشريعة الإسلامية إلى أن تقوم دولة إسلامية دون عمل ودون جهاد ثم تطبق الشريعة الإسلامية؟!.

وهو يرى أن الإسلام قد كفل حقوق المواطنين الكافرين في الدولة الإسلامية، والمعروف أن الإسلام قد كفل حقوق الرعايا النصارى واليهود وحكم بقطع رقاب الكافرين، لكن هذا الرجل ينسخ شريعة الإسلام وينشئ إسلاماً جديداً يرضى به الصهاينة والمتصهينون، وقد نسخ أيضاً حكم قتل تارك الصلاة.

ووقف أمام الحديث الصحيح (أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله...) وقال: رواه مسلم ووصفه بالغرابة- وهو يريد أن يوحي للمسلمين بأن الحديث من أفراد مسلم، أي مما انفرد به، ويصح الوقوف عنده، ثم فسر (أقاتل) بأنها لا تعني إيقاع القتل، فهي بمعنى أداعب أو أمازح أو أراقص، وبتر تتمة

الحديث الصريحة في الدلالة على القتل برغم أنفه، فتتمة الحديث (فإذا قالوها عصموا مني دماءهم، وحسابهم على الله) فإذا قالوها لا يقتلهم رسول الله ﷺ لأنهم أصبحوا مسلمين، وإذا قالوها دون إيمان فالله عز وجل يعلم دخائل نفوسهم ويحرقهم بناره، وإذا لم يقولوها قتلهم فهذه هي ألفاظ الحديث النبوي الشريف برغم أنف الحاخام.

وجعل استخدام القوة في النهي عن المنكرغير موجّه إلى المسلمين مع أن رسول الله ﷺ قد قال: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده) فالخطاب عام.

ولقد أدهشتني جرأته على الكذب على الله عز وجل في سبيل الدنيا وهو شيخ طاعن في السن، أظنه تجاوز التسعين سنة، عالم ليس بجاهل ويزعم دائماً أن قوله هو القول الفصل في الإسلام وأنه يسير في بحوثه وفق منهج علمي، فلقد زعم أن حديث الأمر بالقتال هو من أفراد مسلم ووصفه بالغرابة، وجعل كل ما جاء عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقوة والجهاد غير موجه إلى المسلمين، ومعنى ذلك أنه على المسلمين أن يقعدوا ولو هاجمهم الأعداءواحتلوا بلادهم وقتلوا وفتكوا بمن يريدون، ومعنى فتواه بعدم استخدام القوة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقف المسلم جامدا إذا رأى رجلا يريد أن يقتل رجلا آخرأو إذا رأى فتيانا يختطفون أمرأة أو طفلا أو إذا رأى مظالم آخرى.

وهذه هي النصوص التي تثبت أن الحديث ليس من أفراد مسلم وأنه لا يوصف بالغرابة:

عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله) - البخاري١/٧٠، ٧١في الإيمان باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة، ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله رقم٢٠-.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني نفسه وماله إلا بحقه، وحسابه على الله) - البخاري ٣/٢١١في أول الزكاة، و١٢/٢٣٣في استتابة المرتدين باب قتل من أبى قبول الفرائض، ومسلم رقم ٢١في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، والترمذي رقم٢٦١٠في

الإيمان الباب الأول، والنسائي في الزكاة باب مانع الزكاة ١٤/٥، وأبو داود في الجهاد، باب على ما يقاتل المشركون رقم٢٦٤٠، ورواه مسلم والترمذي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مسلم في الباب نفسه، والترمذي في التفسير في تفسير سورة الغاشية رقم٣٣٣٨، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده-.

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، فإذا شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، واستقبلوا قبلتنا وأكلوا ذبيحتنا وصلوا صلاتنا، حرمت علينا دماؤهم وأموالهم إلا بحقها) - البخاري٤١٧/١ في الصلاة باب فضل استقبال القبلة، والترمذي رقم٢٦٠٩في الإيمان الباب الأول، وأبو داود رقم ٢٦٤١في الجهاد باب على ما يقاتل المشركون، والنسائي ١٠٩/٨في الإيمان باب على ما يقاتل الناس و٧٥/٧و٧٦ في كتاب تحريم الدم-.

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ ، فجاءه رجل ذات يوم فسارّه فقال: (اقتلوه) ثم قال: (أيشهد أن لا إله إلا الله؟) قال: قالوا: نعم ولكنه يقولها متعوذاً. فقال رسول الله ﷺ : (لا تقتلوه، فإني إنما أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله) - النسائي ٧٩/٧و٨٠في تحريم الدم وإسناده حسن-.

عن أوس بن حذيفة رضي الله عنه قال: أتيت رسول الله ﷺ في وفد ثقيف، فكنت معه في قبة، فنام من كان في القبة غيري وغيره، فجاء رجل فساره، فقال: اذهب فاقتله. ثم قال: أيشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: إنه يقولها. فقال رسول الله ﷺ : (ذرهُ) . ثم قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها) .

وفي رواية أخرى: دخل علينا رسول الله ﷺ ونحن في قبة في مسجد المدينة، وقال: (إنه أوحي إلي أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها حرمت دماؤهم وأموالهم إلا بحقها) - النسائي ٨٠/٧و٨١في تحريم الدم وإسناده صحيح-.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما توفي النبي ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال:

لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله) - البخاري١٣/ ٢١٧في الاعتصام باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ ، وفي الزكاة باب وجوب الزكاة، وفي استتابة المرتدين، باب قتل من أبى قبول الفرائض، ومسلم رقم٢٠ في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله، والترمذي رقم٢٦١٠ في الإيمان باب ما جاء أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، وأبو داود رقم١٥٥٦ في الزكاة في فاتحته، والنسائي٥/١٤في الزكاة باب مانع الزكاة-.

فحديث رسول الله ﷺ : (أمرت أن أقاتل الناس..) ليس من أفراد مسلم وليس غريباً وإنما هو في أعلى درجات القوة والصحة، ولا أظن أن الحاخام يجهل ذلك، فهو صاحب مؤلفات إسلامية كثيرة، ويرى أنه أعلم العلماء في قضايا الدين، وأن قوله هو القول الفصل في أي أمر، ولكنه يسعى عامداً إلى تعطيل الجهاد ضد الصهاينة والمتصهينين وعملائهم في الوقت الذي أصبح فيه الجهاد فرض عين على كل مسلم، وهذا يعرفه عامة الناس من المؤمنين الصادقي الإيمان، ولم يعودوا في حاجة إلى فتوى شيخ، فهم يعرفون أن الشيوخ الذين يعطلون الجهاد هم من عبيد الدنيا ويعرفون أنهم يكذبون على الله عز وجل وعلى رسول الله ﷺ .

وإذا أوحى الشيطان لهذا الشيخ أو لأشباهه أن يقول: إن الحديث قد نسخ، فإنني أنبه إلى الرواية الأخيرة التي ردد فيها عمر بن الخطاب قول النبي الأعظم ﷺ في خلافة أبي بكر، أي بعد وفاة رسول الله ﷺ ، وأمام أبي بكر وجمهور الصحابة ﷺ، فهذا دليل ساطع على أنه لم ينسخ، أقول ذلك لأن شيوخ فتنة الدهيماء أصبحوا ينسخون الأحاديث الشريفة والآيات القرآنية بحسب أهوائهم.

أما من ناحية زعم الحاخام أن تغيير المنكر بالقوة ليس من شأن المسلمين فأسوق إليه الأحاديث التالية لتكذيبه ودحض أقواله، والعجيب أنه طاعن في السن، وأظنه قد تجاوز التسعين من عمره، ويدهشني عدم خوفه من الله عز وجل مع توفر المال الكثير عنده والجاه ومع احتمال وقوع الموت بين لحظة وأخرى.

قال طارق بن شهاب: أول من بدأ بالخطبة يوم العيد قبل الصلاة مروان، فقام إليه رجل فقال: الصلاة قبل الخطبة. قال: قد ترك ما هنالك، فقال أبو سعيد: أما هذا فقد قضى ما عليه، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف

الإيمان) -مسلم رقم٤٩في الإيمان باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، والترمذي رقم٢١٧٣في الفتن باب ما جاء في تغيير المنكر باليد، وأبو داود رقم ١١٤٠في صلاة العيدين باب الخطبة يوم العيد ورقم٤٣٤٠في الملاحم باب الأمر والنهي، والنسائي١١١/٨في الإيمان باب تفاضل أهل الإيمان، وأخرجه ابن ماجه رقم٤٠١٣في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر-.

فهذا رجل قد نهض لينهى الحاكم عن المنكر معرضاً نفسه للقتل في سبيل الله عز وجل ومع ذلك فقد أقر الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري ﷺ بصواب موقفه، وأبو سعيد من خير من تفهم الإسلام على يدي النبي الأعظم ﷺ .

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (ما من نبي بعثه الله في أمة قبلي إلا كان له من أمته حواريون وأصحاب يأخذون بسنته ويقتدون بأمره، ثم إنها تخلف من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن، ليس وراء ذلك من الإيمان حبة خردل) - مسلم في الإيمان باب كون النهي عن المنكر من الإيمان- فهذا الحديث يتحدث عن جماعة المسلمين ويحضهم على استخدام القوة للرجوع إلى تطبيق أحكام الإسلام، وهو يجمع حض المسلمين على استخدام القوة في النهي عن المنكر وفي الجهاد والحض على الجهاد لتطبيق الشريعة الإسلامية.

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل أنه كان الرجل يلقى الرجل فيقول له: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع فإنه لا يحل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك، ضرب الله قلوب بعضهم ببعض. ثم قال: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يَتَوَلَّوۡنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ لَبِئۡسَ مَا قَدَّمَتۡ لَهُمۡ أَنفُسُهُمۡ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَفِي ٱلۡعَذَابِ هُمۡ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ - المائدة: ٥: ٧٨إلى ٨١- ثم قال:

كلا، والله لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطِرُنَّه على الحق أطراً، أو لتقصرنه على الحق قصراً) وزاد في رواية أبي داود (أو ليضربن الله بعضكم بعضاً ثم ليلعننكم كما لعنهم) -أبو داود رقم٤٣٣٦في الملاحم باب الأمر والنهي ، والترمذي رقم٣٠٥٠في أبواب تفسير القرآن، باب ٤٨من تفسير سورة المائدة وحسنه، وابن ماجه رقم ٤٠٠٦ في الفتن باب الأمر بالمعروف، والطبري١٠/٤٩١، وفي سنده انقطاع لأن أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود لم يسمع من أبيه، ولكن في الباب عن أبي موسى الأشعري عند الطبراني، وقال الهيثمي في المجمع٧/٢٦٩، ورجاله رجال الصحيح-.

وعن قيس بن أبي حازم ﷺ قال: قال أبو بكر بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وتضعونها على غير موضعها: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴾ - المائدة٥: ١٠٥- وإنما سمعنا رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب) وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي ثم يقدرون على أن يغيروا ولا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب) - الترمذي رقم٣٠٥٩في أبواب تفسير القرآن من سورة المائدة، ورقم٢١٦٩في الفتن باب ما جاء في نزول العذاب إذا لم يغير المنكر، وأبو داود رقم٤٣٣٨في الملاحم باب الأمر والنهي، وابن ماجه رقم ٤٠٠٥ في الفتن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإمام أحمد في مسنده، وإسناده قوي، وأطال الحافظ ابن حجر في تهذيب التهذيب ١/٢٦٧، ٢٦٨ الكلام عن هذا الحديث ونسبه لصحيح ابن خزيمة وقال: هذا الحديث جيد الإسناد-.

فالحض على استخدام القوة في مقاومة المستعمرين الظالمين والعصاة واضح في هذه الأحاديث ، وإن من يتخاذل عن ذلك يتعرض لغضب الله عز وجل وسخطه وعذابه في الدنيا والآخرة، وواضح أن الخطاب موجه إلى المسلمين كافة ولو لم يكن موجهاً إليهم لما استحقوا العقوبة من الله عز وجل إذا ما قعدوا وتخاذلوا.

ولقد قال هذا الشيخ وأنا اسمع ما معناه: لقد سألتني طالبة في الجامعة عما إذا كانت صلاتها مقبولة وهي متمسكة بالتعري ولا تستطيع الاستغناء عنه، فأجبتها: صَلِّ. فقالت لي: لقد سألت علماء كثيرين وقالوا لي إن صلاتي غير

مقبولة. فقلت لها: لا تستمعي إليهم.

وانطلق هذا الشيخ يهاجم علماء الإسلام بسبب هذه الفتوى.

ومن الثابت أنه هو الضال وليس علماء الإسلام، فلقد قال أبو هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: (صِنفان من أمتي لم أرَهما: قوم معهم سِياط كأذناب البقر يضربون بها الناس ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رؤوسهن كأسنمة البُخت المائلة، لا يَدْخلن الجنة ولا يَجدْن رِيحها، وإن ريحها ليوجد من مَسِيرة كذا وكذا) - مسلم في اللباس والزينة باب النساء الكاسيات العاريات، والإمام أحمد بنحوه في المسند٢/٣٠٨ و٣٢٣ و٥/٢٥٠، وذكر الإمام مالك الصنف الثاني أي النساء الكاسيات العاريات، وحدد المسافة (من مسيرة خمس مائة عام) في الموطأ كتاب الجامع رقم١٦٥١-.

وهذا الحديث وحده يُسْقِط الفتوى السابقة ويبين أنها ليست من القرآن الكريم والسنة الشريفة.

وأصدر أحدهم فتوى يحض فيها العرب المسلمين على زيارة المسجد الأقصى وهو تحت الاحتلال الإسرائيلي، والعجيب انه استشهد بقول رسول الله ﷺ: (لا تشدّ الرّحال إلا إلى ثلاث: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى) فقد جاءت هذه المساجد مرتبة بحسب أفضليتها، ولقد جاءت أحاديث تبين الثواب المحصّل من الصلاة في هذه المساجد، فالثواب الأعظم للصلاة في المسجد الحرام ثم للصلاة في المسجد النبوي الشريف، ثم للصلاة في المسجد الأقصى، فهل يجوز حض المسلمين على ترك زيارة الأفضل وزيارة المفضول؟!.

ثم إن المسجدين الأول والثاني في الفضل موجودان في دولة إسلامية، فهل يجوز حض المسلمين على زيارة المسجد المفضول وهو واقع تحت احتلال الأعداء وصرفهم عن زيارة المسجدين الأفضلين وهما موجودان في دولة عربية مسلمة؟!.

ومن المعلوم أن من يذهب إلى دولة العدو يعرض نفسه للخطر وللاضطهاد وللإهانة والعدوان ولتمريغ الكرامة في الوحل، بينما يزور العربي المسلم بيت الله الحرام والمسجد النبوي الشريف وهو في أمن من أي عدوان.

حاخام يعمل على تدجين الإسلام

صدر عام١٤١٧هـ١٩٩٧م كتاب بعنوان[من مرتكزات الخطاب الدعوي في التبليغ والتطبيق] لكاتب يزعم أنه فقيه وهو أستاذ جامعي يدرس الشريعة

الإسلامية، وقد جعل الكاتب نفسه مرشداً لدعاة الإسلام من العلماء أي شيخ الشيوخ أو كبير العلماء أو الخليفة، أو رفع نفسه إلى مقام النبوة كما رأى أحدهم، فهو يتحدث عن الدعوة إلى الإسلام ويرشد الدعاة ويخطّئ أساليبهم، وسأنقل من كتابه مقطعاً يتلاعب فيه بمضامين القرآن الكريم والسنة الشريفة ويحرفها عن معانيها لتأتي الأحكام مناقضة للنصوص الصريحة الواضحة، لقد كتب هذا الحاخام تحت عنوان[هجر الثلاثة الذين خُلفوا] من ص٥٤إلى ص٥٧ وقد تجاهل في كتابه كله ذكر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تأمر بمقاطعة العصاة والفاسقين وباستخدام القوة ضدهم وبجهادهم: [أما الاستدلال لوجوب هجر العاصين والمذنبين بقصة الثلاثة الذين خلفوا- كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع- وهجر الصحابة ﷺ مع رسولنا ﷺ لهم خمسين يوماً هجراً كاملاً فليس هو بدليل عام يصلح إنزاله لكل الأزمنة والأمكنة والأحوال، فيكون قاعدة عامة مستمرة، وإنما هو- فيما أرى- من قبيل سنن الأعيان ووقائع الأحوال التي تختص بذات الحالة وما كان مثلها تماماً لا غير.

ودليل تخصيص هذا الهجر في الثلاثة الذين خلفوا ومن كان على حالهم تماماً، دون غيرهم ممن شابه أحوالهم من بعض الوجوه، أمور:

الأول: أنه لو كان الهجر للعاصين لمعصيتهم، فإن بالمدينة يومئذ من هم أعتى من الثلاثة جرماً وأشد معصية وأكثر إثماً، بل كان ممن تخلف عن تبوك من هو منافق معلوم النفاق ظاهره ومع ذلك لم يهجرهم الرسول ﷺ وصحابته المرضيين -كذا جاءت-.

الثاني: أنه لم يحدث هجر في تاريخ الإسلام إلا هذه الواقعة، فلم يتكرر مع تكرر وتوالي الذنوب والمعاصي وتوافر المذنبين والعاصين، وأيضاً مع تكرار الخلف والقعود عن الخروج، وهذا يعني أن مجرد ارتكاب الذنب والمعصية في عدم الخروج لم يكن هو العلة في الهجر.

الثالث: أنه حدث في العصر السني في المدينة ما هو أعظم خطراً وشراً على المسلمين، وأشد ضرراً على دولتهم من تخلف الثلاثة عن غزوة تبوك، ومع ذلك لم يهجر مرتكبه أو يفصل أو يعزل عن مجتمع المدينة كما فُعل بالثلاثة، وذلك أن الصحابي الجليل حاطب بن أبي بلتعة ﷺ ، قبيل الفتح، كتب إلى أهل مكة ينصحهم بالاستعداد لجيش محمد ﷺ ، ويخبرهم بغزو النبي ﷺ مكة،

ويكتب إليهم بأسرار جيشه عدداً وعتاداً، وفي ذلك من إعانة أهل الكفر على أهل الإسلام ما لا يخفى على أحد، ومن موالاة الكفار من دون المؤمنين ما لا يغيب عن أحد، ومن تربص الخطر ووشوكه، أكثر من تخلف كعب وصاحبيه عن غزوة العسرة ما لا يشكل على متدبر.

ومع كل ذلك لما قال عمر ﷺ : إنه قد خان الله والمؤمنين فدعني فلأضرب عنقه، قال الرسول الداعية القدوة ﷺ : (أليس من أهل بدر؟ لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) فدمعت عينا عمر وقال: الله ورسوله أعلم-البخاري في المغازي باب فضل من شهد بدراً-.

وهذه الفعلة تعتبر اليوم في الأرضين خيانة عظمى، ينال مرتكبوها القتل والإعدام ومع عظم هذا الذنب وشدة خطره وضرره وشره لم يهجر الرسول ﷺ وصحبه هذا الصحابي الجليل ومع قلة خطر تخلف كعب وصاحبيه عن غزوة العسرة وخفيف ضرره وشره بالنسبة إلى فعلة حاطب ﷺ جميعاً هجروا وقوطعوا شهرين إلا عشراً.

إذن، كان هجر الثلاثة الذين خلفوا من وقائع الأحوال وسنن الأعيان التي تختص بذات الحالة، ولا تكون دليلاً يستدل به على وجوب هجر العاصين والمذنبين.

ومعنى ذلك أنه ليس من الصواب في شيء أن نجيز للناس هجر كل مذنب عاص في المجتمع الإسلامي، ولكن الحق الصحيح ألا يهجر أهل الذنوب والمعاصي بقدر ما يدعون إلى الخير ويؤمرون بالمعروف وينهون عن المنكر].

إن هذا الحاخام يتلاعب كسائر إخوانه من حاخامات الإسلام المتصهينين بالألفاظ وبالمعاني وبالأحداث وبالأحكام الفقهية ليصل إلى استخلاص حكم حدده مسبقاً، وكلما قرأت لأحدهم تذكرت قول الله عز وجل: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ -الأنعام٦: ١١٢- وتذكرت حاخامات فتنة الدهيماء الذين وصفهم لنا رسول الله ﷺ.

لقد هوّن الكاتب وصغر وحقر جريمة كعب بن مالك وصاحبيه وهي عظيمة جداً عند الله عز وجل، فالقعود عن الجهاد عقوبته عند الله عز وجل

الخلود في النار.

وإن الله عز وجل قد قبل توبة كعب وصاحبيه لأنهم لم يتخلفوا من قبل عن الجهاد، فقد كان صاحباه بدريين أما هو فقد كان صغيراً يوم بدر لكنه لم يتخلف عن الجهاد أبداً بعدما كبر، ولأن حُكْم التخلف عن الجهاد لم يكن مبلغاً، ولأنهم من المؤمنين الصادقي الإيمان، ولأنهم قد تابوا توبة صادقة، ولأن الله عز وجل علم صدق إيمانهم وتوبتهم أما حُكم من يقعد عن الجهاد فله الخلود في النار جزماً.

أما قضية حاطب فلقد كذب فيها الكاتب كثيراً كذباً مبالغاً فيه (أنه حدث في العصر السني في المدينة ما هو أعظم خطراً وشراً على المسلمين، وأشد ضرراً على دولتهم...كتب إلى أهل مكة ينصحهم بالاستعداد لجيش محمد ﷺ ويخبرهم بغزو النبي ﷺ مكة، ويكتب إليهم بأسرار جيشه عدداً وعتاداً، وفي ذلك من إعانة أهل الكفر على أهل الإسلام ما لا يخفى على أحد، ومن موالاة الكفار من دون المؤمنين ما لا يغيب عن أحد، ومن تربص الخطر ووشوكه أكثر من تخلف كعب وصاحبيه عن غزوة العسرة ما لا يشكل على متدبر... وهذه الفعلة تعتبر اليوم في الأرضين خيانة عظمى، ينال مرتكبوها القتل والإعدام ومع عظم هذا الذنب وشدة خطره وضرره وشره لم يهجر الرسول ﷺ وصحبه هذا الصحابي الجليل) .

لقد جاء في صحيحي البخاري ومسلم وسواهما: قال عبيد الله بن أبي رافع وكان كاتباً لعلي: سمعت عليا ﷺ يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد فقال: (انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ- هي بين مكة المكرمة والمدينة المنورة بقرب المدينة المنورة-فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها) فانطلقنا تتعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب قالت: ما معي من كتاب فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب فأخرجته من عقاصها، قال فأتينا به النبي ﷺ ، فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى ناس من المشركين من أهل مكة يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ : (يا حاطب ما هذا؟!) فقال: يا رسول الله لا تعجل علي، إني كنت امرءاً ملصقاً في قريش، ولم أكن من أنفسها، فكان من معك من المهاجرين لهم قرابة يحمون بها أموالهم وأهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضىً بالكفر بعد

الإسلام فقال رسول الله: (إنه قد صدقكم) فقال عمر: دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق فقال رسول الله ﷺ : (إنه قد شهد بدراً، وما يدريك لعل الله عز وجل اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) قال: فأنزل الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾ الممتحنة.

-رواه البخاري٧/٤٠٠ في المغازي باب فتح مكة، وباب فضل من شهد بدر وفي الجهاد باب الجاسوس، وباب إذا اضطر الرجل إلى النظر في شعور أهل الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن، وفي تفسير سورة الممتحنة في فاتحتها، وفي الاستئذان باب من نظر في كتاب من يحذر من المسلمين ليستبين أمره، وفي استتابة المرتدين باب ما جاء في المتأولين، ومسلم رقم٢٤٩٤في فضائل الصحابة باب من فضائل أهل بدر ﷺ وقصة حاطب بن أبي بلتعة، وأبو داود رقم٢٦٥٠و٢٦٥١في الجهاد، باب في حكم الجاسوس إذا كان مسلماً، والترمذي رقم٣٣٠٢في تفسير القرآن باب ومن سورة الممتحنة.

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة فأطلع الله نبيه ﷺ على ذلك، فبعث علياً والزبير في أثر الكتاب فأدركا المرأة على بعير، فاستخرجاه من قرونها فأتيا به رسول الله ﷺ ، فأرسل إلى حاطب، فقال: (يا حاطب أنت كتبت هذا الكتاب؟) قال: نعم يا رسول الله ، قال : (فما حملك على ذلك؟) قال: يا رسول الله أما والله إني لناصحٌ لله ولرسوله ولكني كنت غريباً في أهل مكة، وكان أهلي بين ظهرانيهم، وخشيت عليهم، فكتبت كتاباً لا يضر الله ورسوله شيئاً، وعسى أن يكون منفعة لأهلي، قال عمر: فاخترطت سيفي ثم قلت: يا رسول الله أمكني من حاطب فإنه قد كفر فأضرب عنقه، فقال رسول الله ﷺ : (يا ابن الخطاب ما يدريك لعل الله قد اطلع على هذه العصابة من أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم) -الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣٠٣و٣٠٤ونسبه لأبي يعلى في الكبير والبزار، والطبراني في الأوسط وقال الهيثمي ورجالهم رجال الصحاح-والآية القرآنية التي نزل فيها الأمر بقطع المودة مع الكافرين هي: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى ۚ تُسِرُّونَ

إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ ۚ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ۝١﴾ -الممتحنة ٦٠: ١-.

ولقد ذكر السيوطي في أسباب النزول رواية البخاري، وجاء في المغازي للواقدي في حديثه عن (شأن غزوة الفتح) - ٧٩٧/٢-: (لما أجمع رسول الله ﷺ المسير إلى قريش، وعلم بذلك الناس، كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبرهم بالذي أجمع عليه رسول الله ﷺ) ثم ذكر الخبر بتمامه بنحو ما رواه البخاري وغيره. وأخرج خبراً ثانياً- ٧٩٨/٢- كتب حاطب إلى ثلاثة نفر: صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، وعكرمة بن أبي جهل: (إن رسول الله قد أذن في الناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد بكتابي إليكم).

ومما سبق يتبين بوضوح أن حاطباً ؓ قد أرسل إلى رجال من قريش رسالة يخبرهم بها بعزم رسول الله ﷺ على غزوهم، وليس في رسالته تلك المزاعم الكاذبة هذا أولاً، وثانياً إن رسالة حاطب لا تضر الإسلام ولا المسلمين، فمزاعم الحاخام هنا كاذبة أيضاً، لأن جيش رسول الله ﷺ كبير مؤلف من عشرة آلاف رجل، ولم يخف النبي الأعظم ﷺ عزمه على غزو قريش إلا حرصاً على أرواح قريش وليس على أرواح جنده، فقد كان يريد أن يحاصر قريشاً بغتة بجيشه الكبير فتستسلم وتدخل في دين الإسلام.

وثالثاً إن حاطباً مؤمن صادق الإيمان بشهادة رسول الله ﷺ المعتمدة على ما أخبره جبريل به.

ورابعاً إن حاطباً لم يكن خائناً ولم يكن يظن أن في عمله خيانة بل كان يريد أن يصنع معروفاً مع قريش لتحافظ له على أهله، وقد شهد بذلك رسول الله ﷺ وشهادته معتمدة على ما أخبره به جبريل عليه السلام.

وخامساً إن حاطباً من أهل بدر، وهؤلاء لهم ميزة عظمى ومكانة عظمى عند الله عز وجل، لأنهم جاهدوا في سبيل الله عز وجل حينما كان المسلمين أقلة وكان المشركون ثلاثة أضعاف أهل بدر، وقد بين النبي الأعظم ﷺ بوضوح أنه سامحه لأنه من أهل بدر، ثم إن المسامحة كانت من الله عز وجل، فهي مقصورة على حاطب وليست عامة.

لذلك لا يستطيع الحاخام أن يستخلص من هذا الخبر حكماً بمسامحة

الخونة.

ويبقى حكم الله عز وجل ثابتاً بشأن الخونة، فهم يقتلون في الدنيا ويخلدون في النار في الآخرة.

وهناك كذبات أخرى للكاتب، بل إن المقطع الذي أخذته من كتابه مرصوف بالأكاذيب وليس فيه جملة صادقة، فقوله[وكان ممن تخلف عن تبوك من هو منافق] يدل على أن المنافقين هم بعض المتخلفين وأن هناك مؤمنين آخرين قد تخلفوا، وهو كاذب في المعنيين معاً، فلم يتخلف من المؤمنين أحد سوى الثلاثة وحدهم، وقوله[ومع ذلك لم يهجرهم الرسول ﷺ] أسوأ من الكذب، لأن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ بعدم اصطحاب المنافقين في أية معركة وأمره بعدم الصلاة عليهم وبين له أن عذابهم في الآخرة أشد من عذاب الكفار، ولا يحق لأستاذ الجامعة ألا يعرف ذلك وهو مبسوط بوضوح في سورة التوبة، ولا يحق له أن يستخلص حكماً يطبقه على مسلمين مستنبطاً من معاملة النبي الأعظم ﷺ للمنافقين معرضاً عما جاء في القرآن الكريم بشأنهم وبشأن المؤمنين بصور شديدة الوضوح.

أما قوله[أنه لم يحدث هجر في تاريخ الإسلام إلا هذه الواقعة.. مع تكرار الخلف والقعود عن الخروج] فهو أيضاً أسوأ من الكذب لأن تاريخ الإسلام لا تؤخذ منه أحكام فقهية تناقض ما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وقوله[مع تكرار الخلف والقعود عن الخروج] يدل على أن القعود عن الجهاد قد تكرر من صحابة رسول الله ﷺ ، والثابت أن الصحابة ﷺ لم يتكرر منهم قعود أبداً مع أن كثيرين منهم قد أصبحوا معذورين شرعاً، فقد عاش بعضهم أكثر من تسعين عاماً ولم يقعد عن الجهاد، وأصابتهم أمراض وجراح ولم يقعدوا، فلا يقعد عن الجهاد من أمرهم الله عز وجل بأن ينفروا خفافاً وثقالاً وأن يقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونهم كافة، فالمؤمنون الصادقو الإيمان لا يقعدون، ولا يقعد إلا المنافقون كما بين الله عز وجل ذلك في سورة التوبة بوضوح، أما الهجر فهو موجود وقد ذكرت بعض النصوص التي تأمر به وتنذر بالعقوبة من لا يقوم به، وقد مرت قبل صفحات قليلة، وإن ما ذكرته عن هذا الحاخام وعن سواه هو غيض من فيض مما يقال في فتنة الدهيماء .

فقيه يبحث عمن يشتريه

لقد ظهر رجل في زماننا هذا يزعم أنه فقيه وقد أصدر دفعة من الفتاوى

وهو يأمل في أن يتقدم الصهاينة والمتصهينون لبذل الأموال له وشرائه ليصدر لهم ما يشاؤون من الفتاوى، فكان من فتاواه:

إن شعر المرأة ليس بعورة، وإن البنطال أفضل لباس للمرأة لأنه يسترها، ويحق لها أن تصلي في بيتها أو أمام الناس وهي حاسرة الرأس مرتدية البنطال ، كما يحق لها أن تصلي إماما بالرجال وهي على هذه الصورة، وأباح الاختلاط الجنسي وإن وقع به زنى ، وهو يعتمد في ذلك على مثال يسوقه باستمرار ويرى فيه حجة قوية تغني عن القرآن الكريم والسنة الشريفة، فهو يقول دائما: (هل نمنع السير في الشارع إذا وقع حادث سير) ، وهو يرى أنه يمكن لطلاب وطالبات الجامعة أن يتزوج بعضهم بعضا دون مهر ودون حضور ولي المرأة ودون موافقته ودون شاهدين، ولكنه اشترط وجود بيت، فكل طالب يستطيع توفير غرفة يمكنه أن يتزوج طالبة، وهذا ليس للطلاب وحدهم وإنما لسائر المسلمين، وقد قال إن رسول الله ﷺ قد زوّج دون ولي ولا مهر ولاشهود.

وقد اعتمد على حديث جاء فيه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ وعرضت عليه أن يتزوجها ، فنظر إليها ثم غض بصره ولاذ بالصمت ، ولكنها لم تنهض وظلت جالسة، وكان هذا دليلا على أنها تريد الزواج من أي رجل كان، فنهض رجل وطلب من رسول الله ﷺ أن يزوجه بها، ولم تعترض، وهذا دليل على رضائها، فطلب منه أن يقدّم لها مهرا، وحينما قال الرجل إنه لا يملك شيئا طلب منه النبي ﷺ أن يذهب إلى بيته ويبحث عن أي شيء ذي قيمة، فالمهر حق للمرأة شرعه الله تعالى في القرآن الكريم ، ولذلك كان يتمسك به النبي ﷺ في كل زيجة قام بها لنفسه ولسواه، ولم يُعْفِ أحد منه، وأصر في حال الفقر التام أن يكون هناك مهر وإن كان ضئيلا أو كان حفظ آيات من القرآن الكريم، كما أن النساء اللواتي تزوجهن أو زوجهن لم يعترضن على المهور، ومن حق المرأة ألا ترضى بالمهر الضئيل أو أن ترضى به كما أن من حقها إسقاطه، أما استشهاده بتزويج النبي ﷺ دون حضور أولياء الزوجات واتخاذه من ذلك دليلا على إلغاء شرط موافقة الولي فهو غباء أو تصنع للغباء لأن النبي ﷺ ولي المؤمنين جميعا، وكذلك زعمه بعدم وجود شهود، فمجلس النبي ﷺ كان عامرا بالمؤمنين ، وإلا فمن أين نهض الرجل الذي طلب الزواج بالمرأة ؟!.........

ظهور الصّم البُكْم

(الصم البكم) هما جمع أصم وهو فاقد السمع الأطرش وأبكم وهو فاقد النطق الأخرس، ولكن القرآن لا يستخدمهما بهذا المعنى وإنما استخدمهما استخداماً مجازياً للدلالة على الكافرين والمنافقين، لأنهم لا يأخذون بأقوال الله عز وجل ولا يقولون الحق، وهذه هي استعمالات القرآن لهذين الوصفين:

١= لقد استخدمهما في وصف المنافقين وهم أسوأ من الكافرين: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ كَمَآ ءَامَنَ ٱلنَّاسُ قَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ كَمَآ ءَامَنَ ٱلسُّفَهَآءُ ۗ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلسُّفَهَآءُ وَلَٰكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ - البقرة ٢: ٨إلى ١٨-.

٢= واستخدمهما القرآن في وصف الكافرين: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾ - البقرة ٢: ١٧١-.

٣= ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾ ﴾ - الأنعام ٦: ٣٩-.

٤= ﴿ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ

عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ - الأنفال ٨: ٢٢و٢٣-.

٥= ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ - الإسراء ١٧: ٩٧-.

لن يجمع الله سيفين على الإسلام

٥٨٩ - عن عوف بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لن يجمع الله على هذه الأمة سيفين: سيفاً منها وسيفاً من عدوّها) - أبو داود في الملاحم باب ارتفاع الفتنة في الملاحم، وإسناده حسن- هذه بشارة للأمة الإسلامية، فإذا كانت فيها حروب داخلية فسوف يشغل الله عز وجل أعداءها عنها فلا يغيرون عليها بجيوشهم، فلا يجمع الله عز وجل عليها أخطاراً داخلية وأخطاراً خارجية، وقد وقع هذا في الماضي، فقد شغل الله الروم في حروب علي ﷺ ومعاوية وفي الانقلاب العباسي وفي غير ذلك، ويمكن أن يقع في زماننا وفي كل زمن.

لن يتمكن أحد من إبادة المسلمين أو الظهور عليهم.

جاء في الحديث ٩٧: (وإن ربي قال: يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد، وإني أعطيتك لأمتك ألا أهلكهم بسنة بعامة وألا أسلّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم، ولو اجتمع عليهم من بأقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً) - مسلم والترمذي وأبو داود- وفي الحديث ١٢٥ برواية أبي داود بإسناد صحيح: كنا عند رسول الله ﷺ فذكر فتنة عظم أمرها، فقلنا: يا رسول الله لئن أدركتنا هذه لنهلكن. فقال رسول الله ﷺ : (كلا، إنّ بحسبكم القتل) .

وجاء في الحديث ١٥٢ برواية الإمام مالك بإسناد صحيح: (دعا بأن لا يظهر عليهم عدواً من غيرهم ولا يهلكهم بالسنين فأعطيهما) ، وجاء في الحديث ١٥٣ برواية الترمذي (وسألته أن لا يسلط عليهم عدواً من غيرهم فأعطانيها) وجاء في رواية النسائي (وسألت ربي أن لا يظهر علينا عدواً من غيرنا فأعطانيها) وهذا الحديث صحيح، وفي الحديث ١٥٤ برواية الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنهما : (وسألت أن لا يظهر عليهم عدوّهم ففعل) .

تحمل هذه الأحاديث الصحيحة بشرى عظيمة سارّة للمسلمين، فالله عز

وجل قد استجاب دعاء نبيه ﷺ بألا يسلط عليهم عدواً من سوى أنفسهم يستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطار الدنيا كلها حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً ويسبي بعضهم بعضاً.

ولقد صدق رسول الله ﷺ ، فلقد تعرضت بلاد المسلمين لغزاة أقوياء متوحشين، وكان أبرز هؤلاء الغزاة المغول والتتار والأتراك غير المسلمين، وقد أغاروا بجحافل جرارة هائلة العدد والعتاد، ولم يتمكنوا من سحق المسلمين ولا من الظهور عليهم وبسط هيمنتهم عليهم، وصرف الله كيدهم وجعلهم يعتنقون الإسلام.

وتعرضت بلاد العرب لغزو أمم أوربا خلال أكثر من مائتي سنة، وهي ما عُرف باسم الحروب الصليبية، وقد دحر الله عز وجل الصليبيين فعادوا إلى أوربا مهزومين مع أن البلدان الإسلامية كانت ممزقة وضعيفة خلال هذا الزمن كله.

ثم تعرضت بلدان المسلمين للاستعمار الأوربي الحديث وما لبث الاستعمار أن خرج منها مهزوماً صاغراً برغم تفوقه في العدد والعتاد.

وإن الله عز وجل سوف يهزم الغزاة الجدد المتوحشين الصهاينة وأميركا المتصهينة وإنكلترا المتأمركة المتصهينة وحلفاءهم وأذنابهم في هذا الزمان برغم تمزق المسلمين وبرغم ضعفهم وبرغم كثرة عملائهم بين المسلمين وبرغم ضعف إيمان كثير من المسلمين، ولن يمكن الله عز وجل هؤلاء الكفار المعتدين من استباحة أرض المسلمين ولو استخدموا أحدث ما عندهم من أسلحة، ولسوف يردّ الله كيدهم إلى نحورهم، فعلى المسلمين أن يتمسكوا بإسلامهم وأن يكونوا مخلصين لله سبحانه وتعالى وأن يجاهدوا كل من يعتدي عليهم فُرادى وجماعات وبأساليب حرب العصابات والعمليات الفدائية وبكل أسلوب، وسوف ينصرهم الله عز وجل على من يعتدي عليهم بحجج تافهة ويعمل على إبادتهم وإذلالهم وإخضاعهم لسيطرتهم والاستهانة بهم.

مسخٌ وقذفٌ وخسفٌ بالظالمين

٥٩٠ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : (يكون في آخر أمتي مسخٌ وقذفٌ وخسف ويبدأ بأهل المظالم) - البخاري في الأدب المفرد باب الظلم ظلمات-.

وهذه بشارة طيبة للمسلمين فسوف يعينهم الله عز وجل على الظالمين بأن يوقع الله عز وجل بهم المسخ وهو تحويلهم إلى قردة وخنازير، والقذف أي

رجمهم بحجارة تنزل عليهم من فوقهم، والخسف أي أن تنشق الأرض وتبتلعهم. وهذا الأمر لم يقع حتى يوم الناس هذا، ولكنه على وشك الوقوع بحسب ما جاء في أحاديث أخرى.

خسف ومسخ وقذف بالمتخاذلين عن الجهاد والفاسقين.

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إذا رأيتم أمتي تهاب الظالم أن تقول له: إنك أنت ظالم، فقد تُوُدّع منهم) وقال رسول الله ﷺ : (يكون في أمتي خسفٌ ومسخٌ وقذفٌ) - الإمام أحمد في مسنده: ١٦٣/٢، ورواه الحاكم بلفظ: (إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم. فقد تُوُدّع منها).

في هذا الحديث إنذار رهيب مخيف للأمة الإسلامية، فهو يخبر بأن الخسف والمسخ والقذف سيقع بالمسلمين الذين لم يجاهدوا في الله حقّ جهاده وتخاذلوا عن مجابهة الظلم والظالمين الذين يقتلون المسلمين بغير حق ويضطهدونهم ويسجنونهم ويعذبونهم تعذيباً وحشياً ويفعلون بهم الأفاعيل الشنيعة والقبيحة.

وإن الأحاديث التي مرت بنا في العقوبات الإلهية وفي فتنة الدهيماء تؤكد على نزول هذه العقوبات بالمسلمين الذين يتقاعسون عن نصرة الإسلام والمسلمين ومجابهة المعتدين.

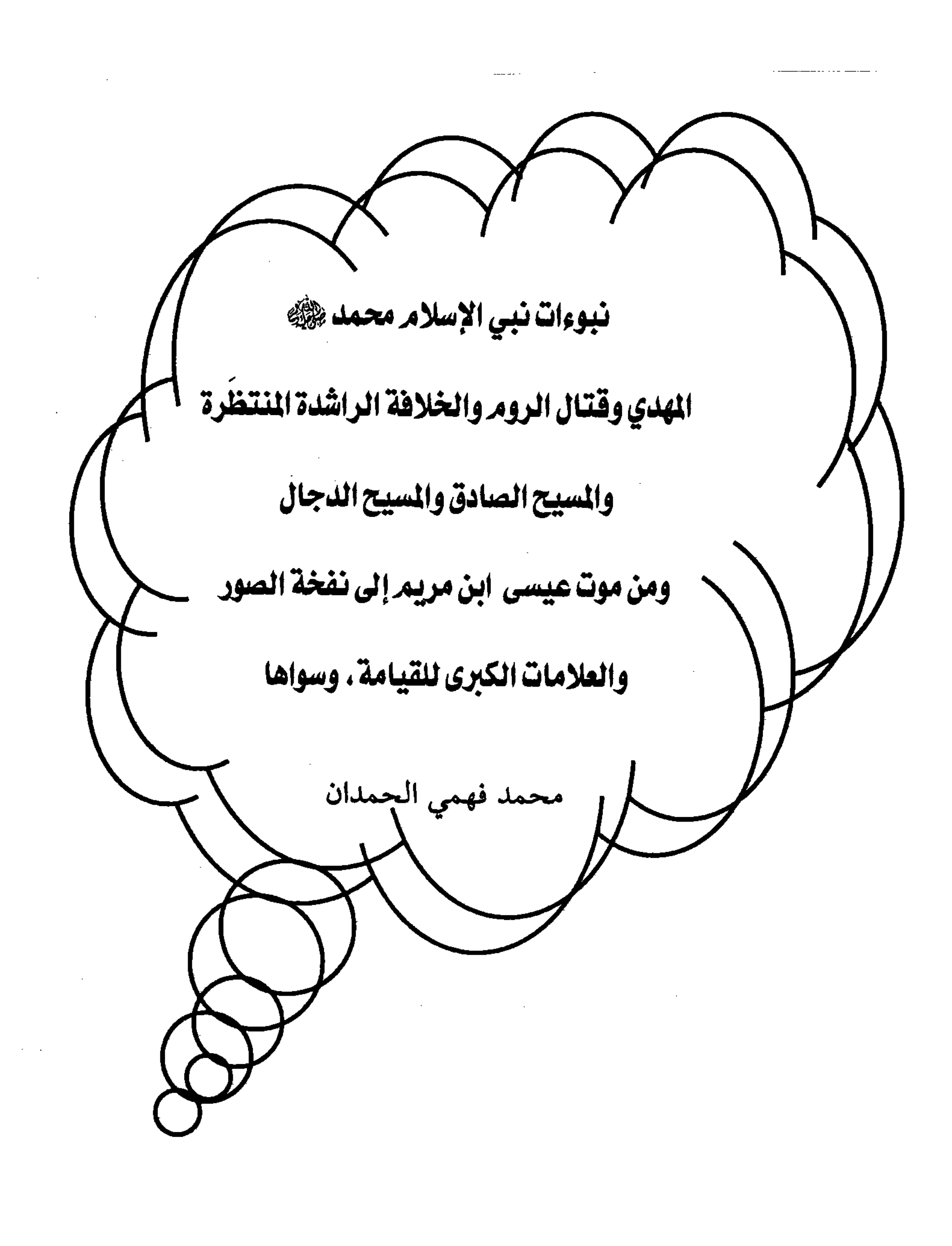
والشطر الأول من الحديث بمعزل عن الشطر الثاني يخيف كل مسلم يخشى الله عز وجل، لأنه يحمل إضافة إلى العقوبات الإلهية معنى واضحاً صريحاً وهو أن الأمة الإسلامية إن وقفت ذليلة جبانة أمام الظلم والظالمين ولم تجرؤ على قول كلمة الحق التي قال عنها رسول الله ﷺ : (أفضل الجهاد كلمة حق-أو: كلمة عدل- أمام سلطان جائر) فإن إسلامها غير مقبول عند الله عز وجل لأن هذه الأمة تخاذلت عن تطبيق إسلامها بسبب تعلقها بأهداب الحياة الدنيا وفسّرت أحكام الإسلام بما يمليه الشياطين على أوليائهم من زخرف القول، ففسّرت ﴿ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ﴾ تفسيرا يناقض ما أراده الله عز وجل وما ذكره الصحابي الجليل أبو أيوب الأنصاري عنها من أنها تعني القعود عن الجهاد والانشغال بالمال وبالتجارة، ولذلك ظل أبو أيوب رضي الله عنه يجاهد حتى استشهد تحت أسوار القسطنطينية- استانبول- وكذلك واظب الصحابة رضي الله عنهم على

الجهاد ولم يتخلوا عنه مع وجود الأعذار الشرعية عندهم كالشيخوخة والمرض، فقد فسّرها الحاخامات بعدم التعرض للمخاطر، وهم يقطعونها عما قبلها وعما بعدها ليغطوا تضليلهم وتحريفهم المتعمّد لكلام الله عز وجل، فالقعود عن الجهاد في سبيل الدنيا هو التهلكة عند الله عز وجل لأنه يوجِب الإلقاء في النار وهذا هو الهلاك.

لقد قال الله عز وجل: ﴿ لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُواْ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِىِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ - المائدة ٥ : ٧٨ إلى٨١- وقال الله عز وجل: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ - البقرة ٢ : ١٦٥ إلى١٦٧-.

وأريد أن أقول: إن الصهاينة والمتصهينين يعملون ليلاً ونهاراً لإبادة المسلمين، وهذا قد أصبح واضحاً وضوح الشمس، ومع ذلك ما زال معظم المسلمين غافلين، وأرجو من الله عز وجل أن يوقظهم من غفلتهم قبل أن يحين دورهم في المخطط الوحشي المرسوم.

انتهى بعون الله تعالى والحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.


نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ
المهدي وقتال الروم والخلافة الراشدة المنتظَرة
والمسيح الصادق والمسيح الدجال
ومن موت عيسى ابن مريم إلى نفخة الصور
والعلامات الكبرى للقيامة، وسواها
محمد فهمي الحمدان



الخلافة الراشدة في الشام

٥٩٢ - عن خُرَيْم بن فاتك ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (أهلُ الشامَ سَوطُ الله في أرضه، ينتقم بهم ممن يشاء من عباده، وحرامٌ على منافقيهم أن يظْهروا على مؤمنيهم ولا يموتوا إلا هماً وغماً) - رواه الطبراني مرفوعاً والإمام أحمد موقوفاً، وقال المنذري: لعله الصواب، ورواته ثقات والحديث الموقوف في مثل هذه المسألة بحكم المرفوع، لأن الصحابي لا يخبر عن الغيب بالرأي - .

٥٩٣ - عن أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (الشام صفوة الله من بلاده، إليها يجتبي صفوته من عباده، فمن خرج من الشام إلى غيرها فبسَخَطِه، ومن دخلها من غيرها فبرحمته) -قال المنذري: رواه الطبراني والحاكم كلاهما من رواية عُفير بن معدان، وهو واهٍ، عن سليم بن عامر عنه، وقال الحاكم: صحيح الإسناد-.

٥٩٤ - عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (أهلُ الشام وأزواجُهم وذَراريّهم وعبيدهم وإماؤهم إلى منتهىَ الجزيرة مرابطون، فمن نزل مدينة من المدائن فهو في رباط أو ثَغْراً من الثغور فهو في جهاد) - رواه الطبراني وغيره، وفيه راوٍ لم يسمّ، وقال المنذري: رواه الطبراني وغيره عن معاوية بن يحيى أبي مطيع، وهو حسن الحديث عن أرطاة بن المنذر عمن حدثه عن أبي الدرداء ولم يسّمه - .

٥٩٥ - عن زيد بن ثابت ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ ونحن عنده: (طوبى للشام، إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه) - الترمذي في المناقب باب في فضل الشام واليمن حديث ٣٩٤٩ وإسناده حسن، وابن حبان في صحيحه، والطبراني، بإسناد صحيح، ولفظه عند الطبراني: قال رسول الله ونحن عنده (طوبى للشام) قلنا: ما له يا رسول الله؟ قال: (إن الرحمن لباسط رحمته عليه) - .

٥٩٦ - عن عبد الله بن حوالة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (رأيت ليلة أسري بي عموداً أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة، قلت: ما تحملون؟ فقالوا: عمود الكتاب أمرنا أن نضعه بالشام، وبينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب اختلس من تحت وسادتي، فظننت أن الله عز وجل تخلى من أهل الأرض، فأتبعته بصري، فإذا هو نور ساطع بين يديّ حتى وضع بالشام) فقال ابن حوالة: يا رسول الله خِرْ لي قال: (عليك بالشام) - الطبراني ورواته ثقات كما قال المنذري - .

٥٩٧ - عن عبد الله بن حوالة أنه قال: يا رسول الله خر لي بلداً أكون فيه، فلو أعلم أنك تبقى لم أختر عن قربك شيئاً فقال (عليك بالشام) فلما رأى كراهيتي للشام قال (أتدري ما يقول الله في الشام؟إنّ الله جلّ وعزّ يقول: يا شام أنت صفوتي من بلادي أدخل فيك خيرتي من عبادي إنّ الله تكفل لي بالشام وأهله) - رواه الطبراني من طريقين إحداهما جيدة كما قال المنذري في الترغيب والترهيب - .

٥٩٨ - عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن النبي ﷺ قال (إني رأيت كأن عمود الكتاب انتزع من تحت وسادتي، فأتبعته بصري، فإذا هو نور ساطع عمد به إلى الشام، ألا وإنّ الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام) - رواه الطبراني في الكبير والأوسط، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما أي البخاري ومسلم، وفي رواية للطبراني (إذا وقعت الفتن فالأمن بالشام) ورواه الإمام أحمد من حديث عمرو بن العاص ﷺ - .

٥٩٩ - عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (بينا أنا نائم رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي فعمد به إلى الشام إلا وإنّ الإيمان حين تقع الفتن بالشام) - رواه الإمام أحمد ورواته رواة الصحيح كما قال المنذري، ورواه البزار - .

٦٠٠ - عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إنّ فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام) - أبو داود في الملاحم باب في المعقل من الملاحم حديث ٣٢٩٨وإسناده صحيح، ورواه الحاكم وقال: صحيح الإسناد ولفظه: عن أبي الدرداء ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول في الملحمة الكبرى (فسطاط المسلمين بأرض يقال لها الغوطة، فيها مدينة يقال لها دمشق خير منازل المسلمين يومئذ) - الفسطاط: المدينة الجامعة للناس أي مجتمع المسلمين، الملحمة: الحرب والقتال والمقصود قتال المسلمين مع الروم، خير منازل المسلمين: أي أفضل مكان يقيم ويعسكر فيه مسلمون لأنه عاصمة دولة الخلافة الراشدة.

٦٠١ - عن مكحول أن رسول الله ﷺ قال: (موضع فسطاط المسلمين في الملاحم أرضٌ يقال لها الغوطة) - أبو داود في السنة باب في الخلفاء حديث ٤٦٤٠ وهوُ مُرَسلٌ، ولكنه صحيح بشواهده - .

٦٠٢ - عن مكحول قال: (لَيَمْخُرَنَّ الرومُ الشامَ أربعين صباحاً لا يمتنع

فيها إلا دمشقُ وعمانُ) - أبو داود في السنة باب في الخلفاء حديث ٤٦٣٨ وهو مرسل – وإنني أرجح أن هذا الخبر قد وقع في الحروب الصليبية.

٦٠٣ - قال الحافظ ابن كثير: روى ابن أبي شيبة أن رسول الله ﷺ قال: (معقل المسلمين من الملاحم دمشق، ومعقلهم من الدجال بيت المقدس ومعقلهم من يأجوج ومأجوج الطور).

٦٠٤ - قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية- ٢٠/٨- وروى البيهقي من طريق أبي إدريس عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (بينا أنا نائم رأيت الكتاب احتمل من تحت رأسي فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، وإن الإيمان حين تقع الفتنة بالشام).

وقال ابن كثير: وقد رواه سعيد عن عبد العزيز عن عطية بن قيس عن يونس بن ميسرة عن عبد الله بن عمرو ﷺ ، ورواه الوليد بن مسلم عن عفير بن معدان عن سليمان عن عامر عن أبي أمامة ﷺ ، وروى يعقوب بن سفيان عن نصر بن محمد بن سليمان السلمي الحمصي عن أبيه عن عبد الله بن قيس: سمعت عمر بن الخطاب ﷺ يقول: قال رسول الله ﷺ: (رأيت عموداً من نور خرج من تحت رأسي ساطعاً حتى استقر بالشام) .

٦٠٥ - روى بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله أين تأمرني؟ قال: (هاهنا) ونحا بيده نحو الشام – أخرجه الترمذي في الفتن باب ما جاء في الشام حديث ٢١٩٣ واسناده حسن-.

٦٠٦ - عن زيد بن ثابت ﷺ قال: كنا يوماً عند رسول الله ﷺ نؤلف القرآن من الرقاع فقال رسول الله ﷺ: (طوبى للشام) فقلت: لم ذلك يا رسول الله؟ قال: (لأن الملائكة باسطة أجنحتها عليها) – أخرجه الترمذي في المناقب باب في فضل الشام واليمن حديث ٣٩٤٩ وإسناده حسن وقال المنذري: رواه الترمذي وصححه، وابن حبان في صحيحه، والطبراني بإسناد صحيح-.

٦٠٧ - عن معاوية ﷺ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا يزال من أمتي أمة قائمة بأمر الله ما يضرّهم من كذّبهم ولا من خالفهم - وفي نسخة: خذلهم - حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) فقال مالك بن يخامِر: سمعت معاذاً يقول: (وهم بالشام) - البخاري في التوحيد باب قول الله: إنما قولنا لشيء..، ومسلم بنحو ذالك عن ثوبان ﷺ في الإمارة باب قوله ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي..، وكذلك رواه في الباب المذكور عن معاوية ﷺ ورواه في الإيمان، ورواه

الترمذي في الفتن، وأبو داود في الجهاد - .

٦٠٨ - عن واثلة بن الأسقع ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول لحذيفة بن اليمان ومعاذ بن جبل وهما يستشيرانه في المنزل، فأومأ إلى الشام، ثم سألاه فأومأ إلى الشام، قال: (عليكم بالشام، فإنها صفوة بلاد الله يُسْكِنها خيرته مِن خَلْقِه، فمن أبى، فلْيلحقْ بيمنه وليَسْقِ من غُدرِه، فإن الله تكّفل لي بالشام وأهله) - الطبراني - .

٦٠٩ - عن خالد بن مَعْدان أن رسول الله ﷺ قال: (نزلتْ عليّ النّبوّة من ثلاثة أماكن: مكة والمدينة والشام، فإن أخرجتْ من إحداهن لم ترجع إليهن أبداً) - رواه أبو داود في المراسيل من رواية بقية-.

قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية - ١٦٩/٦ - : وروى أحمد في مسنده: (لا تقوم الساعة حتى يتحول خيار أهل العراق إلى الشام، ويتحول شرارُ أهل الشام إلى العراق).

وجاء في الحديث١٥١ (وأنتم تتبعوني أفناداً يضرب بعضكم رقاب بعض، وعقْرُ دار المؤمنين الشام) وهو برواية الإمام أحمد والنسائي بإسناد صحيح - .

وجاء في الحديث ١٢٦ (ثم فتنة الدهيماء لا تدعُ أحداً من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل انقضت تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً، حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه، وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، فإذا كان ذلكم فانتظروا الدجال من يومه أو من غده) رواه الإمام أحمد وأبو داود والحاكم بإسناد صحيح.

وجاء في الحديث٤١ برواية الإمام أحمد والبخاري وغيرهما: (اعددْ ستاً قبل قيام الساعة: موتي.. ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً).

وزاد الإمام أحمد (وفسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها: دمشق).

وجاء في الحديث٦٢٣ (يكون اختلاف عند موت خليفة) أن جيشاً يرسل إلى المهدي فيُخْسَف به في البيداء بقرب المدينة المنورة، وأن قتالاً يكون مع المهدي ينتصر فيه المهدي، وهذا الحديث رواه أبو داود بسند رجاله رجال الصحيح، وأقلّ ما يقال فيه أنه حديث حسن، وهو دليل على أن الدولة الإسلامية تكون قائمة قبل انحسار فتنة الدهيماء وعلى أن المهدي يظهر بعد قيام الدولة

الإسلامية.

وجاء في الحديث ٦٣٤ (يُقتل عند كنزكم ثلاثة كلهم ابن خليفة) ثم يظهر المهدي، وهذا يدل أيضاً على أن ظهور المهدي يكون بعد قيام الدولة الإسلامية، لأن الحديث يشير إلى وقوع فتنة يقتل فيها.

ثلاثة من أبناء الخلفاء في صراع على الحكم كما يبدو ثم يبايع المسلمون المهدي بالخلافة، فهذا يقتضي ظهور ثلاثة خلفاء على الأقل قبل ظهور المهدي، والله أعلم، وهذا الحديث إسناده صحيح وجاء في الحديث٢٨٤ برواية الإمام مالك وغيره: (يكون النبوة فيكم ما شاء الله أن يكون، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة، فتكون ما شاء الله أن تكون، ثم يرفعها إذا شاء، ثم يكون ملْكاً عضُوضاً فيكون ما شاء الله ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها، ثم مُلْكٌ جبْريّة، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة).

لقد أخبر رسول الله ﷺ أن من علامات قيام الساعة أو من الأمور التي تسبق ظهور العلامات الكبرى للساعة هو قيام الخلافة الإسلامية في الشام، وسوف تقوم بعد أو قبل حرب تكون بين جيش من المؤمنين صادقي الإيمان وبين جيش من المنافقين لا يوجد في قلوبهم مثقال ذرة من الإيمان، ثم تخوض هذه الدولة حروباً مع الروم تنتهي بانتصارها، ثم يظهر المهدي ﷺ ، ويظهر المسيح الدجال وهو أول العلامات الكبرى للقيامة، ثم ينزل سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ وهو ثاني العلامات الكبرى، وفي زمانه يظهر قوم يأجوج ومأجوج وهم ثالث العلامات الكبرى.

وإن عاصمة دولة الخلافة الإسلامية المنتظرة هي مدينة دمشق للأسباب التالية:

لقد جاء في الحديثين الصحيحين٦٠٠و٦٠١وفي زيادة للإمام أحمد على **الحديث الصحيح٤١ (وإن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها: دمشق، من خير مدائن الشام) . والفسطاط هو مكان تجمع جيش المسلمين هنا**، وهذا يقتضي أن تكون دمشق هي العاصمة..

وجاء في الحديثين الصحيحين٦١٠و٦١١والحديث الحسن٦١٢التي ذكرت خبر الجيوش الإسلامية الأربعة أن جيشاً منها يكون في الشام وأمر النبي ﷺ من سأله عن المكان الذي يذهب إليه بأن يذهب إلى الشام.

وجاء في الحديث الصحيح٦١٠وفي الحديثين الحسنين٦١٠و٥٩٧ (فإن

الله قد تكفّل لي بالشام وأهله) أي أن الله عزّ وجلّ قد تكفل بحماية الشام وهذا يقتضي أن يكون مقر الخلافة الراشدة.

وجاء في الحديثين الصحيحين٥٩٨و٥٩٩والحسن٥٩٦، والحديث٦٠٤ الذي رواه أبو الدرداء وعبد الله بن عمرو وأبو أمامة وعمر بن الخطاب أن عمود الكتاب (أي القرآن الكريم ومركز إشعاع الإسلام) قد انتقل إلى الشام، وجاء في الحديث١٥١ (وعُقْرُ دار المؤمنين الشام)، وجاءت أحاديث أخرى تبين أن الإيمان إذا وقعت الفتن في الشام وأن خيرة المسلمين وصفوتهم يكونون في الشام، منها الأحاديث الصحيحة ٥٩٨و٥٩٩و٥٩٣و٥٩٧، وجاء في الحديثين الحسنين (٥٩٥و٦٠٦) : (طوبى للشام، إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه)، وأنا أفهم من هذا الحديث أن الملائكة سوف تدافع عن الشام.

وإذا أضفنا إلى ذلك أن سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ سوف ينزل في (المنارة البيضاء شرقيِ دمشق) - الحديث٦٧٣ - عند الفجر وأنه سوف يصلي مقتدياً بإمام المسلمين أدركنا أن دمشق هي عاصمة دولة الخلافة الإسلامية المنتظرة دون أدنى شك.

أربعة جيوش إسلامية

٦١٠ - عن عبد الله بن حوالة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (سيصير الأمر إلى أن تكونوا أجناداً مجنّدة: جندٌ بالشام، وجندٌ باليمن، وجندٌ بالعراق) قال ابن حوالة: خِرْ لي يا رسول الله إنْ أدركتُ ذلك فقال: عليك بالشام فإنها خِيرة الله من أرضه يجتبي إليها خِيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم واسقوا مِن غُدُركم، فإن الله توكّل - وفي رواية: تكفّل - لي بالشام وأهله) - أبو داود في الجهاد باب في سكنى الشام رقم٢٤٨٣وإسناده صحيح، وابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح الإسناد، ورواه الإمام أحمد بطريقين كما قال الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية٦/١٩٥ - .

٦١١ - عن العرباض بن سارية ﷺ عن النبي ﷺ أنه قام يوماً في الناس فقال: (يا أيها الناس توشكون أن تكونوا أجناداً مجندةً: جندٌ بالشام، وجندٌ بالعراق، وجندٌ باليمن) فقال ابن حوالة: يا رسول الله إنْ أدركني ذلك الزمان فاختر لي قال: (إني أختار لك الشام، فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده يجتبي إليها صفوته من خلْقه، فمن أبى فليلحقْ بيمنه وليسْقِ من غُدُره فإن الله قد تكفّل لي بالشام وأهله) - قال المنذري: رواه الطبراني ورواته ثقات، ورواه

البزار والطبراني أيضاً من حديث أبي الدرداء ﷺ بإسناد حسن - .

٦١٢ - عن واثلة بن الأسقع ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يجنّد الناس أجناداً: جندٌ باليمن، وجندٌ بالشام، وجندٌ بالمشرق، وجند بالمغرب) فقال رجل: يا رسول الله خرْ لي، إني فتىً شابٌ فلعلي أدرك ذلك، فأي ذلك تأمرني؟ قال: (عليك بالشام) - رواه الطبراني بطريقين إحداهما حسنة كما قال المنذري-.

وجاء في الحديث ٦٢ (لا يزال أهل الغرب- وفي نسخة: أهل المغرب- ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة) وهو برواية مسلم أخبرنا رسول الله ﷺ بأنه سوف يأتي زمان تتكون فيه أربعة جيوش إسلامية: جيش في الشام وجيش في العراق وجيش في اليمن وجيش في المغرب، وذكر جيش الشام دلالة على قيام دولة الخلافة الراشدة فيه، أما تكون الجيوش الثلاثة فيمكن أن يسبق زمان قيام الخلافة أو أن يأتي معه أو أن يتأخر عنه قليلاً، ولكن سياق الحديث يوحي بنشوئها في وقت واحد.

وأرجح أن تكوُّن الجيوش سيكون موجوداً خلال الحرب مع الروم، لأن رسول الله ﷺ قد أشار إشارة واضحة إلى أن اليمن لن تتعرض لمخاطر الحرب وأنها ستنعم بالهدوء في قوله ﷺ : (فعليكم بيمنكم واسقوا من غدركم) الذي ورد في بضعة أحاديث، وهو يدل على انشغالهم بالزراعة لا بالحرب، فالشام هو الذي حث رسول الله ﷺ المسلمين على الهجرة إليه والإقامة فيه، لأن دولة الخلافة الراشدة سوف تكون في الشام (فإنه خيرة المسلمين وصفوة الله من بلاده يجتبي إليه صفوته من خلقه) ، ويبدو أن غارات الروم سوف تستهدف الشام، ولكنها لن تضرّه، فقد جاء في أحاديث كثيرة قول رسول الله ﷺ (فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله) فالله تعالى قد تكفل بحماية الشام بسبب وجود المؤمنين فيه وبسبب تطبيق شريعة الله فيه.

وقد جاء في الحديثين٤١و٦٠١ (وفسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق) فمعسكر الجيش الإسلامي هو الغوطة.

وفي الحديث٦٠٠ (إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق، من خير مدائن الشام) والملحمة هي القتال مع الروم.

وجاء في أحاديث كالحديثين٥٩٨و٥٩٩وغيرهما (ألا وإن الإيمان إذا وقعت الفتن بالشام) وهذا يدل والله أعلم على أن فتنة الدهيماء، أي القتال بين الإسلاميين والمنافقين، سوف تظل قائمة إلى ما بعد قيام الخلافة الإسلامية في

الشام، وإلى ما بعد الحرب بين الإسلاميين والروم وإلى ظهور الدجال، وقد مر بنا أن القتال في هذه الفتنة يكون متقطعاً غير متصل، فهو ينقطع حتى يظن بأن الفتنة قد انتهت ثم تندلع من جديد.

وقد يسأل سائل: كيف يكون الشام في أمن والصواريخ موجودة؟.

إنني أقول: إن الله عز وجلّ قادر على إنجاز عهده.

ثم إن الأفغانيين قد تمكنوا من طرد الاتحاد السوفييتي برغم فقرهم وقلة عددهم وضعف عتادهم، فقد طردوهم بإيمانهم الصادق وبجهادهم الصادق، فالله تعالى ينصر من يتصف بهاتين الصفتين.

وسوف يتصف أهل الشام بهاتين الصفتين، ويحظون بميزة أخرى هي أن الله تعالى قد وعد وعداً صريحا بحماية الشام، وهو قادر على إنجاز عهده في أي ظرف كان، ولكن الله تعالى سوف يحدث في الأرض خسوفاً، فقد تبتلع هذه الخسوف الأسلحة ومخترعيها وصانعيها لأنه قد جاء ذكرٌ صريح للسيوف والتروس في الإخبار عن القتال مع الروم .

زوال إسرائيل

قال الله تعالى في سورة الإسراء-الآيات من ٤إلى٨-: ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ﴿٨﴾ ﴾ .

لقد كنت وما أزال منذ زمن بعيد أقف كلما قرأت سورة الإسراء أمام الآيات من٤إلى٨متأملاً متفكراً، فلم أقتنع بشروح المفسرين القدماء، وهم معذورون لأنهم فسروها على ضوء المعلومات التي يعرفونها، ورجحت أن الآيات تشير إلى أن هزيمتين سوف تلحقان باليهود على أيدي المسلمين.

ففي قوله عز وجل ﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ ﴾ يبين الله تعالى أنه أنبأ بني إسرائيل أو قدَّر عليهم أو علم بأنهم سوف يعيثون فساداً في الأرض مرتين، وسوف يكون لهم قوة وسلطان، ولا يوجد في الآية ما يدفعنا إلى الجزم بأنهم سيفسدون مرتين اثنتين فحسب، فاليهود مفسدون في كل زمان ومكان، وفسادهم يستعصي على الإحصاء والحصر، ولقد ذكر القرآن الكريم صوراً عديدة من فسادهم وإفسادهم، وبناء على ذلك يمكن حمل معنى الآية على أن الفساد سوف يقع منهم كثيراً، ولكن الله تعالى ذكر هنا فسادين معينين محددين يكونان بعد ظهور الإسلام ويكون لهذين الفسادين ضرر بالمسلمين، ولهذا ذكرهما الله تعالى في القرآن الكريم كتاب المسلمين، وهذا احتمال قوي والله أعلم، ومعلوم أن رسول الله ﷺ قد أنشأ معاهدة مع يهود المدينة المنورة بعد هجرته إليها، ولكن اليهود نقضوا العهود وظلوا يؤلبون العرب على المسلمين، وشارك يهود خيبر في الكيد للإسلام والمسلمين.

ثم يقول الله تعالى:﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ﴾ أي واقعاً لا محالة.

وإذا تأملنا الآية نجد أنها تتحدث عن الزمان المقبل وليس عن الزمان الماضي، فالظرف (إذا) يدل على ما يستقبل من الزمان، وإذا قال قائل: إن هذا يندرج تحت ظاهرة تلوين الأسلوب في القرآن الكريم فإنني أقول له: إن الله تعالى قد ذكر مراراً بطشه بالأمم الضالة مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وأهل مدين، وصورها على أنها أفعال وقعت في الماضي، أما في حديثه عز وجل عن العقوبتين اللتين تقعان باليهود فقد جاء الإخباران بصيغة المستقبل. وأدع هذه الملاحظة إلى ملاحظة أخرى أوضح من سابقتها، وهي أن الله تعالى وصف أعداء اليهود بأنهم عباد له، ومع أن الناس جميعاً عبيد لله تعالى إن أحبوا أو كرهوا فإن الله تعالى لا يستخدم هذه الصفة إلا في وصف المؤمنين، ولذلك أرى أن ما جاء في الآية هو إخبار عن طرد قبيلتين من يهود المدينة المنورة وقتل رجال القبيلة الثالثة وهم بنو النضير وقينقاع وقريظة، أو فتح حصون خيبر وهو ما أرجحه، أو إخبار عن كليهما معا، وعلينا أن نتذكر بأنه قد كان لليهود شأن

وسلطان في فجر الإسلام، وقد أفسدوا كثيرا فأجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة المنورة ثم أجلاهم عمر بن الخطاب عن خيبر بعد أن أخضعهم رسول الله ﷺ فيها.

ونواصل القراءة ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ ﴾ فالضمير في (عليهم) يعود على العباد الذين هزموهم أول مرة، فالآية تنص بوضوح على أن كفة اليهود سوف ترجح على كفة أعدائهم، وأنهم سوف يمتلكون القدرة على التغلب عليهم، وأنهم سوف يمتلكون الأموال الكثيرة والجيش القوي، وسوف يحظون بتفوق مالي وعسكري، وهذا الوصف ينطبق على وضعهم الراهن.

وفي الشطر الأول من الآية السابعة ﴿ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ ﴾ تحذير لليهود، فالإحسان هو معاملة طيبة تقوم على العدل وعلى الحق وعلى الإيثار وعلى الابتعاد عن الظلم، والإحسان بمعناه الواسع هو أعلى درجات الإيمان بالله تعالى وفيه يصل الإنسان إلى درجة عليا من التسامي والتزام الخصال الحميدة كلها بما فيها العدل والحق والإيثار والابتعاد عن الظلم، ففي الآية تحذير إلهي مخيف لليهود، فالله تعالى يقول لهم بصريح القول بأنهم إذا التزموا الإحسان بمعناه الواسع فإن الله تعالى يكافئهم في الدنيا والآخرة، وإذا التزموه بمعناه الضيق فإن الله تعالى يكافئهم في الدنيا، فهم على ذلك ينفعون أنفسهم إذا أحسنوا ويحظون بالكرم الإلهي السخي ويكفّون عن أنفسهم بطش الله تعالى بهم، وأما إذا عاملوا الناس معاملة سيئة وواجهوهم بالشر فإن الله تعالى يبطش بهم في الدنيا إضافة إلى تنكيله بهم في الآخرة، فإساءتهم تعود بالسوء عليهم.

ثم يقول الله تعالى ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ فالقرآن الكريم قد استخدم ثانية الظرف (إذا) الذي يستخدم لما يستقبل من الزمان، وقد جاءت الأفعال كلها معبرة عن أمور تقع في المستقبل، والتتبير الدمار والهلاك، ﴿ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ ﴾ يكون معناها مع التتبير أن أعداء اليهود سوف يقتلون منهم مقتلة عظيمة، ويستبيحون ديارهم، ويطيحون بدولتهم، فتبدو على وجوه

اليهود علامات الذل والهوان والخذلان والخزي ، وتشير الآية السابقة إلى أن أعداء اليهود سوف يدخلون المسجد الأقصى كما دخلوه أول مرة، وقد دخل المسلمون المسجد الأقصى في عهد سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ ، وسوف يدخلونه في الانتصار الثاني كما دخلوه في عهد عمر بن الخطاب ﷺ ، وسوف يقتلون من اليهود مقتلة عظيمة ﴿ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوْاْ تَتْبِيرًا ﴾ .

فأعداء اليهود الذين ينتصرون عليهم في المرتين هم المسلمون، فقد وصفهم الله تعالى بقوله (عباداً لنا) ، فهم مؤمنون بالله تعالى إيماناً صادقا، ثم ذكر عز وجل أنهم سوف يسيطرون على ديار اليهود، ثم تقوى شوكة اليهود ويغلبون أولئك العباد المؤمنين، ثم تقوى شوكة المؤمنين ويتغلبون على اليهود ثانية ويدخلون المسجد الأقصى ثانية كما دخلوه أول مرة، ولم يذكر القرآن الكريم دخول المسجد الأقصى في الانتصار الأول لأن المسلمين دخلوه بعد الانتصار على اليهود بسنين، ولأنه لم يكن في أيدي اليهود بل كان في أيدي النصارى، وقد ذكر القرآن الكريم في الانتصار الثاني أن المؤمنين سوف يدخلون المسجد كما دخلوه أول مرة لأنه يكون في أيدي اليهود ولن يتنازلوا عنه كما يبدو، وقد ذكر القرآن الكريم أن المؤمنين سوف يدخلون المسجد كما دخلوه، ومعنى ذلك أنهم لن يدمروه، فالدخول ينفي وجود التدمير، وهم لم يدمروه أول مرة.

وقد أرجع القرآن الكريم الضمائر المذكورة في وصف الانتصار الثاني إلى العباد أصحاب الانتصار الأول، والأوصاف المذكورة كلها لا تنطبق إلا على المسلمين وحدهم.

وقد أخطأ من ظن أن القرآن الكريم يتحدث عن سبي بابل على يد بختنصر وعن مذابح اليهود على أيدي الرومان لأن المنتصرين وثنيون، ولأنهم من أمتين مختلفتين، ولأنهم دمروا مساكن اليهود وقتلوا منهم كثيراً، بينما اكتفى المسلمون ببسط السيطرة على اليهود في خيبر ولم يقتلوهم ولم يدمروا ديارهم، ولم يدمر المسلمون المسجد الأقصى ولن يدمروه، ولم يدمروا كنيسة القيامة، ولم يدمروا أية كنيسة لليهود أو للنصارى، بينما دمرت الأمتان المذكورتان مسجد اليهود، فالوصف القرآني لا ينطبق على بختنصر ولا على الرومان، وينطبق على المسلمين، فالمسلمون هم الذين غلبوا اليهود وبسطوا عليهم سلطانهم في الانتصار الأول، وهم الذين سوف يفتكون بهم ويدمرون ديارهم في الانتصار الثاني المنتظر.

ولقد أخطأ بعض المسلمين في تفسير أحاديث رسول الله ﷺ التي أخبرت عن قتال يقع بين المسلمين واليهود أثناء ظهور المسيح الدجال وبعد نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، فقد جاء عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغَرْقدَ فإنه من شجر اليهود) -رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم-والغرقد شجر قصار ذو شوك.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (لتقاتلنّ اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي فتعال فاقتله) -رواه الإمام أحمد والبخاري ومسلم والترمذي -.

وقد جاء في أحاديث أخرى أن قتل اليهود يتم على أيدي الجيش الإسلامي المنطلق من دمشق بقيادة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام ، ويكون هؤلاء اليهود في صحبة الدجال، فظن بعض المسلمين المعاصرين أن اليهود المقصودين هم هؤلاء الذين اغتصبوا فلسطين في زماننا هذا، وهذا خطأ ناجم عن عدم الإحاطة بالموضوع وعن عدم الربط بين الأحاديث الشريفة، فاليهود الذين يقتلهم المسلمون ويدل الشجر والحجر على مخابئهم هم يهود آخرون يأتون بصحبة المسيح الدجال من (أصبهان) في إيران، وليسوا يهود دولة الصهاينة.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يتبع الدجالَ من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة) - رواه مسلم، ورواه الإمام أحمد بلفظ (يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود عليهم التيجان) -، وجاء في حديث رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه : (يكون معه -أي مع الدجال- سبعون ألفاً من اليهود) ، وجاء في حديث آخر رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي (حتى أن الشجر والحجر ينادي: يا رَوْحَ الله هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله) ، وجاء في حديث رواه ابن ماجه عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه (فيهزم الله اليهودَ) فهذه الأخبار قد جاءت في معرض الحديث عن الدجال، وهي تدل بوضوح على أن اليهود الذين أخبر رسول الله عن قتلهم على أيدي المسلمين هم دُخَلاءُ جُدُد يأتون من أصبهان بصحبة الدجال.

ولقد جاء في الأحاديث الواردة عن الدجال أن فلسطين تكون في أيدي العرب أثناء ظهور الدجال، ففي حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ عن الدجال جاء: فقالت أم شريك بنت أبي العكر: يا رسول الله فأين العرب يومئذ؟ قال (هم يومئذ قليل وجُلهم ببيت المقدس وإمامهم رجل صالح) – رواه ابن ماجه-، وجاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ (فيفر المسلمون إلى جبل الدخان بالشام من الدجال)، وهذا الحديث رواه الإمام أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح كما قال الهيثمي في مجمع الزوائد، وصححه الحاكم في المستدرك، ورجاله ثقات، وقال الذهبي: وهو على شرط مسلم وجبل الدخان في فلسطين كما استخلصت.

فإسرائيل لن تبقى إلى وقت ظهور المسيح الدجال وإنما سوف تزول قبل ذلك على أيدي المسلمين كما جاء في سورة الإسراء، وسوف تكون فلسطين في وقت ظهور الدجال بيد العرب كما جاء في الحديث النبوي الشريف، ولقد ذكر الكاتب العراقي محمد أحمد الراشد أنه حينما قامت دولة الصهاينة عام ١٩٤٨ دخلت جارة يهودية إلى دارهم وهي تبكي، فسألتها أمه عن سبب بكائها، فقالت: ألم تسمعي بأن اليهود قد صنعوا دولة في فلسطين؟ فقالت أمه: إن هذا النبأ ينبغي أن يبهجك لا أن يحزنك فقالت الجارة: إنك لا تعلمين أن اليهود سوف يُذبحون بعد إنشاء دولتهم بستة وسبعين عاماً. ومعلوم أن مثل هذا القول لا يكون إلا من التراث التوراتي اليهودي، فإذا لم تكن اليهودية قد أخطأت في ذكر عدة السنين لأن الإنسان يمكن أن يخطىء في الأعداد فإن إسرائيل سوف تزول عام ٢٠٢٤، ولكنني لا آخذ بهذه النتيجة لاحتمال وجود الخطأ مع أن كاتباً قد قام بحساب الجُمل بين كلمات الانتصار الأول والانتصار الثاني في سورة الإسراء واستخلص من هذا الحساب أن إسرائيل تزول عام ٢٠٢٤أيضاً.

ولقد جاء في التراث الديني اليهودي ذكر لمعركة (هَرْمَجُدّن) ، وهم يظنون أنهم سينتصرون فيها على العرب وأنهم سوف يذبحونهم جميعاً، وهرمجدن اسم بقعة في جبال الجليل في الجزء الشمالي من فلسطين، وإن الخبر عن المعركة قد جاء فيه أنها حرب بين المؤمنين والكفار، وأن المؤمنين يذبحون الكافرين فيها، فجعلوا أنفسهم المؤمنين وجعلوا العرب كفاراً، وصاروا يتشوقون إلى هذه المعركة التي يذبحون فيها العرب، وقد بشروا بدنو ميقاتها في أيامنا هذه.

وقد ذكر المرحوم الشيخ سعيد حوى في كتابه (الرسول ص) - ٦٠/٢-:

وفي التوراة المحرفة هذا القول (سأجمعك يا إسرائيل في أرض الميعاد ثم أذبحك ذبحاً) وأرض الميعاد هي فلسطين.

فهذه أدلة ثلاثة من التراث اليهودي تبشر بقرب زوال إسرائيل.

وقد قال الله تعالى: ﴿ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ – المائدة ٥/ ٤١- فلقد قضى الله تعالى عليهم بأن يكونوا في الدنيا أذلاء مهانين باستثناء المدة التي ذكرها جل جلاله في سورة الإسراء، وسوف يعودون بعدها إلى حياة الذل والهوان بسبب شرورهم وفسادهم وإفسادهم في الأرض.

وقال الله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ -المائدة: ٦٤-.

وقال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ - الأعراف٧: ١٦٧-.

فلقد قضى الله عز وجل على اليهود بسبب فسادهم وإفسادهم وشرورهم ولؤمهم وخبثهم أن يعيشوا في الدنيا أذلاء صاغرين، ونشر بينهم العداوة والبغضاء فتمزقوا ولم تتحد كلمتهم ولن تتحد أبدا، فهم منقسمون إلى مذاهب وطوائف، وأبطل الله تعالى مكائدهم فكلما حاولوا أن يشعلوا نارا للحرب أطفأها الله تعالى، وهم دائبون على نشر الفساد بمختلف صوره في الأرض، ففي الوقت الذي يرفعون فيه أنفسهم فوق البشر جميعاً ويجعلون أنفسهم شعب الله المختار يجعلون البشر جميعاً بهائم يحق لليهود أن يكذبوا عليهم ويغشوهم ويخدعوهم ويحتالوا عليهم ويغدروا بهم ويسرقوا أموالهم ويغتصبوها ويقتلوهم ويفعلوا بهم ما يشاؤون، وهم حربٌ على الشعوب كلها وعلى الأديان كلها السماوية وغير السماوية، ولو اطلعنا على تراث شعوب الأرض كلها لرأينا أدباءها يصورون شرور اليهود وخبثهم، واليهود أنفسهم يصرحون بذلك في بروتوكولاتهم وفي تلمودهم، وهم لا يعرفون الإخلاص ولا يتمسكون بأية خصلة حميدة، ففي الوقت الذي كانت بريطانيا فيه توجه طاقاتها كلها لمساعدة اليهود في إنشاء دولة لهم في فلسطين كان اليهود يغتالون الجنود والرعايا الإنجليز في فلسطين ذاتها،

ولقد اغتالوا منهم عدداً كبيراً.

ولقد أشعل اليهود كثيراً من الحروب في أوربا بخاصة، ولقد كانوا وراء اضطهاد الكاثوليك فيها، ولقد كانوا وراء المجازر البشرية في كل مكان، ولقد كشفت بحوث الدارسين أن اليهود قد وضعوا أيديهم على أجهزة الأمن والمخابرات في الثورة الفرنسية وفي الثورة الشيوعية، ووجهوا طاقاتهم فيهما لقتل الناس من أية أمة ومن أي دين، فهدفهم هو أن يقتلوا أكبر عدد ممكن من الناس الذين يعدونهم بهائم، ففي الثورة الفرنسية قتلوا الأسرة المالكة وكل من خدمها، ورجال الحكومة وكل من خدمهم وتعاون معهم، والإقطاعيين والرأسماليين وكل من عمل عندهم، وهكذا قتلوا العمال والفلاحين، وقتلوا كل فرنسي يعرف إنجليزياً، لأنهم عادَوا بريطانيا بخاصة، ونبشوا قبور ملوك فرنسا السابقين ومثلوا برُفاتهم، وحملوا فرنسا على محاربة الدول الأوربية، وفي فرنسا صار من السهل جدا أن يُكتب تقرير عن أي مواطن بأنه كان صديقاً لفلان الإقطاعي أو الإنجليزي أو لأمير أو لصاحب منصب فيوجَّه هذا المواطن إلى المقصلة، وفعلوا مثل ذلك في الاتحاد السوفييتي وقتلوا الشعوب والأفراد فيه بتهم سخيفة، وحضوا المواطنين على كتابة التقارير، ولقد أخبر طفل عن أبيه وأمه بأنهما أخفيا كمية ضئيلة من القمح الذي طالبت الدولة بتسلمه كله، فشنقتهما الدولة وصنعت تمثالا للطفل، ويكفي أن نعلم أن الثورة الشيوعية قد سميت بالثورة الحمراء لكثرة ما أريق فيها من دماء.

واليهود مستعدون للتطوع في أي مكان في العالم لكي يعذبوا الشعوب ويقتلوا بعضها، فلقد تطوعوا في جهاز مخابرات شاه إيران المعروف بالسافاك ونكّلوا بالإيرانيين بوساطته.

ولقد كانت إسرائيل في الخمسينات وبداية الستينات تسعى جاهدة للحصول على اعتراف الحكومات العربية بها، وهذا كان كل ما تريده من العرب هو مجرد الاعتراف، ولكن ينبغي أن نعلم أن الجيش السوري وحده كان يدحر إسرائيل آنذاك، وبعد حرب حزيران عام١٩٦٧تغير موقفها، فقد توهمت وظنت أنها أقوى من الأمة العربية والإسلامية وأنها قادرة عاى إذلالهما، وقد ظهر ذلك في المفاوضات السرية التي بدأت بعد هذه الحرب فقـ تمسكت إسرائيل بشروط قاسية جائرة مذلة رفضها العرب ولكنها لـم تجد أما ها ما يخيفها فأصرت على شروطها القاسية الجائرة، ووصلت المفاوضات إلى ط يق مسدود، وأراد أنور

السادات تحريك المفاوضات السلمية فخاض حربا عام١٩٧٣، ثم فتح باب المفاوضات مع إسرائيل وجها لوجه مع وجود أميركا كوسيط، وطالت المفاوضات ولم تنسحب إسرائيل من سيناء إلا في نهاية عام١٩٨٢، وانتهت المفاوضات باصطناع تمثيل ديبلوماسي بين الطرفين، وبإقامة علاقات حسنة بينهما، وبوضع أجهزة رقابة واستطلاع على جبال سيناء شرقي قناة السويس وجنوبها يشرف عليها أميركيون وصهاينة ومصريون، وبجعل سيناء بكاملها مجردة من الأسلحة الثقيلة، وهكذا خرجت إسرائيل بمكاسب كثيرة أهمها: إخراج أكبر دولة عربية من الصراع العربي الإسرائيلي، وإنقاذها من متاعب حماية حدود صحراء سيناء الطويلة، وصنع أطول حاجز أمني بينها وبين مصر، وبذلك تأمن جانب مصر وتضمن عدم اشتراكها في أية حرب تشعلها إسرائيل، ومع أن الحكومة المصرية قد حسنت علاقاتها مع إسرائيل وأعطتها كثيرا من المكاسب إلا أن إسرائيل لم تخلص لمصر لأن اليهود لا يعرفون الإخلاص لأحد ولا يستطيعون تحسين علاقاتهم مع أحد إلا إذا كانوا ضعفاء، فقد اكتشفت أجهزة الأمن المصرية عددا كبيرا من شبكات التجسس الصهيونية، واكتشفت أن إسرائيل ترسل إلى مصر قحبات لتجنيد شباب مصر في خدمة اليهود ضد أمتهم وترسل قحبات مزودات بجراثيم مرض الإيدز القاتل للفتك بشباب مصر، وهكذا نرى أن اليهود يقابلون المعاملة الحسنة بالغدر والقتل، وقد قتلوا من قبل جنوداً ومدنيين بريطانيين برغم الجهود العظيمة التي بذلتها بريطانيا لإنشاء دولة اليهود، فاليهود أعداء للبشر جميعاً، وقد أتيحت لإسرائيل فرصة ذهبية للسلام مع العرب بعد حرب الخليج.

ولكن إسرائيل لم تكتف بما حصلت عليه من مكاسب، وقد دفعها جشعها إلى سلب المزيد من ممتلكات العرب، ولم تغير خطتها الوحشية في معاملة العرب، ومما يثير السخرية أن صوت إسرائيل يرتفع دائماً للمطالبة بمكافحة الإرهاب الإسلامي، وانضمت بعد حرب الخليج إلى أميركا ودول أوربية لتوحيد الجهود لمقاومة هذا الإرهاب المزعوم، وهي الدولة التي قامت على الإرهاب الوحشي وما زالت تعامل الآخرين بالوحشية ، وأذكر على سبيل المثال لا الحصر لأن جرائم الصهاينة لا يمكن إحصاؤها أنها ذبحت سكان أربع عشرة قرية فلسطينية شيوخاً وأطفالاً ونساء منها دير ياسين عام١٩٤٨ وقتلت أهالي قبية عام١٩٥٣ وقتلت أهالي كفر قاسم عام١٩٥٦ وقتلت أهالي صبرا وشاتيلا عام

١٩٨٢ ومعظمهم من النساء والأطفال وقامت باقتحام مستشفى الهلال الأحمر وقتل المرضى والأطباء والممرضين والمستخدمين العرب والمسلمين والأجانب باستثناء الأميركيين والبريطانيين والفرنسيين، وهؤلاء قد تعرضوا للإهانة ولسوء المعاملة» .

فلم تعرف الدنيا قديما ولا حديثاً من هو أكثر وحشية من الصهاينة ولم تعرف مثيلاً لهم في القسوة وحب القتل.

وإننا قد رأينا في الانتفاضات الفلسطينية بعض مشاهد الوحشية التي تمكن المراسلون من تصويرها، فرأينا الصهاينة يستخدمون الطيران والدبابات والصواريخ والرصاص في مواجهة الفلسطينيين العزل، ورأيناهم يضربون الفتيان بالبنادق وبالعصي وبالأحذية ضرباً وحشياً، ورأيناهم يقتلون الأطفال عمداً، ورأيناهم يضربون عظام وأجساد الفتيان بالفؤوس لتكسيرها وتمزيقها، وإن هذه الوحشية قد فجرت غضب الجماهير العربية والإسلامية» .

ولذلك أقول: إن إسرائيل مصممة على قتل فرص السلام الذهبية، وإنها تحفر قبرها بيديها، وإنها ستزول قريباً دون شك، ولن تتمكن أميركا من حمايتها، وإنني أعتمد في توقعي هذا على هذه الأفكار والأحداث:

يرى بعضهم صعوبة في التحرر من الاستعمار الصهيوني لأنه استيطاني، وإنني أذكّر بأن الأمة العربية قد تعرضت لهجمات أمم متوحشة أقوى من الصهاينة وقد وجهت طاقاتها للاستيطان في بلاد العرب كاليونانيين والرومانيين والصليبيين والتتار والفرنسيين وقد انتصروا إلى حين ولكنهم خرجوا بعد ذلك أذلاء صاغرين، وإن القمع الوحشي لا يحمي أية دولة ولا يضمن بقاءها وإنما يفجر غضب الجماهير عليها ويعجل بانهيارها، فلقد اتبع المستعمرون المذكورون أسلوب القتل والتنكيل ولم يتمكنوا من البقاء ولقد انسحبت فرنسا من مستعمراتها في أنحاء العالم ووجهت قوتها للتمسك بالجزائر، وقد اتبعت سياسة الإبادة، ومن صور الوحشية التي رأيتها صورة جنود فرنسيين يشربون الخمرة ويضحكون إلى جانب هرم صنعوه من رؤوس القتلى، ولكنها لم تتمكن من البقاء في الجزائر، فالوحشية لا تخضع الشعوب ولكنها تفجر غضبها على المتوحشين، وإنني أتوقع أن يتفجر غضب الأمة العربية والإسلامية على إسرائيل وأميركا، وأتوقع أن يسلك العرب والمسلمون طريق العمل الفدائي، وقد ظهرت نُذُر هذا الانفجار، فقد قام بعض الفلسطينيين بعمليات استشهادية وقام حزب الله

بعمليات أسر فيها جنوداً صهاينة، وقامت منظمة حماس بخاصة ومنظمة الجهاد الإسلامي وسرايا القدس وسواها بعمليات استشهادية بطولية، وأتوقع أن تتضاعف هذه العمليات ، وينبغي التذكير بأنه لا توجد دولة في الدنيا تستطيع أن تمنع عبور المتسللين المشاة لحدودها، وينبغي التذكير بأن التفوق بالسلاح لا يضمن إخضاع الشعوب، فتصميم الشعوب هو الأقوى، وقد رأينا أن أميركا لم تستطع أن تبقى في فيتنام، ورأينا الاتحاد السوفييتي لم يتمكن من البقاء في أفغانستان، مع أن أميركا والاتحاد السوفييتي أعظم دولتين في العالم، وإسرائيل ليست سوى فأر بالقياس إليهما، وينبغي الإشارة إلى أن سكان أميركا أكثر من سكان فيتنام، وأن سكان الاتحاد السوفييتي أكثر من سكان أفغانستان، بينما العرب أكثر من الصهاينة بثلاثين مرة أو أكثر، وهذه ميزة عظيمة للعرب فمقتل عشرات الألوف من العرب لا يضعفهم، بينما مقتل ألوف من الصهاينة يضعفهم، ثم إن الأرض العربية واسعة، ولذا لم تتمكن أية أمة متوحشة من إبادة العرب أما إسرائيل فإنها لا تصمد أمام هزيمة واحدة لضيق أراضيها، ثم إن قطع البترول يشل حركة إسرائيل.

وينبغي التنبيه إلى أن إسرائيل تمتلك السلاح ولكن رجالها جبناء يفتقرون إلى الشجاعة، ثم إن قوتها ليست عظيمة، فقوة إسرائيل التي تدعيها هي نسيج من الأكاذيب، فإسرائيل قد قامت بضربات خاطفة وبعمليات تصب فيها كل قواها، وأصبحت تدَّعي أنها قادرة على الانتصار على العرب جميعاً، وهذا غير صحيح، وهذه الأمثلة من الواقع: لقد كان الجيش السوري وحده يدحر إسرائيل في الخمسينات، ولقد كانت إسرائيل تعتدي باستمرار وكان الجيش السوري يصد عدوانها ويوقع بها الخسائر دائماً.

وفي عامي١٩٦٨و١٩٦٩ نشط العمل الفدائي داخل فلسطين، وقد قام الفدائيون بأعمال عظيمة، أذكر منها على سبيل المثال: القيام بثلاثة تفجيرات قوية في تل أبيب بين كل انفجار وانفجار نصف ساعة وقد لاذ اليهود بالملاجئ، وفجروا منزل وزير خارجية إسرائيل، وتعرض وزير الحرب موشي دايان لتفجيرات تكسرت فيها عظامه، واشتبكت دورية فدائية بدورية صهيونية، ونشبت بينهما معركة وجاءت إمدادات صهيونية كبيرة واستمرت المعركة ثلاثة أيام داخل الأراضي المحتلة، وشق الفدائيون طريقاً لهم بالقوة وعادوا إلى قواعدهم سالمين.

وفي عام١٩٦٨ دخلت دبابات إسرائيلية إلى الأردن إلى قرية الكرامة لإبادة الفلسطينيين، ولكن المواطنين انسحبوا من القرية قبل إحكام الحصار عليهم وحاصروا الصهاينة وانقضوا عليهم واستخدموا السلاح الأبيض في المعركة، وانجلت المعركة عن إبادة الصهاينة، وقد تبين أن الصهاينة كانوا مقيدين بسلاسل حديدية إلى دباباتهم كيلا يهربوا، وهذا يدل على أن قادة الجيش الإسرائيلي قد رأوا من قبل أن الجنود كانوا يهربون من المعارك، وهذا يدل على جبن الصهاينة، وقد توقفت الهجرة إلى إسرائيل في ذلك الزمن، وكثرت الهجرة من إسرائيل، ولكن بعض العرب أراحوا إسرائيل من الفدائيين، وتم تجميد العمل الفدائي، ولو أن العمل الفدائي استمر عشرة أعوام لأمكن القضاء على دولة الصهاينة وإزالتها، ولو فتحت الحدود العربية كلها فإن إسرائيل قد لا تصمد عاماً واحداً، إن الذي يقضي على إسرائيل هو إيقاع الخسائر البشرية بها، أما الخسائر المادية فتعوضها لها أميركا.

وفي عام١٩٧٣ وجهت إسرائيل حملة كبيرة لاحتلال دمشق ووصلت إلى مكان يبعد٣٦كيلو متر عن دمشق، وهنا انقض عليها الأسود العرب، واشتبكت الدبابات ببعضها وتصادمت واستخدم الرصاص والسلاح الأبيض وانجلت المعركة عن انتصار الأسود العرب وقتل الصهاينة، وصرفت إسرائيل النظر عن احتلال دمشق، وأريد أن أشير هنا إلى أن العرب أشجع الأمم، وإلى أن الصهاينة والأميركيين يتراجعون عن أي أمر يقع فيه قتلى منهم.

وفي عام١٩٨٢ اجتاحت إسرائيل لبنان، وحاصر الجيش الإسرائيلي بيروت الغربية من البر والبحر وقصفتها جواً وبحراً وبراً، وكان فيها حوالي ستة آلاف مقاتل من اللبنانيين والفلسطينيين والسوريين، وظلت ثلاثة أشهر تحاربهم ولم تتمكن من التغلب عليهم، ثم تدخلت أميركا للحفاظ على سمعة إسرائيل الحربية واتفقت على إخراج المقاتلين من بيروت الغربية، فالقول بصعوبة تحرير فلسطين من الصهاينة هو كذب محض يراد به مناصرة إسرائيل ويجب أن أذكرها هنا أن إسرائيل تعتمد منذ نشأتها على الأموال الأميركية، وأن أميركا مستمرة في دعم إسرائيل لأن مصالحها على الأراضي العربية محفوظة ومَضُونة، وسوف تتخلى أميركا عن مناصرة إسرائيل إذا خسرت مصالحها على أراضي العرب والمسلمين ولذلك أقول واثقاً: إن إسرائيل تحفر قبرها بيديها وسوف تزول قريباً.

الخسوف الكبرى في الأرض

٦١٣ - عن حذيفة بن أسيد الغفاري قال: اطّلع النبيّ ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: (ما تذاكرون) قالوا: نذكر الساعة قال (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر (الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، ونزول عيسى ابن مريم ﷺ ، ويأجوج ومأجوج، وثلاثة خسوف بالمشرق، وخسف بالغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نارٌ تخرج من اليمن تطرد الناس إلى مَحْشَرهم) وفي رواية ورد (خسف بالمشرق) و(نار تخرج من قعرة عدن ترْحَل الناس) ، وفي رواية غير مرفوعة (وريح تلقي الناس في البحر) ، وفي رواية جاء: وأحسبه قال (تَنْزِل معهم إذا نزلوا وتَقِيل معهم حيث قالوا) وهذا في وصف النار - هذه الروايات كلها لمسلم في الفتن باب في الآيات التي تكون قبل الساعة وفي باب في بقية من أحاديث الدجال، وروى الحديث أبو داود في الملاحم باب أمارات الساعةحديث٤٣١١، والترمذي في الفتن باب ما جاء في الخسف رقم٢١٨٤، والإمام أحمد في مسنده: ٦٠/٤، مع خلاف في ترتيب الأحداث - وقد جاء في رواية أبي داود (وثلاثة خسوف: خسف بالمغرب، وخسف بالمشرق، وخسف بجزيرة العرب) ، ولذالك أرى توجيه رواية مسلم على الشكل التالي (وثلاثة خسوف: بالمشرق، وخسف بالغرب، وخسف بجزيرة العرب) أي خسف واحد بالمشرق، والله أعلم، ويؤيد هذا التوجيه رواية أخرى لمسلم جاء فيها: (وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب) وفي رواية أبي داود (وآخر ذلك تخرج نار من اليمن من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر) ، وعند الترمذي (ونارٌ تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو: تحشر الناس- فتبيت معهم حيث باتوا وتقيل معهم حيث قالوا).

لقد أخبر رسول الله ﷺ بأنه سوف يقع ثلاثة خسوف في الأرض: خسف في المغرب، وخسف في جزيرة العرب، وخسف في المشرق.

وأنني أظن والله أعلم أن هذه الخسوف هي خسوف كبرى سوف تَحَدثُ في الأرض، لأن هناك أحاديث أخرى عن خسوف أخرى، وهناك أحاديث عن خسوف صغرى تبتلع رجالاً محدّدين ودوراً محدّدة وقبائل محدّدة.

وإن هذه الخسوف سوف تؤدي أهدافاً محدّدة، فسوف تنقذ المسلمين من الظالمين المتسلطين، وسوف تعدِّل ميزان القوى بين المسلمين وأعدائهم،

وسوف تبتلع الأسلحة ومصانعها وصانعيها وعلماءها، والله أعلم.

ويوجد بين هذه الخسوف الكبرى خسف يكون بجزيرة العرب، وسوف يمر بنا أن هناك خسفاً يقع بجيش سائر لقتال المهدي المنتظر وهو عائذ ببيت الله الحرام، وهذا الخسف يقع في أرض يقال لها (بَيْداء) على بعْد أميال من المدينة المنورة على طريق مكة، وهذا الخسف يبتلع الجيش الموجّه لقتال المهدي، ولا أعلم هل الخسف المذكور في هذا الحديث هو الذي سيبتلع الجيش أم أنه خسف آخر يبتلع ظالمين آخرين، وأرجحّ أنه خسف آخر، لأن الخسف بالجيش خسف خاص، وهذه الخسوف خسوف كبرى عامة، والله أعلم.

أما الخسف الذي يقع في المغرب فأرجو من الله تعالى أن يجعله في الولايات المتحدة الأميركية ليريح المسلمين من إيذائها الدائم لهم وليريح البشرية جمعاء من شرورها، فهذه الدولة قد أصبحت شراً على العالم بأسره منذ أن خضعت لليهود، فقامت بتجربتين لتفجير القنابل الذرية فوق رؤوس اليابانيين في هيروشيما وناغازاكي، ثم قامت بدور كبير في تدمير ألمانيا وإبادة الألمانيين، ثم قامت بدور كبير في إنشاء دولة إسرائيل وإبادة الفلسطينيين، وجرائمها لا تحصى، وهي تقوم باستمرار بإبادة إخواننا العراقيين والأفغانيين، وقصفت السودان بسبب قيام حكم إسلامي فيه، وحاصرت ليبيا بسبب غير مقبول وغير قانوني وتخطط لإبادة وإضعاف وإذلال المسلمين جميعاً، والمثير للسخرية أنها تزعم أنها تقاوم الإرهاب الإسلامي، وهي في الحقيقة تسعى إلى إبادة المسلمين تحت هذا الشعار الكذاب، فلا يوجد في الدنيا إرهابيون أسوأ وأبشع من رؤساء أميركا منذ بداية الحرب العالمية الثانية حتى يوم الناس هذا.

وأظن أن ميعاد هذه الخسوف قد أصبح قريباً، والله أعلم.

كثرة الزلازل والبلابل

٦١٤ - عن عبد الله بن زُغب الإيادي قال: نزل عليّ عبد الله بن حوالة الأزدي فقال لي: بعثنا رسول الله ﷺ لنغنم على أقدامنا، فرجعنا لم نغنم شيئاً، وعرف الجَهْد في وجوهنا، فقام فينا، فقال: (اللهم لا تكِلْهم إليّ فأضعُف عنهم، ولا تكلهم إلى أنفسهم فيعجزوا عنها، ولا تكلهم إلى الناس فيستأثروا عليهم) ثم وضع يده على رأسي - أو قال: على هامتي - ثم قال: (يا ابن حوالة إذا رأيت الخلافة قد نزلت الأرض المقدسة فقد دنت الزلازل والبلابل والأمور العظام، والساعة يومئذ أقرب من الناس من يدي هذه من رأسك) - الإمام أحمد في

مسنده، وأبو داود في الجهاد باب في الرجل يغزو ويلتمس الأجر والغنيمة حديث٢٥٣٥، وعبد الله بن زغب الإيادي مختلف في صحبته وساق له أبو نعيم عن الطبراني حديث (من كذب علي متعمداً..) صرّح فيه بسماعه من النبي ﷺ ، قال الحافظ ابن حجر في (التهذيب) : والإسناد لا بأس به - .

وقد مر بنا في الحديثين الصحيحين٣١و٤٨٩ وهما برواية الشيخين وغيرهما قوله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى..تكثر الزلازل) فكثرة الزلازل من علامات قيام الساعة، أو بعبارة أخرى: إن الزلازل سوف تكثر مع اقتراب الساعة، وقد صرحت بذلك أحاديث كثيرة مما جاء في هذه النبوءات ٥٥٨ و٥٥٩ و٥٠٩ و٥٥٠ و٥٥١ و٥٥٢ و٥٥٣ و٥٤٩ و٥٥٥ و٥٥٧ و٥٧٧ و٥٩٠ و٥٩١ والأحاديث من ٦١٦ إلى٦٢٢.

أما البلابل فالمقصود بها فتنة الدهيماء وسواها من الفتن والاضطرابات وقتال الروم.

والأمور العظام هي العلامات الكبرى حيث تظهر ثلاث علامات منها في زمن قصير جداً: الدجال وعيسى ابن مريم ﷺ وقوم يأجوج ومأجوج، ثم يتلاحق ظهور العلامات حتى قيام الساعة.

هدنة مع الروم ثم تحالف معهم ثم نقض الهدنة

٦١٥ - عن ذي مِخْبَرٍ - أو: مخمر - وهو ابن أخي النجاشي وخادم النبي ﷺ وقد سئل عن الهدنة التي تكون بين المسلمين والروم فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ستصالحون الروم صلحاً آمناً، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم- عند الإمام أحمد: من ورائهم- فتنصَرون وتغنمون وتَسْلمون، ثم ترجعون حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيرفع رجل من أهل النصرانية الصليب فيقول: غَلب الصليبُ، فيغضب رجل من المسلمين فيدقّه، فعند ذلك تغدر الروم وتجمع للملحمة، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم، فيقتتلون، فيكرم الله تلك العصابة بالشهادة)- الإمام أحمد في مسنده: ٩١/٤، وفي رواية له زيادة (فيأتونكم في ثمانين غاية، مع كل غاية عشرة آلاف) ، وابن ماجه في الفتن باب الملاحم (حديث٤٠٨٩) ١٣٦٩/٢، وأبو داود في الملاحم باب ما يذكر من ملاحم الروم (حديث ٤٢٩٢و٤٢٩٣) ٣٩٧/١١و٣٩٩وإسناده صحيح، ورواه الحاكم بإسناد صحيح- يدقه: يكسره.

إن إسناد هذا الحديث صحيح، ولكن راوي الحديث ذا مخبر أو ذا مخمر،

كذا وردت كنيته، فلا يُعْرف اسمه، وكنيته مختلف فيها، وفي التعريف به ذكر أنه ابن أخي النجاشي وخادم النبي ﷺ ، وأنه أقام بدمشق يقص على الناس، ويقول: إنه من أصحاب رسول الله ﷺ ، فإسناد الحديث إليه صحيح لكن صحبته غير مؤكدة.

ولذلك أجد في نفسي شكاً في صحة خبر التحالف مع الروم لأنه يتنافى مع أحكام الشريعة الإسلامية، فهو حرام إذا كان ضد كافرين، وهو كفرٌ إذا كان ضد مسلمين، أما الهدنة ونقضها فقد جاءتا في حديثين صحيحين، لكن التحالف مع الروم لقتال عدو من ورائهم أو من وراء المسلمين لم يُذْكر إلا في هذا الحديث، والله تعالى هو الأعلم.

الهدنة مع الروم وغدرهم

جاء في الحديث برواية البخاري وغيره (اعْدُدْ ستاً بين يدي الساعة..ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً) ، وجاء في الحديث برواية الإمام أحمد (ستٌ فيكم أيتها الأمة.. وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ليجمعون لكم تسعة أشهر كقدر حمل المرأة ثم يكونون أولى بالغدر منكم) ، ومر بنا في الحديث٦١٥أن الراوي قد سئل عن الهدنة، وهذا يدل على أن أمر الهدنة كان معروفاً عند بعض المسلمين.

وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأنه سوف تكون هدنة بين المسلمين والروم، والهدنة هي وقفٌ للحرب بعد قتال، فسوف تكون مسبوقة بقتال مع الروم، وسوف تكون الدولة الإسلامية قائمة في الشام آنذاك كما يستخلص مما مر ومما سيأتي من أحاديث، ثم يغدر الروم وينقضون الهدنة، ويأتون بجيش كبير تعداده: ٨٠×١٢٠٠٠=٩٦٠٠٠٠ تسع مائة ألف وستون ألف جندي كما جاء في صحيح البخاري وغيره، وتكون مدة الهدنة كما جاء في مسند الإمام أحمد تسعة أشهر، ويكون هدف الروم منها إعداد جيش لمحاربة المسلمين، وهذه الهدنة تسبق الملحمة الكبرى التي ينتصر فيها المسلمون على الروم.

الخسف بجيش متّجه للمهدي

٦١٦ - عن عبيد الله ابن القبطية الكوفي رحمه الله قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبد الله بن صفوان وأنا معهما على أم سلمة أم المؤمنين فسألاها عن الجيش الذي يخسف به، وكان ذلك في أيام ابن الزبير، فقالت: قال رسول الله

ﷺ : (يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم) فقلت يا رسول الله فكيف بمن كان كارهاً؟قال: (يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته) وقال أبو جعفر: هي بيداء المدينة. رواه البخاري ومسلم كلاهما في الفتن باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، والترمذي في الفتن باب رقم١٠حديث١٢٧٢، وأبو داود في المهدي جزْماً منه بأن هذا الجيش يذهب لقتال المهدي، واللفظ لمسلم وقد رواه بطريق آخر بزيادة: فلقيت أبا جعفر فقلت: إنها إنما قالت: ببيداء من الأرض؟فقال أبو جعفر: كلا والله إنها لبيداء المدينة. قال ابن الأثير الجزري في جامع الأصول٩/٢٨٠: وقد جاء في بعض الطرق أنه أراد بالبيداء التي هي بالقرب من المدينة بالقرب من ذي الحليفة - .

٦١٧ - عن عبد الله بن الزبير أن عائشة ﵂ قالت: عبث رسول الله ﷺ في منامه، فقلنا: يا رسول الله صنعت شيئاً في منامك لم تكن تفعله، فقال: (العجب، إنّ ناساً من أمتي يؤمون بالبيت برجل من قريش قد لجأ بالبيت، حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم) فقلنا: يا رسول الله إن الطريق قد يجمع الناس.قال: (نعم المستبصر والمجبور وابن السبيل يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم) - البخاري في البيوع باب ما ذكر في الأسواق، ومسلم في الفتن باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، واللفظ له وأبو داود، والترمذي - .

٦١٨ - عن عبد الله بن صفوان رحمه الله قال: حدثتني حفصة ﵂ أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: (ليؤمنّ هذا البيت جيش،يغزونه، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأوسطهم وينادي أولهم آخرهم، ثم يخسف بهم فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم) رواه مسلم وفي رواية أخرى له (سيعوذ بهذا البيت - يعني الكعبة - قومٌ ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم) قال يوسف بن ماهك: وأهل الشام يومئذ يسيرون إلى مكة. مسلم في الفتن باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، وروى النسائي الرواية الأولى في الحج باب حرمة الحرم٥/٢٠٧ - .

٦١٩ - عن عائشة ﵂ قالت: قال النبي ﷺ : (يغزو جيش الكعبة، فيخسف بهم) - البخاري في الحج باب هدم الكعبة - .

٦٢٠ - عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ : (يغزو جيش الكعبة،

فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم) قالت: قلت: يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟قال: (يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم) - البخاري في الحج باب ما ذكر في الأسواق - .

٦٢١ - عن مسلم بن صفوان رحمه الله عن صفية ﷺ قالت قال رسول الله ﷺ : (لا ينتهي الناس عن غزو هذا البيت حتى يغزو جيش حتى إذا كانوا بالبيداء - أو: ببيداء من الأرض خسف بأولهم وآخرهم ولم ينج أوسطهم) قلت: يا رسول الله فمن كره منهم؟ قال: (يبعثهم الله على ما في أنفسهم) - رواه الترمذي باب ما جاء في الخسف رقم٢١٨٥وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال - .

٦٢٢ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يغزو هذا البيت جيش فيخسف بهم بالبيداء) وفي رواية قال: (لا ينتهى عن غزو بيت الله حتى يخسف بجيش منهم) - النسائي في المناسك باب حرمة الحرم٥/٢٠٦و٢٠٧ وهو حديث صحيح - .

٦٢٣ - عن أم سلمة ﷺ زوج النبي ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يكون اختلاف عند موت خليفة، فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كاره، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة، ثم ينشأ رجلٌ من قريش أخواله كلبٌ فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين - وفي: رواية: تسع سنين - ثم يتوفىّ ويصلي عليه المسلمون) - أبو داود في المهدي رقم٤٢٨٦و٤٢٨٨و ٤٢٨٩بسندٍ رجالهُ رجال الصحيح، وقال عبد القادر الأرناؤوط: حديث حسن ورواه الإمام أحمد في مسنده.

لقد أجمعت الأحاديث الصحيحة السابقة على حدوث خسف بجيش قادم من الشمال يمر بالمدينة المنورة متجهاً إلى مكة المكرمة لغزوها، فيخسف الله تعالى بهذا الجيش في أرض يقال لها (بيداء) على بعد ستة أميال من المدينة المنورة بالقرب من ذي الحليفة، ولا يبقى من هذا الجيش إلا رجال قليلون شردوا عنه لقضاء حاجة وأنجاهم الله تعالى من هذا الخسف ليخبروا الناس بما

وقع للجيش من بطش الله تعالى به، وقد التبس الأمر على بعض رواة الحديث فظنوا أن المقصود هو وقوع الخسف في إحدى البوادي لأن هذا هو معنى كلمة بيداء، ولكن هناك أرضاً معيّنة تبعد أكثر من عشرة كيلو مترات عن المدينة المنورة جنوباً في الطريق إلى مكة اسمها (بيداء) وكان بعض رواة الحديث متأكدين من أنها هي المعنية بمكان وقوع الخسف فصرحوا بذلك بذكرها معرفة بالألف واللام أي (البيداء) ، وأقسم أبو جعفر بأنها (البيداء) ، أي ليست (بيداء من الأرض) كما ذكرها آخرون.

وقد دلت الأحاديث الصحيحة٦١٦و٦١٧و٦١٨على أن هناك رجلاً مؤمناً قد لجأ إلى بيت الله الحرام مستعيذاً به، وأن هذا الجيش سوف يتجه إلى مكة قاصداً هذا العائذ - أي يريد الفتك به وقد أضاف الحديث ٦١٨وجود قوم مع هذا العائذ ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة، أي ضعفاء وأضاف الحديث ٦٢٣ أنه سوف يقع اختلاف عند موت خليفة، وسوف يأتي في الحديث٦٣٤ (يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى واحد منهم) ، وهذا يدل على وقوع فتنة بعد وفاة أحد خلفاء الدولة الراشدة المنتظرة، يتنافس فيها أبناء خلفاء سابقين على منصب الخلافة، ويكون فيها قتال يقتل فيه ثلاثة من أبناء الخلفاء السابقين، وبما أن الخسف لم يقع فيما مضى جزماً فإنه سوف يقع بعد قيام الخلافة المنتظرة وبعد تعاقب خلفاء فيها لأن الفتنة تقع بعد موت خليفة ولأنه يقتل فيها (ثلاثة كلهم ابن خليفة) ، فهذا يدل على وقوعها بعد قيام الخلافة الراشدة المنتظرة جزماً وبعد تولي عدد من الرجال منصب الخلافة، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، وبالتالي لا يعلم وقت ظهور المهدي إلا الله تعالى، لأن الخليفة في الإسلام يحكم مدى حياته، ولكن هذا لا ينفي إمكانية وضع تشريع يحدد انتخاب الخليفة لسنين محددة، والمهم في الأمر أن الخسف سوف يقع بالقرب من المدينة المنورة في أرض يقال لها (البيداء) على بعد حوالي عشرة كيلو مترات من المدينة المنورة جنوباً في الطريق إلى مكة بجيش متجه للفتك بعائذ استعاذ ببيت الله الحرام، وقد لجأ معه (قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة) ، فهذا العائذ هو المهدي المنتظر لأن هناك أحاديث أخرى سوف تأتي تدل على ضعفه وضعف رجاله، فهم أقلة من ناحية ولا يملكون سلاحا من ناحية أخرى، ولكن الله تعالى يقوي المهدي في يوم واحد كما سوف يأتي، فالناس حينما يرون أن الله سبحانه وتعالى قد بطش بالجيش المتجه للفتك بالمهدي

يدركون أنه على حق فيتجهون إليه من كل مكان فيصبح عنده جيش كبير يقاتل به رجلا قرشيا تناصره قبيلة كلب لأنهم أخواله، وهذه القبيلة موجودة في الأردن وربما كان فريق منها في السعودية، فينتصر المهدي على القرشي وأخواله، ويعزّه الله تعالى، ويصبح خليفة للمسلمين يحكم بسنة النبي الأعظم ﷺ، وينتشر في زمانه الإسلام في الأرض كلها، ويحكم سبع سنين على الأرجح، ثم يموت ويصلي عليه المسلمون، وقد جاء في الحديث٦٢٣أنه يكون كارهاً لتولي منصب الخلافة، وربما كان سبب كراهيته هو وجود التنازع والاقتتال عليها فيبتعد عن الفتنة، فيريد مسلمون مبايعته في المدينة المنورة وهو من أهلها، فيأبى ويلحون عليه فيهرب إلى مكة مستعيذاً بالله تعالى من شرور الفتن، فيخرج إليه ناس من أهل مكة ويخرجونه من بيته ليبايعوه بين الركن والمقام بجانب بيت الله الحرام وهو كاره، لكنهم يبايعونه قسراً، فيتجه إليه جيش أحد طلاب الخلافة فيخسف الله تعالى بهذا الجيش، ويعز المهدي المنتظر ويقويه في يوم واحد، فهذه الأمور كلها تدل على أن العائذ ببيت الله الحرام هو المهدي المنتظر، وسوف تأتي الأحاديث التي تدل على ذلك.

كثرة المال في ظل الدولة الإسلامية والمهدي وعيسى

٦٢٤ - عن حارثة بن وهب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (تصدقوا فسيأتي - وفي رواية: فإنه يأتي - على الناس زمان يمشي بصدقته - أو: يمشي الرجل بصدقته - فلا يجد من يقبلها) وفي رواية زيادة (يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها) - البخاري في الفتن بعد باب خروج النار، وفي الجمعة باب الصدقة قبل الرد، وفي باب الصدقة باليمين، والنسائي في الزكاة باب التحريض على الصدقة٥/٧٧، ورواه مسلم في الزكاة باب الترغيب في الصدقة بهذا اللفظ:

عن حارثة بن وهب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها: لو جئتنا بالأمس قبلتها، فأما الآن فلا حاجة لي بها، فلا يجد من يقبلها).

٦٢٥ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض حتى يهم ربُّ المال من يقبله فيه صدقة، ويدعو إليه الرجل فيقول: لا أرب لي فيه) - البخاري في الجمعة باب الصدقة قبل الرد، ومسلم في الزكاة باب الترغيب في الصدقة وفي الإيمان واللفظ له، والإمام

أحمد: ٢ - .

٦٢٦ - عن عدي بن حاتم ﷺ قال: كنت عند رسول الله ﷺ فجاءه رجلان، أحدهما يشكو العيْلة، والآخر يشكو قطع السبيل، فقال رسول الله ﷺ : (أما قطع السبيل فإنه لا يأتي عليك إلا قليل حتى تخرج العير من مكة بغير خفير، وأما العيلة فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه) - البخاري في الجمعة باب الصدقة قبل الرد - .

٦٢٧ - عن أبي سعيد وجابر بن عبد الله ﷺ عن النبي ﷺ : (يكون في آخر الزمان خليفة يقسم المال ولا يعده) - مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر..، والإمام أحمد في مسنده: ٣ - .

٦٢٨ - عن أبي سعيد ﷺ عن النبي ﷺ قال: (من خلفائكم خليفة يحثو المال حَثْياً لا يعدّه عدّاً) وفي رواية (يحثي المال) - رواه مسلم في الفتن - .

٦٢٩ - عن أبي سعيد ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن من أمرائكم أميراً يحثو المال حثواً ولا يعده عداً، يأتيه الرجل يسأله فيقول: خذْ.فيبسط ثوبه فيحثو فيه) وبسط رسول الله ﷺ ملحفة غليظة كانت عليه، يحكي صنع الرجل، ثم جمع إليه أكنافها.قال (فيأخذه ثم ينطلق) - الإمام أحمد في مسنده: ٣/٩٨ - .

وجاء في الحديث٤٨٩برواية البخاري ومسلم (لا تقوم الساعة حتى...يكثر فيكم المال فيفيض) ، وجاء في الحديث٣٤برواية الإمام أحمد (لا تقوم الساعة حتى....يفيض المال فيكثر) وهذا الحديث صحيح أيضا، وجاء في الحديث٢٤٥ برواية الإمام أحمد ومسلم (يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعده عدداً - أو: عداً -) وسئل أبو نضرة والعلاء: أترون أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا.

وجاء في الحديث٦٤٩برواية البخاري ومسلم (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه) ، وجاء في الحديث٣١برواية البخاري ومسلم (لا تقوم الساعة حتى...يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه لا أرب لي به) ، وفي الحديث٤٩٣برواية الإمام أحمد (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل منه صدقة ماله) ، وفي الحديث٤٩٤برواية الإمام أحمد ومسلم: (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال

ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً) ، وفي الحديث٥٣برواية البخاري (ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو من فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحدا يقبله منه) وسوف يأتي في الحديث٦٧٣أنه بعد تنظيف الأرض من جثث قوم يأجوج ومأجوج (يقال للأرض: أنبتي ثمرتك وردي بركتك، فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقِحْفها، ويبارك في الرِّسل - الحليب - حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس) وهذا الحديث برواية مسلم وسواه.

سوف يكثر المال كثرة فاحشة عند الناس جميعا، فلقد استخدمت الأحاديث النبوية الشريفة لفظتي (يكثر ويفيض) ، واستخدام لفظة (يفيض) تستدعي إلى الذهن صور فيضانات السيول الجارفة والأنهار بعد هطول أمطار غزيرة جدا، وهكذا يكون فيضان الأموال عند الناس، فهم سيصبحون في أعلى درجات الغنى، وتدل الأحاديث على أن العملات الورقية سوف تختفي وأن الناس سوف يعودون إلى التعامل بالذهب والفضة كما كانوا في الماضي، وسوف يبدأ الغنى بالتدريج، فيبدأ بالبركة في مستهل قيام الدولة الإسلامية وفي الغنيمة التي يغنمها المهدي من قبيلة كلب، لأن النبي ﷺ يقول: (والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب) وقد فهمت من هذه الجملة أن الغنيمة سوف تكون كبيرة، ثم إن المهدي سوف يقسم المال بين الناس بالعدل، وتتعاظم البركة وتبلغ أعلى درجاتها بعد نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ، وأنا أرجح أن سيدنا عيسى سينزل بعد ظهور المهدي وأنه سيجتمع به في دمشق، وأنه سوف يصلي خلفه، وأن المهدي سوف يموت قبل عيسى، والله أعلم، ومع انتشار الغنى الفاحش سوف يستقل الناس العطايا الكبيرة، فلقد جاء في الحديث الصحيح - (ثم استفاضة المال حتى يعطى الرجل مائة دينار - ذهبي - فيظل ساخطاً) وجاء في الحديث الصحيح (ويفيض المال فيكم حتى أن الرجل ليعطَى عشرة آلاف فيظل يتسخطها) بسبب انتشار الغنى الفاحش، فالعطايا تصبح عظيمة.

وسوف تتعاظم كثرة المال إلى درجة أن المهدي يضع عليه خازناً، دون أن تكون لديه سجلات لكتابة الصادرات والواردات وأوامر الصرف.، بل إن المهدي وخازنه سوف يعطيان الذهب بالحفنات والحثيات ويطلبان من طالب

المال أن يملأ أطراف ثوبه أو كيسه من الذهب وكأنهما يعطيانه تراباً وحصى لا ذهباً فينعدم الفقر وينعدم الخوف من الفقر والحاجة، ويصبح الناس جميعهم أغنياء في أعلى درجات الغنى ثم تكثر الأموال عند المهدي دون أن يجد من يطلبها من الناس، فيرسل منادياً ينادي في الناس أن يأتوا لأخذ الذهب، فلا يتقدم إلى المهدي سوى رجل واحد، هو آخر الطماعين الجشعين في دولة الخلافة الإسلامية، وبعد أن يملأ ثوبه ذهباً يندم ويقول لنفسه (كنت أجشع أمة محمد نَفْساً، أوَ عَجِزَعني ما وَسِعهم) وتبرأ نفسه من الطمع والجشع فيعزم على رد الذهب، لكن شعار الدولة الإسلامية كان (إنا لا نأخذ شيئاً أعطيناه) فيجبر على أخذه، ويكون هذا آخر من يطلب مالاً في عهد المهدي.

إن أموراً كثيرة سوف تعمل على فيضان الأموال، فالعدل سوف ينتشر، وسوف يأخذ الناس الأموال بالسوية، ثم يتعفف كثير من الناس عن أخذ الأموال لأنهم أصبحوا في غنى فاحش، فتتجه دولة الخلافة إلى إعطاء من يطلب، وسوف تنتشر البركة وتعود بلاد العرب مروجاً وأنهاراً كما في الحديثين٤٣ و٤٩٤ - وسوف تصل البركة إلى درجة خارقة مذهلة مدهشة، فالجماعة من الرجال سوف يأكلون الرمّانة ويجعلون نصف قشرها خيمة، فكم سوف يصبح حجم هذه الرمّانة؟!وكم سيصبح حجوم الثمار والخضروات الأخرى والحبوب قياساً إلى ضخامة حجم الرمانة؟!ثم إن حليب ناقة واحدة سوف يكفي جماعة كبيرة من الناس مع أن حليب الإبل قليل في العادة، أما لبن النعجة فسوف يكفي فخذاً من الناس، أي فرعاً من قبيلة كبيرة، أما حليب البقرة فسوف يكفي القبيلة، فهذه البركة وحدها من الأرض ومن الحليب تجعل الناس في أعلى درجات الغنى، فإذا كان حليب بقرة واحدة يكفي سكان دمشق على سبيل المثال وإذا كان حليب نعجة واحدة يكفي سكان الرقة، فإذا أضفنا ضخامة الثمار والحبوب والخضراوات، فإن هذا يكفي لجعل الناس جميعاً في أعلى درجات الغنى، فإذا أضفنا الغنائم وأموال الزكاة، فإن غنى الناس يصبح فاحشاً جداً، ولذلك ينعدم من يقبل أن يأخذ من أحد صدقة وينعدم من يقبل أن يأخذ من الدولة السخية، وبذلك تتعطل الزكاة، ويحمل الناس الذهب ويطوفون به باحثين عمن يقبله فلا يجدون، وإن هذا التدرج في الغنى والوصول إلى أعلى درجاته وإلى درجة القناعة والتعفف وعدم قبول أخذ الذهب يحدث هذا كله في مدة زمنية قصيرة جداً، لأن مدة مكوث المهدي ﷺ سبع سنوات على الأرجح ومدة بقاء المسيح

عيسى ابن مريم ﷺ سبع سنوات، فالتعفف عن أخذ الذهب يقع خلال وجودهما.

وهذه الأحاديث الصحيحة دليل قوي على صحة وجود المهدي المنتظر، لان الخليفة الموصوف فيها لم يظهر في التاريخ الإسلامي كله هذا من جهة، ولأن الأحاديث التي تصرح باسم المهدي تذكر عدله وسخاءه وانتشار البركة والغنى في عهده.

ظهور المهدي

٦٣٠ - عن هلال بن عمرو قال: سمعت علياً ؓ يقول: قال رسول الله ﷺ : (يخرج رجل من وراء النهر يقال له الحارث بن حرّاث على مقدّمته رجل يقال له منصور يوطّئ - أو: يمكّن - لآل محمد كما مكّنت قريش لرسول الله ﷺ وجب على كل مؤمن نصْره أو إجابته) - أبو داود في المهدي رقم ٤٢٩٠، وإسناده ضعيف - .

٦٣١ - عن عبد الله بن الحرث بن جزء الزبيدي قال: قال رسول الله ﷺ : (يخرج ناس من المشرق فيوطّئون للمهدي) يعني: سلطانه - ابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي حديث ٣٠٨٨: ١٣٦٨/٢.

٦٣٢ - عن عبد الله ؓ قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم، فلما رآهم رسول الله ﷺ اغرورقت عيناه وتغيّر لونه، فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه فقال: (إنا أهل بيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء شديداً وتطريداً حتى يأتي قوم من قِبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطَون، فيقاتلون فيُنصرون، فيعطَون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملؤها قِسطاً كما ملؤوها جوراً، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهلْ ولو حَبواً على الثلج) - ابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي حديث٤٠٨٢: - ١٣٦٦/٢ - .

٦٣٣ - عن أبي هريرة ؓ عن النبي ﷺ قال: (تخرج من خراسان رايات سود لا يردّها شيءٌ حتى تُنْصب بإيلياء) - الإمام أحمد في مسنده، والترمذي بسند غريب في الفتن باب رقم٧٩ حديث٢٢٧٠، وفي سنده رشدين بن سعد وهو ضعيف، ولكن الإمام أحمد روى حديثاً آخر بمعناه وقال: حدثنا وكيع عن شريك عن علي بن زيد عن أبي قلابة عن ثوبان قال: قال رسول الله ﷺ : (إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من خراسان فأتوها فإن فيها خليفة الله المهدي)

مسند الإمام أحمد في مسند الأنصار باب ومن حديث ثوبان - .

٦٣٤ - عن ثوبان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (يقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم) ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال: (فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي) - ابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي حديث٢: ٤٠٨٤/١٣٦٧، وإسناده قوي صحيح كما قال الحافظ ابن كثير وقال: إن الكنز هو كنز الكعبة - .

٦٣٥ - عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (المهدي منا أهل البيت، يصلحه الله في ليلة) - الإمام أحمد في مسنده: ١/٨٤، وابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي حديث٢: ٤٠٨٥/١٣٦٧، والبخاري في التاريخ الكبير وقال: في إسناده نظر١/٣١٧، ورواه أبو نعيم في الحلية ٣/١٧٧ وقال: هذا حديث غريب - يصلحه الله في ليلة: يقويه ويهيئه لنشر العدل.

٦٣٦ - عن أبي إسحاق عمرو بن عبد الله السبيعي رحمه الله قال: قال علي ﷺ وقد نظر إلى ابنه الحسن: إن ابني هذا سيد كما سماه النبي ﷺ ، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلُق ولا يشبهه في الخلْق. أبو داود في المهدي٤٢٩٠واسناده ضعيف - .

٦٣٧ - قال رسول الله ﷺ : (المهدي رجل من ولدي، وجهه كالكوكب الدريّ اللون عربي، والجسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض) - رواه الروياني وأبو نعيم والديلمي والطبراني - إسرائيلي: أي فيه طول.

٦٣٨ - عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال رسول الله ﷺ : (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطوّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلا مني - أو: من أهل بيتي- يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً) وفي رواية (لا تذهب - أو: لا تنقضي - الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي) الإمام أحمد في مسنده وأخرجه أبو داود مفرقاً في كتاب المهدي حديث٤٢٥٩و٤٢٦٢، وأخرج الترمذي الثانية رقم٢١٥٦وقال هذا حديث حسن صحيح.

٦٣٩ - وللترمذي رواية أخرى عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي) قال: وقال أبو هريرة: (لو لم يبق

من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يلي) - الإمام أحمد في مسنده، وأبو داود رقم٤٢٨٢في المهدي، والترمذي في الفتن باب ما جاء في المهدي رقم ٢٢٣١و٢٢٣٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال، وقال الترمذي: وقد روى هذا الحديث علي وأبو سعيد وأم سلمة وأبو هريرة ﷺ - .

٦٤٠ - عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لو لم يبق من الدهر - أو من الدنيا - إلا يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي- أو: مني- يملؤها عدلاً كما ملئت جورا) - الإمام أحمد في مسنده: ٩٩/١، وأبو داود في المهدي رقم٤٢٨٣، وإسناده حسن - .

٦٤١ - عن أم سلمة ﷺ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) -أخرجه أبو داود في المهدي رقم٤٢٨٤وإسناده حسن، وابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي رقم٤٠٨٦، والحاكم-.

٦٤٢ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين) -الإمام أحمد في مسنده، أبو داود في المهدي رقم٤٢٨٥، وإسناده حسن، ورواه الحاكم-أجلى الجبهة: ذهب شعر رأسه عن مقدم رأسه، أي به صلع في أول رأسه.أقنى الأنف: طويله مع حدب وسطه ودقة أرنبته.

٦٤٣ - عن أبي نضرة وأبي سعيد الخدري قال: خشينا أن يكون بعد نبينا حدث، فسألنا نبي الله ﷺ فقال: (إن في أمتي المهدي يخرج، يعيش خمساً – أو سبعاً أو تسعاً-) - زيد العمي من رواة الحديث هو الشاكّ- قال: قلنا: وما ذاك؟ قال: (سنين) قال: (فيجيء إليه الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني.قال: فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله) وفي رواية جاء بعد (سنين) قوله ﷺ (يرسل السماء عليهم مدراراً، ولا تدخر الأرض من نباتها شيئاً، ويكون المال كدوساً) قال: (يجيء الرجل إليه فيقول: يا مهدي أعطني أعطني) قال (فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمل) - الإمام أحمد في مسنده: ٢١/٣و٢٢، وابن ماجه في الفتن باب خروج المهدي رقم٤٠٨٣، وفي سنده زيد بن الحواري العمي وهو ضعيف، والترمذي في الفتن باب رقم٥٣حديث رقم٢٢٣٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ -.

٦٤٤ - عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يبايع رجل بين الركن

والمقام، وأول من يستحل هذا البيت أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلاك العرب، ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمر بعده، وهم الذين يستخرجون كنزه) الإمام أحمد في مسنده: ٢، وأبو داود الطيالسي-.

٦٤٥ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (أبشركم بالمهدي ، يُبعَث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، يقسم المال صحاحاً) فقال له رجل: ما (صحاحاً) ؟ قال (بالسوية بين الناس) قال: (ويملأ الله قلوب أمة محمد ﷺ غنى، ويسعهم عدله، حتى يأمر مناديا فينادي فيقول: من له في مال حاجة؟ فما يقوم من الناس إلا رجل، فيقول: ائت السدّان يعني الخازن، فقال له: إن المهدي يأمرك أن تعطيني مالاً، فيقول له: احْث. حتى إذا جعله في حِجره وأبرزه ندِم، فيقول: كنت أجشع أمة محمد نفساً، أوَ عجز عني ما وسعهم؟ قال: فيرده فلا يقبل منه، فيقال: إنا لا نأخذ شيئا أعطيناه.فيكون كذلك سبع سنين أو ثمان سنين أو تسع سنين، ثم لا خير في العيش بعده- أو قال: لا خير في الحياة بعده-) - الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

٦٤٦ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يملك رجل من أهل بيتي أجلى أقنى يملأ الأرض عدلا كما ملئت قبله ظلماً يكون سبع سنين) -الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

٦٤٧ - عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (تملأ الأرض ظلما وجورا ثم يخرج رجل من عترتي يملك سبعاً أو تسعاً فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً) - الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

من الغريب والعجيب أن يتعرض وجود المهدي للإنكار عند بعض الكتاب المسلمين، وقد رأى بعضهم أن الأحاديث التي تحدثت عنه ضعيفة، فألغى وجود المهدي بجرة قلم، وهذا خطأ، وبعضهم ظن أن بعض الشيعة قد وضعوا أحاديث المهدي وأنهم قد اختلفوا في شخصه، وهذا خطأ أيضا، صحيح أن هنالك أحاديث ضعيفة ولكن هناك إلى جانبها أحاديث صحيحة وحسنة جاءت في مسند الإمام أحمد بخاصة، وقد خصص له أبو داود كتابا خاصا وكذلك ابن ماجه فقد جعل له باباً خاصاً في كتاب الفتن، وهذا لا يمكن أن ينشأ من عدم، وأريد أن أشير إلى القاعدة الفقهية التي تقضي بأن يقوي الأحاديث الضعيفة بعضها بعضاً، وهذا حق لأنه لا يمكن أن يتواطأ رجال عديدون لا

يجمعهم مكان ولا زمان على الكذب.

أود أولا أن أشير إلى الحديث الحسن الذي روته أم سلمة-٦٤١- حيث يقول فيه رسول الله ﷺ : (المهدي من عترتي من ولد فاطمة) وعلى ذلك يكون معنى كل حديث جاء بهذا المعنى صحيحا، فالمهدي إذا من سلالة سيدنا علي كرم الله وجهه من زوجته فاطمة ﵂ ، ثم أشير إلى الحديث الحسن الصحيح أي الذي جاء صحيحا في رواية وجاء حسنا في رواية أخرى، وهو عن أبي هريرة، يقول فيه رسول الله ﷺ (يلي رجل من أهل بيتي يواطىء اسمه اسمي) -الحديث ٦٣٩-، فاسم المهدي مقارب أو مطابق لاسم نبينا محمد ﷺ ، أما حديث علي كرم الله وجهه-٦٤٠- وهو حسن فيقول فيه رسول الله ﷺ : (لو لم يبق من الدهر-أو: من الدنيا-إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي- أو: مني- يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً) وقد جاءت هذه الجملة في حديث أبي هريرة السابق-٦٣٩- وقد يظنها بعضهم مُدْرَجة من قول أبي هريرة، فصرح علي كرم الله وجهه بأنها من قول رسول الله ﷺ ، وعلمنا من حديث علي الحسن أن المهدي يملأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ورأينا تأكيداً على حتمية ظهور المهدي، ثم علمنا من حديث أبي سعيد الخدري الحسن-٦٤٢-أن النبي ﷺ قد قال (المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين) وأجلى الجبهة تعني زوال الشعر عن مقدم رأسه، وأقنى الأنف: طويلة مع حدب وسطه ودقة أرنبته، فعلمنا هاتين الصفتين الجسديتين من صفاته، ثم علمنا أنه يملك سبع سنين وقد جاءت أحاديث تتحدث عن عطاياه السخية وعن كثرة المال وانتشار الغنى الفاحش، وسأربط هذا بالأحاديث الصحيحة لتزداد قوة على قوة مع العلم بأن الأحاديث الحسنة قوية ويؤخذ بها في كل أمر فلقد جاء في حديث أبي نضرة وأبي سعيد الخدري ﵄ – ٦٤٣ - (فيجيء إليه - إلى المهدي- الرجل فيقول: يا مهدي أعطني أعطني) قال: (فيحثي له في ثوبه ما استطاع أن يحمله)، ولقد جاء في الحديث٦٤٥ برواية الإمام أحمد ومسلم (يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثياً لا يعدّه عداً) وكذلك في الحديث٦٢٧و٦٢٨و٦٢٩.

وإن خروج جيش من الشرق يحمل رايات سوداء يمهّد لخلافة المهدي قد جاء في أحاديث كثيرة منها حديث ثوبان - ٦٣٤ - الذي قال عنه الحافظ ابن كثير: (إسناده قوي صحيح) ، ومع ذلك يمكن عدم الأخذ به، ولكن علينا أن

نتذكره فيمكن أن يحدث، وإن الإعراض عنه لا يؤثر على وجود المهدي.

بقيت حجة مهمة فلقد جاء في حديث ثوبان ﷺ السابق: (يُقتل عند كنزكم ثلاثة، كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى واحد منهم، ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق، فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم) ، ثم ذكر شيئاً لا أحفظه، فقال (فإذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي) وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ (٦٤٤) برواية الإمام أحمد (يبايع رجل بين الركن والمقام) ، وجاء في حديث أبي سعيد الخدري برواية الإمام أحمد (أبشركم بالمهدي، يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل، فيملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض يقسم المال صحاحاً) ، وجاء في حديث أم سلمة ﷺ وهو حديث حسن (يكون اختلاف عند موت خليفة، **فيخرج رجل من أهل المدينة هارباً إلى مكة، فيأتيه ناس من أهل مكة فيخرجونه وهو كارهٌ، فيبايعونه بين الركن والمقام، ويبعث إليه بعثٌ - جيش - فيخسف بهم بالبيداء بين مكة والمدينة ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلبٌ - اسم قبيلة تسكن في الأردن وما حوله - فيبعث إليهم بعثاً، فيظهرون عليهم، وذلك بعث كلب، والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال، ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض فيلبث سبع سنين - وفي رواية: تسع سنين ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) - رواه أبو داود في المهدي رقم ٤٢٨٦و٤٢٨٨و٤٢٨٩ بسند رجاله رجال الصحيح، وهو حديث حسن - وقد أخبرت الأحاديث الصحيحة - من حديث رقم٦١٦ إلى حديث رقم٦٢٢ - بحدوث خسف بالجيش الذي يتجه من الشمال إلى المدينة المنورة قاصداً مكة لوجود رجل عائذ بالبيت الحرام - الكعبة - وقد أجمعت كلها على أن الله تعالى سوف يخسف بهذا الجيش في مكان يسمى (بيداء) على مقربة من المدينة المنورة في مكان قرب ذي الحليفة، ومما جاء (يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث، فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم) -حديث٦١٦-وقد وجدت توضيحاً مُدْرَجاً بالحديث -٦١٨-: قال يوسف بن ماهك: وأهل الشأم يومئذ يسيرون إلى مكة.**

وقد جعل أبو داود الحديث٦١٦في المهدي جزماً منه بأن هذا الجيش يذهب لقتال المهدي، والأمر واضح وضوحاً تاماً، فالأحاديث الصحيحة من٦١٦ إلى٦٢٢تخبر عن وقوع خسف في منطقة بيداء القريبة من المدينة المنورة بجيش

متجه إلى رجل عائذ ببيت الله الحرام، وجاء في رواية لمسلم للحديث٦١٨: (سيعوذ بهذا البيت-يعني الكعبة-قوم ليس لهم منعة ولا عدد ولا عدة يبعث إليهم جيش حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم) ، وبربط هذه الأحاديث ببعضها يتضح أن الجيش يسير لقتال المهدي وأنه قادم من الشام وأنه يخسف به على مقربة من المدينة المنورة في طريق مكة في مكان يسمى (بيداء) قرب ذي الحليفة، وبذلك تتوفر لدينا معلومات صحيحة واضحة عن المهدي المنتظر: فسوف تقوم دولة الخلافة الإسلامية الراشدة في الشام، وسوف تكون عاصمتها دمشق، وسوف يتعاقب عليها خلفاء لا نعرف عددهم، ولكن المهدي لن يكون أول خلفائهم جزماً كما يظن بعضهم، فيحدث نزاع على الخلافة وقتال، وبحسب الحديث٦٣٤ الذي قال عنه الحافظ ابن كثير-إسناده قوي صحيح-سوف يقتل في مكة ثلاثة كلهم ابن خليفة، ثم لا تصير إلى واحد منهم، وقد جاء في الحديث الحسن٦٢٣ (يكون اختلاف عند موت خليفة) وهذا قد يقتضي أن ظهور المهدي قد يكون بعد ظهور ثلاثة خلفاء أو أكثر وأن القتال يكون في مكة، وهذا لا ينفي وجوده في غيرها من البقاع، ثم تطلع الرايات السود من المشرق –من إيران أو أفغانستان أو باكستان –فيقتل هذا الجيش من الناس مقتلة عظيمة، وربما كان القتلى من جيوش طالبي الخلافة، ويمهد هذا الجيش بذلك لظهور المهدي.

والمهدي رجل اسمه مماثل لاسم رسول الله ﷺ في الرسم أو في المعنى وهو ينتمي إلى الأسرة النبوية الهاشمية، فهو من سلالة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه من زوجته فاطمة الزهراء بنت رسول الله عليها السلام، وقد يكون من أبناء الحسن رضي الله عنه ، وهو أجلى الجبين أقنى الأنف، أي أن مقدمة شعر رأسه فوق الجبين مقلوعة ذاهبة أي به صلع خفيف فوق الجبين، وأنفه طويل محدودب الوسط دقيق الأرنبة، وبعد القتال على الخلافة وقدوم الجيش من المشرق يكون المهدي في المدينة المنورة، وهذا لا يمنع أن يكون قادماً قبل ذلك من المشرق بحسب الأحاديث الضعيفة، غير أنه بحسب الأحاديث الصحيحة والحسنة يكون في المدينة المنورة فيلجأ إلى بيت الله الحرام ويعوذ به فراراً من الذين ألحوا عليه ليكون خليفة ولكنه كان كارهاً لها بسبب وجود القتال عليها والخلاف، وفي مكة يلحق به جماعة من المؤمنين، لعل أكثرهم أو معظمهم من أهل مكة، فيبايعونه قسراً أمام الكعبة الشريفة بين الركن والمقام، فيأتيه جيش من الشام بحسب الحديث الحسن٦٢٣ وبحسب إضافة يوسف بن ماهك بعد الحديث ٦١٨ وهذا

صحيح لأن الجيش يكون قادماً من الشمال ويمر بالمدينة المنورة في طريقه إلى مكة، ثم يخسف الله سبحانه وتعالى الأرض به فتبلعه ولا ينجو سوى من يكون في أطرافه مبتعداً عنه لسبب ما، وسوف يقع الخسف في مكان اسمه (بيداء) قرب ذي الحليفة، على الطريق من المدينة المنورة إلى مكة المكرمة، فيخبر الناجون من الخسف الناس بما شاهدوا، فيدرك المسلمون أن هذا الرجل على حق وأن الله عز وجل يرعاه ويحميه، فينضمون إليه، وهذا معنى (يصلحه الله في ليلة) ، فجموع المسلمين سوف تهرع إليه ملتحقة به مبايعة له وسوف يعظم جيشه في يوم واحد، (ثم ينشأ رجل من قريش أخواله كلب) بحسب الحديث الحسن٦٢٣ أي يسعى لانتزاع الخلافة، فيرسل جيشاً إلى قتال المهدي في مكة، وهذا الجيش مؤلف من قبيلة كلب التي يوجد معظمها اليوم في الأردن، فينتصر المهدي، ويبدو أنه يغنم مقادير عظيمة من الذهب، فيقسم المال على جنوده بالعدل، ويعمل بسنة النبي المصطفى ﷺ ويملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، وتستتب أحوال الدولة الإسلامية، ويقسم المال بالعدل، فينتشر الغنى الفاحش بين الناس ويبارك الله عزّ وجلّ في كل شيء، في الثمار والزروع والحليب وسواها، وتتعاظم حجومها ومقاديرها إلى درجة بالغة العظمة، ولا يرضى طالبو العطاء بمبالغ ضخمة لأنهم يقيسون هذه المبالغ بدرجات الثراء ومقادير الأموال الموجودة عند أصحاب الغنى الفاحش، ثم يزداد الثراء عظمة، ولا يبقى سوى رجل واحد يقبل أن يأخذ من الدولة مالاً، ويتوب في الحال، فلا يبقى في دولة المسلمين رجل واحد يقبل أن يأخذ الذهب من الدولة أو من الناس، فتتعطل فريضة الزكاة بذلك، ويطوف رجال في المدن والقرى بحثاً عمن يقبل زكاة أموالهم من الذهب فلا يجدون من يرضى بأخذها، فلقد أصبح الناس جميعاً على درجات عظمى من الغنى الفاحش، وإن ما تقدم يدل على أن المهدي المنتظر سيجتمع بسيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام لأن البركة الموصوفة في عهد عيسى تطابق أوصاف البركة الموجودة في عهد المهدي.

والراجح أن المهدي يحكم سبع سنوات، وبما أن عيسى سوف يحكم سبع سنوات أيضا، وأنهما سيجتمعان، فلربما حكم المهدي أولا ثم ينزل عيسى عليه السلام وهذا يقتضي وفاة المهدي قبل وفاة عيسى، والله أعلم.

تعطيل الزكاة لغنى الناس

جاء في الحديث (ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يُخرِج ملء كفه

من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه) وهو برواية البخاري.وجاء في الحديث-٣١- (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم ربّ المال من يقبل صدقته، وحتى يعرضه فيقول الذي يعرضه عليه: لا أرب لي به) وهو برواية البخاري ومسلم، وجاء في الحديث٤٩٣ (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال من يقبل منه صدقة ماله) وهو برواية الإمام أحمد، وجاء في الحديث٤٩٤ (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه) وهو برواية الإمام أحمد ومسلم، وجاء في الحديث٦٢٤ (تصدقوا فإنه يأتي على الناس زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها) وفي رواية زيادة (يقول الرجل: لو جئت بها بالأمس لقبلتها، فأما اليوم فلا حاجة لي بها) ، وفي رواية مسلم (تصدقوا فيوشك الرجل يمشي بصدقته فيقول الذي أعطيها: لو جئتنا بالأمس قبلتها، فأما الآن فلا حاجة لي بها، فلا يجد من يقبلها) وهذا الحديث برواية البخاري ومسلم والنسائي، وجاء في الحديث٦٢٥ (لا تقوم الساعة حتى يكثر فيكم المال ويفيض حتى يُهِمَّ رَبَّ المال من يقبله منه صدقة، ويدعو إليه الرجل فيقول: لا أَرَبَ لي فيه) رواه البخاري ومسلم والإمام أحمد، وجاء في الحديث٦٢٦ (فإن الساعة لا تقوم حتى يطوف أحدكم بصدقته لا يجد من يقبلها منه) **رواه البخاري، وجاء في الحديث**٦٤٩ (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه **بالصدقة من الذهب ثم** لا يجد أحدا يأخذها منه) رواه البخاري ومسلم، وجاء في **الحديث**٤٩٣ **(لا تقوم** الساعة حتى يكثر فيكم المال فيفيض حتى يهم رب المال **من يقبل منه صدقة** ماله) رواه الإمام أحمد، وجاء في الحديث٤٩٤ (لا **تقوم الساعة حتى يكثر المال** ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه).

وسوف يأتي الحديث٦٤٩ (ليأتين على الناس زمان **يطوف الرجل فيه بالصدقة** من الذهب ثم لا يجد أحدا يأخذها منه) وهو برواية **البخاري ومسلم**.

أجمعت الأحاديث الصحيحة على أن المال من ذهب **وفضة ومجوهرات** لا من أوراق نقدية سوف يكثر كثرة فاحشة عند الناس جميعا **في عهد عيسى ابن** مريم ﷺ والمهدي المنتظر ﷺ وأن الغنى الفاحش سوف ينتشر **ولن يبقى فقير** واحد أو رجل متوسط الثراء وإنما سيصبحون جميعاً في أعلى **درجات الغنى،** ولن يبقى رجل واحد يقبل المال من الخليفة أو من أموال الزكاة، **وسوف تكون** مسألة توزيع الزكاة مسألة عسيرة تجلب الهم والقلق لكل مسلم، **فهو يحسب**

زكاته ويخرجها من أمواله ثم يبحث عمن يقبلها فلا يجد أحداً يقبلها، فيطوف بها البلدان باحثاً عمن يقبلها فلا يجد، فقد كثر المال كثرة عظيمة بحيث لم يبق رجل واحد يخشى نفاده فتمتلئ النفوس بالقناعة وبالغنى النفسي فيأبى الناس قبول الذهب، وبذلك تتعطل فريضة الزكاة لعدم وجود من يقبلها، فالدولة الإسلامية آنذاك تعطي ولا تأخذ، والناس جميعاً في أعلى درجات الغنى الفاحش وقد اختفى الطمع والجشع والخوف من الفقر من قلوبهم وامتلأت بالقناعة والغنى والإيمان، ويبدو أن أجر الصلاة سوف يتضاعف (وحتى تكون السجدة خير من الدنيا وما فيها) .

أرض العرب مروج وأنهار

جاء في الحديث برواية الإمام أحمد (لا تقوم الساعة حتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً) ، وجاء في الحديث٤٩٤برواية الإمام أحمد ومسلم (لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجاً وأنهاراً).

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن من شروط الساعة أو من الأمور التي تقع قبل قيام الساعة عودة أرض العرب مروجاً وأنهاراً، بعد قيام الدولة الإسلامية إلى ما بعد وفاة سيدنا عيسى عليه السلام .

وقد استخدم رسول الله ﷺ كلمة (تعود) واستخدام هذا اللفظ يدل على أن بلاد العرب كانت مروجاً وأنهاراً في الأزمنة القديمة، ثم جفت الينابيع وتصحرت الأرض وكستها الرمال، وهذا أمر لم يكن يعرفه عرب الجزيرة منذ عصر محمد ﷺ إلى يوم الناس هذا، وأظن أن معظم العرب من أبناء زماننا لا يعرفون هذه الحقيقة، لقد قرأت لرحالة أوربي طاف بالجزيرة العربية أنه قد رأى فيها آثار ينابيع ومجاري أنهار مما يدل على أنها كانت في الماضي البعيد مروجاً وأنهاراً، وهذا أمر لم يكن معروفاً عند العرب، وعرفه رسول الله ﷺ من ربه كما عرف أخباراً كثيرة أيضاً، وهذه الحقيقة تشبه ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم عن مصير جثة فرعون موسى، فلقد أخبر الله سبحانه وتعالى بأنه سوف ينجي جثة فرعون من البحر ليكون عبرة لمن يأتي بعده من الأقوام فيشاهدون جثة هذا الذي زعم أنه إله، وقد انتبه الدكتور موريس بوكاي وهو فرنسي إلى هذا الخبر، وذكر أن التوراة قد اقتصرت على ذكر غرق فرعون واختفاء جثته في البحر ولم تخبر عن نجاة جثته كما أخبر القرآن الكريم، وتساءل الدكتور بوكاي: كيف

عرف محمد ﷺ مصير جثة فرعون مع أنها لم تكتشف إلا في أواخر القرن التاسع عشر، وأزيلت عنها الأربطة في أوائل القرن العشرين، ومع أن العرب لم يعرفوا شيئا عن تحنيط جثث الفراعنة قبل اكتشافها في زماننا، وهذا يدل على أن هذا النبأ ليس من الناس لأنهم لا يعرفونه وأنه من الله تعالى وأن محمداً ﷺ رسول الله حقاً وصدقاً، وكان هذا الأمر من جملة الأمور التي دفعت الدكتور موريس بوكاي إلى اعتناق الإسلام بعد أن أجرى مقارنة بين القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم الحديث وظهر له أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي لا يوجد فيه خطأ برغم كثرة الإشارات العلمية فيه، وهذا يدل على أنه كلام الله تعالى، فلو كان من تأليف البشر لكان محشواً بالأخطاء.

قلة الرجال وكثرة النساء

٦٤٨ - عن أنس ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: سمعته يقول (لا تقوم الساعة حتى يكون في الخمسين امرأة القيم الواحد، ويكثر النساء ويقل الرجال) -الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

٦٤٩ - عن أبي موسى ﷺ عن النبي ﷺ قال: (ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فبه بالصدقة من الذهب ثم لا يجد أحداً يأخذها منه، ويُرى الرجل الواحد يتبعه أربعون امرأة يلذن به من قلة الرجال وكثرة النساء) -البخاري في الجمعة باب الصدقة قبل الرد، ومسلم في الزكاة باب الترغيب في الصدقة-.

وجاء في الحديث٤٩٠برواية الشيخين وغيرهما (لا تقوم الساعة-أو: إن من أشراط الساعة-....ويذهب الرجال ويبقى النساء حتى يكون لخمسين امرأة قيم واحد) وفي رواية (ويقل الرجال ويكثر النساء) .

أظن أن هذا الأمر سوف يقع بعد انجلاء فتنة الدهيماء التي نحن فيها اليوم وبعد خوض القتال والملحمة الكبرى مع الروم، وبعد النزاع والاقتتال على الخلافة الإسلامية المنتظرة، وبعد ظهور الدجال والمسيح عيسى ابن مريم وقوم يأجوج ومأجوج، والله أعلم، فسوف تتمخض الحروب المتتالية عن قتل الرجال وقلة عددهم، ويكون من الطبيعي كثرة عدد النساء، فيصبح كل رجل قائماً وراعياً لخمسين امرأة بحسب الرواية عن أنس بن مالك ﷺ ، ولأربعين امرأة بحسب الرواية عن أبي موسى الأشعري ﷺ.

الملحمة الكبرى مع الروم

٦٥٠ - عن بسير- أو: أسير-ابن جابر ﷺ قال: هاجت ريح حمراء بالكوفة

فجاء رجل ليس له هِجّيرى إلا: يا عبد الله بن مسعود جاءت الساعة.قال: فقعد وكان متكئاً فقال: إن الساعة لا تقوم حتى لا يقسم ميراث ولا يفرح بغنيمة: ثم قال بيده هكذا ونحّاها نحو الشأم فقال: عدوّ يجمعون لأهل الإسلام ويجمع لهم أهل الإسلام قلت: الروم تعني؟ قال : نعم وتكون عند ذاكم القتال ردّة شديدة، فيشترط المسلمون شُرْطة للموت لا ترجع إلا غالبة، فيقتتلون حتى يحجز بينهم الليل، فيفيء هؤلاء وهؤلاء كل غير غالب، وتفنى الشرطة، فإذا كان يوم الرابع تهد إليهم بقيّة أهل الإسلام فيجعل الله الدّبْر - أو: الدائرة - عليهم، فيقتلون مقتلة، إمّا قال: لا يرى مثلها، وإمّا قال: لم ير مثلها، حتى أن الطائر ليمرّ بجنباتهم فما يخلّفهم حتى يخرّ ميتاً فيتعادُّ بنو الأب كانوا مائة فلا يجدونه بقي منهم إلا الرجل الواحد، فبأيّ غنيمة يفرْح أو أيّ ميراث يقاسم، فبينما هم كذلك إذ سمعوا ببأس هو أكبر من ذلك، فجاءهم الصريخ: إنّ الدجال قد خلفهم في ذراريهم، فيرفضون ما في أيديهم ويقبلون فيبعثون عشرة فوارس طليعة، قال رسول الله ﷺ : (إني لأعرف أسماءهم وأسماء آبائهم وألوان خيولهم، خير فوارس على ظهر الأرض يومئذ- أو: من خير فوارس-) -مسلم في الفتن باب إقبال الروم.، والإمام أحمد في مسنده١/٣٨٤و٣٨٥- يرفضون ما في أيديهم: يتركونه.

٦٥١ - عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى ينزل الروم بالأعماق- أو: بدابق -فيخرج جيش من المدينة من خيار أهل الأرض يومئذ، فإذا تصافوا قالت الروم: خلوا بيننا وبين الذين سبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا.فيقاتلونهم، فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يُفتنون أبداً، فيفتتحون قسطنطينية، فبينما هم يقتسمون الغنائم قد علّقوا سيوفهم بالزيتون إذ صاح فيهم الشيطان: إن المسيح قد خلفكم في أهليكم، فيخرجون، وذلك باطل، فإذا جاؤوا الشأم خرج، فبينما هم يعدّون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة، فينزل عيسى ابن مريم ﷺ ، فأمهم، فإذا رآه عدو الله ذاب كما يذوب الملح في الماء، فلو تركه لانذاب حتى يهلك، ولكن يقتله الله بيده فيريهم دمه في حربته) - مسلم في الفتن باب في فتح قسطنطينية..-.

الأعماق ودابق: موضعان بالشام قرب مدينة حلب وهما المقصودان جزماً بدليل الحديث السابق، ورأيت من يقول: الأعماق ودابق: الأول موضع بطرف

المدينة المنورة والثاني موضع سوقها وهما غير مقصودين هنا جزماً.

٦٥٢ - عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟) قالوا: نعم يا رسول الله. قال: (لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفاً من بني إسحاق، فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح، ولم يرموا بسهم، قالوا لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها- قال ثور بن يزيد: لا أعلمه إلا قال: الذي في البحر-ثم يقولون الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر فيسقط جانبها الآخر، ثم يقولون الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر، فيفرج لهم، فيدخلونها فيغنمون فبينما هم يقتسمون المغانم إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج، فيتركون كل شيء ويرجعون) مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...- قال الحافظ النووي في شرح صحيح مسلم: قال القاضي: كذا في جميع الأصول- أي: نسخ صحيح مسلم (من بني إسحاق) قال بعضهم: المعروف المحفوظ (من بني إسماعيل) وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه، لأنه إنما أراد العرب، والمدينة المذكورة هي القسطنطينية التي أصبح اسمها فيما بعد الآستانة ثم إستانبول وهي في تركيا.

٦٥٣ - عن عمرو بن عوف ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ لا تقوم الساعة حتى يكون أدنى مسالح المسلمين ببولاء) ثم قال (يا علي) قال: بأبي وأمي.قال (إنكم ستقاتلون بني الأصفر، ويقاتلهم الذين من بعدكم، حتى تخرج إليهم روقة الإسلام أهل الحجاز، الذين لا يخافون في الله لومة لائم، فيفتتحون القسطنطينية بالتسبيح والتكبير، فيصيبون غنائم لم يصيبوا مثلها، حتى يقتسموا بالأترسة، ويأتي آت فيقول: إن المسيح قد خرج في بلادكم، ألا وهي كذبة، فالآخذ نادم، والتارك نادم) - ابن ماجه في الفتن باب الملاحم حديث٤٠٩٤، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد بنحوه في الفتن باب ما جاء في الدجال وقال: رواه ابن ماجه باختصار، ٢٤٨/٧، وفيه زيادة فتح (رومية) بعد (قسطنطينية) ، وهذا لفظه (ستقاتلون بني الأصفر، ويقاتلهم من بعدكم من المؤمنين أهل الحجاز حتى يفتح الله عليهم القسطنطينية ورومية بالتسبيح والتكبير، فينهدم حصنها، فتصيبون ما لم تصيبوا مثله قط، حتى أنهم يقتسمون بالأترسة، ثم يصرخ صارخ: يا أهل الإسلام المسيح الدجال في بلادكم وذراريكم فينفض الناس عن المال، منهم الآخذ ومنهم التارك، الآخذ نادم والتارك نادم، يقولون: من هذا الصارخ؟ ولا يعلمون من هو فيقولون: ابعثوا طليعة إلى إيليا، فإن يكن المسيح قد خرج فسيأتونكم

بعمله، فيأتون، فينظرون، فلا يرون شيئاً، ويرون الناس ساكنين، ويقولون: ما صرخ الصارخ إلا لنبأ عظيم، فاعتزموا، ثم ارتصّوا، فيعتزمون أن نخرج بأجمعنا إلى إيليا؛ فإن يكن الدجال خرج نقاتله بأجمعنا حتى يحكم الله بيننا وبينه، وإن تكن الأخرى فإنها بلادكم وعشائركم إن رجعتم إليها).

٦٥٤ - عن أبي قبيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو ﷺ وسئل: أي المدينتين تفتح أولا: القسطنطينية أو رومية؟ قال: فدعا عبد الله بصندوق له حلق، فأخرج منه كتاباً، قال: فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله ﷺ نكتب إذ سئل رسول الله ﷺ : أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية؟ فقال رسول الله ﷺ : (مدينة هرقل تفتح أولاً) يعني القسطنطينية- الإمام أحمد في مسنده: ١٧٦/٢-.

وجاء في الحديث برواية الإمام أحمد والبخاري وابن ماجه وأبي داود (ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر فيغدرون، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً) وعند الإمام أحمد زيادة (وفسطاط المسلمين يومئذ في أرض يقال لها الغوطة في مدينة يقال لها دمشق) ، وجاء في الحديث برواية الإمام أحمد (وهدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر ليجمعون لكم تسعة أشهر كقدر حمل المرأة، ثم يكونون أولى بالغدر منكم.. وفتح مدينة) قلت: يا رسول الله أي مدينة؟ قال (قسطنطينية).

وجاء في الأحاديث٦١٠و٦١١و٦١٢التي ذكرت تكون الجيوش الإسلامية الأربعة أن رسول الله ﷺ ينصح المسلمين بالذهاب إلى الشام، وجاء في الحديث٦١١ (فإن الله قد تكفل لي بالشام وأهله) وهو حسن، وجاء مثله في الحديث٦١٠وهو صحيح، وورد في الأحاديث أن خيرة المسلمين يكونون آنذاك في الشام، وجاء فيه أحاديث كثيرة (إن ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليه) أي على الشام، منها الحديثان٥٩٥و٦٠٦وهما حسنان، وجاء في الحديث٥٩٧ (أن الله تكفل لي بالشام وأهله) وهو حديث حسن، وجاء في الحديث٦٠٠وهو صحيح (إن فسطاط المسلمين يوم الملحمة بالغوطة إلى جانب مدينة يقال لها دمشق من خير مدائن الشام) ، و في الحديث٦٠١وهو مرسل صحيح (موضع فسطاط المسلمين في الملاحم أرض يقال لها الغوطة) .

وجاء في الحديث٥١برواية الشيخين وغيرهما (ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجال فيفتحه الله) قال: فقال: نافع بن عتبة بن أبي وقاص: يا

جابر-ابن سمرة- لا نرى الدجال يخرج حتى تفتح الروم.

يبدو من الأحاديث السابقة أن حربا أو حروبا سوف تقع بين المسلمين والروم بعد قيام دولة الخلافة الراشدة في الشام على الأرجح، ثم ستكون هدنة بين الطرفين، يكون فيها الروم عازمين على الغدر على جري عادتهم التي ساروا عليها خلال عصور التاريخ المعروفة كلها، فيطلبون الهدنة ليجمعوا فيها جيشاً كبيراً يحاربون به المسلمين، وتستمر الهدنة تسعة أشهر، ثم يغدر الروم، فيأتون بجيش يقارب المليون مقاتل، ويبدو أنهم سوف يحتلون القسطنطينية قبل أو بعد الهدنة، والأرجح أنها تكون في أيديهم قبل الهدنة ويصنعون لها أسواراً، ثم يأتي جيشهم فينزل في دابق أو الأعماق، وهما قرب حلب، فتحاربهم جماعة من المسلمين وتنهزم، وهذا ما قال عنه عبد الله بن مسعود (وتكون عند ذاكم القتال ردة شديدة) الحديث٦٥٠ فالهزيمة في القتال كالكفر وكالقعود عن الجهاد عند الله تعالى وأصحابها محكوم عليهم بالخلود في نار جهنم جزماً بحسب تصريح القرآن الكريم بذلك بوضوح، وقد جاء في حديث أبي هريرة٦٥١ (فينهزم ثلث لا يتوب الله عليهم أبدا، ويقتل ثلثهم، أفضل الشهداء عند الله، ويفتتح الثلث لا يفتنون أبدا) مكافأة لهم على صدق جهادهم، وبعد أن ينتصر المسلمون على الروم يتجهون إلى القسطنطينية (إستانبول) فيفتتحونها بالتهليل والتكبير، يقولون (لا إله إلا الله والله أكبر) فتسقط جهة من السور، ثم يقولون ذلك ثانية فتسقط جهة أخرى، ثم يقولون ذلك ثالثة فتسقط الجهة الثالثة، فيدخلون المدينة، ويغنمون، فبينما هم يقتسمون الغنائم يصرخ الشيطان: إن الدجال قد خلفكم في ذراريكم. ويبدو أن الشيطان يريد أن يحرمهم من الغنيمة، فيتركون المال ويعودون إلى دمشق، فلا يجدون الدجال، فيرسلون عشرة فرسان إلى القدس لاستطلاع أمر الدجال، وهو سيخرج بعد رجوعهم من القسطنطينية.

وينبغي الإشارة إلى أنه قد ورد ذكر أدوات الحرب القديمة في هذه الأحاديث، فقد جاء ذكر الخيل والاصطفاف للقتال والسيوف، وهذا يدل على أن الزلازل والخسوف وربما نفاد النفط سوف تدمر الأسلحة الحديثة ومصانعها وصانعيها ووسائل النقل التي تسير بالطاقة، وأن الناس سوف يعودون إلى ركوب الخيل في القتال، وإلى ارتداء الدروع، واستخدام السيوف والرماح والسهام والتروس.

الزمن بين الملحمة الكبرى وخروج الدجال

٦٥٥ - عن أنس بن مالك ﷺ قال: فتح القسطنطينية مع قيام الساعة.- الترمذي في الفتن باب ما جاء في علامات خروج الدجال حديث٢٢٤٠أو٢٣٤٠ و٤٩٨/٦وقال محمود بن غيلان: هذا حديث غريب، وقد رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن يحيى بن سعيد عن أنس ﷺ -.

٦٥٦ - عن عبد الله بن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بين الملحمة وفتح المدينة ست سنين، ويخرج المسيح الدجال في السابعة) -أبو داود في الملاحم باب في تواتر الملاحم حديث٤٢٩٦، وابن ماجه في الفتن باب الملاحم حديث٤٠٩٣، واسناده ضعيف وقيل صالح-.

٦٥٧ - عن معاذ بن جبل ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (الملحمة الكبرى وفتح القسطنطينية وخروج الدجال في سبعة أشهر) - أبو داود في الملاحم باب في تواتر الملاحم حديث٤٢٩٥والترمذي في الفتن باب ما جاء في علامات خروج الدجال٢٢٣٩، وابن ماجه في الفتن باب الملاحم حديث٤٠٩٢، واسناده ضعيف وقيل حسن-.

وجاء في الحديث٦٥١وهو من صحيح مسلم عن المسلمين (فإذا جاؤوا الشأم خرج) أي أن المسلمين بعد عودتهم من فتح القسطنطينية ووصولهم إلى الشام يخرج الدجال، والجملة تدل على خروجه دون إبطاء، والله أعلم، .

نحن بين حديثين ضعيفين يحددان الزمن بين الملحمة وفتح القسطنطينية وظهور الدجال، فالحديث٦٥٦ وقد قيل عنه إنه صالح يحددها بسبع سنوات، والحديث الثاني٦٥٧وقد قيل عنه إنه حسن يحددها بسبعة شهور، فالحديثان يتفقان في الرقم سبعة ويختلفان في المعدود، فأحدهما المعدود عنده سنة والثاني شهر، وبالنظر إلى الجملة الواردة في الحديث الصحيح٦٥١ (فإذا جاؤوا الشام خرج) التي تعني خروج الدجال بمجرد المجيء إلى الشام أرجح أن يكون الزمن بالأشهر، فيكون بين الملحمة الكبرى مع الروم وفتح القسطنطينية وخروج الدجال سبعة أشهر، والله أعلم، .

قتل الإمام واقتتال المسلمين

٦٥٨ - عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تقتلوا إمامكم، وتجتلدوا بأسيافكم، ويرث دنياكم شراركم) - الترمذي في الفتن باب ما جاء في الأمر بالمعروف..رقم٢١٧١، وابن

ماجه في الفتن باب أشراط الساعة رقم٤٠٤٣، وقال الترمذي: هذا حديث حسن-.

سوف يحدث انحراف تدريجي عن الإسلام بعد وفاة عيسى ﷺ إلى أن يصبح المسلمون مسلمين دون إسلام، فيهيجون ويصطرعون على المصالح الدنيوية كما يفعلون في زماننا، ثم يقتلون خليفتهم، وسوف تضعف الدولة الإسلامية بسبب انحراف المسلمين عن دينهم كما ضعفت في الماضي، وسوف يتفرق المسلمون ويقتتلون، وسوف يستمر هذا الانحراف إلى أن يرسل الله سبحانه وتعالى ريحاً طيبة تقبض أرواح بقايا المؤمنين، فيبقى أشرار الناس، وعليهم تقوم الساعة.

وهناك تفسير آخر وهو أن يكون قتل الإمام قد وقع بقتل سيدنا عثمان ﷺ بخاصة وبقتل سيدنا علي ﷺ ، ويكون الاقتتال قد وقع أيضا في الفتنة الدامية التي اشتعلت منذ مقتل عثمان، وبذلك يكون الحديث قد أخبرنا عن ثلاثة أمور هي قيام المسلمين بقتل إمامهم والاقتتال فيما بينهم وتسلط أشرار الناس على المسلمين.

هلاك العرب والفرس

٦٥٩ - عن محمد بن أبي رزين رحمه الله عن أمه قال: كانت أم الحريز إذا مات أحد من العرب اشتد عليها، فقيل لها: إنا نراك إذا مات رجل من العرب اشتد عليك؟ قالت: سمعت مولاي يقول: قال رسول الله ﷺ : (من اقتراب الساعة هلاك العرب) قال محمد: ومولاها طلحة بن مالك الخزاعي- الترمذي في المناقب باب في فضل العرب رقم٣٩٢٥، وإسناده ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث سليمان بن حرب- أقول: إن معناه صحيح وله شواهد بعضها صريح وبعضها مستخلص من أحاديث صحيحة كثيرة.

٦٦٠ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (أول الناس هلاكاً العرب ثم أهل فارس) - الإمام أحمد في مسنده: ٢.

٦٦١ - روى البيهقي من طريق أبي بكر بن عياش عن داود بن أبي هند عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ قال أقبل سعد ﷺ إلى رسول الله ﷺ فقال (إن في وجه سعد خبراً) فقال: يا رسول الله هلك كسرى. قال (لعن الله كسرى، أول الناس هلاكاً فارس ثم العرب) - البداية والنهاية٧١/٤ -.

وجاء في الحديث٦٥٢ (وأول من يستحل هذا البيت أهله، فإذا استحلوه فلا تسأل عن هلاك العرب) رواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي، وجملة (فلا تسأل عن هلاك العرب) تعني أن الهلاك سوف يقع فيهم بكثرة.

مرت بنا أحاديث كثيرة أخبرنا فيها رسول الله ﷺ عن اقتتال المسلمين وعن أن السيف سوف يظل مُشرَعاً فوق رقابهم إلى أن تقوم الساعة، ولقد اجتلد المسلمون بالسيوف منذ مقتل عثمان ﷺ ، وظلت السيوف مشرعة طيلة خلافة علي ﷺ وفي ثنايا العصر العباسي والعصور التالية حتى زماننا هذا، وتعرضت بلدان المسلمين لغزوين وحشيين الغزو المغولي التتري والغزو الصليبي، ثم تعرضت للغزو وللاستعمار الأوربي في القرنين التاسع عشر والعشرين، ثم قامت الحكومتان الأميركية والإنجليزية بإنشاء دولة الصهاينة في فلسطين، وسقط في كل ذلك قتلى كثيرون، ونحن نرى اليوم أميركا تعمل على إبادة العراقيين وهي عازمة على صب وحشيتها على العرب والمسلمين جميعا، وابتلي المسلمون بحكام ظالمين فقتلوا منهم كثيراً، وما يزال قتل العرب مستمراً، وسوف يستمر حتى تنجلي فتنة الدهيماء المحتدمة بين الإسلاميين والمنافقين، وحتى يقع القتال مع الروم، وخلال ظهور المهدي، وسوف يكثر هلاك العرب فيما بعد حينما ينحرفون عن الإسلام بعد وفاة سيدنا عيسى ﷺ وينتهكون حُرْمة الكعبة المشرفة.

أما الفرس فلقد هلك كثير منهم في الفتن التي تعرض لها المسلمون وفي الغزو المغولي التتري وفي حروبهم مع جيرانهم الترك والأكراد ثم في حربهم مع العراق وربما يتعرضون لفتن أخرى بعد موت خليفة في الدولة الإسلامية المنتظرة وحينما يظهر المهدي.

وهكذا لا تقوم الساعة حتى يهلك معظم العرب والفرس ويكونون أقل الناس.

الرّوم أكثرُ الناس

٦٦٢ - عن المستورد القرشي ﷺ قال عند عمرو بن العاص ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (تقوم الساعة والروم أكثر الناس) فقال له عمرو بن العاص ﷺ أبصر ما تقول قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: لئن قلت ذلك إن فيهم لخصالاً أربعاً، إنهم لأحلم الناس عند فتنة، وأسرعهم إفاقة عند مصيبة، وأوشكهم كرّة بعد فرّة، وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف، وخامسة حسنة

جميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك.- مسلم في الفتن باب تقوم الساعة والروم أكثر الناس٢٨٩٨- أخبرنا رسول الله ﷺ أن الساعة سوف تقوم والروم أكثر الناس، والروم هم أكثر الناس في زماننا بسبب كثرة المذابح بين المسلمين وتتابعها، ولذلك نرى الكثافة ضئيلة في بلدان العرب والمسلمين ونراها كبيرة في البلدان الأوربية، وما يزال القتل منتشرا بين العرب والمسلمين، أما عند الأوربيين فهو قليل، ويبدو أن هذا الحال سوف يبقى على ما هو عليه إلى قيام الساعة باستثناء زمان استقرار دولة الخلافة الراشدة.

ومع قلة العرب في يوم الناس هذا واتساع أراضيهم وكثرة الأموال الموجودة لدى أغنيائهم الموضوعة في أوربا وأميركا والمعرضة للمصادرة بين لحظة وأخرى ومع ضراوة وشراسة ووحشية هجمة الإدارة الأميركية المتصهينة وتصريح المتصهينين بأنهم سيغزون الدول العربية والإسلامية لإبادة رجالها وإضعافهم ولإذلالهم ولاغتصابهم واغتصاب نسائهم وأخواتهم وبناتهم جنسياً....مع كل ذلك نرى من يدعو لتحديد النسل، ويخطط بعضهم لاستصدار قوانين لمعاقبة كل من يأتيه ولد جديد بعد ثلاثة أولاد.

إن العاقل هو الذي يعطي مكافأة عن كل مولود ويدفع راتباً شهرياً سخياً له ويفتتح مشروعات كبيرة وصغيرة في كل مكان للقضاء على البطالة وإنعاش أحوال الناس المادية وتحسينها، ولو أن كل حكومة قد فرضت على نفسها وعلى ما يتبعها سياسة تقشف رشيدة وألغت النفقات غير النافعة وسحبت الأموال من أوربا وأميركا وافتتحت بها مشروعات متنوعة لأصبح الناس في نعيم وسعادة ولانعدمت البطالة والفقر ولتحققت نهضة حقيقية غير مكذوبة ولما كانت هناك حاجة إلى تحديد النسل لتغطية الفشل فإن المفروض على كل مخلص لهذه الأمة حريص على تطورها بالفعل لا بالادّعاء الكاذب حريص على صمودها أمام المعتدين أن ينادي بالإكثار من النسل.

رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه

٦٦٣ - عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه) - البخاري في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يغبط أهل القبور وباب تغيير الزمان، وفي الأنبياء باب ذكر قحطان، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل..، والإمام أحمد في مسنده: ٢-.

قال ابن الأثير (يسوق الناس بعصاه) لم يرد العصا نفسها وإنما ضربها مثلا

لطاعتهم واستيلائه عليهم، إلا أن في ذكرها دليلا على ذلك وعلى خشونته عليهم وعسفه بهم، والله أعلم. انتهى.

وأقول إن (يسوق الناس بعصاه) كناية عن سيطرته العظيمة على رعيته وإخافته لهم وانقيادهم الأعمى لأوامره وظلمه، ولم أعثر على شيء يشير إلى الزمان الذي تظهر فيه هذه العلامة، وربما يظهر هذا الرجل ما بين وفاة سيدنا عيسى ﷺ وقيام الساعة، وقد يكون هذا الرجل أحد الحاكمين الظالمين الذين ظهروا في بلاد العرب منذ عصر الأمويين إلى زماننا هذا كأشباه الحجاج بن يوسف الثقفي وأبي العباس السفاح وأبي مسلم الخراساني.

تملّك الجَهْجاه

٦٦٤ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه) - الإمام أحمد في مسنده: ١/ ٢٣ واللفظ له، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل...، وعنده هو (رجل من الموالي) -.

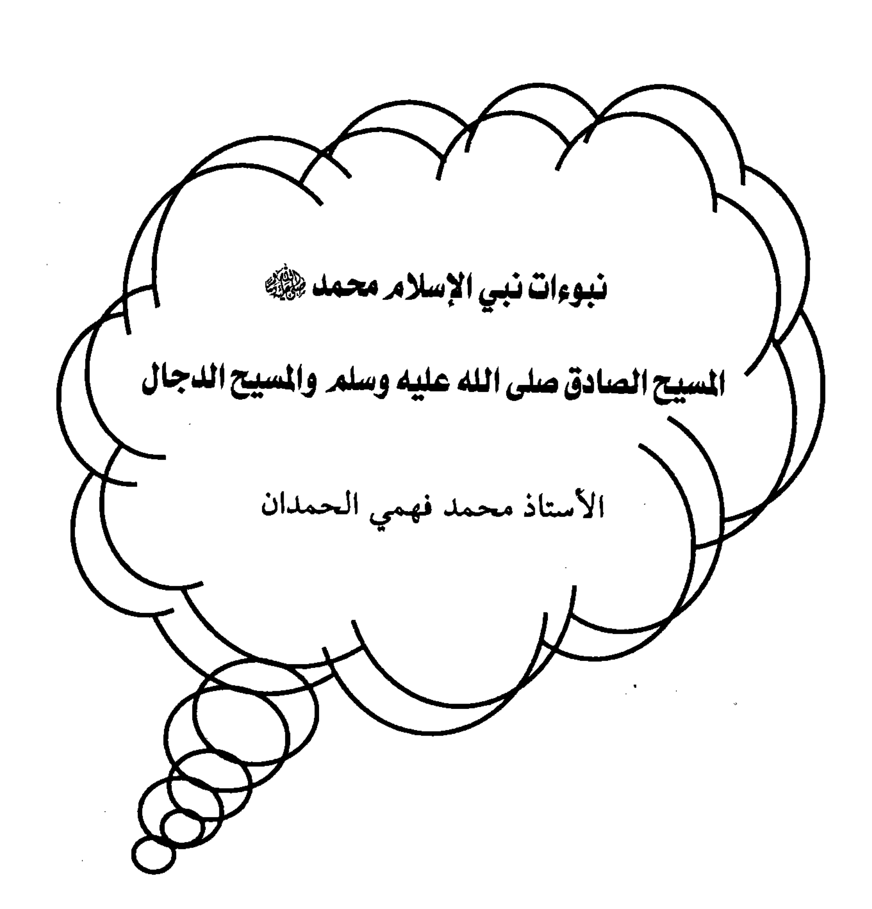
لم أعثر على شيء يشير إلى الزمان الذي يقع فيه هذا الخبر، فربما يظهر هذا الحاكم بعد وفاة سيدنا عيسى ﷺ أو قبله، وقد يكون قد ظهر في الماضي.

قرشي يلْحد في بيت الله

٦٦٥ - عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه سيلحد فيه- أي: في بيت الله الحرام- رجل من قريش لو وزنت ذنوبه بذنوب الثقلين لرجحت) - الإمام أحمد في مسنده: ٢ الثقلان: الإنس والجن.

ربما يكون المقصود بالإلحاد إزهاق أرواح المسلمين، لأن وزر قتل المسلم يوجب الخلود في النار، فهو كالكفر، فإذا كان هذا هو المقصود فقد ظهر بعضهم فيما مضى.

وربما يظهر الرجل المقصود فيما بعد، والله أعلم.


نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ
المسيح الصادق صلى الله عليه وسلم والمسيح الدجال
الأستاذ محمد فهمي الحمدان



سيظهر الدجال والمهدي وعيسى وغيرهم برغم أنف المكذبين



الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، وبعد:

لقد قرأت الطبعة الثانية من كتاب يحمل هذا العنوان / البرّاق الخدّاع / (موازين القرآن والسنة للأحاديث الصحيحة والضعيفة والموضوعة) ، وكان هذا الرجل قد جمع ما رآه صحيحاً من أحاديث رسول الله ﷺ وحمّله هذا الاسم (منهاج الصالحين من أحاديث وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين:الكتاب الشامل الجامع في الإسلام والحديث النبوي الشريف) في (١٠٢٤) صفحة ومن هنا ندرك أن الرجل من محترفي الكذب لأنه لا يمكن لرجل مهما أوتي من العلم أن يصّنف كتاباً (شاملاً جامعاً) للإسلام في ألف صفحة، لقد استغلّ الرجل سلطته على دار نشر وأقحم نفسه فيما لا يعرف وأصدر أحكاماً باطلة كل البطلان، وكنت أتمنى لو أنه اقتصر على انتخاب أحاديث نبوية في موضوعات متعددة دون أن يتجاوز حدوده ويحكم ببطلان أحاديث صحيحة وردت في صحيحي البخاري ومسلم وموطأ الإمام مالك وغيرها من كتب الحديث، فهو أصغر وأتفه من أن يحكم ببطلان حديث صححه البخاري أو مسلم أو غيرهما وأقرّ بصحته آلاف من علماء المسلمين العظام، فهذا الكاتب ليس بشيء أمام قِمم الإسلام الشوامخ، ولقد صدَّر كتابه بالنص على أنه قدَّم هذا الهُراء إلى المؤتمر الإسلامي في محاولة خادعة يرمي من ورائها إلى إيهام القارئ بأن علماء مسلمين قد أقروا هذا الهراء، وهذا غير صحيح، فلم نسمع بمن وافقه على تخبطاته، ثم إن أقواله لا تصدر إلاّ عن صليبي حاقد أو صهيوني أو ماسوني أو عميل للاستعمار أو منافق.

لقد تحدث هذا الكاتب حتى الصفحة الثامنة والستين من كتابه عن القرآن الكريم وعن الحديث النبوي الشريف، وقد ذكر ظاهرة وضع الحديث وذكر أمثلة من الأحاديث الموضوعة التي استهجنها أجدادنا من قبل ولم يصنِّفوها في أي كتاب يجمع أحاديث رسول الله ﷺ، وإنما ذكرها بعض الذين تحدثوا عن ظاهرة

الوضع، وليس في ذكرها اليوم أية فائدة، وليس في كل ما ذكره فائدة لأنه نسخ ما كتبه العلماء القدامى وكثير من العلماء المعاصرين مجرد نسخ للثرثرة ثم يتصدر بليق بعد تلك الصفحات ليحكم على الأحاديث الصحيحة بالبطلان محكّماً عقله الضحل الهزيل في كل ما يبطله فابتدأ باستبعاد خبر رواه ابن كثير في الجزء الأول من تفسيره في تفسير الآية الواحدة والستين من سورة البقرة عن بني إسرائيل بأنهم كانوا يقتلون ثلاثمائة نبي كل يوم، ومقدمة المؤلف المستفيضة وحديثه عن الوضع ثم تصديه لإبطال الأحاديث توحي بأنه يتحدث عن حديث مرفوع إلى رسول الله ﷺ مع أن الحديث مروي عن عبد الله بن مسعود ﷺ غير مرفوع إلى رسول الله ﷺ ويبدو انه أخذه من أهل الكتاب وهذا واضح لأنه لم يقل: قال رسول الله، فإبطاله لهذا الخبر لا يبيح إبطال صحيحي البخاري ومسلم ولا يبيح له إبطال شيء. والحديث الثاني الذي استبعده هو: (عن أبي هريرة ﷺ قال: أخذ بيدي رسول الله ﷺ وقال: خلق الله التربة يوم السبت، وخلق الجبال، يوم الأحد، وخلق الشجر يوم الاثنين، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء، وبثَّ فيها الدواب يوم الخميس، وخلق آدم بعد عصر يوم الجمعة في آخر ساعة من النهار إلى الليل) - أخرجه مسلم رقم / ٢٧٨٩ / في صفة القيامة والجنة والنار باب ابتداء الخلق وخلق آدم ورواه الإمام أحمد في المسند (٣٢٧/٢) رقم /٨٣٢٣/، ورواه النسائي في التفسير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وقال الحافظ ابن كثير بعد إيراده (٦٩/١) : وهذا الحديث من غرائب صحيح مسلم، وقد تكلم فيه ابن المديني والبخاري وغير واحد من الحفاظ وجعلوه من كلام كعب الأحبار وأن أبا هريرة إنما سمعه من كلام كعب، وإنما اشتبه على بعض الرواة فجعله مرفوعاً، وقد حرَّر ذلك البيهقي، وقال ابن كثير أيضا (٤٨٨/٣) : وفيه استيعاب الأيام السبعة، والله تعالى قد قال (في ستة أيام) ، ولهذا تكلم البخاري وغير واحد من الحفاظ في هذا الحديث وجعلوه من رواية أبي هريرة عن كعب الأحبار ليس مرفوعاً وقال أيضاً (٣٢٦/٧) : وهو من غرائب الصحيح وقد علله البخاري في التاريخ فقال: رواه بعضهم عن أبي هريرة ﷺ عن كعب الأحبار وهو الأصح. وقال المناوي في فيض القدير: وقال بعضهم هذا الحديث في متنه غرابة شديدة / فمن ذلك أنه ليس فيه ذكر خلق السموات، وفيه ذكر خلق الأرض وما فيها في سبعة أيام، وهذا خِلاف القرآن، لأن الأرض خلقت في أربعة أيام، ثم خلقت السموات في يومين. وقد سكت عن الحديث

النووي في شرح مسلم، وممن صحح الحديث الشوكاني في فتح القدير، وقد تكلم عليه العلماء من جهة متنه، ورأوا أنه معارض للقران، ومن صححه كالشوكاني وغيره رأوا أنه لا تعارض بينه وبين نص القرآن، فإن القرآن ذكر أن الله تعالى خلق السموات والأرض جميعاً في ستة أيام، وخلق الأرض وحدها في يومين، والحديث إنما بين أن الله تعالى خلق ما في الأرض في سبعة أيام، ويحتمل عند بعض من صححه أن تكون هذه الأيام السبعة غير الأيام الستة التي ذكرها الله تعالى في خلق السموات والأرض، وحينئذ لا تكون معارضة، وإنما الحديث فصَّل كيفية الخلق على الأرض وحدها، والله أعلم.

جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير تحقيق عبد القادر الأرناؤوط (٢٦/٤) .

وهكذا نرى أن هذا الكاتب قد كذب حينما قال: (وعندما قرأت هذا الحديث عرضته على كتاب الله عزّ وجل الذي هو ميزان الحديث فوجدت أنه يتعارض مع القرآن الكريم جملة وتفصيلاً) فبعض الأقدمين هم الذين وجدوه يتعارض مع القرآن الكريم وليس هذا الكاتب، وظنوا أن بعض الرواة قد التبس عليه الأمر فرفعه إلى رسول الله ﷺ بدلاً من كعب الأحبار ، ولكن هذا الكاتب يقول: (وهكذا سقط هذا الحديث سنداً ومتناً) وهذه جماقة الجاهلين وقد انطلق هذا الجاهل الأحمق مستغلاً حديثاً غير مرفوع وحديثاً واحداً لدى الإمام مسلم وجد فيه بعض الأئمة غرابة ليوسع دائرة الشك وليكذب دون خجل ودون رادع ديني أو علمي أو أخلاقي فيقول: (إن بعض علماء المسلمين الأفاضل قديماً قد استدركوا على أصحاب كتب الحديث بل وعلى الإمام البخاري والإمام مسلم بعض الأحاديث التي لم تصل درجتها إلى مرتبة الصحاح) / ص٧٨ / وهذا كذب صراح، فلقد أجمع الأئمة على أن كل ما في صحيح البخاري صحيح وعلى أن كل ما في صحيح مسلم صحيح، ولا أعلم حديثاً أنكروه سوى الحديث المذكور الذي اختلفوا فيه ولم يجمعوا على إنكاره، وإن علماء الإسلام منذ عصر البخاري ومسلم حتى يوم الناس هذا يذكرون درجة الحديث إذا كان الحديث مأخوذاً من كتب الأحاديث كلها عدا ما يؤخذ من صحيحي البخاري ومسلم فلا يذكرون درجته لأنهم قد أجمعوا على صحة أحاديث الصحيحين بكاملها.

ثم يقول الكاتب إن علماء الإسلام قد قبلوا صحيحي البخاري ومسلم (جملةً لا تفصيلاً) /ص٧٩/ يريد أنهم قبلوا أكثر أحاديثهما، وهذا كذب، فلقد

روى البخاري حوالي عشرة أحاديث موقوفة وجاء علماء رفعوها إلى رسول الله ﷺ وتبين لهم أنها صحيحة ومرفوعة، وتمادى هذا الكاتب في الكذب فقال /ص٧٩/: (ولذلك عندما درس بعض العلماء صحيح البخاري وقاموا بشرحه أشاروا إلى بعض هذه الأحاديث أثناء الشرح وبينوا ما في بعض هذه الأحاديث من ضعف أو علة) ثم ينعت في الصفحة ذاتها تلك الأحاديث المزعومة بأنها (ضعيفة أو موضوعة) وهكذا يكذب وهو يرتدي عباءة الإسلام بحسب زعمه وقد أراد بهذه البضاعة الهزيلة، وهي أحاديث استهجنها الأقدمون ولم يثبتوها في كتب الحديث وحديث موقوف وحديث واحد لمسلم مختلف فيه، أن يبطل كل الأحاديث الواردة عن إخبار رسول الله ﷺ بما سوف يقع بعده من أحداث وبالمهدي المنتظر وبالمسيح الدجال وبالمسيح المنتظر وبيأجوج ومأجوج وبغير ذلك من أخبار لأن عقله الهزيل لم يقتنع بصحتها، واتخذ عقله البليد ميزاناً لإسقاط الأحاديث الصحيحة مع أنه وعد باستخدام (موازين القرآن والسنة) واتخذ السخرية وسيلة لإسقاطها، فهو حينما ينقل حديثين من صحيح مسلم أولهما برواية أنس بن مالك ﷺ وثانيهما برواية عائشة ﷺ وفيهما هذا المعنى (إن يعش هذا لم يدركه الهرم قامت عليكم ساعتكم) وقد فهم الأقدمون من مثل هذا القول وفهمنا ما فهموه وهو أن الرسول الأعظم ﷺ لا يتحدث هنا عن يوم القيامة وإنما يتحدث ويذكر بساعة كل إنسان التي تكون بالموت، لكن هذا الكاتب يفضح جهله المطبق بقوله عن هذه الأحاديث الصحيحة (ويظهر أن القيامة قد قامت منذ أكثر من ألف وثلاثمائة عام ونحن لا ندري أو أن ذلك الغلام ما زال على قيد الحياة حتى الساعة) ثم يسخر بحديث عمرو بن أخطب عن أن رسول الله ﷺ قد أخبر المسلمين بما هو كائن في خطبة استمرت من صلاة الفجر حتى غروب الشمس ويستغرب أن يقف رسول الله ﷺ قرابة اثنتي عشرة ساعة خطيبا" ثم يستغرب ألا يذكر عمرو بن أخطب شيئا" من مضمون هذه الخطبة الطويلة.

إن طريقة هذا الكاتب في إطلاق الأحكام تذكرني بكتابات الصليبيين وأشباههم من المحسوبين على الإسلام والإسلام منهم براءٌ ، فهم في كتاباتهم يزعمون أنهم أصحاب منهج علمي وما هم بأصحاب منهج ولا علم ، يطالعون نُتفاً عن وضع الحديث أو عن خلافات في أمور ثانوية فيظنون أنهم قادرون على إصدار الأحكام ويظنون أنفسهم عمالقة يستطيعون أن يطاولوا الأطواد الشامخة

من أعلامنا ولا يدركون أنهم أقزام تافهون، ولو كان عندهم شيء يسير من العلم لعرفوا أنهم أصغر من أن يطاولوا العمالقة الذين خصّ الله تعالى بهم دينه ليحفظوه من التافهين الذين عمل الغرب الصليبي الاستعماري وأذنابه من مدّعي الإسلام على أن يجعلوهم نجوماً ساطعة ولكن هذه المحاولات لم تنجح ولن تنجح لأن أصحابها ومدبريها ليسوا سوى دجالين تافهين ولأن الإسلام صخرة صلدة شمّاء تتكسر عليها رؤوس المعتدين عليه.

إن حديث عمرو بن أخطب المذكور موجود في صحيح مسلم ولقد روى مضمونه أيضاً حذيفة بن اليمان ﷺ في حديث رواه البخاري ومسلم وأبو داود ، وفي حديث آخر حسن رواه أبو داود ورواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، ورواه البخاري عن طارق بن شهاب عن عمر بن الخطاب ﷺ .أمّا عن مضمون خطابة رسول الله ﷺ فقد ذكرها أصحاب رسول الله متفرقة ، ومعظم الأحاديث التي أخبر فيها رسول الله ﷺ عن وقوع أحداث في قابل الأيام حتى يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار هي من هذه الخطبة ، فهل هذا الكاتب غبي أو أنه يتغابى ؟ ثم كذّب الكاتب حديث (لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه) وهو برواية البخاري ومسلم والإمام أحمد ، وحديث (لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له الجهجاه) وهو برواية الإمام أحمد ومسلم ، ثم شرع يكذّب الأحاديث الواردة عن المهدي المنتظر، والأحاديث الواردة عن المهدي فيها مقال ، وقد اختُلف فيها في الماضي ، وأنكر بعض العلماء وجود المهدي ، لكن الأغلبية كانت ترجح اعتقاد ظهوره لأن الأحاديث الضعيفة يقوي بعضها بعضاً ، هذا من جهة ، وأضيف أن حديثاً حسناً رواه أبو داود بسند رجاله رجال الصحيح عن أم سلمة رضي الله عنها يتحدث عن المهدي دون أن يصرح باسمه، وهناك أحاديث صحيحة تؤيد مضمون ذلك الحديث الحسن منها حديث عن أم سلمة رضي الله عنها برواية البخاري ومسلم والترمذي وأبي داود، وحديث عن عائشة رضي الله عنها برواية البخاري ومسلم وأبي داود والترمذي ، وحديث عن حفصة رضي الله عنها برواية مسلم والنسائي ، وحديث عن عائشة رضي الله عنها برواية البخاري ، وحديث عن صفية رضي الله عنها برواية الترمذي وهو حديث حسن صحيح، وحديث عن أبي هريرة ﷺ برواية النسائي وهو حديث صحيح ، وهناك أحاديث كثيرة صحيحة تخبر عن خليفة يعطي المال بكثرة يحثوه حثياً دون أن يعدّه ثم لا يجد من يأخذ الصدقة بسبب انتشار

البركة الإلهية واستفاضة المال، والمعروف أن الحفّاظ كانوا يرون أن هذا الخليفة هو المهدي، فالمهدي سوف يظهر بعد قيام الدولة الإسلامية في الشام وسوف يلتقي عيسى ابن مريم ﷺ برغم أنف هذا المكذب وغيره من المشككين الجاهلين .

ويرى هذا الكاتب أن حديث (لا مهدي إلا عيسى ابن مريم) ينقض ظهور المهدي ، وبذلك يبيّن لنا أنه يجهل لغة العرب إضافة إلى جهله الديني ، فهذه الجملة لا تعني إنكار ظهور المهدي وإنما تعني أن المهدي الأكبر هو عيسى ابن مريم ﷺ وأنه أهدى من المهديين، فهو رَفْع لمنزلة سيدنا عيسى فوق منزلة المهدي ، فإذا قلنا: لا شاعر إلا المتنبي فنحن لا ننكر وجود الشعراء وإنما نرفع مكانة المتنبي فوقهم، وكذلك إذا قلنا : لا فقيه سوى فلان ولا رسام سوى عَلان، وهلم جرّا، فلا يحق لمن يجهل اللغة العربية أن يجعل نفسه قاضياً فوق القضاة وعالماً فوق العلماء ، لكن الجهلاء يغترّون بأنفسهم دائماً ويظنون أنفسهم شيئاً مذكوراً وما هم بشيء .

ثم ينكر نزول عيسى ﷺ ويبرهن على أنه قد مات ولن يعود مطلقاً، وكان أسلوبه في البرهنة يمثل الأسلوب الأحمق الخاوي العجل الذي يسير عليه غلاة الصليبيين وأشياعهم من ملاحدة المسلمين وممن يخيل إليهم أنهم قد أصبحوا علماء عظاماً ، وهم لم يؤتوا من العلم إلا أقل القليل ، وهذا الحكم بوفاة عيسى قد سبقه إليه كاتب آخر أصدر في أوائل السبعينيات كتاباً باسم (محمد) رأى فيه أن القرآن الكريم لم ينص على بقاء عيسى حياً وأن نفي مقتله وصلبه يراد به المعنى المجازي وهو أن اليهود لم يتمكنوا من قتل رسالة عيسى ، أما جسده فقد قتلوه وصلبوه وقد اعتمد على كتابة محمود شلتوت في كتابه (الإسلام عقيدة وشريعة) حيث ينص فيه على مقتل عيسى ، يعتمد على شلتوت لأنه ينقض ما في القرآن والسنة مثله ، وما شلتوت ؟ وسوف أذكر أنموذجاً على براهين هذا الكاتب لكي يرى الناس أسلوبه العلمي العجيب ، فهو يقول : (هل بقي عاقل يؤمن بأن عيسى عليه السلام مازال على قيد الحياة حتى الساعة ؟ وإذا كان كذلك فهل هو يأكل ويشرب في السماء كما يأكل أهل الأرض وهل يأتيه الطعام من الأرض أم من السماء ؟ وهل يشاركه أحد في طعامه وشرابه من سكان السماء) فهو كما يرى القارئ يجد أن وجود عيسى حياً في السماء يشكل مشكلة مستعصية على الله تعالى وهي مشكلة إطعامه ، فالطعام غير موجود في السماء،

وقد رتب الله سبحانه وتعالى أموره على أن سكان السماء لا يأكلون ، فكيف يدبر أمر إطعام عيسى ؟ ألا لعنة الله على هذا المكذب وأشباهه من الملاحدة الأغبياء لقد كنت أحب أن أحاوره محاورة علمية هادئة ولكن تعالمه وهو جاهل يثير الغضب . أمن الممكن أن تشكل قضية إطعام عيسى مشكلة يستعصي حلها على الله تعالى ؟.

وبما أن عيسى عليه السلام سوف يكسر الصليب ويذبح الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل من الناس سوى اعتناق الإسلام ، فإن هذا الغبي يرى أن كسر الصليب يناقض قوله عز وجل : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِي ٱلدِّينِ ﴾ و﴿ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ فهذا الغبي لا يفرق بين العير والنفير ولا بين الأبيض والأسود ، ولا يدري أن نزول عيسى هو من علامات الساعة الكبرى وأنه ستقع قبل الساعة أحداث بإرادة الله تعالى مخالفة لما عهدناه في الدنيا ، وأن عيسى لا ينسخ الدين الإسلامي حينما يلغي الأديان الأخرى ، فماذا يؤثر إلغاء الأديان على الإسلام حتى يستخدم هذا الكاتب مصطلح نسخ الدين الإسلامي ، ولو أنه قد قال إن عيسى سوف ينسخ حكم الجزية في الإسلام لكان دقيقاً في حكمه ولكنه يتعامى عن الحقائق عامداً فيما أرى ، ثم يبين لنا هذا الكاتب (المصاعب الكبرى) التي سوف تواجه عيسى ابن مريم والتي يصعب عليه تجاوزها وكأنما يظن أن عيسى عليه السلام النازل من السماء إلى الأرض لإعلاء كلمة الله تعالى بمشيئة الله وقدرته رجل جبان في مثل جبنه ، وقد تناسى هذا الكاتب أن الله عز وجل سوف ينزل عيسى عليه السلام ليقوم بمهمة خطيرة عظيمة أراد الله أن تتحقق على يدي عيسى ولا رادّ لمشيئة الله تعالى برغم أنف هذا الكاتب وسوف يجعل الله تعالى رائحة لعيسى تمتد إلى حدود الآفاق وسوف يموت كل كافر ومشرك برائحة عيسى وحدها عدا من يموت بسيوف المسلمين برغم أنف هذا الكاتب ، ولو مشى عيسى عليه السلام في الأرض دون قتال فسوف يموت الكفار والمشركون برائحته ، ولن يستطيع أي جبار من البشر وأية أمة من الأمم أن تواجه عيسى عليه السلام وتصمد أمامه .

إنّ هذا الكاتب يشكّ بقدرة الله تعالى ، فهو يقول : (وهل إذا كسر المسيح الصليب سيجعل النصارى يؤمنون به ويدخلون في دين الإسلام ؟أم سيقومون بمناهضته وقتاله ؟ وهل سيكسر الصليب في كل مكان من أنحاء المعمورة أم في

منطقة صغيرة ؟ وإذا كان التكسير سيشمل أنحاء الدنيا فماذا سيصنع بالصلبان الكبيرة التي تزن بعض الأطنان أو عشرات الأطنان والمصنوعة من الإسمنت المسلّح أو من الحديد والصلب ؟ وكم سيستغرق الوقت للقضاء على الصلبان الموجودة في كل مكان؟ وماذا سيكون موقف النصارى من كسر الصليب ؟ هل سيقاومونه أم يسكتون؟ وهل سيتغلب عليهم في حال المقاومة أم ماذا ستكون النتيجة ؟ بقي على عيسى عليه السلام مهمة ثالثة وهي قتل الخنزير وهل سيمكنّه الأهالي وأصحاب حظائر الخنزير من مهمته أم سيقاومونه ؟أم سيدفع لهم أثمان الخنازير مع العلم أنّ الله سبحانه أمرنا بالامتناع عن أكل لحم الخنزير ولم يأمرنا بقتله ؟فهل سينزل المسيح عليه السلام بنسخ شريعة محمد ﷺ في عدم أخذ الجزية من أهل الكتاب وقتله لمن لم يؤمن بالإسلام ويكسر الصليب ويقتل الخنزير؟هل هذا معقول يا أصحاب العقول ؟ ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾ فهل هذا حوار ودراسة علمية أم تشكيك وسخرية بأحاديث رسول الله ﷺ وسخرية بالله تعالى وتشكيك بمقدرته ؟.

إن القرآن الكريم يذكر أن من كبائر آثام اليهود ادعاءهم أنهم قتلوا المسيح ابن مريم ﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾ ثم ينفي القتل والصلب ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ ويصف حيرة النصارى واليهود من حقيقة قتله ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ﴾ ثم يصرح بأنهم لم يقتلوه بل رفعه الله إليه ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ سورة النساء/١٥٧-١٥٨ / ، فهذا نص صريح واضح غير قابل للتأويل عند المؤمنين ولكن المنافقين يتعامون عن الحقائق الساطعة ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويل القرآن إلى نقيض معناه أو إلى معاني ملتوية ملفّقة ، وقد جاء في إنجيل برنابا المدوّن منذ أكثر من ثمانية عشر قرناً: (الحقّ أقول: إنّ صوت يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون كافّة أنه يسوع ، كذلك خرج بعضهم من تعاليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبياً كاذباً، وإنما الآيات التي فعلها فعلها بصناعة السحر لأن يسوع قال إنه لا يموت إلى وشك انقضاء العالم لأنه سيؤخذ في ذلك

الوقت من العالم) وقد رأينا أنّ القرآن الكريم يقول : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ﴾ وهكذا نرى أنّ إنجيل برنابا يوافق القرآن الكريم في نفي القتل وفي إلقاء شبهِ عيسى عليه السلام على الواشي الخائن ويوافق الأحاديث النبوية الصحيحة في أن عيسى عليه السلام (لا يموت إلى وشك انقضاء العالم) فهو سوف ينزل في المنارة البيضاء في دمشق وسوف يمكث في الأرض سبع سنين ثم يموت ويصلي عليه المسلمون . والأحاديث الصحيحة التي تذكر نزول عيسى ابن مريم عليه السلام كثيرة ، والأحاديث الصحيحة التي تذكر ظهور المسيح الدجال كثيرة ، وإذا رأينا خلافاً حول عين الدجال العوراء في حديث أو حديثين فإن هذا الخلاف لا يبيح لنا أن نرمي صحيحي البخاري ومسلم باحتوائهما على أحاديث ضعيفة أو موضوعة ، فقد يكون قد حدث خطأ عند أحد رواة الحديث فالمرجح أن العين العوراء هي اليمنى ، ولكن هذا الخطأ لا يبيح لنا تكذيب الأحاديث الصحيحة.

أمّا الأحاديث الأخرى الواردة حول صفات المسيح الدجال والمسيح الصادق وأفعالهما فقد كذبها لأنها غير معقولة في نظره ، وقد رأينا أنه لا يملك عقلاً ولا بصيرة ، وهل للملاحدة والمنافقين عقول أو أبصار ، إنهم كالبهائم بل أضلُ سبيلاً .

ولعل أخطر ما يهدف إليه هذا الكاتب الضال هو تكذيب كتب الحديث النبوي بكاملها وعلى رأسها صحيحا البخاري ومسلم ، فهذا الخبيث لم يقف عند تكذيب أحاديث بعينها ، بل صرّح بأنه ذكرها على سبيل المثال لا الحصر ودعا المسلمين إلى اتباعه وتكذيب ما يشتهون ، فهي دعوة لهدم الحديث النبوي الشريف بكامله وإلغائه بالاعتماد على شيئين : تحكيم الأهواء ولا أقول العقول وعدم ورود معاني الأحاديث في القرآن الكريم ، وكأنما هذا الكاتب لا يعلم أن الرسول ﷺ قد أوتي القرآن ومِثله معه وأنه (لا ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحي يوحى) ، وإن دعوة هذا الكاتب ليست إلا صورة من صور الكيد لإسلامنا الشامخ لا تختلف في جوهرها عن دعاوى أعداء الإسلام وإن كان يزعم أنه مسلم ، وكأنما غاب عن عقله أن صخرة الإسلام صلدة شماء تتكسر عليها رؤوس مناطحيها .

وإن توجيه انتقادات أو ملاحظات أو شكوك إلى بضعة أحاديث من

صحيحي البخاري ومسلم من علماء مسلمين متفقهين مخلصين لا يبيح فتح الباب على مصراعيه لرفض كثير مما جاء في الصحيحين وفي كتب الحديث كلها اعتماداً على الأهواء وعلى تحكيم العقول الضحلة المتقلصة الهزيلة التي تقتصر على القول: هذا معقول، وهذا غير معقول، وعلى تحكيم أصحاب البدع المارقين من الإسلام الساعين لتدميره تحت شعار: ما وجدنا في كتاب الله عز وجل فهو صحيح، وما وجدنا في أحاديث النبي الأعظم ﷺ مما لم يأت في كتاب الله عز وجل فهو باطل.

لقد علم الله عز وجل أنه سينهض بعض المحسوبين على الإسلام أو سينهض نفرٌ يزعمون أنهم مسلمون ويسعون للكيد للإسلام باسم الإسلام ويقولون: إننا نأخذ بالقرآن الكريم وحده ونترك الحديث النبوي، لذلك أمر الله عز وجل بطاعة النبي الأعظم ﷺ وبالأخذ بكل أمر من أوامره، وبين أنه لا ينطق عن الهوى، وأن كل ما يقوله هو من وحي الله عز وجل وإلهامه، فقال الله عز وجل: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥ ﴾ - النجم٥٣: ١ إلى ٥-.

وهذه بعض أوامر الله عز وجل بطاعة رسول الله ﷺ :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۝٣٢ ﴾ - آل عمران: ٣: ٣١و٣٢-.

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۝١٣٢ ﴾ - آل عمران: ١٣٢-.

﴿ تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝١٣ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدْخِلْهُ نَارًا خَـٰلِدًا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٌ مُّهِينٌ ۝١٤ ﴾ - النساء٤: ١٣و١٤-.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن

تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾ - النساء: ٥٩-.

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ جَآءُوكَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسۡتَغۡفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابٗا رَّحِيمٗا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴿٦٥﴾ ﴾ - النساء: ٦٤و٦٥-.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴿٦٩﴾ ﴾ - النساء: ٦٩-.

﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا ﴿٨٠﴾ ﴾ - النساء: ٨٠-.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحۡذَرُواْۚ فَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٩٢﴾ ﴾ - المائدة٥: ٩٢-.

﴿ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَنفَالِۖ قُلِ ٱلۡأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿١﴾ ﴾ - الأنفال٨: ١-.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ - الأنفال٢٠-.

﴿ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ - الأنفال٨: ٤٦-.

﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ وَمَآ أُوْلَٰٓئِكَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ٱرۡتَابُوٓاْ أَمۡ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡ وَرَسُولُهُۥۚ بَلۡ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾ - النور٢٤: من ٤٧إلى ٥٢-.

﴿ قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ ﴾ - النور٥٤-.

﴿ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾ وَقَالُواْ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ ﴾ - الأحزاب٣٣: ٦٦إلى٦٨-.

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ - الأحزاب٧١-.

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ﴾ - محمد٤٧: ٣٣-.

﴿ قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُواْ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ﴾ - الفتح٤٨: ١٦و١٧-.

وأرجو أن يقرأ الآيتين السابقتين واللاحقتين من يدعو إلى الانصياع لأميركا وعدم جهادها.

﴿ ۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ -

الحجرات٤٩: ١٤و١٥-.

﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾ - الحشر٥٩: ٧-.

﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ﴾ - التغابن٦٤: ١٢-.

هذا بعض ما جاء في فرض طاعة رسول الله ﷺ ، فلا إسلام لمن يعُدُّ ما قاله رسول الله ﷺ ولم يَرِد في القرآن الكريم باطلاً، ولا إسلام لمن لا يحب رسول الله ﷺ أكثر من حبه لنفسه وللناس أجمعين وللدنيا بما فيها، ولا إسلام لمن لا يطيع رسول الله ﷺ وينفذ ما أمر به، ولهؤلاء الخلود في النار مع العذاب الشديد، وإن تكرار أوامر الله تعالى بطاعة النبي الأعظم ﷺ وإقرانها بطاعته عز وجل يهدف إلى توضيح وتحديد تعاليم الإسلام وقطع الطريق على كل من تسول له نفسه أن يبطل أحاديث النبي الأعظم ﷺ الصحيحة ويلغي العمل بها.

وأريد أن أذكر الطريقة التي أسقط بها النبي الأعظم محمد ﷺ أصنام العرب المصنوعة من الحجارة والمرصوفة حول الكعبة الشريفة بعد فتح مكة المكرمة خلال طوافه حولها وهو راكب على ناقته ليعرف أصحاب المعقول وغير المعقول الطريقة التي سيلجأ إليها عيسى ﷺ لتكسير الصلبان الكبيرة والثقيلة.

عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: دخل رسول الله ﷺ يوم الفتح وحول الكعبة ستون وثلاثمائة نصب، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ ﴿ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ -البخاري ١٤/٨في المغازي باب أين ركز النبي ﷺ الراية يوم الفتح، وفي المظالم، وفي تفسير سورة بني إسرائيل، ومسلم رقم١٧٨١في الجهاد باب إزالة الأصنام حول الكعبة، والترمذي رقم٣١٣٧في التفسير باب ومن سورة بني إسرائيل-.

وأخرج الواقدي في المغازي: ثم طاف رسول الله ﷺ بالبيت على راحلته، آخِذ بزمامها محمد بن مسلمة، وحول الكعبة ثلاثمائة صنم وستون صنماً، مرصَّصة بالرصاص، وكان هُبَل أعظمها وهو وجاه الكعبة على بابها، وإساف ونائلة حيث ينحرون ويذبحون الذبائح، فجعل رسول الله ﷺ كلما مر بصنم منها

يشير بقضيب في يده ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فيقع الصنم لوجهه.

وقال: حدثني ابن أبي سبرة عن حسين بن عبد الله عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: ما يزيد رسول الله ﷺ أن يشير بالقضيب إلى الصنم فيقع لوجهه، فطاف رسول الله ﷺ سبعاً على راحلته يستلم الركن الأسود بمِحْجنه في كل طواف-المغازي: ج٢: شأن غزوة الفتح ص٨٣١و٨٣٢-.

وأخرج ابن سعد في الطبقات: وطاف رسول الله ﷺ بالبيت على راحلته، وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنماً، فجعل كلما مر بصنم منها يشير إليه بقضيب في يده ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فيقع الصنم لوجهه، وكان أعظمها هبل وهو وجاه الكعبة-الطبقات: ج٢: غزوة رسول الله ﷺ عام الفتح: ص١٣٤-.

وجاء في سيرة ابن هشام: قال ابن هشام: وحدثني من أثق به من أهل الرواية في إسناد له عن ابن شهاب الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال: دخل رسول الله ﷺ مكة يوم الفتح على راحلته، فطاف عليها، وحول البيت أصنام مشددة بالرصاص، فجعل النبي يشير بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فما أشار إلى صنم منها في وجهه إلا وقع لقفاه، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه، حتى ما بقي منها صنم إلا وقع، فقال تميم بن أسد الخزاعي في ذلك:

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقابا

-الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام٤/١٠٤-.

وسوف يظهر المسيح برغم أنف الدكتور.

بسم الله الرحمن الرحيم ، والحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد الصادق الأمين ، وبعد :

قال دكتور في مقاله (الصهيونية والمسيح المنتظر) -

(فالمسيح المنتظر شخصية أبدعها خيال زعماء اليهود في زمن النكبة : انهيار مملكة إسرائيل وعاصمتها السامرة في شمال فلسطين في القرن السابع قبل المسيح) أي قبل عيسى ابن مريم عليه السلام .

ووصف ما يقولونه عن عصر المسيح المنتظر من أن الذئب يرعى مع

الحمل ..بأنه بدعة خيال مريض وكان الدكتور في مقاله المذكور وفي مقال (المسيح المنتظر جرثومة الصهيونية) يرى أن المسيح المنتظر محض خرافة، وهذا كفر صُراح وجهل مُبِين. وهذا يثير ألماً شديداً في نفسي، فإذا أحسنت الظن بالدكتور حكمت عليه بالجهل المطبق بأحاديث رسول الله محمد ﷺ، فهو يكذّب نبينا ﷺ عن جهل ، لقد أجهد الدكتور نفسه في السعي لقراءة كتب اليهود وتقاعس عن قراءة أحاديث نبيه محمد ﷺ .

والحقيقة أن الدكتور ليس هو المسلم الوحيد الذي ينكر وجود المسيح المنتظر ، فقد رأيت أشباهاً له من المحسوبين على الإسلام يجهلون كل شيء عن (المسيح المنتظر) ورأيت من يجهل كل شيء عن (المسيح الدجال) ورأيت من يظن أن المسيح الدجال هو (التلفزيون) وهذا الرأي ناجم عن الجهل أيضاً بالإسلام .

إنني أقول: إن ما ذكره اليهود عن المسيح المنتظر وعن أحوال الدنيا في عهده وعن انتشار الإيمان والعدل والأمن والخصب والبركة .. وعن لعب الأطفال بالحّيات وعن إحجام الوحوش المفترسة والعقارب وغيرها عن إيذاء الناس، كل ذلك صحيح- برغم أنف الدكتور- ولكن اليهود يخطئون عامدين في تحديد شخصية المسيح ، فبعضهم يقول : إنه رجل من اليهود يصبح ملكاً للدنيا وبعضهم يقول : إنه يعقوب ﷺ مع أنه مذكور عندهم باسم المسيح (مشيحا) .

وحقيقة الأمر أنه لا يوجد في الدنيا كلها من يُعْرَف باسم المسيح سوى المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام نبي النصارى ، وأنه هو الذي سوف ينزل من السماء في دمشق في المنارة البيضاء-برغم أنف الدكتور- وأنه برغم أنف الدكتور أيضاً سوف ينزل ليحمل لواء الإسلام لا لواء اليهودية ولا لواء النصرانية، وأن النصارى لن يكونوا في أمان ، فسوف يكون موقف المسيح عليه السلام منهم موقفه من اليهود أيضاً ، فسوف يخيّرهم بين اعتناق الإسلام أو القتل وسوف يكسر الصليب .

فعلى الدكتور وأشباهه أن يطالعوا أحاديث نبيهم ﷺ قبل أن يتتبعوا كتب اليهود ، وعليهم أن يتوقفوا عن الكتابة عن اليهود القدماء وأن يكتبوا عن اليهود المعاصرين ، وأن يكون هدف كتاباتهم هو الإشارة إلى مَقاتل اليهود ، ويمكن الكتابة عن جرائمهم البشعة التي اقترفوها في عصرنا في أنحاء العالم ، أما الكتابة عن تاريخ اليهود وحروبهم مع الكنعانيين وغيرهم وعن أنبيائهم وحاخاماتهم كما

جاء في كتبهم وعن عاداتهم وتقاليدهم وأعيادهم وأزيائهم، فقد تكررت هذه الكتابات حتى أصبحنا نشعر بالقرف منها ومن كاتبيها ومروّجيها .

المسيح الدجال أول العلامات الكبرى

إن ظهور المسيح الدجال هو من العلامات الكبرى التي تسبق قيام الساعة أو القيامة ، وظهور الدجال هو أول العلامات الكبرى خروجاً ، وقد جاء ذلك في الحديث الصحيح.

٦٦٧- عن مروان بن الحكم وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : (إنّ أوّلَها خروجاً الدجال) - رواه مسلم في الفتن باب في خروج الدجال ، وأبو داود في الملاحم - أي أول الفتن الكبرى أو العلامات الكبرى ، وكذلك نصّت الأحاديث الصحيحة الواردة في (الملحمة الكبرى مع الروم) على أن الدجال يظهر بعد الملحمة ، ومعنى ذلك أن ظهوره هو ظهور أول العلامات الكبرى ، وقد اقترب ميعاد ظهوره كما دلت الأحاديث الشريفة .

زمن خروج الدجال

مَرّ بنا في بحث القتال الأخير مع الروم في حديث رواه مسلم والإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن الدجال يظهر بعد قتال بين المسلمين والروم ينتهي بهزيمة الروم وفتح القسطنطينية وعودة الجيش الإسلامي إلى بلاده ، وربما كان خروج الدجال بعد عودة الجيش الإسلامي بأربعة أشهر ، وهذا الزمن وإن كان مستخلَصاً من أحاديث معلولة إلا أن هذا الزمن يقارب الزمن الذي نقدّره تقديراً اعتماداً على الأحاديث الصحيحة التي ذكرت الأحداث دون أن تنص على ذكر الزمن ، وهناك حديث حسن ذكر أن خروج الدجال يكون بعد انتصار الإسلاميين على المنافقين في أرض العرب وانجلاء فتنة الدهيماء .

إغلاق باب التوبة مع خروج الدجال

٦٦٨- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (ثلاثٌ إذا خَرَجْنَ لا يَنْفعُ نَفْساً إيمانُها لم تكن آمنتْ مِنْ قَبْلُ أوْ كَسَبتْ في إيمانها خيراً : طلوعُ الشمس من مَغْرِبها ، والدجالُ ، ودابّةُ الأرض) رواه الإمام أحمد في مسنده : ٢ ، ومسلم في الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يُقْبل فيه الإيمان ، والترمذي في التفسير باب : ومن سورة الأنعام /٣٠٧٤/ - فباب التوبة سوف يُغْلَق مع ظهور الدجال ، وإن المسلم الذي لم يَتُبْ إلى الله تعالى توبةً صادقة سوف يلحق بالدجال ، فعلى المسلمين أن يتوبوا قبل فوات الأوان .

٦٦٩- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (بادِروا بالأعمال سِتاً : طُلوعَ الشمس من مَغْربها أوِ الدخانَ أوِ الدجالَ أوِ الدابةَ أوْ خاصّةَ أحَدِكم أوْ أمْرَ العامّة) - الإمام أحمد في مسنده: ٣٣٧/٢، ٣٧٢، ومسلم في الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال ، وفي رواية لمسلم استُعْمِلَ فيها حرف العطف الواو بدلاً من: أو وكلمة (خَوَيّصة) بدلاً من (خاصة) ولا يتغير المعنى بذلك- وخاصّة أحدكم : ما يخصّه وأراد الموت الذي يخصه ويمنعه من العمل إن لم يبادر به قبله ، والله أعلم .

ثلاثُ سنواتٍ مَحْلٍ تسبق الدجال

جاء في حديث رواه ابن ماجه عنٍ أبي أمامة الباهلي ﷺ – سوف يأتي ورقمه ٦٧٦: (وإنّ قَبْلَ خروجِ الدجالِ ثَلاثَ سنواتٍ شِدادٍ ، يصيب الناس فيها جوع شديد ، يأمر اللهُ السماءَ في السنة الأولى أن تحبس ثُلُثَ مَطَرِها ، ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نَباتها ، ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كلّه، فلا تقطر قطرة ، ويأمر الأرضَ فتحبس نباتها كلّه ، فلا تُنْبِت خضراءَ ، فلا تبقى ذاتُ ظِلْفٍ إلا هَلَكتْ إلا ما شاء الله) وذوات الأظلاف هي البهائم التي يعتمد المسلمون على لحومها وألبانها وصوفها ، ووردت هذه الأخبار بكاملها في حديث رواه الإمام أحمد عن أسماء بنت يزيد الأنصارية ﷺ (وسوف يأتي برقم ٦٧٢) .

خروج الدجال في خِفّةٍ من الدّين

جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ - سوف يأتي برقم ٦٧٤ -: (يخرج الدجال في خِفّةٍ من الدّين وإدبارٍ من العِلْم) وهذا الحديث رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي ، وهو يوافق الأحاديث النبوية الصحيحة ، وخفة الدين رقته وضعفه ولينه ، والعلم المقصود هو العلم الشرعي ، والمقصود أن الناس يكونون ضعيفي الإيمان غير مكترثين بدراسة أمور دينهم والتزامها ، والحكم هنا على الأغلبية وليس على المسلمين جميعاً ، لأن الأحاديث النبوية الصحيحة قد نصت على أن الأرض لا تخلو من وجود طائفة مؤمنة تجاهد في سبيل الله تعالى لا يردها عن الحق جور جائر حتى قيام الساعة.

فالدجال يخرج بعد انتصار الإسلاميين على الروم وبعد انتصارهم على المنافقين ، ولكن هذا الانتصار لا يعني أن المنافقين والفاسقين والعصاة من المسلمين قد هلكوا ولم يَبْقَ لهم أثَرٌ، وإنما يعني أن الانتصار المذكور هو انتصار

عسكري يتَمَخَّضُ عن تحقيق العزة والمنعة للإسلام والمسلمين ويُعْلي راية التوحيد راية لا إله إلا الله محمد رسول الله وينكِّسُ راياتِ الكفر والشرك والفسوق والعصيان التي كانت مرتفعة فوق بلدان المسلمين العرب ، ويَدْفَعُ شَراذِمَ المنافقين والعُصاة والفاسقين من المحسوبين على الإسلام إلى الاختفاء في الجُحور ، ومِنْ قَبْلُ رفع محمد ﷺ والخلفاء الراشدون من بعده ﷺ لواء الإسلام عزيزاً منيعاً ولم تتطهرِ الأرض العربية من أدْرانِ المنافقين والعصاة والفاسقين وأجلاف البدو الذين لم يَنْفَذِ الإيمانُ إلى قلوبهم القاسية المتحجرة.

فهذا هو الحال الذي سيكون عليه المسلمون عند خروج الدجال ، وسوف يهرع المنافقون والعصاة والفاسقون وأجلاف البدو إلى الإيمان به رباً والانضمام إلى جيشه المؤلف من اليهود والشياطين وضعيفي الإيمان .

الدجال يخرج من المشرق

لقد أشار رسول الله ﷺ في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها إلى أن الدجال يخرج من المشرق ، وهذا الحديث صحيح ، رقمه /٦٧٥ / وورد في الحديث التالي أنه يخرج من خراسان في إيران:

٦٧٠-عن أبي بكر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إنّ الدجالَ يَخْرُج من أرضٍ بالمَشْرِق يقال لها : خراسان ، يَتْبعه أقوامٌ كأنّ وجوهَهم المَجانُّ المُطْرَقةُ) رواه الإمام أحمد في مسنده : ١ ، والترمذي في الفتن باب ما جاء من أين يخرج الدجال حديث/٢٢٣٨/، وابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال حديث٢: ٤٠٧٢/ ١٣٥٣، ١٣٥٤/ وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وفي الباب عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما- وأرى أن هذا الحديث وغيره من الأحاديث الكثيرة التي شبهت وجوه تابعيه بالمجان المطرقة يدل على أن الدجال يتجول في المناطق الشرقية من قارة آسيا وفي اليابان ويتبعه أقوام من تلك المناطق ، لأن هذا الوصف ينطبق على أبناء العِرْق الأصفر .

٦٧١- وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (يأتي المسيحُ مِنْ قِبَلِ المشرق هِمّتُه المدينةُ حتى يَنزِلَ دُبُرَ أحُدٍ ، ثم تَصْرِفُ الملائكةُ وَجْهَهُ قِبَلَ الشام، وهنالك يَهْلِكُ) - رواه الإمام أحمد في مسنده : ٢ ، ومسلم في الحج باب صيانة المدينة ، وهو قطعة من حديث عند الترمذي في الفتن باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة رقم٢٢٤٤- وسوف يمر بنا حديث صحيح-٧١٥- ينص على أن الدجال سوف يتبعه سبعون ألفاً من يهود أصبهان ، فمعظم أتباع الدجال سوف

يكونون من اليهود ومن أبناء العرق الأصفر .

الدجال يَدّعي النّبوةَ أوّلاً ثم الألوهيّة

إن الدجال يزعم في بداية أمره أنه نبي ، وأنه المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام ثم يزعم الدجال أنه رب العالمين خالق الكون والبشر ، ويدعو الناس إلى الإيمان بألوهيته معتمداً على الصلاحيات التي منحها الله سبحانه وتعالى له ، ليختبر الله عز وجل بذلك صدق إيمان المسلمين ومدى إخلاصهم لربهم سبحانه وتعالى .

أفعال الدجال

٦٧٢- عن أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها قالت : كان رسول الله في بيتي ، فذكر الدجال فقال : (إنّ بَيْنَ يديه ثلاثَ سنين : سنة تُمْسِكُ السماءُ ثُلُثَ قَطرِها والأرضُ ثلثَ نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ضِرْسٍ ولا ذات ظِلف من البهائم إلا هلكتْ ، وإنّ أشَدّ فِتْنته أنْ يأتيَ الأعرابيّ فيقول : أرأيتَ إنْ أحييتُ لك إبلك كأحسن ما تكون ضروعها وأعظُمها أسْنِمةً. قال : ويأتي الرجلَ قد مات أخوه ومات أبوه فيقول : أرأيتَ إن أحييت أباك وأحييت لك أخاك ألستَ تعلم أني ربك ؟ فيقول : بلى . فتُمَثّلُ له الشياطينُ نَحْوَ أبيه ونحو أخيه) قالت : ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجة ثم رجع ، قالت : والقوم في اهتمام وغم مما حدثهم به ، قالت : فأخذ بلجمتي الباب وقال (مهيم أسماء) قالت : يا رسول الله قد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال . قال : (فإن يخرج وأنا حي فأنا حجيجه ، وإلا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن) قالت أسماء : يا رسول الله ، والله إنا لنعجن عجينتنا فما نختبزها حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ ؟! قال رسول الله ﷺ (يجزئهم ما يجزئ أهل السماء من التسبيح والتقديس) - رواه الإمام أحمد في مسنده: ٦/ ٤٥٥، ٤٥٦-.

لجمتا الباب : خَشَبتا الباب اللتان يُغْلَق بهما. مهيم : كلمة يمانية تعني : ما أمركم وشأنكم ، يجزئ : يكفي . نحو أبيه : رجل في مثل شكل أبيه فيظنه أباه .

٦٧٣- عن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال : ذكر رسولُ الله ﷺ الدجالَ ذاتَ غداةٍ ، فخفّضَ فيه ورفّع حتى ظنناه في طائفة النخل ، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا ، فقال : (ما شأنكم) قلنا : يا رسول الله ذكرتَ الدجالَ غداةً فخفضتَ فيه ورفّعتَ حتى ظنناه في طائفة النخل . فقال : (غيرُ الدجال أخْوَفُني عليكم ، إنْ

يخرُجْ وأنا فيكم فأنا حَجيجُه دُونكم ، وإنْ يخرُجْ ولستُ فيكم فامْرُؤ حَجِيجُ نَفسِه ، والله خليفتي على كل مسلم ، إنه شابٌ قَطَطٌ ، عينُه طافئة ، كأني أشبّهه بعبدِ العزّى بنِ قَطَنٍ ، فمن أدركه منكم فليقرأ عليه فَواتحَ سورةِ الكهف ، إنه خارج خَلَّةٍ بين الشام والعراق ، فعاث يميناً وعاث شِمالاً ، يا عِبادَ اللهِ فاثْبُتوا) قلنا : يا رسول الله وما لَبْثُه في الأرض ؟ قال : (أربعون يوماً ، يومٌ كسنةٍ ويومٌ كشهرٍ ويومٌ كجمعةٍ ، وسائرُ أيامه كأيامكم) قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة أتكفينا فيه صلاةُ يومٍ ؟ قال : (لا، اقْدُروا له قَدْرَهُ) . قلنا: يا رسول الله وما إسراعُه في الأرض قال: (كالغيث اسْتَدْبَرَتْه الريحُ، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماءَ فتُمْطِرُ ، والأرضَ فتُنْبِتُ، فتَرُوحُ عليهم سارِحَتُهم أَطْوَلَ ما كانت دَرّاً وأَسْبَغَه ضُرُوعاً وأَمَدّهُ خَواصِرَ، ثم يأتي القومَ فيدعوهم فيَرُدّون عليه قوله ، فينصرف عنهم ، فيصبحون مُمْحِلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخَرِبة فيقول لها : أخرجي كنوزك ، فتتبعه كنوزها كيَعاسِيبِ النحل ، ثم يدعو رجلاً ممتلئاً شباباً ، فيضربه بالسيف، فيَقْطعه جِزْلتين رَمْيَةَ الغرض ، ثم يدعوه فيُقْبِل ويتهلل وجهه يضحك ، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم فينزل عند المنارةِ البيضاء شرقي دمشق بين مَهْرُودَتَين واضعاً كفيه على أجنحة مَلكَين ، إذا طَأْطأ رأسه قطر ، وإذا رفعه تحدّرَ منه جُمانٌ كاللؤلؤ ، فلا يَحِلُّ لكافر يجدُ ريحَ نَفَسه إلا مات ، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طَرْفَه ، فيطلبه حتى يدركه بباب لُدٍّ فيقتله ، ثم يأتي عيسى ابن مريم قوم قد عصمهم الله منه - أي من الدجال - فيمسح عن وجوههم ويحدثهم بدرجاتهم في الجنة ، فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى : إني قد أخرجت عباداً لي ، لا يَدانِ لأحدٍ بقتالهم ، فحرِّزْ عبادي إلى الطور ، ويبعث الله يأجوجَ ومأجوج وهم مِنْ كل حَدَبٍ يَنْسِلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها ، ويمر آخرهم فيقولون : لقد كان بهذه مَرَةً ماءٌ ، ويُحْصَرُ نبيّ الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأسُ الثور لأحدهم خيراً من مائة دينار لأحدكم اليوم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه ، فيرسل الله عليهم النَّغَفَ في رِقابهم ، فيصبحون فرْسَى كموت نفس واحدة ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض ، فلا يجدون في الأرض مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا ملأه زَهَمُهم ونَتَنُهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسلِ الله طيراً كأعناق البُخْتِ فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطراً لا يَكُنّ منه بيتُ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ ، فيغسل الأرض حتى

يتركها كالزَّلَفَةِ ، ثم يقال للأرض : أَنْبِتي ثمرتَكِ ورُدّي بَرَكتَكِ ، فيومئذ تأكل العصابة من الرّمّانة ، ويَسْتَظِلّون بِقحْفِها ، ويبارك في الرسل ، حتى أنّ اللّقْحةَ من الإبل لتكفي الفئام من الناس ، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس ، واللقحة من الغنم لتكفي الفَخِذَ من الناس ، فبينما هم كذلك ، إذ بعث الله ريحاً طيبةً فتأخذهم تحت آباطهم فتَقْبِض روح كلّ مؤمنٍ وكلّ مسلم ، ويبقى شرار الناس يَتهارجون فيها تهارُجَ الحُمُرِ ، فعليهم تقوم الساعة) .

وفي رواية زيادة بعد قوله (لقد كان بهذه مرةً ماء) هي : (ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمَر وهو جبل بيت المقدس ، فيقولون : لقد قتلنا من في الأرض ، هلم فلنقتلِ من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً) – رواه مسلم في الفتن باب ذكر الدجال وصفته وما معه ، واللفظ له ، وأبو داود رقم٤٣٢١ و٤٣٢٢ في الملاحم باب خروج الدجال ، والترمذي رقم٢٢٤١ في الفتن باب ما جاء في فتنة الدجال ، وابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال حديث٢: ٤٠٧٦، ٤٠٧٥/١٣٥٦-١٣٥٩، وفي رواية لابن ماجه زيادة (سيوقد المسلمون من قِسِيِّ يأجوج ومأجوج ونُشّابِهم وأَتْرِسَتِهم سبعَ سِنينَ) -.

قطط : شديد جعودة الشعر- كالغيث استدبرته الريح : هذه الصورة تمثل سرعته الفائقة- السارحة : المقصود بها الإبل والبقر والشياه التي تذهب إلى المراعي- تروح : تعود من المرعى- أطول ما كانت دراً وأسبغه ضروعاً : غزيرة اللبن- ممحلين : أي أصابهم المحل والقحط والجدب- الخربة : الدور المتهدمة- يعاسيب النحل : ذكورها- جزلتين : قطعتين- الغرض : هو الهدف الذي ينصب فيرمى فيه . ومعنى ذلك أن الدجال قد جعل الرجل كالهدف أي ضربه بالسيف كما يرمي الرامي هدفاً منصوباً أمامه- مهرودتان : حلتان مصبوغتان بالورس ثم بالزعفران ، والله أعلم- تحدر: سقط- لا يَدانِ لأحد بقتالهم: لا قدرة ولا استطاعة- حرّزْ عبادي إلى الطور: اصعد بعبادي إلى جبل الطور ، وحرز اجعلهم في حرز وهو المكان الحصين الذي يعصمهم من قوم يأجوج ومأجوج- الحَدَب : ما ارتفع من الارض وغلظ- يرغب نبي الله : يدعو- فرسى : هَلْكَى- النّغَفُ : دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدته نغفة- زهمهم ونتنهم: هما بمعنى واحد- الزلفة: المرآة- يتهارجون تهارج الحمر: أي يجامع الرجال النساء أمام الناس- البخت: جمالٌ طِوالُ الأعناق، معنى ذلك أن

الطيور ضخمة كالأعناق الطويلة في الإبل- بيت مدر: المقصود بيوت أهل المُدُنِ، وبيت الوبر: هو الخيام- القحف: نصف قِشْر الرمانة- الرّسْل: اللبن أي مايحلب من المواشي- الفئام: الجماعة الكثيرة- الفخذ من الناس: جزء من القبيلة- العصابة: الجماعة .

٦٧٤ - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال رسول الله ﷺ : (يخرج الدجال في خِفّةٍ من الدّينِ، وإدبارٍ من العلم ، وله أربعون ليلةً يَسِيحها في الأرض ، اليوم منها كالسنة ، واليوم منها كالشهر ، واليوم منها كالجمعة ، ثم سائر أيامه كأيامكم هذه ، وله حمار يركبه ، عرض ما بين أذنيه أربعون ذراعاً ، فيقول للناس : أنا ربكم . وهو أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه كافر ، ك ف ر، مُهَجّاة ، يقرؤه كلّ مؤمنٍ كاتبٍ وغيرِ كاتبٍ ، يرد كل ماء ومَنْهَلٍ إلا المدينة ومكة حرّمهما الله عليه ، وقامت الملائكة بأبوابها ، ومعه جِبالٌ من خبزٍ ، والناس في جهد إلا من اتّبعه، ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه ، نهر يقول له الجنة ، ونهر يقول النار ، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة . قال : ويبعث الله معه شياطينَ تكلم الناس ، ومعه فتنة عظيمة : يأمر السماء فتمطر فيما يرى الناس ، ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس ، ولا يسلّط على غيرها من الناس ، ويقول للناس : هل يفعل مثلَ هذا إلا الربّ ؟ . قال : فيفرّ المسلمون إلى جبل الدّخانِ بالشام ، فيأتيهم فيحاصرهم ، فيشتدّ حصارهم ، ويجهدهم جهداً شديداً ، ثم ينزل عيسى ابن مريم، فينادي من السّحرِ فيقول : يا أيها الناس ما يمنعكم من الخروج إلى الكذاب الخبيث ؟ فيقولون: هذا رجلٌ جنيّ، فينطلقون، فإذا هُمْ بعيسى ابن مريم عليه السلام فتقام الصلاة، فيقال له: تقدّم يا رَوْحَ اللهِ . فيقول: ليتقدمْ إمامُكم فيصلي بكم، فإذا صلوا صلاة الصبح خرجوا إليه، قال: فحين يراه الكذّابُ يَنماث كما ينماث الملح في الماء، فيمشي إليه فيقتله، حتى أن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله هذا يهودي: فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله) – رواه الإمام أحمد في مسنده: (٣/٣٦٧، ٣٦٨) ، وصححه الحاكم في المستدرك ، ورجاله ثقات ، قال الذهبي في تلخيص المستدرك٥٣٠: ٤ (وهو على شرط مسلم) ، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٤٤: ٧وقال: (رواه أحمد بإسنادين رجال أحدهما رجال الصحيح) -.

٦٧٥- عن فاطمة بنت قيس رضي الله عنها أخت الضحاك بن قيس أن رسول الله ﷺ جمع الناس للصلاة ثم جلس على المنبر وهو يضحك ، فقال : (ليلزمْ كلّ

إنسانٍ مُصَلاه . ثم قال: أتدرون لِمَ جمعتكم؟) قالوا الله ورسوله أعلم قال: (إني واللهِ ما جمعتكم لرغبة ولا لرهبة، ولكن جمعتكم لأن تميماً الداريّ كان رجلاً نصرانياً فجاء فبايع وأسلم ، وحدثني حديثاً وافق الذي كنت أحدثكم عن المسيح الدجال . حدثني أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلاً من لَخمٍ وجذامٍ ، فلعب بهم الموج شهراً في البحر ، ثم أرْفَؤوا إلى جزيرة في البحر حتى مغرب الشمس ، فجلسوا في أقرُبِ السفينة ، فدخلوا الجزيرة ، فلقيتهم دابةٌ أهلَبُ كثيرُ الشّعر ، لا يدرون ما قُبُله مِن دُبُرِه من كثرة الشعر ، فقالوا : ويلكِ ، ما أنت ؟ فقالت : أنا الجسّاسة ، قالوا : وما الجساسة ؟ قالت : أيها القوم انطلقوا إلى هذا الرجل في الدّير فإنه إلى خَبرِكم بالأشواق . قال : لمّا سمّت لنا رجلاً فرقنا منها أن تكون شيطانة قال : فانطلقنا سراعاً حتى دخلنا الدير ، فإذا فيه أعظمُ إنسانٍ رأيناه قطّ خَلقاً وأشدّه وثاقاً ، مجموعةٌ يداه إلى عنقه ، مابينَ ركبتيه إلى كعبيه بالحديد ، قلنا : ويلك ، ما أنت ؟ قال : قد قدرتم على خبري فأخبروني ما أنتم ؟ قالوا : نحن أناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فصادفنا البحر حين اغتلَم فلعب بنا الموج شهراً ، ثم أرفأنا إلى جزيرتك هذه ، فجلسنا في أقرُبها فدخلنا الجزيرة ، فلقيتْنا دابةٌ أهلبُ كثيرُ الشعر لا يدرى ما قبله من دبره من كثرة الشعر ، فقلنا : ويلك ما أنت ؟ فقالت : أنا الجساسة . قلنا : وما الجساسة ؟ قالت : اعمدوا إلى هذا الرجل في الدير فإنه إلى خبركم بالأشواق ، فأقبلنا إليك سراعاً ، وفزعنا منها ، ولم نأمَنْ أن تكون شيطانة ، فقال : أخبروني عن نخل بيسان . قلنا: عن أي شأنها تستخبر ؟ قال : أسألكم عن نخلها هل يثمر ؟ قلنا له : نعم . قال : أما إنه يوشك أن لا يثمر . قال : أخبروني عن بحيرة الطبرية . قلنا : عن أيّ شأنها تستخبر ؟ قال : هل فيها ماءٌ ؟ قالوا : هي كثيرة الماء . قال : أما إن ماءها يوشك أن يذهب . قال : أخبروني عن عين زُغرَ ؟ قالوا : عن أيّ شأنها تستخبر ؟ قال : هل في العين ماءٌ ؟ وهل يزرع أهلها بماء العين ؟ قلنا : نعم ، هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون من مائها . قال : أخبروني عن نبيّ الأميين ما فعل ؟ قالوا : قد خرج من مكة ونزل يثربَ . قال : أقاتله العربُ ؟ قلنا : نعم . قال : كيف صنع بهم ؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه . قال : قد كان ذلك؟ قلنا : نعم . قال : أما إنّ ذاك خيرٌ لهم أن يطيعوه، إني مخبركم عني، إني أنا المسيح، وإني أوشك أنْ يؤذنَ لي في الخروج فأخرج ، فأسير في الأرض ، فلا أدعُ قرية إلا هبطتها في أربعين ليلة غير مكةَ وطيبةَ فهما محرّمتان عليّ

كلتاهما ، كلما أردتُ أنْ أدخل واحدة - أو : واحداً - منهما استقبلني ملكٌ بيده السيفُ صلْتاً يصدني عنها ، وإن على كل نقب منها ملائكةً يحرسونها) قالت : قال رسول الله ﷺ وطعنَ بمخْصَرتِه في المنبر : (هذه طيبةٌ هذه طيبة هذه طيبة - يعني : المدينة - ألا هل كنت حدثتكم ذلك ؟) فقال الناس : نعم قال : (فإنه أعجبني حديث تميم أنه وافق الذي كنت أحدثكم عنه وعن المدينةِ ومكةَ ، ألا إنه في بحر الشأم أو بحر اليمن ، لا بل من قِبل المشرق ما هو من قبل المشرق ما هو من قبل المشرق ، ما هو) وأومأ بيده إلى المشرق ، قالت : فحفظت هذا من رسول الله ﷺ - رواه الإمام أحمد في مسنده : (٦/٤١٨، ٤١٧، ٤١٦، ٤١٣، ٤١٢، ٣٧٤، ٣٧٣، ورواه مسلم في الفتن باب خروج الدجال ، والترمذي مختصراً في الفتن باب رقم (٦٦) حديث (٢٢٥٤) وقال : حسن صحيح غريب ، وابن ماجه مختصراً في الفتن باب فتنة الدجال وخروج عيسى ابن مريم وخروج يأجوج ومأجوج حديث٤٠٧٤: ٢/١٣٥٤ ، ١٣٥٥ وأبو داود مختصراً ومفرّقاً في الملاحم باب خبر الجساسة٤٣٢٥ ، ٤٣٢٦ ، ٤٣٢٧.

فَرِقْنا وفزِعْنا: شعرنا بالخوف- زغر: بلدة بمشارف الشام من أرض البلقاء- اغتلام البحر: اضطراب أمواجه واهتياجه- أهلبُ: الهلبُ: ما غلظ من الشعر، والأهلب: الغليظ الشعر الخشن- المخصرة: ما يتكأ عليها كالعصا أو القضيب أو السوط كانت تكون بيد الخطيب أو الملك إذا تكلم-.

٦٧٦- عن أبي أمامة الباهلي ﷺ قال : خطبنا رسول الله ﷺ فكان أكثر خطبته حديثاً حدثناهُ عن الدجال وحذرَناه ، فكان من قوله أنه قال : (إنه لم تكن فتنةٌ في الأرض منذ ذرأ الله ذريةَ آدم أعظم من فتنة الدجال ، وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذرَ أمتهُ الدجال ، وأنا آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم ، وهو خارجٌ فيكم لا محالة ، فإنْ يخرج وأنا بين ظهرانيكم فأنا حجيجٌ لكل مسلم ، وإنْ يخرج مِنْ بَعدي فكلّ امرئ حجيجُ نفسِه ، والله خليفتي على كل مسلم، وإنه يخرج من خلةٍ بين الشام والعراق ، فيعيث يميناً ويعيث شمالاً ، يا عباد الله فاثبتوا ، فإني سأصفه لكم صفةً لم يصفها إياه نبي قبلي ، إنه يبدأ فيقول : أنا نبي. ولا نبيّ بعدي، ثم يثني فيقول : أنا ربكم. ولا ترون ربكم حتى تموتوا ، وإنه أعورُ . وإن ربكم عز وجل ليس بأعور ، وإنه مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب ، وإن من فتنته أن معه جنة وناراً ، فناره جنة ، وجنته نار ، فمن ابتُلي بناره فليستغثْ بالله ، وليقرأ فواتح الكهف ، فتكون عليه بَرْداً وسلاماً ، كما كانت النار

على إبراهيم ، وإن من فتنته أن يقول لأعرابي : أرأيت إن بعثت لك أباك وأمك أتشهد أني ربك ؟ فيقول : نعم . فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه ، فيقولان: يا بني اتبعه فإنه ربك. وإن من فتنته أن يسلّطَ على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يُلقى شقّين ، ثم يقول : انظروا إلى عبدي هذا فإني أبعثه الآن ثم يزعُم أن له رباً غيري. فيبعثه الله ، فيقول له الخبيث : مَن ربك ؟ فيقول : ربي الله وأنت عدّو الله ، أنت الدجال ، والله ما كنتُ بعدُ أشدّ بصيرةً بك مني اليوم) – وهنا يروي ابن ماجه عن أبي سعيد ﷺ قول رسول الله ﷺ : (ذلك الرجلُ أرفع أمتي درجةً في الجنة) ونعود إلى متابعة سردِ الحديث : (وإنّ مِن فتنته أنْ يأمر السماءَ أنْ تمطر فتمطر ، ويأمر الأرضَ أن تُنبت فتنبت ، وإن من فتنته أن يمر بالحيّ فيصدّقوه ، فيأمر السماء أن تمطر ، ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت ، حتى تروحَ مواشيهم مِن يومهم ذلك أسمنَ ما كانت وأعظمهُ وأمدّهُ خواصِرَ وأدرّه ضُروعاً ، وإنه لا يبقى شيء من الأرض إلا وطِئه ، وظهر عليه إلا مكة والمدينة ، فإنه لا يأتيهما من نقبٍ من نقابهما إلا لقيته الملائكة بالسيوف مصلّتةً حتى ينزل عند الظّريب الأحمر ، عند منقطع السّبخة ، فترجف المدينةُ بأهلها ثلاثَ رجفاتٍ ، فلا يبقى منافقٌ ولا منافقة إلا خرج إليه ، فتنفي الخبَثَ منها كما ينفي الكيرُ خَبثَ الحديد ، ويدعى ذلك اليوم يومَ الخلاص) فقالت أم شريك بنت أبي العكر : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال: (هم يومئذ قليل ، وجلّهم ببيت المقدس ، وإمامهم رجل صالح ، فبينما إمامهم قد تقدم يصلي الصبح إذ نزل عليهم عيسى ابن مريم، فيرجع ذلك الإمام ينكص ، يمشي القهقرى ليقدم عيسى يصلي بالناس ، فيضع عيسى عليه السلام يده بين كتفيه ثم يقول له : تقدّم فصلّ ، فإنها أقيمت لك ، فيصلي بهم إمامهم ، فإذا انصرف قال عيسى عليه السلام : افتحوا الباب ، فيفتح ووراءه الدجال ومعه ألف يهودي ، كلّهم ذو سيفٍ محلّى وساج، فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء ، وينطلق هارباً ، ويقولُ عيسى: إن لي فيك ضربةً تستبقى بها ، فيدركه عند باب اللّد الشرقيّ فيقتله ، فيهزم الله اليهود ، فلا يبقى شيء مما خلق الله يتوارى به يهوديّ إلا أنطقَ الله ذلك الشيء لا حجرٌ ولا شجر ولا حائط ولا دابة ، إلا الغرقدة فإنها من شجرهم لا تنطق ، إلا قال : يا عبد الله المسلم هذا يهوديّ فتعال فاقتله) .

قال رسول الله ﷺ (إن أيامه أربعون سنة ، السنة كنصف السنة، والسنة

كالشهر ، والسنة كالجمعة ، وآخر أيامه كالشررة ، يصبح أحدكم على باب المدينة فلا يبلغ بابها الآخر حتى يمسي) فقيل له : يا رسول الله كيف نصلي في تلك الأيام القصار ؟ قال (تقدرون فيها الصلاة كما تقدرونها في هذه الأيام الطوال ، ثم صلوا) قال رسول الله ﷺ : (فيكون عيسى ابن مريم عليه السلام في أمتي حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً يدق الصليب ويذبح الخنزير ويدع الجزية ويترك الصدقة ، فلا يسعى على شاة ولا بعير ، وترفَع الشحناءُ والتباغضُ ، وتنزع حمة كل ذات حمة حتى يدخل الوليدُ يده في الحية فلا تضره ، وتفر الوليدة الأسد فلا يضرها ، ويكون الذئب في الغنم كأنه كلبها ، وتملأ الأرض من السلم كما يملأ الإناء من الماء، وتكون الكلمة واحدة فلا يُعبدُ إلا الله تعالى ، وتضع الحرب أوزارها ، وتسلبُ قريشٌ ملكها ، وتكون الأرض كفاثور الفضة ، تنبت نباتها بعهد آدم حتى يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم ، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم ، ويكون الثور بكذا وكذا من المال ، وتكون الفرس بالدريهمات) قيل : يا رسول الله وما يرخص الفرَس ؟ قال : (لا تُرْكب لحربٍ أبداً) قيل له : فما يُغلي الثور ؟قال: (تحرث الأرض كلها ، وإنّ قبل الدجالِ ثلاثَ سنواتٍ شدادٍ ، يصيب الناس فيها جوعٌ شديد ، يأمر الله السماء في السنة الأولى أن تحبس ثلث مطرها ويأمر الأرض أن تحبس ثلث نباتها ثم يأمر السماء في السنة الثالثة فتحبس مطرها كله، فلا تقطر قطرة، ويأمر الأرض فتحبس نباتها كله فلا تنبت خضراء ، فلا تبقى ذات ظلف إلا هلكت إلا ما شاء الله) فقيل : فما يعيش الناس في ذلك الزمان؟ قال: (التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام) - ابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال حديث ٤٠٧٧: ١٣٥٩/٢ إلى ١٣٦٣-.

٦٧٧ - عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما : ذكر النبيّ ﷺ يوماً بين ظهري - وفي نسخة : ظهراني - الناس المسيح الدجال فقال : (إنّ الله ليس بأعور ، ألا إن المسيح الدجال أعور العين اليمنى ، كأن عينه عنبةٌ طافية ، وأراني الليلة عند الكعبة في المنام ، فإذا رجل آدم ، كأحسن ما يرى من أدمِ الرجال تضرب لمّته بين منكبيه رجلُ الشّعر يقطر رأسه ماءً واضعاً يديه على منكبي رجلين وهو يطوف بالبيت، فقلت: من هذا؟ فقالوا: هذا المسيح ابن مريم، ثم رأيت رجلاً وراءه جعداً قططاً أعور العين اليمنى كأشبه من رأيت بابن قطنٍ واضعاً يديه على منكبي رجلٍ يطوف بالبيت ، فقلت : من هذا ؟ قالوا : المسيح الدجال) -

البخاري في بدء الخلق باب واذكر في الكتاب مريم .. - ٦٧٨ عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : حدثنا رسول الله ﷺ يوماً حديثاً طويلاً عن الدجال ، فكان فيما حدثنا قال : (يأتي وهو محرمٌ عليه أن يدخلَ نقاب المدينة فينتهي إلى بعض السّباخ التي تلي المدينة فيخرج إليه يومئذ رجلٌ هو خير الناس -أو : من خير الناس - فيقول له أشهد أنّك الدجالُ الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه ، فيقول الدجال : أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته أتشكّون في الأمر ؟ فيقولون لا. فيقتله ، ثم يُحييه ، فيقول حين يحييه : والله ما كنت فيك قط أشد بصيرةً مني الآن. قال فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلّطُ عليه) - رواه البخاري في الفتن باب لا يدخل الدجال المدينة ، وفي فضائل المدينة باب لا يدخل الدجال المدينة ، ومسلم في الفتن باب صفة الدجال وتحريم المدينة عليه، واللفظ له ، والإمام أحمد في مسنده: ٣-.

٦٧٩ - وعن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال : (يخرج الدجال فيتوجّه قبله رجلٌ من المؤمنين ، فتلقاه المسالحُ، مسالح الدجال ، فيقولون له : أين تَعمدُ؟ فيقول : أعمدُ إلى هذا الذي خرج. قال فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا ؟ فيقول: ما بربنا خفاءٌ ، فيقولون : اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض : أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحداً دونه ؟قال : فينطلقون به إلى الدجال فإذا رآه المؤمن قال : يا أيها الناس هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. قال : فيأمر الدجال به فيشجّ، فيقول : خذوه وشجّوه ، فيوسع ظهره وبطنه ضرباً . قال : فيقول : أو ما تؤمن بي؟ قال : فيقول : أنت المسيح الكذاب . قال : فيؤمرُ به فيؤشرُ بالمنشار من مفرقه حتى يفرّق بين رجليه . قال : ثم يمشي الدجال بين القطعتين ثم يقول له : قم فيستوي قائماً قال : ثم يقول له : أتؤمن بي ؟ فيقول : ما ازددتُ فيك إلا بصيرةً ، قال : ثم يقول : يا أيها الناس إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس ، قال : فيأخذه الدجال ليذبحه ، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقُوَتِه نحاساً ، فلا يستطيع إليه سبيلاً، قال : فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقي في الجنة. فقال رسول الله ﷺ: هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين) — رواه مسلم في الفتن باب في صفة الدجال - .

٦٨٠- عن أنس بن مالك وأبي بكرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ : (تحرُسُ الملائكة المدينة من الدجال) - البخاري في بدء الخلق باب إذا قال أحدكم : آمين -.

٦٨١- عن أبي بكرة ﷺ عن النبي ﷺ : (لا يدخلُ المدينة رعبُ المسيح ، لها يومئذ سبعة أبواب ، على كل- أو : لكل- باب مَلَكان) - البخاري في الفتن باب ذكر الدجال وفي الحج باب لا يدخل المدينة الدجال وفي غيرهما ، والترمذي في الفتن باب ما جاء في الدجال لا يدخل المدينة رقم٢٢٤٤-.

٦٨٢- عن أنس بن مالك ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (ليس من بلدٍ إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة ، وليس نقبٌ من أنقابها إلا عليه الملائكة صافّين تحرسها ، فينزل بالسّبخة ، فترجف المدينة ثلاث رجفاتٍ يخرج إليه منها كلّ كافر ومنافق) وفي رواية (فيأتي سَبخةَ الجُرفِ فيضرِب رِواقه) وقال (فيخرج إليه كل منافق ومنافقة).

- البخاري في الحج باب لا يدخل الدجال المدينة بنحو الرواية الأولى وفي فضائل المدينة ، ومسلم في الفتن باب قصة الجساسة واللفظ له ، وأبو داود في الملاحم باب في خبر الجساسة حديث ٤٣٢٥ و٤٣٢٦ و٤٣٢٧والترمذي في الفتن٢٢٥٤ ورواه أبو داود في الملاحم باب في خبر الجساسة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما وإسناده حسن٤٣٢٨والإمام أحمد بنحوه في مسنده: ٣-.

٦٨٣- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: أشرف رسول الله ﷺ على فلق من أفلاق الحرّة ونحن معه ، فقال: (نعمتِ الأرضُ المدينة ، إذا خرج الدجال على كل نقبٍ من أنقابها ملكٌ ، لا يدخلها ، فإذا كان كذلك رجفت المدينة بأهلها ثلاث رجفاتٍ لا يبقى منافق ولا منافقة إلا خرج إليه ، وأكثر من يخرج إليه النساء وذلك يوم التخليص ، وذلك يوم تنفي المدينة الخَبثَ كما ينفي الكير خبث الحديد ، يكون معه سبعون ألفاً من اليهود ، على كل رجل منهم ساجٌ وسيفٌ محلّى ، فتضرب رقبته بهذا الضرب الذي عند مجتمع السيول) - ملاحظة : لم أفهم معنى الجملة الأخيرة وأظن أن هناك حذفاً أو شيئاً ما صنع هذا الاضطراب أو أنه إشارة إلى مكان قتل الرجل المؤمن ثم قال رسول الله ﷺ : (ما كانت فتنةٌ ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من فتنة الدجال ، ولا من نبيّ إلا وقد حذر أمته ، ولا خبّرتكم بشيء ما أخبره نبيّ أمته قبلي) - يوجد هنا خطأ من المطبعة على الأرجح والصواب هو (ألا أخبركم ...) كما سيأتي في الحديث /٦٨٥- ثم وضع يده على عينه ثم قال: (أشهد أن الله عز وجل ليس بأعور) - الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

الدجال أو المسيح الدجال إنسان على صورة بني آدم يخرج بعد انتهاء

الملحمة الكبرى مع الروم ، وقد منحه الله سبحانه وتعالى القدرة على إتيان الخوارق ، وهو يدّعي النبوة أولاً ثم يدّعي الألوهية ، والمؤمنون به يكونون في رفاهية ونعيم ، فهو يأمر السماء بأن تمطر لهم ، ويأمر الأرض بالخصب ، فتنبت الأرض لهم الخيرات الوفيرة ، ويبارك لهم في مواشيهم فتسمن وتلد وتحفل ضروعها باللبن الغزير ، ويُخرج الدجال كنوز الأرض ويمنح منها ما يشاء للمؤمنين به ، ويحيى لهم ما مات من مواشيهم في سنوات القحط ، ومعه خبز كثير يوزّعه على من يجاريه من ضحايا القحط والجوع ، وإذا ما طلبوا منه إحياء من مات لهم من آبائهم وإخوانهم وأصحابهم وأحبائهم فإنه يقف بجانب قبورهم ويناديهم ، فيخرج من القبور شياطين على صور الموتى ، فمعجزة إحياء الموتى لا تعطى للدجال ، ولكن الشياطين يخرجون من القبور وقد أصبح كل واحد منهم على صورة الميت المطلوب إحياؤه ، وباختصار يعيش المؤمنون بالدجال في رفاهية ويتحقق لهم كل ما يطلبون وما يشتهون ولكن سخط الدجال يصبّ على من يكفر به ولا يؤمن به ، فهو يأمر السماء بألا تمطر ويأمر الأرض بألا تنبت شيئاً ، فيصبح هؤلاء فريسة جوع قاتل وتموت مواشيهم وحيواناتهم كافة ، ومع الدجال جنة ونار ، يلقي في جنته المؤمنين به ويلقي في ناره الكافرين به، وقد نصت الأحاديث الصحيحة على أن ناره جنة وعلى أن جنته نار ، ولم تذكر الأحاديث الكثيرة أن أحداً يخرج من نار الدجال أو من جنته ، ولكن الأحاديث نصت على أن جنته نار محرقة ، وأن ناره جنة ، ولذلك أستخلص أن من يلقى في جنة الدجال يحترق ويموت ويكون من الكافرين يوم الحساب ، أما من يلقى في نار الدجال فإن الملائكة تأخذه إلى الجنة ، ولا يتعرض للحساب يوم القيامة لأنه قد فاز في الامتحان ، والله أعلم .

وإن مع الدجال سبعين ألفاً من يهود أصبهان وتتبعه الشياطين ويتبعه بعض المؤمنين به ، ولا بد أن يتعرض هؤلاء لإيذاء بعض ضعيفي الإيمان ، أما المؤمنون الصادقون فهم في عصمة من الدجال وشياطينه ومرافقيه .

والدجال سريع في تنقله حينما يعزم على السير ، فقد جاء في حديث رواه مسلم وغيره عن النواس بن سمعان ﷺ عن سرعة الدجال في الأرض أنها (كالغيث اسْتدبَرتْهُ الريح) فهو يمر كالغيوم التي تدفعها الرياح ، فسرعته عظيمة ، ولقد ورد في حديث جابر بن عبد الله ﷺ الذي رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي : (وله حمار يركبه ، عرض ما بين أذنيه أربعون

ذراعاً)، وأغلب الظن أن حمار الدجال عظيم الخلقة ، فالحمار الذي تكون المسافة ما بين أذنيه أربعة وعشرين متراً- أي ما يعادل أربعين ذراعاً هاشمياً- هو حمار ضخم مخيف ، ولقد قرأت في حديث فقدته أن حمار الدجال يبلغ بكل خطوة من خطواته منتهى الأفق ، ويكفينا أن نعلم أن سرعته كسرعة الغيوم التي تسوقها الرياح .

والدجال يمر بالدنيا كلها ، ولا تسلم منه أرض ، ولا ينجو من شره قوم إلا المدينة المنورة ومكة المكرمة فهما محرمتان عليه فلا يدخلهما ، ولكنه يعيث فساداً فيما بين الشام والعراق ، ويبدو أنه يمر بين الشام والعراق طولاً وعرضاً ، ويبدو أنه يمكث طويلاً ما بين الشام والعراق ، فيتجه غرباً ليمر ببلاد الشام إلى البحر ثم يستدير شرقاً حتى يبلغ آخر حدود العراق ثم يستدير غرباً حتى يصل إلى البحر وهكذا حتى لا تبقى بقعة من بلاد الشام والعراق دون أن يمر بها ، وهكذا يُجري على بلاد الشام والعراق مثل ما يسمى بالمسح الجغرافي أو المسح الطوبوغرافي فلا تسلم منه أرضٌ في ذهابه وإيابه في هذين البلدين ، وهذا ليس بغريب ولا بعجيب لأن الشام نواة دولة الخلافة الإسلامية الموعودة وتكون الدولة الإسلامية قائمةً أثناء ظهوره ، ولذلك يصبّ أذاه على الشام والعراق أملاً بأن يضلّ المسلمين ويدفعهم إلى الإيمان به ، والله أعلم .

إن الدجال امتحان عظيم شديد لأهل الشام (سورية ولبنان وفلسطين والأردن) بخاصة ولأهل الكرة الأرضية بعامة .

الدجال يقتل رجلاً واحداً

وإنّ من فضل الله وإنعامه على الأمة الإسلامية أنه سبحانه وتعالى لم يمنح الدجال سلطة قتل الناس ، وإنما سمح له بأن يقتل رجلاً واحداً فحسب يخرج له من المدينة المنورة طيّب الله ثراها، وسمح له أن يحييه، ثم يطلب منه الإيمان به فلا يستجيب، فيريد الدجال أن يقتله فينجيه الله سبحانه وتعالى من شر الدجال، فلا يتمكن من قتله، وهكذا نرى الدجال وكأنه لم يقتل أحداً ولله الحمد والشكر، فلو أن الله سبحانه وتعالى قد منح الدجال سلطة القتل لكانت فتنة أعظم مما هي عليه مع أنها أعظم الفتن .

فحديث أبي سعيد الخدري الصحيح ينص على أن الرجل الذي سوف يقتله الدجال هو خير الناس أو من خير الناس ، ويرى بعضهم أن هذا الرجل هو الخضِرُ عليه الصلاة والسلام ، والمهم أن الرجل يخرج إلى الدجال من المدينة

المنورة لتكذيبه وللجهر في وجهه وأمام أتباعه بأنه ليس إلهاً ، وإنما هو الدجال الذي أخبر عنه رسول الله ﷺ ، وهو يريد بذلك تنبيه المسلمين وإنقاذهم من الضلال وهدايتهم إلى الطريق القويم ، فيعزم الدجال على القيام بخوارق تجعل منافقي المدينة وأتباعه يؤمنون بألوهيته ، ويسألهم : هل يؤمنون بألوهيته إذا قتل الرجل ثم أحياه ، فيجيبون بالإيجاب ، فينشر الرجل بالمنشار من مفرقه حتى ينقسم إلى شطرين ، ويسير الدجال بين الشطرين ثم يحييه ويطلب منه الإيمان به، فيزداد الرجل صلابة وعناداً ويقول له : (والله ما كنت فيك قطّ أشدّ بصيرةً مني الآن) ، وينبه المسلمين ويبين لهم أن الدجال لن يستطيع أن يقتل رجلاً آخر بعده ، فيعزم الدجال على قتله فلا يسلّط عليه ، ويحميه الله من شره ، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاساً ، فلا يتمكن الدجال من ذبحه ، (فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به ، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار وإنما ألقي في الجنة . فقال رسول الله ﷺ : هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين) ، فهذا الرجل يعدّ شهيداً عند الله تعالى ويفوز بأكبر ثواب بين الشهداء ، وقد مر بنا في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما برواية الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي :

(ويقتل نفساً ثم يحييها فيما يرى الناس ولا يسلّط على غيرها من الناس)، ومر بنا في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه برواية ابن ماجه: (وإن من فتنته أنْ يسلّط على نفس واحدة فيقتلها وينشرها بالمنشار حتى يلقى شقّين) ثم يذكر أنه يحييه ويطلب منه الإيمان به فيكفر به .

وعلى هذا يكون الدجال ممنوحاً من الله سبحانه وتعالى القدرة على فعل الخوارق عدا القتل .

الدجال لا يدخل المدينة المنورة ولا مكة

مر بنا حديث أبي سعيد الخدري برواية البخاري ومسلم وأحمد وفيه : (يأتي الدجال المدينة وهو محرَّمٌ عليه أن يدخل نقاب المدينة) ، ومر بنا في حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها من قصة تميم الداري برواية مسلم أن رسول الله ﷺ ينص بوضوح على أن الدجال لا يدخل المدينة المنورة ، وورد في حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما الذي رواه الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي أن الدجال (يرد كلّ ماءٍ ومنهلٍ إلا المدينة ومكة حرّمهما الله عليه وقامت الملائكة بأبوابها) ومر بنا في بحث (المدينة المنورة لا يدخلها الطاعون) حديث أنس برواية البخاري وغيره وحديث جابر برواية الإمام أحمد وحديث

أبـي هريـرة بـرواية البخاري ومسلم وغيـرهما أن المدينـة المنورة لا يـدخلها الطاعون ولا الدجال – الأحاديث : ٤٦٨، ٤٦٧، ٤٦٦.

منافقو مكة والمدينة

حدّثتُ عن الدجال منذ مدة طويلة ، فقال لي بعضهم : إننا سوف نفر إلى مكة والمدينة حينما يظهر الدجال . فهل ينجو من الدجال من يفر إلى مكة والمدينة من ضعيفي الإيمان؟ بل هل ينجو ضِعافُ الإيمان القاطنون في مكة والمدينة ؟إن الأحاديث النبوية تجيب بأنه لن ينجو منافقو مكة والمدينة من الدجال.

٦٨٤- عن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (يجيء الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة، ثم ترجف المدينة ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق) - البخاري في الفتن باب ذكر الدجال ، وكذالك مسلم بنحوه ، والإمام أحمد في مسنده : ٣ ، وقال الحافظ ابن كثير : وقد روى هذا جماعةٌ من الصحابة منهم : أبو هريرة وأنس بن مالك وسلمة بن الأكوع ومحجن بن الأدرع ﷺ -.

وقد مر بنا في الأحاديث /٦٧٦-٦٨٢-٦٨٣/ أن المدينة المنورة ترجف ثلاث رجفات فتلقي بالمنافقين إلى الدجال . فلا أمن ولا حماية ولا نجاة للكافرين وضعاف الإيمان الذين يعوذون بمكة أو بالمدينة حينما يظهر الدجال ، ولكن الحماية والنجاة والأمن تكون للمؤمنين الصادقين المخلصين لله تعالى ، وهؤلاء يقيهم الله تعالى من رؤية الدجال ومن التعرض لفتنته أما المنافقون والكافرون فترجف المدينة بهم ثلاث رجفات فتقذفهم بين يدي الدجال فيؤمنون به ويتبعونه .

جنة ونار مع الدجال

٦٨٥- عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (ألا أخبركم عن الدجال حديثاً ما حدثه نبيّ قومه : إنه أعور ، وإنه يجيء معه مثل الجنة والنار ، فالتي يقول: إنها الجنة هي النار ، وإني أنذرتكم به كما أنذر به نوح) – البخاري في بدء الخلق باب قول الله تعالى : إنا أرسلنا نوحاً، وفي الأنبياء، ومسلم في الفتن باب ذكر الدجال .. -.

٦٨٦- عن حذيفة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (إنّ الدجال يخرج وإنّ معه ماءً وناراً ، فأما الذي يراه الناس ماءً فنارٌ تحرق ، وأما الذي يراه الناس ناراً فماءٌ

بارد عذبٌ ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً ، فإنه ماءٌ عذبٌ طيب) – البخاري في بدء الخلق باب ما ذكر عن بني إسرائيل ، ومسلم في الفتن باب ذكر الدجال ..واللفظ له –.

٦٨٧- عن حذيفة ﷺ عن النبي ﷺ قال في الدجال: (إنّ معه ماءً وناراً ، فناره ماءٌ باردٌ ، وماؤه نارٌ) وقال أبو مسعود ﷺ : أنا سمعته من رسول الله ﷺ - البخاري في الفتن باب ذكر الدجال ، ومسلم بزيادة (فلا تهلكوا) بعد كلمة (نار) في الفتن باب ذكر الدجال ..-.

٦٨٨- عن حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (لأنا أعلمُ بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان ، أحدهما رأي العين ماءٌ أبيض، والآخر رأي العين نارٌ تأجج، فإمّا أدركنّ أحدٌ فليأت النهر الذي يراه ناراً ، وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه ، فإنه ماءٌ باردٌ، وإن الدجال ممسوح العين عليها ظفرةٌ غليظة، مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ، يقرؤه كلّ مؤمنٍ كاتبٍ وغير كاتب) – مسلم في الفتن باب ذكر الدجال..، وأبو داود في الملاحم باب خروج الدجال٤٣١٥.

٦٨٩- عن حذيفة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (الدجال أعور العين اليسرى جفال الشعر ، معه جنة ونار ، فناره جنة، وجنته نار) – مسلم في الفتن باب ذكر الدجال.

ومر بنا في حديث جابر بن عبد الله ﷺ الذي رواه أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي قول رسول الله ﷺ: (ومعه نهران ، أنا أعلم بهما منه ، نهر يقول له الجنة ، ونهر يقول : النار ، فمن أدخل الذي يسميه الجنة فهو النار ، ومن أدخل الذي يسميه النار فهو الجنة) - حديث رقم٦٧٤.

إننا نرى من الأحاديث الصحيحة السابقة أن موكب الدجال يحتوي على ما يشبه النار وعلى ما يشبه الجنة ، وهما يجريان معه على صورة نهرين كما تجري الأنهار ، ولابد أن يكون هذان النهران واسعين هائلين يرى فيهما الناس صورة الجنة وصورة النار الكبيرتين ، والدجال يلقي المكذبين به في النار أو فيما يتراءى له وللناس أنه نار تتأجج ، ويلقي في الجنة من يرضى عنه ويجب أن يكافئه من المؤمنين بألوهيته ، وهذه الجنة هي نار تحرق ، والدجال ذاته لا يعلم هذه الحقيقة في ذلك الوقت فهو منخدع بما يراه ويظن أن ناره محرقة وأن جنته نعيم ، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بحقيقة جنة الدجال وناره وبجهل الدجال هذه الحقيقة .

على المسلمين أن يبتعدوا عن الدجال وأن يفروا منه إلى الجبال

٦٩٠- عن جابر بن عبد الله ﷺ عن أم شريك ﷺ أنها سمعت النبي ﷺ يقول : (ليفرّنّ الناس من الدجال في الجبال) قالت أم شريك : يا رسول الله فأين العرب يومئذ ؟ قال: (هم قليلٌ) - رواه مسلم في الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال ، والترمذي في المناقب باب فضل العرب٣٩٢٦- .

فقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن الناس سوف يفرون إلى الجبال للنجاة من فتنة الدجال، ولعل الدجال سوف يسير على دروب الناس وعلى السهول ، فتكون الجبال أماكن آمنة ، والله أعلم . وقد أمرنا رسول الله ﷺ بالابتعاد عن الدجال والفرار منه .

٦٩١- عن عِمران بن حصينٍ ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (من سمع بالدجال فلينأ عنه ، فوالله إنّ الرجل ليأتيه وهو يحسب أنه مؤمن ، فيتبعه ، مما يبعث به من الشبهات - أو : لما يبعث به من الشبهات-) - أبو داود في الملاحم باب خروج الدجال بإسناد صحيح٤٣١٩ فعلى المسلمين أن يفروا من الدجال إلى الجبال العالية الوعرة والأراضي الوعرة وأن يبتعدوا عن الدروب الممهدة ، أو أن يعتصموا ببيوتهم إلى أن تنجلي عنهم فتنته.

عمل المسلم أمام جنة ونار الدجال

لقد ذكرت لنا الأحاديث الصحيحة على أن جنة الدجال هي نار تتأجج وعلى أن ناره ماء بارد عذب، فالحقيقة هي نقيض الرؤية ، وعلى هذا يمكن للمسلم الظمآن أن يشرب من نار الدجال ، وقد ورد هذا في حديث حذيفة ﷺ برواية مسلم وأبي داود - رقم٦٨٨- إذ قال ﷺ : (فإمّا أدركنّ أحدٌ - أي جنة الدجال وناره - فليأت النهر الذي يراه ناراً وليغمض ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه ماء بارد) ، فعلى المسلم الظمآن إذن أن يتجه إلى نار الدجال ويغمض عينيه ثم يحني رأسه ويشرب منها فإنها ماء بارد وعذب ، وربما كان المقصود أن يتمدد الإنسان على الأرض ويشرب كما يتمدد للشرب من أي نهر جارٍ في الدنيا، وأن يكون مغمض العينين .

أما إذا وقع المسلم تحت براثن الدجال وتعرض لمحنته وأذاه وأراد الدجال أن يلقيه في ناره أو إن خشي المسلم من السقوط في فتنة الدجال فعليه حينذاك أن يرمي نفسه في نار الدجال أو أن يكفر بالدجال كي يلقيه في النار، فقد ورد في حديث حذيفة برواية البخاري ومسلم-رقم٦٨٦- قول رسول الله ﷺ:

(فمن أدرك ذلك منكم فليقعْ في الذي يراه ناراً فإنه ماءٌ عذبٌ طيبٌ).

مصير المقذوفين في جنة الدجال وناره

لقد مر بنا في الأحاديث الصحيحة أن جنة الدجال هي نار تحرق ، فهي نار حقيقية تتأجج وتحرق ، ومعنى ذلك أن من يلقى فيها يحترق ويموت . أما من يلقى في نار الدجال فقد ورد في حديث أبي سعيد الخدري ﷺ برواية مسلم في قصة الرجل الذي يتصدى للدجال لتكذيبه ويقتله الدجال ويحييه ثم يطلب منه الإيمان به فلا يستجيب ويصرخ في الناس منبهاً إياهم إلى أن الدجال لن يستطيع قتل أحد بعد ذلك ، فيعزم الدجال على ذبحه فلا يستطيع (قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار ، وإنما ألقي في الجنة) فقال رسول الله ﷺ: (هذا أعظم الناس شهادةً عند رب العالمين) .

فمن يلقى في نار الدجال ينقل إلى الجنة مباشرة أو يموت وتغيّب الملائكة جثّته ، ويكون قد فاز في هذه المحنة ، ويكون مآله إلى جنة الله سبحانه وتعالى عاجلاً أو آجلاً .

فالفريقان، أهل الجنة وأهل النار، أي من يرضى عنهم الدجال ومن يسخط عليهم تنتهي حياتهم الدنيوية، ولهذا السبب أمر رسول الله ﷺ من يواجهون الدجال بإلقاء أنفسهم في ناره، وأمر المسلمين كافة بالابتعاد عن الدجال والفرار إلى الجبال والأراضي الوعرة ، والغاية من هذا الأمر والله أعلم هي الحفاظ على أرواح المسلمين كي يجاهدوا الكافرين والمشركين والمنافقين تحت قيادة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

جبل من الخبز مع الدجال

٦٩٢- عن المغيرة بن شعبة ﷺ قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال ما سألته- أو أكثر ما سألته- وإنه قال لي: (ما يضرّك منه؟) قلت: لأنهم- أو إنهم- يقولون: إنّ معه جبل خبزٍ ونهر ماءٍ، قال: (هو أهون على الله من ذلك) -البخاري في الفتن باب ذكر الدجال، ومسلم بنحوه في الفتن باب في الدجال- وقد ورد في حديث جابر بن عبد الله برواية أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي (ومعه جبال من خبز) ، وقد عرفنا أن الدجال مزوّد بصلاحيات واسعة ويستطيع أن يفعل ما يشاء عدا إحياء الموتى بصورة حقيقية وعدا القتل سوى رجل واحد يقتله ثم يحييه ثم لا يتمكن من قتله ثانيةً، ولذا يمكنه أن يسيّر معه جبلاً من الخبز ليغري الجياع باتّباعه والإيمان بألوهيته .

العرب حين ظهور الدجال

جاء في حديث جابر بن عبد الله ﷺ برواية مسلم والترمذي- رقم٦٩٠- عن العرب (هم قليل) ، وجاء في حديثه برواية الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي- رقم٦٧٤- (فيفر المسلمون إلي جبل الدخان بالشام فيأتيهم فيحاصرهم فيشتد حصارهم ويجهدهم جهداً شديداً) وورد في حديث أبي أمامة الباهلي برواية ابن ماجه عن العرب (هم يومئذ قليل وجُلّهم ببيت المقدس وإمامهم رجلٌ صالح) وقد اتفق الحديثان على أن الدجال يحاصر المسلمين إلى أن يأتيهم عيسى ابن مريم ﷺ فيخرجون معه لقتال الدجال واليهود المرافقين له.

وقلة العرب ناجمة عن كثرة القتل الذي يقع فيهم في الفتنة الدامية الكبرى بين الإسلاميين والمنافقين بخاصة أي في فتنة الدهيماء وفي الحروب مع الروم وفي الهجمة البوشية المتصهينة على العرب والمسلمين والله أعلم .

عيسى ابن مريم يقتل الدجال

٦٩٣- عن مجمع بن جارية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يقتل ابن مريم الدجال بباب لُدّ) - الإمام أحمد في مسنده: ٣، والترمذي في الفتن باب ما جاء في قتل عيسى ابن مريم الدجال-٢٢٤٥- وقال: هذا حديث صحيح، وفي الباب عن عمران بن حصين ونافع بن عتبة وأبي برزة وحذيفة بن أسيد وأبي هريرة وكيسان وعثمان بن أبي العاص وجابر وأبي أمامة وابن مسعود وعبد الله بن عمرو وسمرة بن جندب والنواس بن سمعان وعمرو بن عوف وحذيفة بن اليمان ﷺ .

فقضية قتل سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام للدجال في باب لد ثابتة صحيحة ، فقد مر بنا في حديث النواس بن سمعان ﷺ برواية مسلم والترمذي وابن ماجه-٦٧٣- (فيطلبه حتى يدركه بباب لد فيقتله) ، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما برواية الإمام أحمد وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي-٦٧٤- (فحين يراه الكذاب ينماث كما ينماث الملح في الماء فيمشي إليه فيقتله) وفي حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ برواية ابن ماجه-٦٧٦- (فيدركه عند باب اللد الشرقي فيقتله) ، ومر بنا في (قتال الروم) في حديث أبي هريرة برواية مسلم-٦٥١- (فإذا رآه عدوّ الله ذاب كما يذوب الملح في الماء ، فلو تركه لانذاب حتى يهلك ، ولكن يقتله الله بيديه فيريهم دمه في حربته).

وسوف يمر بنا في حديث ابن مسعود برواية أحمد وابن ماجه-٧٢٤- قول

سيدنا عيسى عليه السلام ليلة الإسراء لرسول الله محمد ﷺ: (فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، قال: فيهلكه الله إذا رآني). فسيدنا عيسى ﷺ سوف يصطحب المسلمين الموجودين في دمشق والمعتصمين بالجبال القريبة منها وسوف يتجه إلى فلسطين لمقاتلة الدجال وأتباعه ، وسوف يدرك الدجال عند باب لد ، وسوف يذوب الدجال حينما يرى سيدنا عيسى ﷺ كما يذوب الملح في الماء، ولكن سيدنا عيسى ﷺ سوف يقتله بحربته ليحيي بذلك فريضة الجهاد التي نبذها المسلمون رَدْحاً طويلاً من الزمن.

مدة مُكوث الدجال في الأرض

لقد مر بنا في حديث النواس بن سمعان برواية مسلم وغيره-٦٧٣- أنّ مدة مكوث الدجال في الأرض: (أربعون يوماً، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم) فهذه هي مدة مكث الدجال أربعون يوماً، ويكون اليوم الأول بطول سنة ، أي تظل الشمس فيه مشرقة ثلاثمائة وخمسين يوماً من أيامنا تقريباً، ويكون اليوم الثاني بطول شهر، أي تظل الشمس مشرقة فيه ما يساوي ثلاثين يوماً من أيامنا أو تسعة وعشرين، ويكون اليوم الثالث بطول أسبوع أي تظل الشمس مشرقة لمدة سبعة أيام ، أما الأيام الأخرى فتكون أطوالها كأطوال أيامنا فإذا ما أردنا أن نحسب مدة مكثه بما يساوي أيامنا فإن الناتج يكون ٣٥٠+٢٩+٧+٣٧=٤٢٣ ثلاثة وعشرين وأربع مائة يوم تقريباً من أيامنا بحسب التوقيت الهجري وهو المقصود.

الصلاة في أيام الدجال

لقد مر بنا في حديث النواس بن سمعان ﷺ برواية مسلم والترمذي وابن ماجه-٦٧٣-سؤال موجّه إلى رسول الله ﷺ عن الصلاة في أيام الدجال : قلنا : يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنةٍ أتكفينا فيه صلاة يوم ؟ قال : (لا ، اقْدُروا له قدرهُ).

وهكذا أوضح لنا رسول الله ﷺ كيف نصلى في أيام الدجال الثلاثة ، فعلينا أن نحدّد مواقيت الصلاة بحسب أيامنا المعتادة ، فنصلي في اليوم الأول مقدار صلوات ثلاث مائة وخمسين يوماً ، ونصلي في اليوم الثاني مقدار صلوات شهر، ونصلي في اليوم الثالث مقدار صلوات أسبوع، ثم نعود إلى اتباع ما درجنا عليه في سائر أيامه المتبقية، ويجب الاستعانة بالساعة لضبط المواقيت ، أما إذا انعدمت الساعات فيلجأ المسلم إلى التقدير، والله واسع الرحمة والكرم

والمغفرة.

طعام المسلمين في أيام الدجال

مر بنا أنّ الدجال يأتي بالخَوارق، ومن خوارقه أن يأمر السماء بالكفّ عن الإمطار وأن يأمر الأرض بالكف عن الإخصاب لدى الجماعات التي لا تؤمن به، وهكذا تهلك البهائم، وقد ينعدم القوتُ، فماذا يصنع المسلمون؟ وهل يموتون جوعاً مع انعدام القوت ؟.

لقد سألت أسماء بنت يزيد الأنصارية رضي الله عنها هذا السؤال لرسول الله ﷺ في حديثها الذي رواه الإمام أحمد : يا رسول الله ، والله إننا لنعجنُ عَجينتنا فما نَختبزُها حتى نجوعَ فكيف بالمؤمنين يومئذ؟! قال رسول الله ﷺ : (يجزئهم ما يجزئ أهل السماء من التسبيح والتقديس) - حديث رقم٦٧٢-.

وجاء في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه برواية ابن ماجه-٦٧٦-: (التهليل والتكبير والتسبيح والتحميد ، ويجري ذلك عليهم مجرى الطعام).

وعلى هذا ينبغي على المسلمين جميعاً وليس على الذين يعضّهم الجوع بأنيابه الحداد أن يُكثروا من تسبيح الله وشكره وحمده وتعظيمه وتمجيده ، وإذا ما فعلوا ذلك استغنوا عن الطعام إن شاء الله فلا يحسّون جوعاً ولا عطشاً ويكونون بذلك كالملائكة الذين لا يأكلون ولا يشربون أبداً.

وَصفُ عين الدجال العوراءِ

٦٩٤- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنَ رسول الله ﷺ قال : (أراني الليلة عند الكعبة ، فرأيتُ رجلاً آدم كأحسن ما أنت راءٍ من أدْم الرجال ، له لمّةٌ كأحسن ما أنت راءٍ من اللّمم ، قد رَجّلها ، تقطر ماءً ، متكئاً على رجلين- أو: على عواتق رجلين - يطوف بالبيت ، فسألت: من هذا ؟ فقيل: المسيح ابن مريم. ثم إذا أنا برجلٍ جعدٍ قططٍ أعور العين اليمنى ، كأنها عنبةٌ طافيةٌ ، فسألت : من هذا ؟ فقيل : المسيح الدجال).

-الإمام مالك في الموطأ في كتاب الجامع حديث١٦٦٥، والإمام أحمد في مسنده٢/٨٣و١٢٢و١٢٧و١٤٤و١٥٤ وقد أضاف إلى الدجال صفة (أحمر) وشبهه بابن قطن، والبخاري في التعبير باب رؤيا الليل واللفظ له وقد رواه أيضاً عن ابن عباس رضي الله عنهما ، ومسلم في الإيمان باب في ذكر المسيح ابن مريم والمسيح الدجال ، والترمذي في أبواب الفتن باب ما جاء من أين يخرج الدجال بسند حسن حديث٢٣٣٨: ٦/٤٩٥ ، وابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال

(حديث٤٠٧٢) : ٢/١٣٥٣، ١٣٥٤، وروى البخاري أيضا عن سالم عن أبيه قال: لا والله ما قال النبي ﷺ لعيسى أحمرُ ، ولكن قال : (بينما أنا نائمٌ أطوف بالكعبة، فإذا رجلٌ آدم سبط الشعر يهادى بين رجلين ينطف رأسه ماءً) ثم يتابع بمثل الحديث السابق، البخاري في بدء الخلق باب واذكر في الكتاب مريم –.

٦٩٥- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : بينا أنا نائم أطوف بالكعبة فإذا رجل آدم سبط الشعر ينطف – أو : يُهراقُ –رأسه ماءً ، قلت : من هذا ؟ قالوا : ابن مريم. ثم ذهبت ألتفت فإذا رجلٌ جسيمٌ أحمر جعد الرأس أعور العين كأن عينه عنبةٌ طافيةٌ، قالوا: هذا الدجال ، أقرب الناس به شبهاً ابن قطنٍ) – البخاري في التعبير باب الطواف بالكعبة في المنام وفي اللباس وفي الفتن باب ذكر الدجال ، ومسلم في الإيمان باب في ذكر المسيح ابن مريم ، والإمام مالك في الموطأ كتاب الجامع : ما جاء في صفة عيسى ابن مريم والدجال حديث رقم ١٦٦٥وأحمد في المسند بنحوه: ٢–.

٦٩٦- عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهلُه، ثم ذكر الدجال ، فقال: (إني لأُنْذِركموهُ، وما من نبيّ إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيّ لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور) – البخاري في الفتن باب ذكر الدجال ، والإمام أحمد في مسنده : ٢، والترمذي في الفتن باب ما جاء في علامة الدجال وباب ما جاء في صفة الدجال ، وأبو داود في السنة باب في الدجال رقم٤٧٥٧–.

٦٩٧- عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب كافر) - البخاري في الفتن باب ذكر الدجال، ورواه أيضاً عن أبي هريرة وابن عباس، ورواه بنحو ذلك مسلم في الفتن باب ذكر الدجال وصفة ما معه، والترمذي في الفتن باب /٤/ رقم /٢٢٤٦/، وأبو داود في الملاحم باب خروج الدجال /٤٣١٦/و/٤٣١٧/و/٤٣١٨/، و الإمام أحمد في مسنده-.

٦٩٨- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ذكر قصة ابن صياد ، ثم قال : فقام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم ذكر الدجال فقال: (إني لأنذركموه ، ما من نبيّ إلا وقد أنذر قومه، لقد أنذره نوحٌ قومه: تعلّموا أنه أعور، وأنّ الله تبارك وتعالى ليس بأعور) -البخاري في الجهاد والسير باب كيف يعرض الإسلام على الصبي ، وفي بدء الخلق باب قول الله تعالى : إنّا أرسلنا نوحاً..،

وفي غيرهما ، ومسلم في الفتن باب ذكر ابن صياد ، وزاد مسلم في رواية عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ : (إنه مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ يقرؤه من كره عمله- أو : يقرؤه كلّ مؤمن- وقال : تعلموا أنه لن يرى أحدٌ منكم ربه عز وجل حتى يموت) .

٦٩٩- عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: (إن الله تعالى ليس بأعور ، ألا وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنبةٌ طافئةٌ) - مسلم في الفتن باب ذكر الدجال ، وفي الإيمان باب في ذكر المسيح ابن مريم ...، والإمام أحمد في مسنده : ٢ ، ورواه بطريق آخر ذكر في أوله أن الأنبياء قد أنذروا أممهم من الدجال ، ورواه بطريق ثالث بلفظ : (الدجال أعور العين كأنها عنبة طافية) -.

٧٠٠-عن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : (ما من نبي إلا وقد أنذر أمته الأعور الكذاب ، ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور ، مكتوب بين عينيه ك ف ر).

-البخاري في الفتن باب ذكر الدجال، وفي التوحيد بنحوه، وقد رواه أيضاً عن أبي هريرة وابن عباس، والإمام أحمد في مسنده: ٣-ومسلم في الفتن باب ذكر الدجال ، والترمذي في الفتن باب رقم٤ حديث٢٢٤٦، وأبو داود في الملاحم باب خروج الدجال٤٣١٦، ٤٣١٧، ٤٣١٨، وفي رواية لمسلم زيادة (أي كافر) ، وفي رواية له أيضاً : (الدجال ممسوح العين مكتوبٌ بين عينيه كافرٌ ، ثم تهجّاها ك ف ر ، يقرؤه كلّ مسلم) -.

٧٠١- عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : (إني حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقِلوا ، إنّ المسيحَ الدجال رجلٌ قصيرٌ أفحجُ جعدٌ أعورُ مطموسُ العين ليس بناتئةٍ ولا جَحْراء ، فإن التَبس عليكم فاعلموا أنّ ربكم ليس بأعور) - أبو داود في الملاحم باب خروج الدجال٤٣٢٠ بإسناد حسن-.

طافئة: الحبة الطافئة من العنب أو الطافية: هي التي خرجت عن حدّ نبات أخواتها في العنقود ونتأت، قال الخطابي : مرّ علي زمان وأنا أعتقد أن معنى قوله (كأنها عنبة طافئة) أنه الحبة من العنب التي تسقط في الماء فيدخلها الماء فتنتفخ فتطفو على الماء ، إلي أن وقفت عليه في موضع أنه الحبة التي تخرج عن حد أخواتها ، والذي وقع له رحمه الله مناسب ، وسوف يمر بنا في حديث لأبي

سعيد الخدري برواية الإمام أحمد أنها كبصقة على حائط مجصص -/٧٠٩/-.
والظفرة: جُلَيدة تغشى العين ناتئة من الجانب الذي يلي الأنف على بياض العين إلى سوادها.

لقد اتفقت الأحاديث الصحيحة الكثيرة على أن الدجال أعور ، وذكرت صفة العين العوراء ، ففي أحاديث عن رؤيا رسول الله ﷺ للدجال في الحلم ورد أن هذه العين كأنها عنبة طافية ، وقد روى هذه الأحاديث البخاري ومسلم وغيرهما عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وجاء هذا الوصف أيضاً في أحاديث صحيحة في وصف رسول الله ﷺ لعين الدجال العوراء في خطبة له رواها البخاري ومسلم أيضاً عن عبد الله بن عمر ، وجاء في حديث مسلم عن حذيفة رضي الله عنه قال: (ممسوح العين عليها ظفرة غليظة) ، وفي حديث مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: (ممسوح العين) ، وفي حديث أبي داود بإسناد حسن عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه ، ومر بنا حديث مسلم عن النواس بن سمعان رضي الله عنه (عينه طافئة). وهكذا نرى الأحاديث الصحيحة تصف لنا عين الدجال العوراء بوضوح كامل وبدقة ، فهذه العين كحبة العنب التي تندفع وتبرز قليلاً عن أخواتها ، فهي منتفخة مندفعة قليلاً وما فوقها ممسوح وعليها جلدة ناتئة من الجانب الذي يلي الأنف والله أعلم ، فالدجال أعور ، ويترتب على ذلك أن تكون عينه الأخرى سليمة، وسوف يمر في حديث لأبي سعيد الخدري برواية الإمام أحمد أن العين اليسرى (كأنها كوكبٌ دريّ) -/٧٠٩/وهذا يعني أنها متألقة ساطعة بالنور والله أعلم.

العين العوراء

أردت أن أحدد عين الدجال العوراء فلم أتمكن ، فقد روى مسلم عن حذيفة رضي الله عنه وروى الإمام أحمد عن أنس بأنها العين اليسرى. وروى البخاري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وروى الإمام مالك والبخاري ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وروى الإمام أحمد ومسلم عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، وروى الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن العين العوراء هي اليمنى بينما وردت أحاديث كثيرة صحيحة لم تحدد العين العوراء ، ومنها أحاديث مروية عن ابن عمر وأنس رضي الله عنه برواية البخاري ومسلم وغيرهما ، وعن حذيفة رضي الله عنه برواية مسلم وغير ذلك .

وعلى كل حال يكفي المسلم أن يعرف عن الدجال أنه أعور وأن يعرف صفة عينه ، وإن كان لابد من الترجيح فإن الترجيح يكون للجانب الذي فيه

البخاري ، وتكون العين العوراء هي اليمنى والله أعلم .

صورة الدجال

إن الدجال مخلوق على صورة البشر ، ويمكن أن يكون ابن صياد ذاته الذي عُرف في عهد رسول الله ﷺ لأن نهايته لم تعرَف مع معرفة المسلمين له ، فلم يروه يموت، ولم يروا جثته ، ولا يعلم أحد أين اختفى ، كما يمكن أن يكون الدجال مخلوقاً آخر غير ابن صياد ، وهذا المخلوق موجود في جزيرة ما في بحار الكرة الأرضية ، وإن الله قادر على أن يغيّبه ويغيّب جزيرته عن الأقمار الصناعية وغيرها ، ومن لم يؤمن بهذه المقدرة فهو كافر.

فالدجال مخلوق على صورة البشر خلقه الله سبحانه وتعالى وحجبه عن أنظار البشر، وهو مخبوء في مكان ما، لينطلق في الوقت الذي يريده الله تعالى، ومن الممكن أن يخلق الله تعالى الدجال في زمان ظهوره، وهو جَسيم أي ضخم الجسم كما في البخاري ومسلم وغيرهما ، وعندهما أنه أحمر ، وجاء في رواية للإمام أحمد عن سالم عن أبيه أنه أحمر ، فلون الدجال ضارب إلى الحمرة إذن، وهو ضخم الجثة ، وهو قصير القامة كما في رواية أبي داود عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه بإسناد حسن ، وهو جعد قطط كما في البخاري ومسلم ، وكلمة قطط تعني شديد جعودة الشعر ، فشعره أجعد ، وورد في حديث لمسلم عن حذيفة رضي الله عنه أنه جُفال الشعر ومعناها كثير ملتفّ أي أجعد ، وهكذا أصبح عند المسلم صورة واضحة للدجال بحيث يستطيع معرفته من صورته حينما يراه ، فينجو من فتنته إن شاء الله تعالى ، ويعرف أنه الدجال ، وهذا من لطف الله سبحانه وتعالى بهذه الأمة .

ويكفي المؤمن أن يعلم أن الدجال أعور ، إذ لا يليق بالله تعالى خالق الأكوان ومبدع المخلوقات ومصور الأشياء الجميلة الخلابة أن يتجسد لعبيده ومخلوقاته في صورة رجل أعور.

مكتوب بين عينيه كافر

٧٠٢- عن مجاهد قال : كنا عند ابن عباس رضي الله عنهما فذكروا الدجال فقال : (إنه مكتوب بين عينيه كافر) – البخاري في اللباس باب الجعد -.

٧٠٣- وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إنه مكتوب بين عيني الدجال كافر يقرؤه كل مؤمن) – الإمام أحمد في مسنده : ٣ -.

٧٠٤- وعن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال : (إن الدجال ممسوح العين اليسرى ، عليها ظفرة مكتوب بين عينيه كافر) – الإمام أحمد في مسنده : /٣/-.

٧٠٥- وعن أنس ﷺ قال : إن نبي الله ﷺ قال : (إن بين عينيه مكتوب ك ف ر أي كافر ، يقرؤها المؤمن أمي وكاتب) - الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

وفي روايات البخاري عن أبي هريرة وابن عباس ﷺ ، وفي روايات البخاري ومسلم عن أنس ﷺ جاء : (وإن بين عينيه مكتوب كافر) وفي رواية (مكتوب بين عينيه ك ف ر) ، وفي رواية لمسلم (أي كافر) وفي رواية أخرى (مكتوب بين عينيه كافر ، ثم تهجاها : ك ف ر ، يقرؤه كل مسلم) ، وفي رواية مسلم عن عبد الله بن عمر ﷺ : (إنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه من كره عمله – أو يقرؤه كل مؤمن-) ، وفي رواية مسلم عن حذيفة ﷺ : (مكتوب بين عينيه كافر، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب) ، وفي رواية أحمد عن أنس ﷺ : (إن بين عينيه مكتوب ك ف ر أي كافر ، يقرؤها المؤمن أمي وكاتب) ، وفي رواية الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله ﷺ : (مكتوب بين عينيه كافر ، ك ف ر ، مهجأة ، يقرؤه كل مؤمن كاتب وغير كاتب).

فهذه الأحاديث الصحيحة قد اتفقت على أن كلمة (كافر) أو (كفر) مكتوبة بين عيني الدجال يقرؤها المؤمن المخلص لله تعالى الصادق الإيمان سواء أكان متعلماً أم أمياً يجهل القراءة والكتابة، فكل مؤمن يقرأ كلمة (كافر) مكتوبة بين عيني الدجال ، وهذا من ألطاف الله سبحانه وتعالى بأمتنا الإسلامية .

ويبدو من الأحاديث أن رسول الله ﷺ قد تهجى كلمة (كفر) وذكر حروفها حرفاً فحرفاً وذكر المعنى المقصود منها وهو (كافر) ، فجاءت أحاديث تفصِّل ذلك وأحاديث تُجْمل المعنى المقصود ، والله أعلم .

قراءة فواتح سورة الكهف أمام الدجال

وهناك سلاح آخر منحه الله تعالى المسلمين وهو أن يقرأ المسلم عشر آيات من أول سورة الكهف فينجو من فتنة الدجال.

٧٠٦- عن أبي الدرداء ﷺ عن النبي ﷺ قال : (مَن حَفِظ عشر آياتٍ من أول سورة الكهف عُصم من الدجال) – مسلم في صلاة المسافرين باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، وأبو داود في الملاحم باب خروج الدجال / ٤٣٢٣ / ، والترمذي ولفظه : (من قرأ ثلاث آيات من أول الكهف عصم من فتنة الدجال) في أبواب فضائل القرآن باب ما جاء في فضل سورة الكهف /٢٨٨٨ /

وقال : حسن صحيح - .

٧٠٧- وعن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : (من حفظ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من فتنة الدجال) - الهيثمي في مجمع الزوائد (٧ /٥٣) ونسبه للطبراني في الأوسط وقال : رجاله رجال الصحيح ، والإمام أحمد في المسند (٦ /٤٤٦) من حديث أبي الدرداء ﷺ -.

ومر بنا في حديث أبي أمامة الباهلي ﷺ برواية ابن ماجه : (وليقرأ فواتح الكهف).

فعلى المسلم أن يحفظ عشر آيات من أول سورة الكهف وعشر آيات من آخرها ليقرأهما معاً إذا رأى الدجال فينجو من فتنته وأذاه ، وحفظ عشرين آية ليس بالشيء الصعب ، ولا يفوتني القول بأن من واجبات المسلم أن يحفظ القرآن كله أو ما يستطيع منه .

وإذا طلب مني أن أرجح أحد القولين السابقين فإنني أسير على ما أمر به علماؤنا وأرجح حديث أبي الدرداء برواية مسلم .

٧٠٨- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (من قرأ سورة الكهف كانت له نوراً يوم القيامة من مُقامه إلى مكة ، ومن قرأ عشر آيات من آخرها ثم خرج الدجال لم يضره ، ومن توضأ فقال : سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك ، كتب في رَقّ ثم جعل في طابَع فلم يُكسر إلى يوم القيامة) - الطبراني في الأوسط ، ورواته رواة الصحيح واللفظ له، ورواه النسائي وقال في آخره: (ختم عليها بخاتم فوضعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة) وصوّب وقفهُ على أبي سعيد ﷺ-.

تحذير الأنبياء من فتنة الدجال

٧٠٩- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (إني خاتم ألف نبي وأكثر ، ما بُعث نبي يُتبع إلا وقد حذر أمته الدجال ، وإني قد بُيّن لي من أمره ما لم يبيَّن لأحد، وإنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور وعينه اليمنى عوراء جاحظة، ولا تخفى، كأنها نخامة في حائط مجصَّص، وعينه اليسرى كأنها كوكب دريّ، معه من كل لسان، ومعه صورة الجنة خضراء يجري فيها الماء، وصورة النار سوداء تدخن) -الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

نطلع في هذا الحديث على إضافة جديدة (معه من كل لسان) ، فسوف يؤمن أقوام بالدجال ويمكثون في بلدانهم كما مر بنا ، وسوف تتبعه جماعات من

الأمم كافة المختلفة اللغات ، وهذه المعلومة نستخلصها من شدة حرص رسول الله ﷺ على تحذيرنا من الدجال وفتنته، فالأحاديث التي مرت بنا تدل على تخوف رسول الله ﷺ من وقوع جماعات المسلمين في فتنة الدجال، وإذا كان المسلمون معرضين للوقوع في الفتنة فإن الأمم الأخرى أولى بالوقوع، ومن هنا أقول جازماً إن الأقوام الذين سوف يمر بهم الدجال سوف يتبعونه دون شك، أما المسلمون فسوف يتبع الدجال منهم ضعاف الإيمان من عبّاد المال والسلطان والشهوات، لكنني أظن أن الدجال لن يمر بالبشرية كلها، ولو مر بها لا تبعته قاطبةً مع ضعيفي الإيمان من المسلمين، ولن يبقى كافر أو منافق، وهذا لا يتسق مع النبوءات المحمدية، فسوف تبقى جموع غفيرة من النصارى وغيرهم لكي يجاهدهم المسيح المنتظر ﷺ، أما بلاد المسلمين فسوف يمر بها كلها لأنها المقصودة بالبلاء والامتحان، والله أعلم، وأظن أن الدجال سوف يزعم أنه المسيح المنتظر أمام يهود أصبهان وفي بلدان النصارى فتتبعه جموع غفيرة منهم، ثم يزعم أنه الله حينما تكثر جموعه ، والله أعلم .

وقد جاء في حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه برواية ابن ماجه -٦٧٦- (وإن الله لم يبعث نبياً إلا حذر أمته الدجال) ، وفي حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما برواية الإمام أحمد -٦٨٣- (ولا من نبي إلا وقد حذر أمته) ، وفي حديث البخاري وغيره عن ابن عمر-٦٩٦- (إني لأنذركموه ، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه) ، وجاء في حديث عبد الله بن عمر برواية البخاري ومسلم وغيرهما -٦٩٨- (إني لأنذركموه ، ما من نبي إلا وقد أنذر قومه ، لقد أنذره نوح قومه) ، وجاء في أحاديث رواها البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس (ما بعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب).

فالأنبياء جميعاً حذروا أممهم من المسيح الدجال ، وكذلك فعل نبينا محمد ﷺ ، فعلى المسلم أن يحسب حساباً عظيماً لفتنة الدجال التي توشك أن تخرج ، وعلى المسلم أن يتصور مدى خطورة فتنة حذر منها الأنبياء جميعاً ، فالأمر عصيب جداً وعلى المسلم أن يتسلح بالأسلحة اللازمة لمواجهة الدجال ، ويأتي على رأسها جميعاً الإخلاص لله سبحانه وتعالى ، وتوطين النفوس على العبودية الخالصة له سبحانه وتعالى ، وترويض النفس على تطبيق أوامره وأوامر نبيه وكبح جماح الشهوات والغرائز الدنيوية المحرمة .

رُعبُ الدجال

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن الرعب يصاحب مسيرة الدجال ، فقد جاء في حديث أبي بكرة برواية البخاري ومسلم (لا يدخل المدينة رعب المسيح) وجاء في الحديث٢٩برواية الإمام أحمد (وإنه ليس بلد إلا سيدخله رعب المسيح الدجال إلا المدينة ، على كل نقب من نقابها يومئذ ملكان يذبان عنها رعب المسيح) ، وأخبرنا رسول الله ﷺ بأن المسلمين سوف يفرون إلى الجبال ، ولا شك أن هنالك أموراً كثيرة تسبب الرعب ، منها خِلْقة الدجال وحماره الهائل وجيوشه اللجبة وخوارقه المتعددة وجنته وناره ، فمثل هذه الصور تولّد في النفوس مقادير عظيمة من الرعب ، وهذا يبرر الدافع الذي دعا رسول الله ﷺ إلى أن يوصي المسلمين بالثبات ، فقد جاء في حديث النواس بن سمعان ﷺ (يا عباد الله فاثبتوا) -٦٧٣-.

الدجال أعظم الفتن

٧١٠- عن عمران بن حصين ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : (ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ من الدجال) وفي رواية (أمرٌ أكبرُ من الدجال).

- مسلم في الفتن باب في بقية من أحاديث الدجال -.

٧١١- وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال : قال النبي ﷺ : (الدجال أعور وهو أشدُّ الكذابين) - الإمام أحمد في مسنده : ٣- وجاء في حديث جابر بن عبد الله برواية الإمام أحمد -٦٨٣- (ما كانت فتنة ولا تكون حتى تقوم الساعة أكبر من فتنة الدجال) وجاء في حديث أبي أمامة الباهلي برواية ابن ماجه٦٧٦ (إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال) ، وجاء في الحديث٢٨- برواية الإمام أحمد (ومنهم الدجال وهو أعظمهم فتنة) ففتنة الدجال هي أعظم الفتن التي تواجه المسلمين ، وعلى المسلمين أن يستعدوا لمواجهتها .

النساء أكثر من يخرج إلى الدجال

٧١٢-عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (ينزل الدجال في هذه السَّبَخة بمَرِّ قناة، فيكون أكثر من يخرج إليه النساء، حتى أن الرجل ليرجع إلى حَميمه وإلى أمه وابنته وأخته وعمته فيوثقها رباطاً مخافة أن تخرج إليه، ثم يسلط الله المسلمين عليه فيقتلونه ويقتلون شيعته ، حتى أن اليهودي ليختبئ تحت

الشجرة أو الحجر فيقول الحجر أو الشجرة للمسلم : هذا يهودي تحتي فاقتله) - الإمام أحمد في مسنده : ٢-.

ومر بنا حديث جابر بن عبد الله برواية الإمام أحمد -٦٨٣- عن الدجال أمام المدينة المنورة (وأكثر من يخرج إليه النساء).

لقد عين رسول الله ﷺ الموضع الذي يقف عنده الدجال على مشارف المدينة المنورة ، فقد جاء في الحديث السابق -٧١٢- (ينزل الدجال في هذه السبخة بمر قناة) وجاء في الحديث -٦٧٦- (ينزل عند الظّرَيب الأحمر ، عند منقطع السّبَخة) وجاء في الحديث-٦٨٢- برواية البخاري ومسلم وغيرهما (فينزل بالسبخة) وفي رواية (فيأتي سبخة الجرُف) ، السبخة: أرض ذات ملح ونزّ، أوهي الأرض التي تعلوها الملوحة ولا تكاد تنبت شيئا ، وجمعها سباخ، الظريب: الظرب : الجبل الصغير أو الرابية الصغيرة والظريب تصغير لها والأحمر يعني أن لون الرابية أحمر، مرقناة: اسم موضع.

ففي هذا الموضع المسمى والموصوف يضرب الدجال رواقه أي خيمته وموضع جلوسه، ويتهافت عليه منافقو المدينة المنورة، وتكون النساء أكثر من يخرج إلى الدجال حتى أن الرجل ليربط قريباته بالحبال كي يحول دون خروجهن إلى الدجال، ولكن هل ينجو المربوطون بالحبال من الدجال؟إن الأحاديث التي نصت على أن المدينة المنورة ترجف ثلاث رجفات وتلقي بالمنافقين إلى الدجال ويسمى هذا اليوم يوم الخلاص أي خلاص المدينة المنورة من المنافقين تدل على أنه لن ينجو ضعاف الإيمان والمنافقون من الدجال.

قتال اليهود

٧١٣- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغَرْقَد فإنه من شجر اليهود) - الإمام أحمد في مسنده : ٤١٧/٢ ، والبخاري في الجهاد باب قتال اليهود ، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل- الغرقد : ضرب من شجر العِضاه وشجر الشوك.

٧١٤- وعن عبد الله بن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال : (لتقاتلن اليهود فلتقتلنهم حتى يقول الحجر: يا مسلمُ هذا يهودي فتعال فاقتله) وفي رواية (هذا

يهودي ورائي) وفي رواية (تقتتلون أنتم ويهود حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي تعال فاقتله) وفي رواية (تقاتلكم اليهود فتسلطون عليهم حتى يقول الحجر: يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله) - مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل..، واللفظ له، والبخاري في الجهاد باب قتال اليهود، وفي الأنبياء باب علامات النبوة في الإسلام، والترمذي في الفتن باب ما جاء في علامة الدجال /٢٢٣٧/، والإمام أحمد في مسنده: ٢-.

٧١٥-عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (يتبع الدجال من يهود أصبهان سبعون ألفاً عليهم الطيالسة) - مسلم في الفتن باب في خروج الدجال، ورواه الإمام أحمد بلفظ (يخرج الدجال من يهودية أصبهان معه سبعون ألفاً من اليهود عليهم التيجان) الطيالسة: جمع طيلسان وهو نوع من الأكسية يرتدى فوق الملابس كالعباءة ويكون أسود اللون، والله أعلم.

٧١٦-عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فيؤمن الناس أجمعون، فيومئذ لا ينفع نفساً إيمانها ما لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، فيفر اليهودي وراء الحجر، فيقول الحجر: يا عبد الله يا مسلم هذا يهودي ورائي، ولا تقوم الساعة حتى تقاتلوا قوماً نعالهم الشعر) - الإمام أحمد في مسنده : ٢-.

ومر بنا حديث جابر بن عبد الله برواية الإمام أحمد-٦٨٣- وفيه (يكون معه سبعون ألفاً من اليهود) ، ومر بنا في حديث آخر رواه الإمام أحمد عن جابر بن عبد الله وصححه الحاكم والذهبي والهيثمي (حتى أن الشجر والحجر ينادي: يا روح الله هذا يهودي، فلا يترك ممن كان يتبعه أحداً إلا قتله) ، وجاء في حديث أبي أمامة الباهلي برواية ابن ماجه-٦٧٦- (فيهزم الله اليهود) .

إن الأحاديث التي ذكرت قتال المسلمين واليهود صحيحة، وبقي أن أزيل التباساً وقع مع علماء من المسلمين ناهيك عن غير العلماء بسبب عدم إحاطتهم بأحاديث النبوءات كلها، فظنوا أن اليهود المقصودين هم المسيطرون على فلسطين منذ عام/ ١٩٤٨ / فهؤلاء ليسوا اليهود المقصودين، واليهود المقصودون في الأحاديث السابقة هم يهود آخرون يتبعون الدجال، وقد مر بنا حديث صحيح لمسلم والإمام أحمد جاء فيه أن سبعين ألفاً من يهود أصبهان يتبعون الدجال، ونرى أحاديث أخرى ذكرت قتل اليهود مع الدجال، فهؤلاء اليهود إذن

هم أتباع الدجال الذين خرجوا معه من أصبهان، وسوف يتم قتلهم على أيدي الجيش الإسلامي بقيادة سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام، وسوف يتم قتلهم جميعاً، ولن يتمكن أحد من النجاة، فإذا ما اختفى يهودي خلف حجر أو شجر صرخ ذلك الحجر أو ذلك الشجر (يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي ورائي تعال فاقتله) .

أما اليهود الذين احتلوا فلسطين منذ عام/ ١٩٤٨ / فسوف يتم التخلص منهم في القريب العاجل بمشيئة الله عز وجل، لأنه سوف تستمر الفتنة الدامية في أرض العرب وتقوم الدولة الإسلامية في الشام وتنتهي الفتنة بانتصار الإسلاميين، وسوف يتم سحق اليهود خلال ذلك لأن القدس سوف تكون بإذن الله تعالى حينما يظهر الدجال ثغراً من ثغور الدولة الإسلامية .

الاستعاذة من الدجال

روى الاستعاذة من شر فتنة الدجال طائفة من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد وصلتنا بطرق صحيحة منها:

٧١٧-عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إذا تشَهّد أحدكم فليستعذ بالله من أربعٍ، يقول: اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المَحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال) - البخاري في الجنائز باب التعوذ من عذاب القبر، والإمام أحمد في مسنده: ٢٨٨: ٢، ومسلم في المساجد باب ما يستعاذ منه في الصلاة، وأبو داود في الصلاة باب ما يقول بعد التشهد/٩٨٣/، والنسائي في السهو وفي الاستعاذة من عذاب جهنم باب نوع آخر من التعوذ في الصلاة ٥٨/٣، وابن ماجه في الدعاء باب ما تعوذ منه رسول الله ﷺ/٣٨٤٠: ٢/١٢٦٢/ ، والترمذي في أبواب الدعوات /٣٥٥٩/: ٩/٤٦٥، ٤٦٦-.

ووردت الاستعاذة (من شر فتنة الغنى ومن شر فتنة الفقر ومن شر فتنة المسيح الدجال) في حديث روته عائشة ﵂ عن النبي ﷺ ورواه البخاري في الدعوات وفي الجمعة باب التعوذ من عذاب القبر من حديث ابنة خالد بن سعيد بن العاص وأبي هريرة ﷺ، ومسلم في الذكر والدعاء، والترمذي في الدعوات، وأبو داود في الصلاة، والنسائي في الجنائز وفي الاستعاذة.

ووردت الاستعاذة من (فتنة الدجال) في حديث رواه مصعب بن سعد رحمه الله عن أبيه ﷺ، وأخرجه البخاري في الدعوات وفي الجهاد، والترمذي

في الدعوات، والنسائي في الاستعاذة ٧١٨- وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يعلمهم الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن، قولوا: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المَحْيا والممات) - مسلم في المساجد، والترمذي في الدعوات، وأبو داود في الصلاة باب ما يقول بعد التشهد/٩٨٤/، والنسائي في الاستعاذة، وغيرهم -.

٧١٩- عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: (اللهم إني أعوذ بك من الكسل والهرم والجبن والبخل وفتنة الدجال وعذاب القبر) -الإمام أحمد في مسنده.

وقال الحافظ ابن كثير: إن الاستعاذة من الدجال قد وردت في أحاديث أنس وعائشة وابن عباس وسعد وعمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وغيرهم. وقال الحافظ الذهبي: إن الاستعاذة من الدجال متواترة عن رسول الله ﷺ، ومن ذلك حفظ عشر آيات من سورة الكهف .

وكثرة الأحاديث الصحيحة الواردة في الاستعاذة من فتنة المسيح الدجال دلالة أخرى على عظمة هذه الفتنة أعاذنا الله منها .

المسلمون في مواجهة الدجال

نستخلص مما سبق أن فتنة الدجال عظيمة، بل هي أعظم الفتن التي سوف تظهر، فعلى المسلم أن يتزود بما يحتاج إليه لمواجهة هذه الفتنة والنجاة منها .

فعلى المسلم أولاً أن يتفهم تعاليم دينه وأن يعمق إيمانه بالله سبحانه وتعالى وأن يتأكد من صدق إيمانه وإخلاصه لله سبحانه وتعالى، وهو يستوثق من ذلك إذا كان يرى ويحس أن الله ورسوله وتعاليم الإسلام أحب لديه من المال ومن إرواء الشهوات المتنوعة ومن الأهل والأقارب والأصحاب والأحباب والدنيا بما فيها، فإذا أحسّ ذلك وطبقه في أعماله ومعاملاته وأقواله يكون مؤمناً صادق الإيمان، وحينذاك يمكن له أن ينجو من شر فتنة الدجال إذا فر من الدجال واستعاذ من فتنته أو إذا واجهه وقرأ عشر آيات من أول سورة الكهف، وإذا اضطر إلى مواجهته ووقع تحت قبضته ولم يقرأ فواتح الكهف وأراد الدجال أن يرميه إلى جنته أو إلى ناره، فعلى المسلم أن يرمي نفسه فيما يراه ناراً لأنه جنة .

وفوق هذا وذاك فقد زود الله سبحانه وتعالى المسلمين بما يمكنهم من معرفة الدجال كيلا يسقطوا في أشراك فتنته:

١- فقد نبه رسول الله ﷺ المسلمين إلى أنهم لن يروا إلههم وهم أحياء في الحياة الدنيا. ومعنى ذلك أن كل من يدعي الألوهية قبل يوم القيامة كذاب .

٢- ونبههم إلى أن الدجال أعور، وإلى أن الله سبحانه وتعالى ليس بأعور، ومعنى ذلك أن زعم الدجال كاذب.

٣- وذكر صفة عينه العوراء، وصفة شعر رأسه ومظهره .

٤- وذكر ما سوف يفعله الدجال والخوارق التي تجري على يديه .

٥- ونبه إلى أن الدجال لا يملك سلطة قتل البشر .

٦- ونبه إلى أن المحل والجوع سوف يصيبان المؤمنين الكافرين بالدجال، وبيّن أن ذِكر الله وتسبيحه وتمجيده يشعرهم بالشبع ويدفع عنهم غائلة الجوع .

٧- ونبّه إلى حقيقة جنة الدجال وناره، وأن في وسع المؤمن الظمآن أن يغمض عينيه ويشرب من نار الدجال لأنها ماءُ بارد عذب طيب .

٨- ونبّه إلى أن الدجال سوف يُقتل بيد عيسى ابن مريم عليه السلام، وأن جنوده سوف يقتلون بأيدي المسلمين . ولم يترك لنا شيئاً غير واضح أو أمراً مطموساً، فحقيقة الدجال أصبحت جليةً ساطعة، وأمام المسلم زاد يتزود به لمواجهة الدجال وأسلحة يتسلح بها، وطريق النجاة واضح وطريق الهلاك واضح، وما على المسلم إلا أن يفعل ما أمره به نبيهُ محمد ﷺ، وبذلك ينجو من هذه الفتنة العظيمة وتصبح الجنة قريبة المنال منه، فلله الحمد الكثير الطيب على رحمته الواسعة التي شمل بها أمتنا الإسلامية .

قصة الدجال كما لخصها ابن كثير

قال الحافظ ابن كثير عن خروج الدجال:

فيكون بدء ظهوره من أصبهان من حارة يقال لها اليهودية، وينصره من أهلها سبعون ألف يهودي، عليهم الأسلحة والتيجان والطيالسة الخضر، وكذلك ينصره سبعون ألفاً من التتار، وخلْق من أهل خراسان، فيظهر أولاً في صورة ملك من الملوك الجبابرة، ثم يدعي النبوة، ثم يدعي الربوبية، فيتبعه على ذلك الجهلة من بني آدم والطّغام من الرعاع والعوام ويخالفه ويرد عليه من هداه الله من الصالحين وحزب الله المتقين، ويتدنى فيأخذ البلاد بلداً بلداً وحصناً حصناً وإقليماً إقليماً وكُورةً كورة، ولا يبقى بلدُ من البلدان إلا وطئه بخيله ورجله غير مكة والمدينة ومدة مقامه في الأرض أربعون يوماً: يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائرُ أيامه كأيام الناس هذه ومعدل ذلك سنة وشهران ونصف، وقد

خلق الله على يديه خوارق كثيرة يضل بها من يشاء من خلقه، ويثبت معها المؤمنون فيزدادون بها إيماناً مع إيمانهم وهدىً إلى هداهم، ويكون نزول عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام مسيح الهدى في أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة على المنارة الشرقية بدمشق، فيجتمع عليه المؤمنون، ويلتفُّ معه عباد الله المتقون، فيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام قاصداً نحو الدجال وقد توجه نحو بيت المقدس فيدركه عند عقبة أفيق، فينهزم منه الدجال، فيلحقه عند باب مدينة لدّ فيقتله بحربته وهو داخل إليها .

الطغام: أرذال الناس وأوغادهم، مفرده: طغامة، للذكر والأنثى .

كنية الدجال

قال الحافظ ابن كثير: روى الحافظ أحمد بن علي الأبار في تاريخه عن طريق مجالد عن الشعبي أنه قال: كنية الدجال أبو يوسف .

المسيح المنتظر عيسى ابن مريم عليه السلام

٧٢٠- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (الأنبياء إخوةٌ لِعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم، لأنه لم يكن بيني وبينه نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصَّران –في رواية: سبط – كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيدق –فيكسر– الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، فيهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه الدجال، ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيّات فلا تضرهم، فيمكث أربعين سنة–وفي رواية: فيمكث ما شاء الله أن يمكث– ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) - الإمام أحمد في مسنده: ٤٠٦/٢ -.

ملاحظة : كل ما جاء في هذا الحديث يوافق الأحاديث الصحيحة .

إخوة لعلات: هم أولاد الرجل الواحد من نسوة شتى، وقد مثل ﷺ بذلك لتصوير الأواصر المتينة بين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، العلة: الضرة، وأولى الناس بعيسى ابن مريم أي أقربهم إليه لأنه جاء قبله وبشر به، مربوع: ليس بالطويل ولا بالقصير، إلى الحمرة والبياض: وجهه أبيض وعليه حمرة، ثوبان ممصران: يقال للثوب ممصر إذا كان فيه صفرة خفيفة يسيرة، يضع الجزية: يسقطها عن أهل الكتاب ويلزمهم باعتناق الإسلام، الأمنة: الأمن وهو نقيض

الخوف، والأمن المقصود هنا هو انتفاء وجود الأذى من الإنسان والوحوش الضارية والهوام وسائر المخلوقات، ترتع: ترعى في الخصب وتنعم بالشبع والري، النمار: ج نمر .

٧٢١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد) - البخاري في البيوع باب قتل الخنزير وفي بدء الخلق باب نزول عيسى وفي غيرهما، وفي المظالم باب كسر الصليب وقتل الخنزير بلفظ (لا تقوم الساعة حتى ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً .. الحديث) ، والإمام أحمد بسند صحيح في مسنده: ٢، وفي رواية له (حكماً عادلاً وإماماً مقسطاً) ، ومسلم باللفظ الأول في الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم .. ، والترمذي في الفتن باب ما جاء في نزول عيسى رقم/٢٢٣٤/ ، وأبو داود في الملاحم باب خروج الدجال رقم/٤٣٢٤/ ، والحاكم بسند صحيح، وفي رواية أبي داود بسند صحيح أن رسول الله ﷺ قال: (ليس بيني وبينه – يعني: عيسى – نبي، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، فإنه رجل مربوع، إلى الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، فيقاتل الناس على الإسلام، فيدق الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، ويهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك المسيح الدجال، ثم يمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون) ، وفي رواية عند البخاري في بدء الخلق باب نزول عيسى ابن مريم عليهما السلام، وعند مسلم في الإيمان باب نزول عيسى .. (وحتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: ﴿ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ ، وفي أخرى لمسلم في الباب بعد لفظة الجزية وللإمام أحمد: (ولتذهبن الشحناء والتباغض والتحاسد، وليدعونّ إلى المال فلا يقبله أحد) ، وفي رواية للإمام أحمد والحاكم زيادة بين لفظ الدجال ولفظ ثم يمكث (ثم تقع الأمنة على الأرض حتى ترتع الأسد مع الإبل والنمار مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات) - حكم: حاكم، مقسط: عادل، بلل: ابتلال بالماء، الملل: ج ملة: الشرائع والديانات والمقصود هنا النصارى واليهود والملل الوثنية، الشحناء: العداوة.

٧٢٢- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ينزل ابن مريم إماماً عادلاً وحكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويرجع السلم ويتخذون السيوف مناجل ويذهب حمة كل ذات حمة، وتنزل السماء رزقها، وتخرج الأرض بركتها حتى يلعب الصبي بالثعبان فلا يضره، ويراعي الغنم الذئب فلا يضرها، ويراعي الأسد البقر فلا يضرها) - الإمام أحمد في مسنده: ٤٨٢/٢، ٤٨٣ وإسناده جيد قوي صالح كما قال الحافظ ابن كثير- مناجل: جمع منجل وهو آلة الحصاد، والمعنى يستخدمون السيوف لحصاد المزروعات بدلاً من المنجل بسبب انتشار السلام وانعدام الحروب والاقتتال، الحمة: السم أو الشوكة التي تلسع بها العقرب وما شابهها.

٧٢٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (لا تقوم الساعة حتى لا تنطح ذات قرن جماء) - الإمام أحمد في مسنده: ٤٤٢/٢، لا بأس بإسناده كما قال الحافظ ابن كثير- الجماء: التي ليس لها قرون، ومعنى ذلك أن الأمن يسود حتى لا تنطح ذوات القرون الحيوانات التي ليس لها قرون.

٧٢٤- عن ابن مسعود ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: (لقيت ليلة الإسراء أبي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام، فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى موسى فقال: لا علم لي بها، فردوا أمرهم إلى عيسى، فقال: أما وجبتها فلا يعلم بها أحد إلاّ الله، وفيما عهد إليّ ربي عز وجل أن الدجال خارج ومعي قضيبان، فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص، قال: فيهلكه الله إذا رآني، حتى أن الشجر والحجر يقول: يا مسلم إن تحتي كافراً فتعال فاقتله . قال: فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج من كل حدب ينسلون، فيطؤون بلادهم، لا يأتون على شيء إلا أكلوه، ولا يمرون على ماءٍ إلا شربوه، قال: ثم يرجع الناس يشكونهم، فأدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم، حتى تَجْوَى الأرض من نَتن ريحهم، وينزل الله المطر فتجرف أجسادهم، حتى تقذفهم في البحر، ففيما عَهد إلي ربي عز وجل أن ذلك إذا كان كذلك، أن الساعة كالحامل المتم، لا يدري أهلها متى تفجؤهم بوِلادها ليلاً أو نهاراً) - الإمام أحمد في مسنده: ٣٧٥/١، وابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال وخروج .. حديث٤٠٨١: ١٣٦٥/٢، ١٣٦٦- الوجبة هنا السقطة مع صوت كالهدة وأراد بها خروج النار من عدن وما يليها، الحدب: ما أشرف من الارض وغلظ وارتفع، ينسلون:

يسرعون، تجوى الأرض من نتن ريحهم: المقصود: تنتشر الرائحة الكريهة في الأرض كلها من رائحة أجسادهم المتعفنة الكريهة الخانقة، الحامل المتم: هي الحامل التي أتمت مدة حملها وتوشك على الولادة، ومعنى ذلك أن الساعة تصبح وشيكة الوقوع .

٧٢٥- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليلة أسري بي لقيت موسى فنعته فإذا رجل مضطرِب رَجِلُ الرأس كأنه من رجال شَنوءة). قال: (ولقيت عيسى فنعتّه) قال: (رَبْعة أحمر كأنما خرج من ديماس) - البخاري في الأنبياء باب قول الله تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ ...﴾ ، ومسلم في الإيمان باب الإسراء برسول الله ﷺ- . مضطرب: طويل غير شديد الأسر خفيف اللحم، رجل: بين السبوطة والجعودة أي ليس شديد الجعودة ولا شديد السبوطة بل بينهما، الديماس: الحمام، شنوءة: قبيلة معروفة .

٧٢٦- عن ابن عباس ﷺ عن النبي ﷺ قال: (رأيت ليلة أسري بي موسى رجلاً آدم طوالاً جعداً كأنه من رجال شنوءة، ورأيت عيسى رجلاً مربوعاً، مربوع الخلق، إلى الحمرة والبياض، سَبْطَ الرأس، ورأيت مالكاً خازن النار، والدجال في آيات أراهنّ الله إياه، فلا تكن في مِرْية من لقائه) - البخاري في بدء الخلق باب إذا قال أحدكم آمين ..- المرية: الشك .

٧٢٧- قال عبد الله بن سلام ﷺ: مكتوب في التوراة صفة محمد وصفة عيسى ابن مريم ﷺ ويُدفن عيسى مع محمد ﷺ- الترمذي بسند حسن- وقد قال الحافظ ابن كثير: وقد بقي في الروضة الشريفة التي فيها جسم النبي ﷺ وصاحبيه موضع قبر، فيبدو وأنه لعيسى عليه السلام، والله أعلم. لكن البخاري قال: هذا الحديث لا يصح عندي ولا يتابع عليه- انظر: قصص الأنبياء للحافظ ابن كثير-.

٧٢٨- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليُحجنّ هذا البيت، وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج) - البخاري في الحج باب قول الله تعالى: ﴿ ۞ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ ...﴾ ، والإمام أحمد في مسنده: ٣، وقال البخاري قال عبد الرحمن بن مهدي عن شعبة (لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت) قال البخاري: والأول أكثر-.

٧٢٩- عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ قال: (ليُهلنّ ابنُ

مريم بفَجّ الرَّوحاء حاجاً أو معتمراً- أو: ليثنيهما-) - مسلم في الحج باب إهلال النبي ﷺ وهديه، والإمام أحمد في مسنده: ٢- يهل: يقول لبيك اللهم لبيك، فج الروحاء: مكان في الطريق من المدينة إلى بدر، وقيل: يبعد عن المدينة ستة أميال.

٧٣٠- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سبحان الله - أو: لا إله إلا الله، أو كلمة نحوها - لقد هممت أن لا أحدث أحداً شيئاً أبداً، إنما قلت: إنكم سترون بعد قليل أمراً عظيماً، يحرَّق البيت، ويكون ويكون ..ثم قال: قال رسول الله ﷺ: (يخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين، لا أدري أربعين يوماً أو أربعين شهراً أو أربعين عاماً، فيبعث الله عيسى ابن مريم كأنه عروة بن مسعود، فيطلبه فيهلكه، ثم يمكث الناس سبع سنين ليس بين اثنين منهم عداوة، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشأم، فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه) قال: سمعتها من رسول الله ﷺ، قال: (فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفاً، ولا ينكرون منكراً، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان- عند أحمد زيادة: فيعبدونها-، وهم في ذلك دارّ رزقهم حسن عيشهم، ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى لِيتاً ورفع ليتاً، - قال: - وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، - قال: - فيَصْعَقُ ويصعق الناس، ثم يرسل الله- أو قال: ينزل الله- مطراً كأنه الطّلّ- أو الظّلّ، الشاك هو نعمان من رواة الحديث- فتنبت منه أجساد الناس، ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون، ثم يقال: يا أيها الناس هلم إلى ربكم وقفوهم إنهم مسؤولون- قال: ثم يقال: أخرجوا بَعْث النار، فيقال: من كم؟ فيقال: من كل ألفٍ تسع مائةٍ وتسعة وتسعون- قال: - فذاك يوم يجعل الولدان شيباً، وذلك يوم يُكشَف عن ساقٍ) - مسلم في الفتن باب خروج الدجال ..، والإمام أحمد في مسنده: ٢- الليت: صفحة العنق وهي جانبه، أصغى: أمال، والمعنى: يموت الرجل بسماعه صوت الصور مباشرة فيسترخي رأسه على أحد الطرفين. وجاء في الحديث الصحيح-٦١٣- عن الساعة: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آياتٍ) فعددها، ومنها (ونزول عيسى ابن مريم ﷺ) .

نزول المسيح عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام في دمشق

إن نزول سيدنا عيسى ابن مريم ﷺ هو العلامة الثانية من العلامات

الكبرى التي تسبق يوم القيامة، وقضية نزوله ثابتة في أحاديث صحيحة كثيرة، وسوف يكون نزوله عند– المنارة البيضاء– في دمشق، ولقد كنت أظن أن المنارة البيضاء قد تهدمت واندرست وأن سيدنا عيسى عليه السلام سوف ينزل في موضعها ولكن أخاً كريماً أرانيها فإذا هي ما تزال عامرةً تترقب نزول المسيح عليه السلام إلى جانبها .

وإنني أصفها الآن من الذاكرة لأن رؤيتي لها كانت منذ زمن، فهي تقع في الجهة الشرقية من دمشق القديمة، وهي مئذنة صغيرة أظن أن ارتفاعها يبلغ حوالي ثلاثة أمتار منشأة فوق جدار أثري عريض يبلغ ارتفاعه حوالي ثلاثة أمتار أيضاً، وهذه الأطوال تقديرية، والمنارة والجدار مبنيان من الحجارة البيضاء، وهذا الجدار والمئذنة التي تعلوه يقع إلى جانب شارع عريض، ولا أعلم ماذا يوجد داخل الجدار، فلقد أنساني رؤيتي المنارة البيضاء كل شيء غيرها، ولكنني رأيت ضلعاً آخراً لهذا الجدار مطلياً بالطين إلى جانب زقاق ضيق، ورأيت فيه نوافذ وسمعت من النوافذ أصواتاً، واستخلصت أنه يحوي بيوتاً متصلة به يقطنها بعض الناس .

فالمنارة البيضاء إذن ما تزال قائمة منتصبة تترقب نزول المسيح عيسى عليه السلام إلى جانبها قبيل صلاة الفجر ولسوف يمضي إلى المسجد الذي يصلي فيه إمام المسلمين، وأظنه المسجد الأموي، ثم يصلي صلاة الفجر مع المسلمين ويطلب منهم التحرك لقتال الدجال .

مقتل الدجال

وهكذا سوف يمضي سيدنا عيسى عليه السلام إلى قتال الدجال وأتباعه، فيجده عند باب لُدّ قرب القدس الشريف كما نصت الأحاديث الصحيحة الكثيرة، ويذوب الدجال بمجرد رؤيته لسيدنا عيسى عليه السلام، ولو تركه سيدنا عيسى عليه السلام لذاب كما يذوب الملح في الماء أو كما يذوب الرصاص، ولكنه يقتله إحياءً لفريضة الجهاد .

ويشتبك المسلمون مع أتباع الدجال وفيهم سبعون ألف يهودي تبعوه من أصبهان، وفيهم من الملل والأقوام كلها، فيقاتلهم المسلمون ويهزمونهم، ولكن لا ينجو منهم أحد، لأن الحجر والشجر إذا اختبأ خلفه يهودي فسوف يصرخ: يا مسلم هذا يهودي أو هذا كافر ورائي فتعال فاقتله .

وهكذا يتم قتل أتباع الدجال جميعاً، ثم يأتي إلى سيدنا عيسى عليه السلام

مسلمون كانوا معتصمين بالجبال من شر فتنة الدجال، فيمسح سيدنا عيسى عليه السلام عن وجوههم، ويخبرهم سيدنا عيسى عليه السلام بدرجاتهم في الجنة لأنهم حافظوا على إيمانهم ونجوا من الفتنة، ثم يظهر قوم يأجوج ومأجوج، ويعتصم سيدنا عيسى عليه السلام بجبل الطور بفلسطين حتى يقضي الله سبحانه وتعالى بإبادتهم، فيخرج .

مجاهدة المشركين والكافرين والدعوة إلى الإسلام

ويدعو سيدنا عيسى عليه السلام المسلمين إلى مجاهدة المشركين والكافرين، ويكسر الصّلبان ويقتل الخنازير، وهذان رمزان يريد بهما إبطال الديانة المسيحية الراهنة، ولا يقبل الجزية من أحد، فلا يقبل من أحد سوى الإسلام، وسوف يهلك الله سبحانه وتعالى الملل كلها ولن يبقى في حياته سوى الإسلام، وسوف يموت الكافرون والمشركون جميعاً بسيوف المسلمين المجاهدين وبرائحة سيدنا عيسى عليه السلام التي يموت بها الكافرون، وهي تنتشر دائماً إلى حدود الآفاق حيثما حلّ، فلا يبقى سوى الإسلام والمسلمين، وتصبح الكرة الأرضية كلها دولة واحدة إسلامية يحكمها سيدنا عيسى عليه السلام وسوف يكون إماماً عادلاً وحاكماً مقسطاً يحكم وفق شريعة الإسلام، وسوف يحج ويعتمر، وباختصار سوف يقوم بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية بكاملها وبحذافيرها .

إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام

يقول الله تعالى في سورة النساء (الآيات ١٥٦ - ١٥٩) وهو يعدد جرائر اليهود العظيمة والكثيرة: ﴿ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ ﴾ .

ففي الآية الأخيرة يقول الله تعالى: إن أهل الكتاب سوف يؤمنون بعيسى ﷺ قبل موته، و(إنْ) هنا حرف نفي بمعنى (ما) ، فالجملة تصبح: ما من أحد من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته، والموت المقصود هو بعد نزوله من السماء،

فسيدنا عيسى عليه السلام لم يمت، وإنما رُفع إلى السماء، وقلَب الله تعالى سحنة الواشي فجعله يبدو كسيدنا عيسى عليه السلام فصلب اليهود ذلك الشبيه، بينما رفع الله عزّ وجل عيسى عليه السلام إلى السماء، وهذا ما أخبرت عنه الآيات السابقة، ورأيت في إنجيل برنابا القصة توافق ما جاء في هذه الآيات، ويقول الله تعالى إن الذين اختلفوا في سيدنا عيسى فجعله بعضهم إلهاً وجعله بعضهم مزيجاً من (اللاهوت والناسوت) أو من الألوهية والبشرية لم يطمئنوا إلى اعتقادهم، فهم لا يعرفون الحقيقة، وإنما يتبعون الظن، وكذلك الذين يظنون أنه صلب ودفن ثم قام من قبره .

والأحاديث الصحيحة التي مرت بنا تؤيد ما فهمته من الآية الأخيرة حول إيمان أهل الكتاب بعيسى عليه السلام بعد نزوله من السماء . ولقد رأيت من يظن أن سيدنا عيسى عليه السلام يزور كل مسيحي بعد موت المسيحي ويقول له: إنني بشر فكيف جعلتني إلهاً فيعرف المسيحي حقيقة عيسى عليه السلام، وهذا التفسير خطأ، ولو كان الضمير في (موته) يعود على (أحد من أهل الكتاب) لكان ينبغي أن يقول الله تعالى (بعد موته) أي بعد موت الكتابي، فظهر هنا أن الضمير في (موته) يعود على سيدنا عيسى عليه السلام، ويكون المقصود موته بعد نزوله الذي نصت عليه الأحاديث الصحيحة، أما من يموت من الناس فيعرف الحق بمجرد موته دون أن يزوره سيدنا عيسى عليه السلام .

وقد نصت الأحاديث السابقة على أن أهل الملل جميعاً يهلكون في حياته سوى الاسلام، فالمشركون يموتون برائحته وبسيوف المجاهدين الإسلاميين، أما من يؤمن من أهل الكتاب به فيبقون أحياء، وعلى ذلك يصح القول أن جميع النصارى الذين يبقون أحياء في زمانه هم مؤمنون به، يؤمنون به بشراً نبياً مسلماً .

مدة حكم عيسى عليه السلام

يحكم سيدنا عيسى عليه السلام الأرض سبع سنوات، وإذا كانت هناك أحاديث قد ذكرت أنه يمكث أربعين سنة وأحاديث ذكرت أنه يمكث سبع سنوات، فإن المعنى المقصود أنه ﷺ قد عاش في الأرض ثلاثاً وثلاثين سنة قبل ارتفاعه إلى السماء، وعلى هذا تكون الأحاديث التي ذكرت أنه يمكث أربعين سنة قد أرادت مدتي مكثه في الأرض القديمة والجديدة، ومعنى ذلك أنه ﷺ سوف يمكث في الأرض سبع سنوات.

انتشار السلام

وسوف يعم الدنيا خلال حكم سيدنا عيسى عليه السلام سلام لم تشهد البشرية مثيلاً له من قبل ولا تستطيع أن تحققه أبداً قبل سيدنا عيسى عليه السلام أو بعده. فسوف تنعدم الحروب بين الأمم والجماعات، وسوف تنعدم المشاجرات، وسوف تزول الشحناء والتباغض والتحاسد من النفوس، وسوف يحيا المسلمون في سلام ومحبة مع نبي السلام والمحبة ﷺ، وسوف يحب الناس بعضهم بعضاً، وسوف يسود الأمن ويخيم على الكرة الأرضية بكاملها، وسوف يمتد هذا الأمن والسلام والمحبة إلى الحيوانات فيما بينها من ناحية وفيما بينها وبين الإنسان من ناحية أخرى، فسوف ترتع الأسود والفهود والذئاب وغيرها من الحيوانات المتوحشة المفترسة مع البقر والإبل والغنم وغيرها دون أن تؤذيها، وسوف تذهب حُمَةُ كل ذات حمةٍ، ولن يبقى حيوان أو حشرة قادراً على أن يلسع أحداً، بل إن الحيوانات ذات القرون سوف تكف عن نطح بعضها، وسوف يلعب الأطفال والصبيان بالأفاعي دون أن تؤذيهم، فهو إذن سلامٌ لا يستطيع البشر جميعاً أن يحققوه، ولا يمكن أن يحلموا بتحقيق مثله، سلام لن يكون فيه أذى لإنسان أو حيوان على الإطلاق، فطوبى لمن كان جندياً من جنود سيدنا عيسى عليه السلام .

البركة والغنى

وبعد الخلاص من قوم يأجوج ومأجوج مباشرةً سوف تنزل السماء رزقها وتخرج الأرض بركتها، ويفيض المال، وتدعو الدولة الإسلامية رعاياها لأخذ المال فلا يأخذون منها شيئاً لأنهم أغنياء، ويبحث المسلمون عمن يأخذ منهم زكاة أموالهم فلا يجدون من يقبلها، ويبحث الإمام عمن يرضى بأخذ الأموال من بيت المال فلا يجد، فلقد أصبح الناس أغنياء إلى درجة عظيمة جداً بحيث يتركون بهائمهم تسعى وتسرح على الأرض دون أن يلاحقوها أو يبحثوا عنها، فالمسلمون جميعاً في غنى عظيمٍ، والمال والحاجات وفيرة، ولا يوجد عندهم أدنى شعور بالخوف من الفقر، وأظن أن مستودعاتهم ومساكنهم سوف تعجز عن تخزين ما يملكون، ولقد ذكر لنا رسول الله ﷺ أمثلة عن هذه البركة: (فيومئذ تأكل العصابة من الرمانة ويستظلون بقحفها ويبارك في لبن البهائم حتى أن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس) –حديث /٦٧٣/- (حتى

يجتمع النفر على القطف من العنب فيشبعهم، ويجتمع النفر على الرمانة فتشبعهم) - حديث/٦٧٦/- وهكذا تعم البركة الإلهية وتحل محل الجوع والحاجة المنتشرين في بلدان المسلمين، ومن هذه الأمثلة المضروبة نأخذ فكرة عن البركة التي سوف تعم الأرض ويمكن أن نتخيل درجة الغنى الفاحش الذي سوف يعم المسلمين جميعاً وفي ظلال هذه البركة وهذه الرفاهية وهذا النعيم سوف يتجه المسلمون إلى حمد وشكر وعبادة الله سبحانه وتعالى، وسوف يثيب الله سبحانه وتعالى عباده المسلمين الصادقي الإيمان والإسلام الذين نجوا من شر فتنة الدجال وتمكنوا من التغلب على شهواتهم وجاهدوا المشركين مع سيدنا عيسى عليه السلام، سوف يثيب الله سبحانه وتعالى هؤلاء المسلمين الصادقي الإيمان والإسلام بأعظم ثواب (حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها) .

وفاة عيسى عليه السلام

سوف يموت سيدنا عيسى عليه السلام بعد سبع سنوات من نزوله من السماء، ويصلي عليه المسلمون، وسوف يتم دفنه إلى جانب قبر رسول الله ﷺ كما روى الترمذي بسند حسن عن عبد الله بن سلام ﷺ عما وجده مكتوباً في التوراة، والله أعلم .

أوصاف سيدنا عيسى عليه السلام

لقد ذكر رسول الله ﷺ أوصاف سيدنا عيسى عليه السلام، فهو رجلٌ مربوعٌ، أي ليس بالطويل ولا بالقصير، يرتدي ثوبين أصفرين حين نزوله، سبط الشعر، يبدو شعر رأسه كمن خرج من حمّام، وجهه أبيض اللون مَشوب بحمرة.

صلاة سيدنا عيسى عليه السلام أول نزوله

مر بنا الحديث-٤٨٥- وهو: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة) قال: (فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تعال صلِّ لنا. فيقول: لا إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله هذه الأمة) - مسلم في الإيمان باب نزول عيسى، وفي الإمارة باب قوله: لا تزال طائفة ..واللفظ له، والإمام أحمد في المسند: ٣-.

٧٣١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم) وفي رواية (وأمّكم) وليس فيها (وإمامكم منكم) -

الإمام أحمد في مسنده: ٢ ، والبخاري في بدء الخلق باب نزول عيسى ﷺ ، ومسلم في الإيمان باب نزول عيسى ابن مريم ﷺ ..-.

ومر بنا في بحث الدجال حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما برواية الإمام أحمد: (فإذا هم بعيسى ابن مريم عليه السلام فتقام الصلاة فيقال له: تقدم يا رَوح الله . فيقول: ليتقدم إمامكم فيصلي بكم) . ومر بنا في الملحمة الكبرى حديث أبي هريرة برواية مسلم٦٥١ (فإذا جاؤوا الشام خرج – أي الدجال – فبينما هم يُعدون للقتال يسوون الصفوف إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم ﷺ فأمّهم) .

فنحن في هذه القضية أمام روايتين متناقضتين لصحابيين جليلين هما: أبو هريرة رضي الله عنه الذي يقول: إن سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام سوف يصلي إماماً بالمسلمين عندما ينزل في صلاة الصبح . وجابر بن عبد الله الذي يقول: إنه سيصلي مقتدياً بإمام المسلمين، وهذه الرواية مؤيدة بأحاديث أخرى مذكورة في غير الكتب الستة المقدمة عند جمهور المسلمين وهي الرواية الشائعة بين المسلمين .ومع ذلك أقول: إنني لا أستطيع ترجيح رأي على آخر، فقد يصلي سيدنا عيسى عليه السلام في صلاة الصبح مقتدياً بأمير المؤمنين للتدليل على أنه جاء متبعاً للديانة الإسلامية، وقد يكون المقصود بكلمة (فأمهم) أو (فأمكم) أي يصبح حاكماً لكم، والإمام في الحديث النبوي هو الحاكم .

وهذا التفسير لا يعني أنه ﷺ لن يصلي إماماً بالمسلمين بعد هذه الصلاة، فيمكن أن يصلي إماماً مع عدم وجود الخليفة، أما صلاته الأولى بعد نزوله مقتدياً بإمام المسلمين فهي ترمز إلى أنه جاء متبعاً للديانة الإسلامية.

سيدنا عيسى عليه السلام يتزوج

نقل الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية قول السهيلي في حديثه عن سيدنا عيسى عليه السلام ومنه: (ويتزوج حينئذ امرأة من بني جُذام، وإذا مات دفن في حجرة روضة رسول الله ﷺ) .

خروج يأجوج ومأجوج

خروج قوم يأجوج ومأجوج هو العلامة الثالثة من العلامات الكبرى. وهم سوف يظهرون بعد نزول سيدنا عيسى عليه السلام وبعد مقتل الدجال، ولقد جاء في سورة الأنبياء٢١: ٩٦و٩٧: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن

كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ .

٧٣٢- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال في السد: (يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً، قال: فيعيده الله كأشد ما كان، حتى إذا بلغ مدتهم، وأراد الله أن يبعثهم على الناس، قال الذي عليهم: ارجعوا فستحفرونه غداً إن شاء الله واستثنى، قال: فيرجعون، فيجدونه كهيئته حين تركوه، فيخرقونه، فيخرجون على الناس، فيشتفّون- أو: فينشفون- المياه، ويفر الناس منهم- عند أحمد بدلاً من الجملة السابقة: ويتحصن الناس منهم في حصونهم- فيرمون بسهام إلى السماء، فترجع مخضبة بالدماء فيقولون: قهرنا من في الأرض وعلونا من في السماء قسوة وعلواً، فيبعث الله عليهم نغفاً في أقفائهم، فيهلكون، فيصبحون فرسى، قال: فوالذي نفس محمدٍ بيده إن دواب الأرض تسمن وتبطر وتشكر شكراً من لحومهم) - الإمام أحمد في المسند ٢/ ٥١٠ و٥١١ من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة، ومن طريق حسن بن موسى الأشهب عن سفيان عن قتادة به، والترمذي في التفسير باب ومن سورة الكهف/ ٣١٥١ / وقال: هذا حديث حسن غريب، وابن ماجه في الفتن باب فتنة الدجال وخروج.. حديث/ ٤٠٨٠ /: (٢ / ١٣٦٤ و١٣٦٥) عن أزهر بن مروان عن عبد الأعلى عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة، قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٣٣٣/٥: (وإسناده جيد قوي، ولكن متنه في رفعه نكارة) والنكارة هي في قضية حفر السد، ولكن الله تعالى قادر على أن يخلق قوم يأجوج ومأجوج وأن يحجبهم عن عيون الناس حتى تأتي ساعة خروجهم فيخرق لهم السد، وقادر على أن يخلقهم في ساعة خروجهم . النغف: دود يكون في أنوف الإبل والغنم، واحدتها نغفة، فرسى: ج فريس بمعنى مفروس، من فرس الذئب الشاة : إذا قتلها، فمعنى فرسى: قتلى، استثنى: قال: إن شاء الله .

٧٣٣- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يفتح يأجوج ومأجوج، يخرجون على الناس كما قال الله عز وجل: ﴿ مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴾ فيغشون الأرض، وينحاز المسلمون عنهم إلى مدائنهم وحصونهم ويضمون إليهم مواشيهم، ويشربون مياه الأرض، حتى أن بعضهم

ليمر بالنهر فيشربون ما فيه حتى يتركوه يبساً، حتى أن من بعدهم ليمر بذلك النهر فيقول: قد كان هاهنا ماءٌ مرةً حتى إذا لم يبق من الناس إلا أحد في حصن أو مدينة، قال قائلهم: هؤلاء أهل الأرض قد فرغنا منهم بقي أهل السماء، قال: ثم يهز أحدهم حربته ثم يرمي بها إلى السماء فترجع مختضبة دماً للبلاء والفتنة، فبينا هم على ذلك إذ بعث الله دوداً في أعناقهم كنغف الجرار الذي يخرج في أعناقهم، فيصبحون موتى لا يسمع لهم حسٌّ، فيقول المسلمون: ألا رجلٌ يَشري نفسه فينظر ما فعل هذا العدو، قال: فيتجرد رجل منهم لذلك محتسباً لنفسه قد أظنها على أنه مقتول، فينزل فيجدهم موتى بعضهم على بعض، فينادي: يا معشر المسلمين ألا أبشروا فإن الله قد كفاكم عدوّكم، فيخرجون من مدائنهم وحصونهم ويسرِّحون مواشيهم، فما يكون لها رعي إلا لحومهم، فتشكر عنه كأحسن ما تشكر عن شيء من النبات أصابته قط) الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

ومر بنا في حديث النواس بن سمعان ﷺ برواية مسلم وغيره-٦٧٣-: (فبينما هم كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى: إني قد أخرجت عباداً لي، لا يدان لأحد بقتالهم فحرز عبادي إلى الطور، ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون فيمر أوائلهم على بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيراً من مائة دينارٍ لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفسٍ واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله فيرسل الله طيراً كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله، ثم يرسل الله مطراً لا يكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة) وفي رواية زيادة بعد قوله: (لقد كان بهذه مرة ماء) هي (ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض، هلم فلنقتل من في السماء فيرمون بنشابهم إلى السماء فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دماً) وجاء في الحديث-٦١٣- برواية الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن الساعة (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر (يأجوج ومأجوج) .

فقوم يأجوج ومأجوج هم من مخلوقات الله سبحانه وتعالى، وهم على صورة البشر، وهم كثيرو العدد، وكثرتهم هائلة، ولا يمكن إحصاء جموعهم،

فيكفي أن نعرف أنهم لا يتركون طعاماً خلفهم، ولا يتركون شيئاً أخضر، فهم يأكلون الأطعمة كلها، ويلتهمون كل نبات أخضر، ويشربون الماء الذي يمرون به، فلا يدعون خلفهم نقطة ماء حتى لتشرب أوائلهم مياه بحيرة طبريا فلا يذرون لأواخرهم نقطة ماء في البحيرة، وهذه الأمثلة تعطينا فكرة عن كثرتهم التي لا تحصى.

ومن المسلم به أنه لا توجد على ظهر الكرة الأرضية قوة تستطيع الصمود في وجههم، وهم يقتلون كل من يجدونه أمامهم من البشر حتى أن الله سبحانه وتعالى يوحي إلى سيدنا عيسى عليه السلام بأن يخرج بالمسلمين إلى جبل الطور فراراً من قوم يأجوج ومأجوج لأنه لا قدرة له عليهم، وهذه مشيئة الله سبحانه وتعالى.

وتقل الأطعمة لدى المسلمين بسبب الحصار ويتعرضون للجوع، فيدعو نبي الله عيسى عليه السلام الله سبحانه وتعالى لكي ينقذهم من هؤلاء المتوحشين الأجلاف، ويستجيب الله سبحانه وتعالى فيسلط دوداً على رقابهم فيموتون جميعاً في وقت واحد كما يموت إنسان واحد، ويرسل سيدنا عيسى عليه السلام من يستكشف أمرهم، ثم يخرج سيدنا عيسى عليه السلام والمسلمون من مخبئهم، فيرون الأرض مفروشة بالجثث المنتنة، فيدعو سيدنا عيسى عليه السلام ربه لكي ينقذهم منها، فيرسل الله سبحانه وتعالى طيوراً ضخمة كأعناق الجمال الطويلة تحمل الجثث ثم ينزل مطراً يغسل الأرض من بقايا قذاراتهم حتى تصبح الأرض كالمرآة، ثم تعطي الأرض بركتها لسيدنا عيسى عليه السلام وللمسلمين، ومن المرجح أن قوم يأجوج ومأجوج يأتون من الشرق وأنهم يصلون إلى فلسطين ولا يمرون بأوربا وأميركا وإفريقيا والله أعلم .

الانحراف التدريجي عن الدين بعد عيسى عليه السلام

يمكث سيدنا عيسى ابن مريم عليه السلام في الأرض سبع سنين، وهو يقتل الدجال عقيب نزوله مباشرة، ثم يظهر قوم يأجوج ومأجوج ويحاصرونه مع المسلمين في جبل الطور، ثم يهلك الله سبحانه وتعالى قوم يأجوج ومأجوج ويسخر طيوراً لحمل جثثهم، ويسخر المطر لغسل الأرض وتطهيرها من أدرانهم وروائحهم الكريهة، ثم يحمل سيدنا عيسى عليه السلام لواء الجهاد داعياً البشرية جمعاء إلى اعتناق الدين الإسلامي، ويلغي الجزية، فيصبح الناس أمام اختيارين

لا ثالث لهما: إما اعتناق الإسلام أو الموت قتلاً بسيوف المجاهدين المسلمين أو الموت برائحة سيدنا عيسى عليه السلام التي تمتد إلى حدود الآفاق حيثما سار، وتصبح الكرة الأرضية كلها دولة واحدة يحكمها المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام وفق الشريعة الإسلامية، فينتشر العدل ويختفي الجور وتسود المحبة بين الناس ويرتفع الأذى والعدوان والشر من الأرض حتى أن الحيوانات المفترسة والسامة تفقد القدرة على الإيذاء، فيلعب الصبيان بالحيات دون أن تؤذيهم، وقبل ذلك وخلاله تنتشر البركة في بلاد المسلمين وينتشر الغنى وتنتشر الرفاهية فيحيا الناس حياة لا يستطيع ملوك الأرض أن يحيوا مثلها وأن يتنعموا بمثل خيراتها، ثم يموت سيدنا عيسى عليه السلام بعد سبع سنوات من نزوله، ولا خير في الحياة بعده كما قال سيدنا محمد ﷺ ويبدأ الناس في الانحراف التدريجي عن الدين حتى تشيع الفاحشة والعصيان بين الناس ويقل الإيمان الصادق بالله تعالى، وباختصار يعود الناس إلى ما كانوا عليه قبل قيام الدولة الإسلامية ونزول سيدنا عيسى عليه السلام، بل ربما أصبحوا أسوأ مما كانوا عليه كما يبدو من الأحاديث النبوية الشريفة .

مطر غزير

٧٣٤- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تقوم الساعة حتى تمطر السماء مطراً لا يُكنُّ منه بيوت المَدَر ولا يكن منه إلا بيوت الشعر) - الإمام أحمد في مسنده: ٢/٢٦٢ المدر: الطين الصلب، والمقصود هو البيوت المبنية في المدن وغيرها، بيوت الشعر: الخيام حيث تصنع من الصوف والوبر وشعر الماعز، يكن: يستر ويقي .

٧٣٥- عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يمطر الناس مطراً عاماً ولا تنبت الأرض شيئاً) - الإمام أحمد في مسنده: ٣ - .

ومر بنا في حديث النواس بن سمعان ﷺ برواية مسلم وغيره/ ٦٧٣ / (ثم يرسل الله مطراً لا يُكِنّ منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض أنبتي ثمرتك وردّي بركتك) فحديث النواس بن سمعان يدل بوضوح على أن هذا المطر يكون بعد موت يأجوج ومأجوج، فهو لتنظيف الأرض وتطهيرها من قذاراتهم وبقايا جثثهم المنتنة.

وحديث أبي هريرة ﷺ قد يكون أيضاً عن المطر الذي يأتي بعد فناء يأجوج ومأجوج. أما حديث أنس فلا يمكن أن يكون عن مطر يأجوج ومأجوج،

لأنه قال فيه إنه مطر عام وأفهم من ذلك أنه يصيب الكرة الأرضية كلها، ثم قال (ولا تنبت الأرض شيئاً) فقد يكون هذا المطر هو المطر الذي يهطل بعد نفخة الصور الأولى المذكور في الحديث٧٩٧، والله أعلم.

مخاطبة السّباع والأشياء

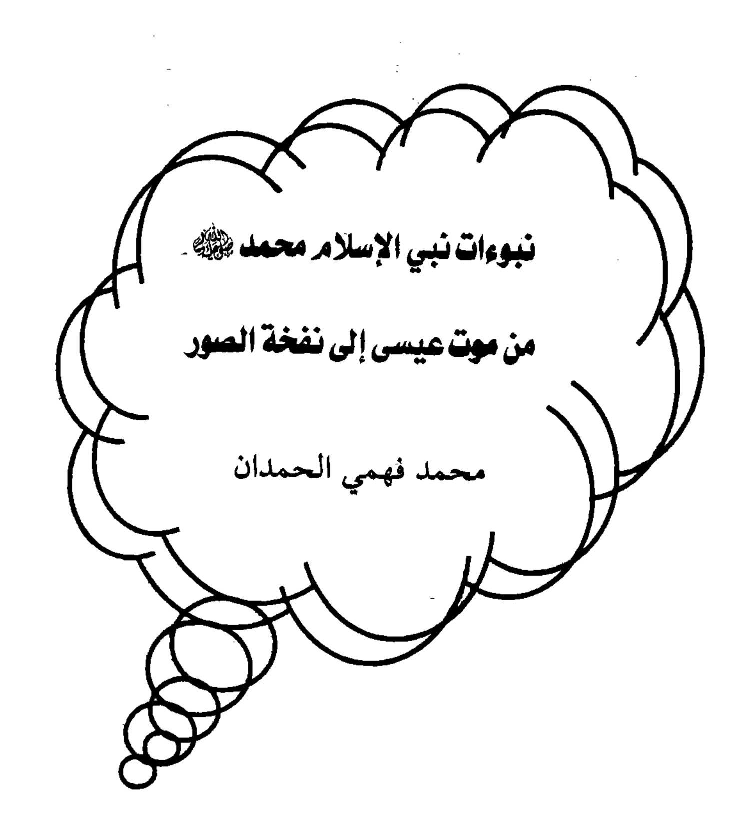
٧٣٦- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى تكلم السباع الإنس، وحتى تكلم الرجل عذبةُ سوطه وشِراكُ نعله، وتخبره فخذُه بما أحْدَث أهلُه بعده) – رواه الترمذي في الفتن باب ما جاء في كلام السباع رقم /٢١٨٢/، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وهو كما قال، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٣ بلفظ (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يخرج أحدكم من أهله فيخبره نعله أو سوطه أو عصاه بما أحدث أهله بعده) وقال: ثنا يزيد ثنا القاسم بن الفضل الحداني عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري ﷺ بنحو حديث/٧٣٧/ وقال في ختامه: (والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس، ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده) قال ابن كثير في البداية والنهاية-١٤٣/٦-: وهذا إسناد على شرط الصحيح، وقد صححه البيهقي-.

٧٣٧- عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء ذئب إلى راعي الغنم فأخذ منها شاة، فطلبه الراعي حتى انتزعها منه، قال: فصعد الذئب على تل فأقعى واستذفر فقال: عمدت إلى رزق رزقنيه الله عز وجل انتزعته مني. فقال الرجل: تالله أن رأيت كاليوم ذئباً يتكلم. قال الذئب: أعجب من هذا رجل في النخلات بين الحرتين يخبركم بما مضى وبما هو كائن بعدكم. كان الرجل يهودياً، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ وخبره، فصدقه النبي ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: إنها أمارة من أمارات بين يدي الساعة قد أوشك الرجل أن يخرج فلا يرجع حتى تحدثه نعلاه وسوطه ما أحدث أهله بعده) - الإمام أحمد في مسنده: ٢- عذبة سوطه: السير المعلق في طرف سوطه .

ظن بعضهم أن هذه الآيات العظيمة قد ظهرت عندما كلم الذئب الراعي وحينما وفد ذئب على رسول الله ﷺ ليفاوضه باسم جماعة الذئاب عما سوف يعطيهم المسلمون من رزق في ظل الإسلام، فأبوا، وحينذاك سمح لهم رسول الله ﷺ بأن يختلسوا طعامهم اختلاساً من المسلمين، ولكن هذا القول خاطئ، فهاتان القصتان هما من معجزات رسول الله ﷺ، فهذه الآيات لم تمر لأن رسول

الله ﷺ ذكر أمثلة على من يتحدث فذكر السّباع أي الحيوانات المفترسة كلها والنعال والسياط، ثم ذكر أن هذه الأمور سوف تحدث قبل قيام الساعة .

فمخاطبة الحيوانات المفترسة والأشياء التي تنعدم فيها الحياة كالنعال والسياط والأفخاذ من الأمور التي تحدث قبل قيام الساعة، ولم تحدث بعد، ولم أتمكن من التعرُّف على زمن وقوعها، ولعلها تقع في زمان سيدنا عيسى عليه السلام، والله أعلم .


نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ
من موت عيسى إلى نفخة الصور
محمد فهمي الحمدان



طلوع الشمس من مغربها

٧٣٨- عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثاً لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن أول الآيات خروجاً طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها فالأخرى على إثرها قريباً) - الإمام أحمد في مسنده: ٢٠١/٢، ومسلم في الفتن باب في خروج الدجال ، وأبو داود في الملاحم باب أمارات الساعة رقم٤٣١٠، وقال: قال عبد الله وكان يقرأ الكتب: وأظن أولهما خروجاً طلوع الشمس من مغربها-.

٧٣٩- عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ ((أو يأتي بعض آيات ربك)) قال: (طلوع الشمس من مغربها) - الإمام أحمد في مسنده: ٣، والترمذي في التفسير باب ومن سورة الأنعام٣٠٧٣، والطبري رقم١٤٢٠١، وفي سنده عطية العوفي وهو ضعيف والراوي عنه ابن أبي ليلى سيئ الحفظ-.

٧٤٠- عن صفوان بن عسال المرادي قال رسول الله ﷺ : (إنّ مِن قِبَل مغرب الشمس باباً مفتوحاً للتوبة حتى تطلع الشمس من نحوه، فإذا طلعت الشمس من نحوه لم ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) - الإمام أحمد في مسنده: ٢٤٠/٤، وأبو داود الطيالسي٢٢٠/٢، والطبري رقم١٤٢٠٦-.

٧٤١- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن مَن عليها) وفي رواية زيادة (فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل) وفي رواية (فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفساً إيمانها، لم تكن آمنت أو كسبت في إيمانها خيراً) - البخاري في التفسير باب سورة الأنعام، وفي الرقاق، وفي الاستسقاء، وفي الزكاة، ومسلم في الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، والإمام أحمد في مسنده: -٢-وأبو داود في الملاحم باب أمارات الساعة حديث٤٣١٢، وابن ماجه في الفتن باب طلوع الشمس من مغربها حديث ٤٠٦٨: -١٣٥٢/٢- وفي رواية أخرى للبخاري زيادة عن قيام الساعة، وهذا لفظ الحديث: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً، ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه

ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يَليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقو من الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها) - رواه البخاري في الدعوات باب طلوع الشمس من مغربها، ورواه البخاري ومسلم في سياق الحديث٣١-.

٧٤٢- عن أبي ذر الغفاري ﷺ قال: كنت مع رسول الله في المسجد عند غروب الشمس فقال: (يا أبا ذر أتدري أين تذهب هذه الشمس؟) فقلت: الله ورسوله أعلم قال (تذهب لتسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها، ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، فيقال لها: ارجعي من حيث جئت، فتطلع من مغربها، فذلك قوله عز وجل ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٣٨ ﴾ وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ (تدرون متى ذاكم؟ ذاكم حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) وفي أخرى مختصراً: قال: سألت النبي ﷺ عن قوله ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ قال (مستقرها تحت العرش).

-هذه روايات البخاري ومسلم، البخاري في تفسير سورة يس باب قوله ﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ﴾ وفي بدء الخلق، وفي التوحيد، ومسلم في الإيمان باب بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان، والترمذي في التفسير باب ومن سورة- يس-رقم٣٢٢٥، وفي الفتن باب ما جاء في طلوع الشمس من مغربها، ورواه السيوطي في الدر المنثور ٢٦٣/٥، وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات-.

٧٤٣ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (من تاب قبل طلوع الشمس من مغربها تاب الله عليه) – الإمام أحمد في مسنده: ٢، ومسلم في الذكر والدعاء باب استحباب الاستغفار-.

٧٤٤ - عن زِرّ بن حُبيش رحمه الله قال: حدثنا صفوان عسال المرادي قال: قال رسول الله ﷺ : (باب مِن قِبَل المغرب مسيرة عرضه، أو قال: يسير الراكب في عرضه أربعين أو سبعين سنة، خلقه الله يوم خلق السموات والأرض مفتوحاً للتوبة لا يغلق حتى تطلع الشمس منه) -الترمذي في الدعوات باب ما جاء في فضل التوبة والاستغفار، وإسناده حسن، وقال الترمذي: حسن صحيح،

وصححه المنذري.

٧٤٥ - عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها) مسلم في التوبة باب غيرة الله-.

-وقد جاء في الحديث٣١ برواية الشيخين (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس يعني آمنوا أجمعون، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) وجاء في الحديث٦١٣ برواية الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن قيام الساعة: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر الدخان وطلوع الشمس من مغربها.

طلوع الشمس من مغربها هو العلامة الرابعة من علامات الساعة الكبرى، بعد ظهور الدجال ونزول عيسى ابن مريم وظهور قوم يأجوج ومأجوج وقد بيّن رسول الله ﷺ أن الناس حينما يرونها تطلع من مغربها يؤمنون جميعاً ولكن الله تعالى لا يقبل إيمان من آمن بعد ظهور هذه العلامة، لأن باب التوبة يغلق بعد ظهورها، ولا يقبل إلا إيمان من كان مؤمناً من قبل، وهذا يدل على أن هذه العلامة قد تظهر مع وجود مؤمنين وغير مؤمنين، ولهذا أظنها سوف تظهر في زمان الانحراف التدريجي عن الإسلام من بعد موت عيسى ﷺ قبل أن يموت المسلمون جميعاً بالريح الطيبة.

دابة الأرض

قال الله تعالى ﴿ ۞ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ - النمل ٢٧: ٨٢- قيل إن الدابة تخرج أثناء طواف عيسى ﷺ بالبيت، وهذا بعيد من الصواب، قال: ابن عباس والحسن وقتادة: تكلمهم أي تخاطبهم.ورجح ابن جرير تخاطبهم تقول. لهم: إن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. وحكاه عن علي وعطاء وفي هذا نظر. وعن ابن عباس تكلمهم تجرحهم، بمعنى: تكتب حفراً على جبين الكافر كلمة (كافر) وتكتب على جبين المؤمن كلمة (مؤمن) ، وعنه تخاطبهم وتجرحهم، وهذا القول ينتظم المذهبين، وهو قوي حسن جامع لهما، والله أعلم- تفسير ابن كثير-.

٧٤٦-عن عبد الله بن بريدة عن أبيه ﷺ قال: ذهب أبي ورسول الله ﷺ

إلى موضع بالبادية قريب من مكة، فإذا أرض يابسة حولها رمل، فقال رسول الله ﷺ : (تخرج الدابة من هذا الموضع) فإذا فِتْر في شِبْر-ابن ماجه في الفتن باب دابة الأرض حديث٤٢٦٧: ١٣٥٢/٢-.

الفتر هو المسافة بين طرفي السبابة والإبهام، والشبر ما بين طرفي الخنصر والإبهام، وهذا يعني أن طول موضع خروج الدابة شبر وعرضه فتر.

٧٤٧-عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (تخرج الدابة ومعها عصا موسى عليه السلام، وخاتم سليمان عليه السلام، فتَخْطِم الكافر- قال عفان: فتخطم أنف الكافر- بالخاتم، وتجلو وجه المؤمن بالعصا، حتى أن أهل الخِوان الواحد ليجتمعون على خوانهم فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر) - الإمام أحمد في مسنده: ٢٩٥/٢، وابن ماجه في الفتن باب دابة الأرض حديث ٤٦٦١: ١٣٥١/٢و١٣٥٢، وأبو داود في الفتن وعلامات الساعة باب خروج الدابة..حديث٢٧٩: ٢٢١/٢ذكره بمثله إلا أنه قال (فتحطم أنف الكافر بالعصا، وتجلو وجه المؤمن بالخاتم) وهذا أنسب كما قال الحافظ ابن كثير في: نهاية البداية والنهاية-.

تخطم: تسِمُ أنفه، والخِطام سِمة في عرض الوجه إلى الخد، يقال جمل مخطوم خطام ومخطوم خطامين بالإضافة، أي وسم بخطام ووسم بخطامين. الخوان: الذي يؤكل عليه أو المائدة.

٧٤٨-عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : (تخرج الدابة ومعها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن، وتخطم أنف الكافر بالخاتم، حتى أن أهل الخوان ليجتمعون فيقول هذا: يا مؤمن، ويقول هذا يا كافر، ويقول هذا : يا مؤمن) -الترمذي في التفسير باب ومن سورة النمل حديث٣١٨٦، وأخرجه الطبري٢٠/١٥، وفي سنده علي بن زيد بن جدعان وهو ضعيف، ولكن الترمذي حسنه وقال: وقد روي هذا الحديث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ من غير هذا الوجه في دابة الأرض، وفي الباب عن أبي أمامة وحذيفة بن أسيد، وروى هذا الحديث السيوطي في الدر المنثور١١٦/٥وزاد نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي هريرة، وقال الحافظ ابن كثير: رواه أبو داود الطيالسي والإمام أحمد وابن ماجه-.

٧٤٩-قال الحافظ ابن كثير قال أبو داود الطيالسي عن طلحة بن عمرو وجرير بن حازم، فأما طلحة فقال: أخبرني عبد الله بن عمير الليثي أن أبا الطفيل

حدثه عن حذيفة بن أسيد الغفاري أبي شريحة، وأما جرير فقال: عن عبد الله بن عبيد عن رجل من آل عبد الله بن مسعود، وحديث طلحة أتم وأحسن، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدابة فقال (لها ثلاث خَرْجات من الدهر، فتخرج خرجة من أقصى البادية، ولا يدخل ذِكرُها القرية- يعني مكة- ثم تكمن زمنا طويلا، ثم تخرج خرجة أخرى دون تلك، فيعلو ذكرها في أهل البادية، ويدخل ذكرها القرية - يعني مكة -) قال رسول الله ﷺ (ثم بينما الناس في أعظم المساجد على الله حُرْمة وأكرمها المسجد الحرام لم يَرُعْهم إلا وهي تدنو بين الركن والمقام تنفض عن رأسها التراب، فارفضّ الناس عنها شتّىً ومعاً، وبقيت عصابة من المؤمنين وعرفوا أنهم لم يُعْجِزوا الله، فبدأت بهم، فجلت وجوههم حتى جعلتْها كأنها الكوكب الدريّ، وولّت في الأرض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب، حتى أن الرجل ليتعوذ منها بالصلاة فتأتيه من خلفه فتقول: يا فلان الآن تصلي؟!فيُقبل عليها فتَسِمه في وجهه ثم تنطلق، ويشترك الناس في الأموال ويصطحبون في الأمصار، يُعرَف المؤمن من الكافر، حتى أن المؤمن ليقول: يا كافر اقضِني حقي، وحتى أن الكافر ليقول: يا مؤمن اقضني حقي) - ورواه ابن جرير من طريقين عن حذيفة بن أسيد موقوفا، ورواه من رواية حذيفة بن اليمان مرفوعا، وأن ذلك في زمان عيسى ابن مريم ﷺ وهو يطوف بالبيت، لكن إسناده لا يصح-.

٧٥٠- وقال ابن كثير قال عبد الرزاق: أخبرنا معمر عن قتادة أن ابن عباس ﷺ قال : هي دابة ذات زَغَب، لها أربع قوائم، تخرج من بعض أودية تهامة.

٧٥١-قال ابن كثير: قال محمد بن إسحاق عن أبان بن صالح قال: سئل عبد الله بن عمرو عن الدابة فقال: الدابة تخرج من تحت صخرة بجياد، والله لو كنت معهم أو لو شئت للمست الصخرة التي تخرج الدابة من تحتها. قيل: فتصنع ماذا يا عبد الله بن عمرو؟ فقال: تستقبل المشرق فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل الشام فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تستقبل اليمن فتصرخ صرخة تنفذه، ثم تروح من مكة، فتصبح بعسفان قيل: ثم ماذا؟ قال: ثم لا أعلم.

٧٥٢-قال ابن كثير: عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أنه قال: تخرج الدابة ليلة جمع.- رواه ابن أبي حاتم، وفي إسناده ابن البيلمان-.

وجاء في الحديث٦١٣برواية الإمام أحمد ومسلم عن الساعة (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر (الدخان والدجال والدابة...).

وقد قال ابن الأثير الجزري في جامع الأصول في أحاديث الرسول ١٣٨/٢: (وهي دابة تخرج من جبل الصفا، يتصدع فتخرج منه، وقيل من أرض الطائف، طولها ستون ذراعا- أي ستة وثلاثون مترا- وهي ذات قوائم ووبر، وقيل هي مختلفة الخلقة تشبه عدة من الحيوانات، معها عصا موسى وخاتم سليمان عليهما السلام، لا يدركها طالب، ولا يعجزها هارب، تضرب المؤمن بالعصا وتكتب في وجهه: مؤمن.وتطبع الكافر بالخاتم وتكتب في وجهه: كافر. وروي أنها تخرج ليلة جَمْعٍ والناس سائرون إلى منى).

ظهور الدابة هو العلامة الخامسة من علامات الساعة الكبرى، وحينما تظهر يغلق باب التوبة، وتطبع على جبين المؤمن كلمة (مؤمن) وتجعل وجهه وضيئاً، وتخطم أنف الكافر بالخاتم وقد تكتب على جبينه كلمة (كافر) وكذلك تفعل بالمنافق والفاسق لأن باب التوبة مغلق، ويخاطب الناس بعضهم بعضا : يا مؤمن ويا كافر، بحسب السمة التي تركتها الدابة على وجه الإنسان.

وتخرج هذه الدابة من أرض الحجاز أو تهامة بعد موت سيدنا عيسى ﷺ وانحراف المسلمين التدريجي عن الإسلام لأنه يجب أن يكون في زمان خروجها مؤمنون وكافرون وفاسقون يغلق باب التوبة في وجوههم، وهذه الدابة غريبة الشكل يخاف منها الكافرون والفسّاق بخاصة ويفرون منها، ولكنها سريعة لا ينجو منها فارٌّ، وتطبع على وجوه أهل الأرض جميعاً سمتي الإيمان والكفر.

الدخان

٧٥٣- عن مسروق بن الأجدع رحمه الله قال: كنا جلوساً عند عبد الله بن مسعود وهو مضطجع بيننا، فأتاه رجل فقال: يا أبا عبد الرحمن إن قاصّاً عند أبواب كندة يقص، ويزعم أن آية الدخان تجيء فتأخذ بأنفاس الكفار، ويأخذ المؤمنين منها كهيئة الزكام فقال عبد الله وجلس وهو غضبان: يا أيها الناس اتقوا الله، من علم منكم شيئاً فليقل بما يعلم، ومن لا يعلم فليقل الله أعلم، فإنه أعلم لأحدكم أن يقول لما لا يعلم الله أعلم، فإن الله تعالى قال لنبيه ﷺ ﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ - ص٣٨: ٨٦- إن رسول الله ﷺ لمّا رأى من الناس إدباراً قال: (اللهم سبعٌ كسبع يوسف) وفي رواية أن رسول الله لما دعا قريشاً كذبوه واستعصوا عليه فقال: (اللهم أعِنّي عليهم بسبع كسبع يوسف) فأخذتهم سنة حَصّت كل شيء، حتى أكلوا الجلود والميتة من

الجوع، وينظر إلى السماء أحدهم فيرى كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال يا محمد إنك جئت تأمر بطاعة الله وبصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا فادْعُ الله عز وجل لهم.

قال الله تعالى ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ - الدخان ٤٤: ١٠ إلى ١٥ -.

وفي رواية قال: قال عبد الله: إنما كان هذا لأن قريشاً لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، فأنزل الله عز وجل ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يا رسول الله استسق لمُضر فإنها قد هلكت قال : (لمضر ؟إنك لجريء) فاستسقى لهم فسُقوا، فنزلت ﴿ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴾ فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية، فأنزل الله عز وجل ﴿ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ قال يعني يوم بدر.

وفي رواية نحوه وفيها: فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم، فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ ﴾ -إلى قوله- ﴿ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴾ -هذه روايات البخاري ومسلم-.

وفي رواية الترمذي مثل الرواية الأولى إلى قوله ﴿ فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ﴾ قال أحد رواته: هذا كقوله ﴿ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ ﴾ فهل يُكشف عذاب الآخرة؟ قد مضى البطشة واللزام والدخان، وقال أحدهم: القمر، وقال الآخر: الروم واللزام يوم بدر وقد أخرج البخاري هذا الذي ذكره الترمذي وفي أخرى للبخاري ومسلم

قال: قال عبد الله خمس قد مضين: الدخان واللزام والروم والبطشة والقمر - البخاري في تفسير حم الدخان باب ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ ...﴾ وفي الاستسقاء باب دعاء النبي ﷺ : (اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف) وباب إذا استشفع المشركون بالمسلمين عند القحط وفي تفسير سورة يوسف باب ﴿ وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ ﴾ وفي تفسير سورة ﷺ ، ومسلم في صفات المنافقين باب الدخان، والترمذي في التفسير باب ومن سورة الدخان٣٢٥١-.

حصّت: حلقت واسأصلت القحط: احتباس المطر الجهد: المشقة.

٧٥٤-عن أبي بن كعب (رض) في قوله تعالى: ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَدۡنَىٰ دُونَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡأَكۡبَرِ ﴾ -السجدة ٣٢: ٢١ - قال: مصائب الدنيا والروم والبطشة أو الدخان-أخرجه مسلم في صفة القيامة باب الدخان فسَّر بالعذاب الأدنى-.

٧٥٥- قال ابن كثير أن ابن جرير الطبري قد خرَّج عن حذيفة بن اليمان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إن أول الآيات الدجال ونزول عيسى ابن مريم عليهما الصلاة والسلام ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا والدخان) قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝١٠ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١١ ﴾ (يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكمة، وأما الكافر فيكون بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره) وهذا الحديث ضعيف الإسناد، ولكن تشهد له الأحاديث التالية-.

٧٥٦- وقال ابن جرير حدثني محمد بن عوف حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (إن ربكم أنذركم ثلاثاً: الدخان يأخذ المؤمن كالزكمة، ويأخذ الكافر فينتفخ حتى يخرج من كل مسمع منه، والثانية الدابة، والثالثة الدجال) ورواه الطبراني عن هاشم بن يزيد عن محمد بن إسماعيل بن عياش به، وهذا إسناده جيد.

٧٥٧- وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو زرعة حدثنا صفوان حدثنا الوليد حدثنا خليل عن الحسن عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (يهيج

الدخان بالناس، فأما المؤمن فيأخذه كالزكمة، وأما الكافر فينفخه حتى يخرج من كل مسمع منه) ورواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن الحسن عن أبي سعيد الخدري ﷺ موقوفاً، وروى سعيد بن عوف عن الحسن بمثله.

٧٥٨- وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا عبد الله بن صالح بن مسلم حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الحارث عن علي ﷺ قال: لم تمضِ آيةُ الدخان بعد، يأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وتنفخ الكافر حتى ينفذ.

٧٥٩- وروى ابن جرير الطبري من حديث الوليد بن جميع عن عبد الملك بن المغيرة عن عبد الرحمن بن السليماني عن ابن عمر ﷺ قال: يخرج الدخان فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام ويدخل في مسامع الكافر والمنافق حتى يكون كالرأس الحنيذ أي المشوي على الرضف.

٧٦٠- وروى ابن جرير الطبري حدثني يعقوب حدثنا ابن علية عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة قال: غدوت على ابن عباس ﷺ ذات يوم فقال: ما نمت الليلة حتى أصبحت قلت: لم؟ قال: قالوا طلع الكوكب ذو الذنَب فخشيت أن يكون الدخان قد طرَق فما نمت حتى أصبحت. وهكذا رواه ابن أبي حاتم عن أبيه عن ابن عمر عن سفيان عن عبد الله بن أبي مليكة عن ابن عباس ﷺ فذكره، وهذا إسناد صحيح.

إن الأحاديث السابقة قد أجمعت على أن الدخان من العلامات المنتظرة عدا حديث عبد الله بن مسعود ﷺ ، فهو يرى أنها قد ظهرت في مكة قبل الهجرة النبوية الشريفة، ولدى تأمل هذا الحديث وجدت أن عبد الله ﷺ لم يحتجَّ بقول للرسول ﷺ ، ولكنه اجتهد في التفسير وربط بينه وبين ما وقع لقريش من جوع شديد صار معه أحدهم ينظر إلى السماء فيتراءى له كهيئة الدخان من الجهد، فظن أن هذا هو الدخان المذكور، والمجتهد قد يخطئ وقد يصيب، وقد أخطأ هنا ﷺ ، فإضافة إلى الأحاديث السابقة التي تدل على أن آية الدخان لم تقع بعد جاء حديث حذيفة بن أسيد الغفاري ﷺ -رقم٦١٣- اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر فقال: ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة قال: (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) فذكر (الدخان، والدجال، والدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي، وجاء في حديث أبي هريرة ﷺ -رقم٦٦٩- أن رسول الله ﷺ قال:

(بادروا بالأعمال ستاً: طاوع الشمس من مغربها أو الدخان أو الدجال أو الدابة أو خاصة أحدكم أو أمر العامة) وهذا الحديث رواه الإمام أحمد ومسلم، فهذان حديثان صحيحان يذكران الدخان مع العلامات الكبرى للساعة، ويذكران بوضوح أن آية الدخان لم تقع وأنها من العلامات المنتظرة، وهذان الحديثان مرفوعان إلى رسول الله ﷺ.

فالدخان من العلامات الكبرى للساعة، وهو يظهر على الأرجح بعد وفاة عيسى ﷺ ، لأن الأحاديث الصحيحة قد ذكرت أن الدجال هو أول العلامات ظهوراً، ثم ينزل سيدنا عيسى ﷺ ليقتله، ويخرج قوم يأجوج ومأجوج في زمانه، ولا يبقى في زمانه سوى المسلمين، وبعد وفاته ينحرف الناس تدريجياً عن الإسلام، ففي زمان الانحراف التدريجي وقبل ظهور الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين يظهر الدخان لأن أحاديثه ذكرت وجود مؤمنين وكافرين.

والله عز وجل لطيف بعباده فهذا الدخان يكون لطيفاً بالمؤمنين فيصبهم مثل زكام فحسب، ويكون شديداً على الكافرين فيوشك أن يخنقهم لأنه دخان حقيقي يتحدّر من الأعلى إلى الأرض ويملأ الدنيا كلها، ويسلطه الله عز وجل على الكافرين فيدخل إلى أبدانهم بكثافة عظيمة، فتنتفخ أبدانهم وهذا عذاب آخر لهم، ويخرج من فتحات الجسم كلها من المنخرين والعينين والأذنين والقبل والدبر وهذا عذاب آخر للكافرين والفساق، فالدخان يدخل الفم بكثافة وبقوة وباستمرار وكأن هناك آلة تشدُّه إلى بدن كل كافر وفاسق حتى ينتفخ البدن فيشق الدخان المضغوط طرقاً للخروج من الجسد عبر الفتحات الموجودة فيه باستمرار طيلة مكوث الدخان، وقد جاء في حديث ضعيف الإسناد أن الدخان يمكث في الأرض أربعين يوماً وليلة.

تعطل فريضة الحج وهدم الكعبة واستخراج كنزها

٧٦١- عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى لا يُحَجّ البيت) - البخاري في الحج باب هدم الكعبة - .

٧٦٢- عن أبي هريرة رض عن النبي ﷺ قال (يُخرّب الكعبة ذو السّويقتين من الحبشة).

- البخاري في الحج باب هدم الكعبة، ورواه الإمام أحمد في مسنده: ٢ بلفظ (في آخر الزمان يظهر ذو السّويقتين على الكعبة) قال: حسبته قال (فيهدمها) الشك من أحد رواة الحديث، وفي رواية للبخاري (ذو السويقتين من الحبشة

يخرّب بيت الله) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، والبخاري في الحج باب هدم الكعبة، وفي غيره، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل ، والنسائي في الحج باب بناء الكعبة: ٢١٦/٥-.

٧٦٣- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال (اتركوا الحبشة ما تركوكم فإنه لا يستخرج كنز الكعبة إلا ذو السويقتين من الحبشة) - الإمام أحمد في المسند: ٣٧١/٥، وأبو داود في الملاحم باب ذكر الحبشة: ٤٢٨٧: ، ٤٢٣/١١، وإسناده ضعيف، والشطر الأول رواه أبو داود بلفظ (دعوا الحبشة ما ودعوكم) حديث: ٤٣٠٢، والشطر الثاني له شواهد في الصحيحين ومسند الإمام أحمد -.

٧٦٤- عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (يخرّب الكعبة ذو السويقتين من الحبشة، ويسلبها حليتها ويجرّدها من كسوتها، ولكأني أنظر إليه أصيْلع أفيْدع يضرب عليها بمسْحاته ومعوله) - الإمام أحمد في مسنده: ٢٢٠/٢، بإسناد جيد قوي كما قال الحافظ ابن كثير، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد، ٢٩٨/٣، والطبراني في الكبير، وفيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه يدلّس-الصلع: زوال الشعر، والفدع: زيْغ بين القدم وعظم الساق، ولا أعلم ما يريده رسول الله ﷺ من هذا التصغير، هل يريد أن يقول إن جزءا من رأسه أصلع وإن الفدع خفيف؟ أم أنه يريد تحقيره؟ علم ذلك عند الله تعالى. المسحاة: آلة يُجْرَف بها التراب والأحجار المعول: الفأس: آلة للحفر وللهدم.

٧٦٥- عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (كأني أنظر إليه أسود أفحج ينْقضها حجراً حجراً) - يعني الكعبة - الإمام أحمد في مسنده: ٢٢٧/١، والبخاري في الحج باب هدم الكعبة - أفْحج: بعيد ما بين الساقين.

٧٦٦- عن عمر بن الخطاب رض أنه سمع النبي ﷺ يقول (سيخرج أهل مكة ثم لا يعمرونها، ثم تعمر وتمتلئ وتبْنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدا) - الإمام أحمد في مسنده: ٣و٢٣/١-.

٧٦٧- روى أبو نعيم في الحلية -١٣١/٤- عن الحارث بن سويد قال: سمعت علياً رضوان الله عليه يقول: (حجوا قبل أن لا تحجوا، فكأني أنظر إلى حبشي أصلع أقرع بيده معول يهدمها حجراً حجراً) فقلت له: شيء تقوله برأيك أو سمعته من النبي ﷺ ؟ قال: لا والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ولكن سمعته من نبيكم ﷺ - وقال أبو نعيم هذا حديث غريب ولكن يشهد له حديث عبد الله بن

عمرو فهو حديث حسن-.

وجاء في الحديث رقم٦٤٤ (ثم تجيء الحبشة فيخربونه خراباً لا يعمَّر بعده، وهم الذين يستخرجون كنزه) - رواه الإمام أحمد وأبو داود الطيالسي-

وجاء في الحديث الصحيح-رقم٧٢٨ (ليُحجنّ البيت وليعتمرنّ بعد خروج يأجوج ومأجوج).

سوف ينحرف المسلمون عن الإسلام شيئاً فشيئاً بعد وفاة سيدنا عيسى ﷺ ، ويتعاظم الانحراف، وينتشر الفسوق والعصيان وينتشر الكفر ويكثر، ويقل المؤمنون، فيأتي جيش من الحبشة إلى مكة ويهدم الكعبة الشريفة، يقود هذا الجيش حبشي أسود أصلع، في ساقيه عاهتان، فهو أفدع أي به زيغ بين القدم وعظم الساق، ومن ابتلي بهذه العاهة فإنه يعرج وهو أفجع فساقاه متباعدتان عن بعضهما معوجتان أو متقوستان، ولعل رسول الله ﷺ قد أطلق عليه لقب ذي السويقتين لوجود العاهتين في ساقيه، ولعله يكون أيضاً نحيل الساقين، ويقوم هذا الكافر بتجريد الكعبة من كسوتها ويهدمها بيديه الآثمتين، فيستخدم المعول والمسحاة وينقضها حجراً حجراً حتى يستأصل آساسها، ويخرج الكنز المدفون تحتها.

وأظن أن هدم الكعبة يتم بعد خروج الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين فينعدم الإيمان، وتتعطل فريضة الحج، فيأذن الله عز وجل حينذاك بهدمها.

انقباض الإيمان إلى الحجاز

٧٦٨- عن عبد الله بن عمر ﷺ عن النبي ﷺ (يوشك المسلمون أن يحاصَروا إلى المدينة حتى يكون أبعدَ مَسالحهم سَلاح) - أبو داود في الفتن باب ذكر الفتن ودلائلها رقم٤٢٥٠، وباب في العقل من الملاحم رقم٤٢٩٩و٤٣٠٠، وفيه جهالة، ولكن يشهد له الحديث التالي-.

٧٦٩- عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: (يوشك أن يرجع الناس إلى المدينة حتى تصير مسالحهم بسلاح) - الإمام أحمد في مسنده: ٢- مسالح ج مسلحة: قوم مسلّحون لحراسة ثغر أي لحراسة الحدود التي تواجه الأعداء سلاح: موضع قريب من خيبر.

ربما يقع هذا الخبر في الملاحم مع الروم فقد مرّ بنا حديث يذكر أن الروم سيقتحمون بلاد الشام وسيمكثون فيها أربعين يوماً، يدخلون فيها المدن كلها عدا

دمشق وعمان، فإذا وقع هذا ولم يكن المقصود قد وقع في الحروب الصليبية فيمكن أن يلجأ المسلمون إلى المدينة المنورة وأن يرسلوا جنودهم إلى خيبر على مشارف بلاد الشام للدفاع عن الحجاز.

وربما يقع هذا الخبر بعد وفاة سيدنا عيسى ﷺ وانحراف المسلمين عن دينهم وظهور الكفر والفسوق والعصيان، فلربما يقع في ذلك الزمان انقباض الإسلام إلى الحجاز الذي أخبرت عنه الأحاديث الصحيحة، منها حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما - رقم٤٤٧- (إن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرِز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحْرها) ، وربما يكون قد وقع مع دخول الروم إلى بلاد الشام في الحروب الصليبية الغابرة، .

خروج أهل المدينة من المدينة

٧٧٠- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال (لتتركنّ المدينة على أحسن ما كانت عليه حتى يدخل الكلب أو الذئب فيغذّي على بعض سَواري المسجد- أو على المنبر -) فقالوا: يا رسول الله فلمن تكون الثمار ذلك الزمان؟ قال (للعوافي الطير والسباع) - الإمام مالك في الموطأ كتاب الجامع باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها رقم١٦٠٠، والبخاري في فضائل المدينة باب من رغب عن المدينة، ومسلم في الحج باب في المدينة حين يتركها أهلها- يغذي: يبول سواري ج سارية الدعائم التي تشاد لحمل السقف العوافي ج العافية: طلاّب الرزق.

٧٧١، عن أبي هريرة رض أن رسول الله ﷺ قال: (يتركون المدينة على خير ما كانت عليه لا يغشاها إلا العوافي) قال: يريد عوافي السباع والطير (وآخر من يُحشر راعيان من مزينة ينعقان لغنمهما فيجدانها ملئت وحوشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما) قال (من يُرِدِ الله به خيراً يفقهه في الدين، وإنما أنا قاسم ويعطي الله عز وجل) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، والبخاري ومسلم في باب الحديث السابق (يتركون المدينة على خير ما كانت، لا يغشاها إلا العوافي- يريد عوافي السباع والطير- فآخر من يُحشر راعيان من مزينة يريدان المدينة ينعقان بغنمهما، فيجدانها ملئت وحوشاً، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما) وفي رواية (ليتركنها أهلها على خير ما كانت مذلّلة للعوافي- يعني: السباع والطير-) -.

٧٧٢-عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: (ليتركنّها

أهلها مرطَّبة) قالوا: فمن يأكلها يا رسول الله؟ قال: (عافية الطير والسباع) -الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

٧٧٣-عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال (ليسيرنّ راكب في جهة المدينة- قال قتيبة: في جانب المدينة- فيقولنّ: لقد كان في هذه مرة حاضر من المؤمنين كثير) - الإمام أحمد في مسنده: ٣، وقال الحافظ ابن كثير: وقد انفرد به الإمام أحمد-.

وجاء في الحديث الصحيح-رقم١٢-قول حذيفة رضي الله عنه أنه لم يسأل رسول الله ﷺ (ما يخرج أهل المدينة من المدينة).

وجاء في مختصر تذكرة القرطبي للإمام الشعراني قال الإمام القرطبي: وقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ من خراب المدينة لما ارتحل أهلها منها وتحولت الخلافة إلى الشام وكانت معقل الخلافة، فوجه يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة في جيش عظيم من أهل الشام، فنزل بالمدينة وقاتل أهلها حتى هزمهم وقتلهم بحرة المدينة قتلاً ذريعاً، واستباح المدينة ثلاثة أيام، فسميت وقعة الحرة.

وقد ذكر أهل الأخبار أنها خلت من أهلها، وبقيت ثمارها للطير والسباع كما أخبر به رسول الله ﷺ ثم تراجع الناس إليها، وفي خلال خلائها عدت الكلاب على سواري المسجد.وفي رواية كعب الأحبار قال (ليغشين أهل المدينة أمر يفزعهم حتى يتركوها وهي مذللة- يعني بالثمار- حتى تبول السنانير على قطائف العنب ما يردها عن ذلك أحد) والله سبحانه وتعالى أعلم.انتهى قول القرطبي.

أخبرنا رسول الله ﷺ أن أهل المدينة المنورة سوف يهجرونها وهي على أحسن حال من الخصب والنماء، وأنها سوف تصبح مأوى للوحوش والكلاب والطيور، وأن الكلب أو الذئب سوف يدخل إلى المسجد ويرفع رجله على سارية من سواري المسجد دون أن يجد من يردعه لخلو المدينة، وحينما يغادرها أهلها تكون أشجارها مملوءة بالثمار الناضجة، فتبقى هذه الثمار للطيور والوحوش، ويمر بها مسافرون فيرونها خالية مهجورة، فيقولون: لقد كان في هذه المدينة في زمن مضى قوم من المؤمنين.

وهذا الخبر لم يقع بعد، ولقد توهم بعض العلماء وظنه قد وقع في غزوة الحرة، ولكن ما جاء في الأحاديث لا ينطبق على ما جرى في موقعة الحرة، فأهل المدينة لم يهجروها ولم تصبح مأوى للسباع والكلاب والطيور ولم تترك

ثمارها لهذه الحيوانات، ولكن هذا الخبر سوف يقع على الأرجح بعد انقباض الإسلام إلى الحجاز ثم إلى المدينة المنورة، والله أعلم، وقد جاء في الأحاديث السابقة خبر من مشاهد نفخة الصور، وهو أن يقصد المدينة راعيان من قبيلة مزينة ينعقان بغنمهما فيجدانها قد ملئت وحوشا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجهيهما.

وأرجح أن خروج أهل المدينة المنورة منها سيكون بعد قدوم ذي السويقتين لهدم الكعبة مع جيش من الأحباش، وقد مر بنا حديث عمر بن الخطاب ﷺ عن مكة -رقم٧٦٤- وهو يؤيد ما ذهبت إليه، فلقد جاء في الحديث (سيخرج أهل مكة ثم لا يعمرونها إلا قليلا) والمرجح أن هذا الخروج قد وقع في عهود الاضطرابات إبان الحكم المملوكي بخاصة حيث أصبح الأشراف يقتتلون على حكم مكة، ويفني بعضهم بعضا، ويهاجمون الحجاج والأهالي ويشرعون السيوف في رقابهم، فأصبحت مكة في ذلك الزمان شبه مهجورة لانعدام الأمن فيها، ثم جاء في الحديث (ثم تمتلئ وتبنى، ثم يخرجون منها فلا يعودون إليها أبدا) وقد امتلأت وبنيت، أما الخروج الأخير فيكون على الأرجح بعد قدوم ذي السويقتين لغزو مكة المكرمة وهدم الكعبة الشريفة، ولن يعودوا إلى مكة بعد هذا الخروج أبدا، وربما يهدم ذو السويقتين مكة بكاملها، وربما اتجه بعد ذلك لغزو المدينة فيفر أهلها منها، وربما يفرون حينما يسمعون عن أفعاله بمكة، والله أعلم، .

خراب المدينة

٧٧٤ - عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ (آخر قرية من قرى الإسلام خراباً المدينة) الترمذي في المناقب باب ما جاء في فضل المدينة، من حديث جنادة بن سلم عن هشام عن عروة عن أبيه عن أبي هريرة ﷺ ، وإسناده ضعيف، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث جنادة عن هشام-.

إن هذا الحديث وإن كان ضعيفا ولكنه صحيح المعنى، والله أعلم، فقد مر بنا أن الإسلام سوف ينكمش إلى أن يصبح في المدينة المنورة وحدها، وربما يتجه ذو السويقتين لغزوها فيرتحل منها أهلها فرارا من أذاه، أو يرتحلون بعد سماع أفاعيله بمكة دون أن يغزوهم، ويتركونها وهي على أحسن حال من الخصب والنماء، وتصبح مهجورة يأوي إليها الوحوش والكلاب والطيور،

وسوف يحل بها الخراب، وتكون بذلك آخر مدينة من مدن الإسلام تخرب.

ريح طيبة تميت المسلمين

٧٧٥ - عن عائشة ﵂ قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا يذهب الليل والنهار حتى تعبد اللات والعزى) فقلت: يا رسول الله أن كنت لأظن حين أنزل الله ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ﴾ - الصف ٦١: ٩- أن ذلك تام. قال (إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحاً طيبة فتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان فيبقى من لا خير فيه، فيرجعون إلى دين آبائهم) - مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة-.

٧٧٦ - عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ (إن الله يبعث ريحاً من اليمن ألين من الحرير، فلا تدع أحداً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته) وفي رواية (مثقال ذرة) - مسلم في الإيمان باب في الريح..-.

٧٧٧ - عن عياش بن أبي ربيعة قال: سمعت النبي ﷺ يقول (تجيء ريح بين يدي الساعة تقبض فيها أرواح كل مؤمن) الإمام أحمد في مسنده: ٣-.

وجاء في الحديث- رقم٤٨٠- (ثم يبعث الله ريحاً كريح المسك، مَسُّها مَسّ الحرير، فلا تترك نفساً في قلبه مثقال حبة من إيمان إلا قبضته، ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة) وهو برواية مسلم.

لقد أخبرنا رسول الله ﷺ أن المسلمين سوف ينحرفون انحرافاً تدريجياً عن الإسلام بعد وفاة سيدنا عيسى ﵇ ، وسوف يقترفون الموبقات، وسوف يعودون إلى الكفر من جديد، ثم يقل الإيمان، وتتعاظم موجات الكفر والعصيان، ثم يرسل الله تعالى ريحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنين وتقبض من في قلبه ذرة من الإيمان، ولا يبقى إلا الكفار، وعليهم تقوم الساعة.

وهذه الريح رائحتها كرائحة المسك، وهي لينة لطيفة خفيفة، هبوبها على الناس ووقعُها كملمس الحرير، والحرير خفيف وناعم، فلا تؤذي الناس بل إنها تنعشهم بشذاها الفواح وأريجها العطري وملمسها الناعم، فالله عز وجل لطيف ورحيم ورؤوف بالمؤمنين وله الحمد والشكر.

رفع العلم وظهور الجهل

٧٧٨ - عن حذيفة بن اليمان ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ (يَدْرُس الإسلام

كما يدرس وَشْيُ الثوب حتى لا يُدْرَى ما صيام ولا صلاة ولا صدقة ولا نسك، ويُسْرَى على الكتاب في ليلة، فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة لا إله إلا الله، فنحن نقولها) فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟! فأعرض عنه حذيفة، ثم رددها عليه ثلاثاً، كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال: يا صلة تنجيهم من النار، ثلاثاً.-ابن ماجه في الفتن باب ذهاب القرآن والعلم حديث٤٠٤٩: ٢/ ١٣٤٤و١٣٤٥-يدرس: يبلى ويفنى، وشي الثوب: الزخارف التي تكون عليه، وهذه تمحى بمرور السنين، فالإسلام سوف تختفي تعاليمه وعباداته كما تمحى زخارف الثياب، ويسرى على الكتاب في ليلة: يرفع القرآن الموجود عند الناس في ليلة واحدة.

قول حذيفة ﷺ عن (لا إله إلا الله) بأنها تنجيهم من النار هو من عنده غير مرفوع إلى رسول الله ﷺ ، وهي لا تنجيهم من النار، فقد التبس على سيدنا حذيفة وجود أحاديث تنص على أن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فنحن إذا أخذنا هذا القول على ظاهره فإننا نجد أن معناه يتعارض مع القرآن والسنة معا، ولذلك قال علماء إذا أخذنا هذا الحديث على ظاهره فإنه يكون مما عُمِل به في بداية ظهور الإسلام، ويكون منسوخاً بالقرآن وبالسنة، وإما أن يكون معنى الحديث هو قول لا إله إلا الله والعمل بما توجبه هذه الكلمة من طاعة الله تعالى واجتناب نواهيه، وكلمة التوحيد إذا كان صاحبها صادقاً قد تنجيه من الخلود في النار.

وجاء في الحديث رقم٣١ (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم) وهو برواية الشيخين ، وفي الحديث٤٨٨ (إن بين يدي الساعة لأياماً ينزل فيها الجهل ويُرْفع فيها العلم) وهو برواية الشيخين والترمذي، وفي الحديث رقم٤٨٩ (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم) وهو برواية الشيخين وأبي داود، وفي الحديث رقم ٤٩٠ (إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم ويظهر الجهل) برواية الإمام أحمد والشيخين والترمذي وابن ماجه، وفي الحديث رقم٤٩١ (أن يرفع العلم ويثبت الجهل) أو (يقبض العلم ويظهر الجهل) برواية الإمام أحمد والشيخين وأبي داود والترمذي، وفي الحديث رقم٤٩٣ (لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم) برواية الإمام أحمد.

العلم هو معرفة الله تعالى معرفة يقينية ثابتة راسخة وإطاعة أوامره واجتناب نواهيه وهو الدين وهو الإسلام هنا، والجهل نقيضه، فهو الكفر والعصيان، ورفع العلم أو قبضه إما أن يعني رفع القرآن الكريم من بين أيدي الناس، وإما أن يعني الإعراض عن الشريعة الإسلامية وانتشار الكفر والمعاصي بين أهل الأرض، وهذا يتم بعد قبض أرواح المؤمنين بالريح الطيبة، فيبقى كفار معرضون عن الإسلام.

عبادة الأوثان

٧٧٩ - عن أبي هريرة ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول (لا تقوم الساعة حتى تضطرب أَلَياتُ نساء دَوْس على ذي الخَلَصة) - البخاري في الفتن باب تغيير الزمان، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تعبد ، والإمام أحمد في مسنده: ٢، ولم يذكر مسلم كلمة (نساء) ، وفي رواية الإمام أحمد كلمة (حول) بدلاً من (على) ، وفي رواية (وذو الخلصة طاغية أو صنم دوس الذي كانوا يعبدون في الجاهلية بتَبالة) وواضح أن هذه الزيادة هي شرح لذي الخلصة أدرج في الحديث وليست من قول رسول الله ﷺ - وجاء في الحديث رقم٩٧ برواية مسلم وغيره (لا تقوم الساعة حتى تعبد قبائل من أمتي الأوثان) وجاء هذا اللفظ في الحديث رقم٣٩في رواية الترمذي وأبي داود.

قال ابن هشام في السيرة النبوية: ذو الخلصة كان لدوس وخثعم وبَجيلة ومن كان ببلادهم من العرب بتبالة. وقال ابن الأثير في جامع الأصول-١٠/٣٩٤ -: ذو الخلصة بيت أصنام كان لدوس وخثعم وبجيلة ومن كان ببلادهم من العرب، وقيل: هو صنم، وكان عمرو بن لحيّ نصبه بأسفل مكة حين نصب الأصنام في مواضع شتى، فكانوا يلبسونه القلائد، ويعلقون عليه بيض النعام، ويذبحون عنده، فكان معناهم في تسميتهم بذلك أن عباده خلصة. وقيل هو الكعبة اليمانية، والمعنى أنهم يرتدون إلى جاهليتهم في عبادة الأوثان فتَرْمُل نساء دوس طائفات حوله فترتجّ أردافهن. وتبالة مدينة في اليمن.

وجاء في الحديث رقم٧٧٥ برواية مسلم (لا يذهب الليل والنهار حتى تُعْبد اللاتُ والعزّى).

أخبرنا رسول الله ﷺ بأن العرب بعد قبض أرواح المؤمنين بالريح الطيبة سوف يرجعون إلى دين آبائهم قبل الإسلام، وسوف يعبدون الأصنام، ويبدو أنهم سيسمونها بأسماء أصنامهم في الجاهلية، لأن الأحاديث ذكرت (اللات

والعزى وذا الخلصة) وهذه كانت من الأصنام الشهيرة في الجاهلية، وسوف تطوف نساء دوس حول صنم القبيلة في جاهليتها ذي الخلصة وهن راملات، والرمل حد متوسط بين السير والركض فهو هرولة، وفي ذكر صنم دوس في الجاهلية دلالة على أن القبائل العربية سوف تعود إلى عبادة الأصنام التي كانت تعبدها في جاهليتها والله أعلم، فتنحت أصناماً وتطلق عليها الأسماء التي كانت تتخذها في الجاهلية.

الساعة تقوم على الأشرار

٧٨٠ - عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (من شِرار الناس من تدركهم الساعةُ وهم أحياء) - البخاري في الفتن باب ظهور الفتن، ورواه مسلم في الفتن باب قرب الساعة بلفظ (لا تقوم الساعة إلا على شرار الناس) ورواه الإمام أحمد بهذا اللفظ-.

٧٨١ - عن مرداس الأسلمي ﷺ ، وكان من أصحاب الشجرة، سمعه قيس بن أبي حازم يقول (يُقبض الصالحون، الأول الأولُ، ويبقى حُثالة كحثالة التمر والشعير، لا يَعْبأ الله بهم شيئاً) وفي رواية: قال النبي ﷺ (يذهب الصالحون الأول فالأول، وتبقى حثالة كحثالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله بالةً) -البخاري في الرقاق باب ذهاب الصالحين، وفي المغازي باب غزوة الحديبية، وفي غيرهما- حثالة وحُفالة بمعنى واحد، وحثالة كل شيء أردؤه وأرذله وبقاياه السيئة التي تطرح لتفاهتها وعدم الانتفاع بها.

٧٨٢ - عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال رسول الله ﷺ (لا تقوم الساعة حتى يأخذ الله شريطته من أهل الأرض، فيبقى فيها عجاجة لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً) -الإمام أحمد في مسنده: ٤٥٤/١، ورواه غير مرفوع بلفظ (حتى يأخذ الله شَريطته من الناس) - ومعنى هذه العبارة: حتى يعذب الفاسقين في الدنيا، والله أعلم. العجاج جمع عجاجة، وقد روي الحديث باللفظين، والعجاج: الغبار، والدخان، والعَجاج من الناس: الغوغاء والأراذل ومن لا خيرَ فيهم، واحدهم عَجاجة.

٧٨٣-عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (إنّ من البيان سِحراً، وشِرار الناس الذين تدركهم الساعةُ وهم أحياءٌ، والذين يتخذون قبورَهم مساجدَ) - الإمام أحمد في مسنده: ٢٦٨/٣، بإسناد صحيح كما قال الحافظ ابن كثير-.

٧٨٤-عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال سمعت رسول الله ﷺ يقول (ستكون هجرة بعد هجرة، فخِيارُ أهل الأرض ألزمُهم مَهاجرَ إبراهيمَ، ويبقى في الأرض شرار أهلها، تلفِظهم أرَضوهم، وتَقْذَرهم نفسُ الله عز وجل، وتحشرهم النارُ مع القرَدة والخنازير) - أبو داود في الجهاد باب سكنى الشام رقم٢٤٨٢، وفي سنده شهر بن حوشب وهو ضعيف، ورواه الحاكم عن أبي هريرة وقال صحيح على شرط الشيخين-.

٧٨٥-عن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (لا تقوم الساعة على أحد يقول: الله الله) وفي رواية (حتى لا يقال في الأرض: الله الله) -مسلم في الإيمان باب ذهاب الإيمان آخر الزمان، وأخرج الترمذي الثانية في الفتن باب رقم٣٥حديث٢٢٠٨، وقال الترمذي: ورُوي عنه غير مرفوع وهو أصح، وابن ماجه في شدة الزمان حديث٤٠٣٩: ١٣٤٠/٢، والإمام أحمد الثانية في مسنده: ١٠٧/٣بإسناد على شرط الصحيحين كما قال الحافظ ابن كثير-.

٧٨٦-عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: لا إله إلا الله) - الإمام أحمد في مسنده٢٦٨/٣- قال الحافظ ابن كثير: في معنى قوله ﷺ (حتى لا يقال في الأرض: الله الله) قولان أحدهما أن معناه أن أحدا لا ينكر منكراً، ولا يزجر أحد أحداً إذا رآه قد تعاطى منكراً، والقول الثاني حتى لا يذكر الله في الأرض ولا يعرف اسمه فيها وذلك عند فساد الزمان ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان.

وجاء في الحديث رقم٤٨٠ (ثم يبقى شرار الناس، عليهم تقوم الساعة) وهو برواية مسلم، وفي الحديث (لا تقوم الساعة إلا على شرار الخلق، هم شرٌّ من أهل الجاهلية) وهو برواية مسلم.

إن الناس سوف ينحرفون عن الإسلام شيئاً فشيئاً، ويموت الصالحون، ثم يرسل الله تعالى ريحاً لينة طيبة تقبض أرواح من في قلبه ذرة من الإيمان، ويبقى أشرار لا يُحِلون حلالاً ولا يحرِّمون حراماً، ويضاجع الرجال النساء على مرأى من الناس كما يفعل الحمير والحيوانات، وكما يفعل الأوربيون والأميركيون في عصرنا هذا، ويرجع العرب إلى نحت الأصنام وعبادتها، ويطلقون عليها الأسماء التي أطلقها عليها أسلافهم في الجاهلية، ويظلون في كفرهم وفسقهم وعصيانهم إلى أن يحين موعد الساعة، فتقوم على الكافرين وحدهم، فتنطلق نار من عدن في اليمن وتسوق الناس إلى أرض المحشر في بيت المقدس وبلاد الشام،

فتصليهم بسعيرها المتأجج وتجهدهم إجهاداً ليس له مثيل.

سحابة سوداء

٧٨٧-عن عقبة بن عامر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (تَطْلُع عليكم قَبْل الساعة سحابة سوداءُ من قِبَل المغرب مثل التّرْس، فلا تزال ترتفع في السماء وتنتشر حتى تملأ السماء، ثم ينادي مناد: يا أيها الناس أتى أمر الله فلا تستعجلوه) قال رسول الله ﷺ (فوالذي نفسي بيده إن الرجلين ينشران الثوب فلا يطويانه، وإن الرجل لِيَمْدُر حوضه فلا يسقي منه شيئاً أبداً، والرجل يحلب ناقته فلا يشربه أبداً) - الطبراني بإسناد جيد، ورواته ثقات مشهورون كما قال المنذري-مَدَرَ الحوض أي طينه لئلا يتسرب منه الماء، وهو يفعل ذلك لتخزين الماء فيه.

يبدو أن هذه السحابة سوف تكون سابقة للنار التي سوف تخرج من عدن، وسابقة لنفخة الصور، وهي بمثابة إنذار للأشرار، ولكن متى كان الأشرار يفقهون شيئاً من إنذارات الله تعالى؟.

نار من عدن

٧٨٨-عن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ قال (أول أشراط الساعة نار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب) - الإمام أحمد في مسنده: ٣، والبخاري في الفتن باب خروج النار-.

٧٨٩-عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز تضيء أعناق الإبل ببصرى) - البخاري في الفتن باب خروج النار، ومسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار...-.

٧٩٠-عن عبد الله بن عمر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (ستخرج نار من حضرموت- أو: من بحر حضرموت- قبل القيامة تحشر الناس) قالوا: يا رسول الله فما تأمرنا؟ قال (عليكم بالشام) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، والترمذي في الفتن رقم٢٢١٨باب لا تقوم الساعة حتى تخرج نار.. وقال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب عن حذيفة بن أسيد وأنس وأبي هريرة وأبي ذر ﷺ - لكن هناك وهمٌ في إلحاق (عليكم بالشام) لأنها جاءت في أحاديث الخلافة الراشدة فهي متصلة بها جزماً، ولأن النار تخرج وليس في الأرض رجل في قلبه ذرة إيمان، فلا محل في هذا الحديث للتساؤل (فما تأمرنا) ولا لإجابته، فالسؤال والجواب ألحقا بهذا الحديث وهما، وهما قد وردا في أحاديث الخلافة الراشدة حرفياً، وقد يكون المقصود التوجه إلى الشام لأنها أرض المحشر، والله أعلم، .

٧٩١-عن سالم بن عبد الله عن أبيه ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ : (سيخرج عليكم في آخر الزمان نار من حضرموت تحشر الناس) قال: قلنا: بما تأمرنا يا رسول الله؟ قال (عليكم بالشام) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، والترمذي وقال: حديث حسن صحيح، وابن حبان في صحيحه- والسؤال والجواب ليسا من الحديث فيما أرجح اعتماداً على الأحاديث الأصح، والله أعلم.

وجاء في الحديث٦١٣برواية الإمام أحمد ومسلم وغيرهما عن الساعة (إنها لن تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات) ومنها (وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم) وجاء (ونار تخرج من قَعْرة عدن تَرْحَل النَاسَ) وجاء (ونار تخرج من قَعْر عدن تسوق الناس فتبيت معهم حيث باتوا، وتَقِيل معهم حيث قالوا).

إن خروج النار هو آخر العلامات الكبرى، وهي تخرج من اليمن أو من قعرة عدن، ولا تناقض، لأن عدن من اليمن، أو تخرج من بحر حضرموت، والمقصود البحر الملاصق لحضرموت وهو ذاته الملاصق لعدن، فعدن إحدى مدن جنوب اليمن وهذه البلاد كانت كلها تسمى حتى زمن قريب بلاد حضرموت، فالحديث إن أتى بلفظ اليمن أو قعرة عدن أو بحر حضرموت أو حضرموت فهذه الألفاظ كلها تدل على عدن، وعدن ليست واقعة على شاطئ البحر فحسب، بل إنها تقع في البحر، حيث تقع على لسان صخري بركاني ممتد في البحر، فالمعنى المراد هو أن النار تخرج من البحر أو من الجبل البركاني الملاصق لعدن، وتندفع هذه النار لتسوق الناس إلى أرض المحشر وهي بلاد الشام، فتجري النار خلف الناس ويركض الناس بأقصى ما يستطيعون من قوة فراراً منها، وتظل النار ملاصقة لهم تصليهم بحرارتها العظيمة، وإذا استبد بهم الوهن وتقطعت منهم الأنفاس وفقدوا القدرة على الحركة وانبطحوا على الأرض وقفت إلى جانبهم تصليهم بسعيرها، وما يكادون ينالون قسطا من الراحة حتى يندفعوا راكضين للابتعاد عن وهج النار المحرق، ولكن النار تندفع خلفهم ملاصقة لهم، حتى إذا حل بهم الوهن ثانية انطرحوا على الأرض للراحة، وتقف النار إلى جانبهم، ويستمر هذا الحال حتى تسوق الناس جميعا من كل أصقاع العالم إلى مدينة القدس، وخروج النار هو صورة من صور التعذيب الدنيوي للأشرار الفاسقين، وسوف تختفي النار بعد أن تجمع أشرار الدنيا حول مدينة القدس في أرض الشام، وباختفاء النار ينسى الأشرار أهوالها ويعودون إلى

ممارسة أمور معيشتهم واستئناف حياة المعاصي والفجور، وإن النسيان والاستهانة بطاعة الله تعالى والانجراف لإرواء الشهوات بنهم وجمع الأموال من أي طريق، وإن الاستمتاع بالدنيا دون أي حساب للقبر وللحساب ولجهنم هي من طباع جنود الشيطان في كل مكان وزمان، فهم ينسون العقوبات الإلهية بمجرد انقضائها، ويغفلون عن الربط بين فسقهم وغضب الله تعالى، ولولا النسيان والغفلة لما كان على الأرض كافر أو مشرك أو فاسق أو عاص أو ظالم أو كاذب، و لكان أهل الأرض جميعاً مؤمنين، ولما احتاجوا إلى نبي من بعد أبيهم آدم إلى نفخة الصور.

نفخة الصور المفاجئة

٧٩٢- عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ (تقوم الساعة والرجل يحلُب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يَلِطُ في حوضه فما يَصْدُر حتى تقوم) - مسلم-.

٧٩٣- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (لتقوم الساعةُ وثوبُهما بينهما لا يبايعانه ولا يطويانه، ولتقوم الساعة وقد انصرف بلبن لِقْحته لا يطعمه، ولتقوم الساعة يلوط حوضه لا يسقيه، ولتقوم الساعة وقد رفع لقمته إلى فيه لا يطعمها) -الإمام أحمد في مسنده: ٢، وابن حبان في صحيحه-وجاء في سياق حديث مطول مر بنا-رقم٣١- برواية الشيخين وغيرهما عن أبي هريرة ﷺ (ولتقومنّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي فيه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها).

وقال الله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ - الزمر ٣٩: ٦٨-.

٧٩٤- عن عبد الله بن عمرو ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله ما الصور؟ قال: (قرن ينفخ فيه) - الإمام أحمد في مسنده: ٢، وأبو داود في السنة باب في ذكر البعث والصور رقم٤٧٤٢، والترمذي في صفة القيامة باب ما جاء في شأن الصور رقم٢٤٣٢، وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، وقال عبد القادر الأرناؤوط: وهو كما قال، ورواه أيضاً: الدارمي وابن

حبان والحاكم وغيرهم-.

اللقحة الناقة الحلوب، ولاط الحوض طيَّنه ليصبح صالحاً لتخزين المياه لسقاية الإبل وسواها، صعق سقط مغشياً عليه من شدة الذعر والهلع، وقد يؤدي الصعق إلى الموت من شدة الخوف.

لقد جاء في القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف أن الساعة تأتي بغتة، والمقصود هو نفخة الصور الأولى فهي تأتي والناس منشغلون بأمورهم عاكفون على أعمالهم، فهذا بائع يعرض قماشاً على زبون والزبون يتفحصه ويسأل عن ثمنه، وهذا رجل قد حلب ماشيته وانصرف باللبن إلى بيته ليشربه، وهذا رجل قد رفع كوباً من اللبن إلى فمه يريد أن يشربه، وهذان رجلان يسوقان أغنامهما (وآخر من يُحشر راعيان من مُزَيْنة ينعِقان لغنمهما فيجداها ملئت وحوشاً حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرّا على وجوههما) - الحديث رقم٧٧١ وهذا رجل قد رفع لقمة إلى فمه، وهذا رجل يطلي حوض ماشيته لكي يملأه ماء ويسقيها، وهؤلاء رجال يفعلون أموراً شتى، فينفخ في الصور فيخرّون أمواتاً دون أن يتمكنوا من فعل أي شيء، وارجع إلى الحديث رقم ٧٨٧، وجاء في الحديث رقم٧٣٠ (ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتاً ورفع ليتاً، وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله فيصعق ويصعق الناس) الليت صفحة العنق، فسوف يموت الناس جميعاً بمجرد سماعهم نفخة الصور الأولى ميتة رجل واحد، والمرجح أن الصوت الذي سوف يصدر عن الصور سوف يكون قوياً مرعباً أعلى وأقوى من أعلى وأقوى صوت للرعد سمعناه وذلك ليتلاءم هذا الصوت مع التأثير الذي يحدثه في سائر المخلوقات وهو الصعق، ثم إن مثل هذه الآية ﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ - الطور٥٢: ٤٥ - توحي بشدة الصوت، وكذلك ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ فهي توحي بأنه لا يمكننا أن نتخيل عظمة هذا الصوت مجرد تخيل، ويكفي للدلالة على عظمته البالغة أنه سيسمعه من في السموات والأرض، وأنه سيموت بسماعه ملائكة السموات وأهل الأرض من إنس وجن وحيوان.

وجاء استثناء من الصعق في قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ فمن هم الذين استثناهم الله عز وجل

من الصعق؟ إن البشر الأحياء لن يستثنى منهم أحد لأنهم كلهم من الفساق الأشرار النجسين، وعلى هذا يكون الذين استثناهم الله عز وجل من الملائكة جزماً وربما كانوا كبار الملائكة، ولكن هناك أحاديث نبوية صحيحة تثير مسألة أخرى.

٧٩٥-عن أبي هريرة ﷺ قال: استَبَّ رجل من المسلمين ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين- في قسم يقسم به- فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين. فرفع المسلم عند ذلك يده فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال (لا تخيِّروني على موسى، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله عز وجل) وفي رواية قال: بينما يهودي يعرض سلعته أعطي بها شيئاً كرهه، فقال: لا والذي اصطفى موسى على البشر. فسمعه رجل من الأنصار فقام فلطم وجهه وقال: تقول والذي اصطفى موسى على البشر والنبي ﷺ بين أظهرنا؟ فذهب إليه فقال: يا أبا القاسم إن لي ذمة وعهداً فما بال فلان لطمني؟ فقال: (لم لطمت وجهه؟) فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رئي في وجهه، ثم قال: (لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور، فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من يُبعث، فإذا موسى آخِذ بالعرش، فلا أدري أحُوسِبَ بصعقة الطور أم بُعث قبلي؟ ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى) - البخاري٥/٥٢في الخصومات باب ما يذكر في الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، وفي الأنبياء باب وفاة موسى وذكره بعده وباب قول الله تعالى ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ ، وفي الرقاق، وفي التوحيد، ومسلم رقم٢٣٧٣في الفضائل باب من فضائل موسى ﷺ ، وأبو داود رقم٤٦٧١ في السنة باب في التخيير بين الأنبياء، والترمذي رقم٣٢٤٠ في التفسير باب ومن سورة الزمر-.

٧٩٦-عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: جاء رجل من اليهود إلى النبي ﷺ قد لطم وجهه، فقال: يا محمد إن رجلاً من الأنصار من أصحابك لطم وجهي. فقال (ادعوه) فدعوه، فقال (لم لطمت وجهه؟) قال: يا رسول الله إني مررت باليهودي فسمعته يقول: والذي اصطفى موسى على البشر، فقلت: وعلى محمد؟

فأخذتني غضبة فلطمته، فقال (لا تخيّروني من بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من يفيق، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري أفاق قبلي أو جُوزِيَ بصعقة الطور) . وفي رواية (فأكون أول من تنشق عنه الأرض، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش...وذكر نحوه) - البخاري٥/٥٢في الخصومات باب ما يذكر من الأشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي، وفي الأنبياء باب قول الله تعالى ﴿ ۞ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ...﴾ ، وفي تفسير سورة الأعراف باب ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا ...﴾ ، وفي الديات باب إذا لطم المسلم يهودياً عند الغضب، وفي التوحيد باب ﴿ وَكَانَ عَرۡشُهُۥ عَلَى ٱلۡمَآءِ ﴾ ، ومسلم رقم٢٣٧٤في الفضائل باب من فضائل موسى ﷺ .

أما عن تفضيل سيدنا محمد ﷺ على سيدنا موسى ﷺ وعلى سائر الأنبياء ﷺ فهذا أمر مجزوم به، لأن محمدا ﷺ حبيب الله تعالى وهذه منزلة أعلى من منزلة خليل الله تعالى التي حظي بها إبراهيم الخليل ﷺ أبو الأنبياء، ومحمد ﷺ سيد البشر جميعاً من آدم ﷺ إلى آخر مولود يولد في هذه الدنيا، وهو أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة، وهو صاحب الحوض، وصاحب لواء الحمد الذي يكون الأنبياء جميعا تحته، وصاحب الشفاعة، لكنه ﷺ قال ما قاله من باب التواضع على الأرجح، وقد قال النووي في شرح صحيح مسلم: جوابه من خمسة أوجه، أحدها أنه ﷺ قال ذلك قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم، فلما علم أخبر به، والثاني: قاله أدباً وتواضعاً، والثالث: أن النهي إنما هو عن تفضيل يؤدي إلى تنقيص المفضول، والرابع: إنما نهى عن تفضيل يؤدي إلى الخصومة والفتنة كما هو المشهور في سبب الحديث، والخامس: أن النهي مختص بالتفضيل في نفس النبوة، فلا تفاضل فيها، وإنما التفاضل بالخصائص وفضائل أخرى، ولابد من اعتقاد التفضيل، فقد قال الله تعالى ﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ ﴾ - البقرة ٢: ٢٥٣-.

أما صعقة الطور التي أشار إليها محمد ﷺ فهي التي أصابت سيدنا موسى ﷺ حينما طلب رؤية الله تعالى ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَـٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَـٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ

تَرَىٰنِي ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ - الأعراف ٧: ١٤٣.

والآن أتساءل هل يصعق الأحياء وحدهم بنفخة الصور؟ أم يصعق الأحياء والأموات معاً؟ إن الأحاديث التي ذكرت نفخة الصور ذكرت لنا صعق الأحياء وصورت لنا مشاهد من الصعق، فهي تأتي بغتة والناس يتبايعون ويعملون، ويخر كل واحد منهم ميتاً على الحالة التي كان عليها وقت النفخة، ومن هنا علمنا أن الصعق يكون للأحياء.

وفي حديث رسول الله ﷺ عن موسى ﷺ قال: (لا تفضلوا بين أنبياء الله، فإنه ينفخ في الصور فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من يبعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقة الطور أم بعث قبلي؟) وفي رواية (فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق أو كان ممن استثنى الله عز وجل) وسيدنا موسى ﷺ ميت، ويتضح بجلاء أنه معرَّض للصعق أيضاً، فرسول الله ﷺ قد علم من ربه أنه أول من يبعث بنفخة الصور الثانية بعد الصعق فيرى موسى ﷺ ممسكا بإحدى قوائم العرش فلا يعلم هل صعق وأفاق؟ أم استثناه الله تعالى من الصعق؟ أم حسبت له صعقة الطور فأعفي من صعقة الصور؟ وهذا يدل بوضوح على أن صعقة الصور لا تصيب الأحياء وحدهم، ولكنها تصيب الأحياء والأموات معاً، فيكون معنى قوله تعالى ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ﴾ أن الصعق بنفخة الصور يصيب الإنس والجن الأحياء والأموات ويصيب الملائكة، وهناك من لا يصيبهم الصعق بمشيئة الله تعالى لا نعلمهم، ولكن يحتمل أن يكونوا من صالحي الإنس والجن وكبار الملائكة، فصعق الأموات حقيقة واضحة، فيبدو أنهم يسمعون صوت الصور المجلجل المرعب ويصابون بالذعر العظيم كما يصاب به الأحياء، والله على كل شيء قدير.

ما بين النفختين

٧٩٧- عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (ما بَيْنَ النفختين أربعون) قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. (ثم يُنْزل الله من السماء ماء فينبُتون كما ينبُت البَقل) قال (وليس من الإنسان شيء إلا يَبْلى إلا عظماً واحداً وهو عَجْب

الذنَب، ومنه يُركَّب الخلقُ يومَ القيامة) - مسلم في القيامة، وفي الفتن باب ما بين النفختين، والبخاري بنحو ذلك في التفسير سورة عم يتساءلون وسورة الزمر، والموطأ في الجنائز باب جامع الجنائز١/٢٣٩، وأبو داود رقم٤٧٤٣في السنة باب في ذكر البعث والصور، والنسائي٤/١١١في الجنائز باب أرواح المؤمنين- أبيت يريد: لا أدري. عجب الذنب: هو عظم الصلب المستدير الذي يكون في أصل العجز وأصل الذنب.

٧٩٨-عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (كل ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْبَ الذنب، منه خُلق وفيه يُركَّب) - مسلم في القيامة، والإمام أحمد في مسنده: ٢، والإمام مالك في الموطأ في الجنائز باب جامع الجنائز٦٦٧، وأبو داود في السنة باب في ذكر البعث والصور رقم٤٧٤٣-.

٧٩٩ - عن أبي سعيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ (يأكل الترابُ كلَّ شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه) قيل: وما هو يا رسول الله؟ قال: (مثل حبة خَرْدَل منه تُنشؤون) - الإمام أحمد في مسنده: ، وابن حبان في صحيحه من طريق دراج عن أبي الهيثم، وهو ضعيف ولكن يشهد له ما تقدم-.

لقد أخبرنا أبو هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ أن ما بين النفختين أربعين، ولكنه لا يتذكر أو لا يدري هل هي أربعون يوماً أم أربعون شهرا أم أربعون سنة؟ ثم ينزل الله تعالى مطراً، ثم يبعث الناس من قبورهم ويحتشدون في المحشر وهو أرض الشام الشريف ومركزه في القدس الشريف، وقد أخبرنا رسول الله ﷺ بأن الإنسان يفنى ويَبْلى، ولا يبقى من عظامه سوى عجب الذنب، وهو آخر مفصل من عظام العمود الفقري وهو في أسفل الظهر، فلا يفنى هذا العظم الصغير بقدرة الله عز وجل، وحينما يبعث الله الناس يعيد خلق الأجساد الفانية وتركيبها من جديد على هذه العُظَيمات الصغيرة، فسبحان الله العظيم، ومعلوم أن الله عز وجل يعيد خلق الأجساد بمشيئته التي جعل نفخة الصور الثانية إيذانا لها.

وأريد الإشارة إلى أن الله تعالى ليس في حاجة إلى إبقاء عجب الذنب لإعادة خلق الإنسان، ولكنه عز وجل شاء أن يفعل هذا على هذه الصورة، وهو يفعل ما يشاء كما يشاء، ولا راد لمشيئته، ولا يسأل عما يفعل، وهو العظيم القدير، وقد اقتضت مشيئته أن يكون البعث مسبوقاً بمطر، فقد جاء في الحديث رقم٧٩٧ (ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل) ، ولعل هذا المطر هو الموصوف في حديث أنس ﷺ عند الإمام أحمد رقم٧٣٥- (لا تقوم الساعة

حتى يمطَر الناس مطراً عاماً ولا تنبت الأرض شيئاً) .

قتلٌ دون تبصر

٨٠٠-عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال (والذي نفسي بيده ليأتين على الناس زمان لا يدري القاتل في أي شيء قَتل، ولا يدري المقتول على أي شيء قُتل) . وفي رواية (والذي نفسي بيده لا تذهب الدنيا حتى يأتي الناس يوم لا يدري القاتل فيم قتل ولا المقتول فيم قتل) فقيل: كيف يكون ذلك؟ قال: (الهرج، القاتل والمقتول في النار) - مسلم في الفتن باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل...- لا أعلم إن كانت الفقرة الأخيرة من إدراج أبي هريرة ﷺ أم أنها من قول رسول الله ﷺ لأنني لم أعرف المسؤول وهذا غير واضح في الحديث.

فإن كان المسؤول أبا هريرة ﷺ وكانت الفقرة الأخيرة من قوله فقد التبس عليه الأمر وظن أن القتال بين طرفين مؤمنين مسلمين، ويكون الحديث عن فتنة الدهيماء، لأنه قد وقع فيها كثير من المواقف التي لا يدري فيها القاتل سبباً لقتل من قتله ولا يدري المقتول لماذا قتل، وسأذكر بعض الأمثلة: وقع قتل بين عشيرتين، وكانت هناك أسرة مؤلفة من أم وأربعة شباب مات زوجها ولم تتزوج بعده وعكفت على تربية أبنائها حتى أصبحوا شباباً فلما وقع القتل بين العشيرتين خشيت على أولادها من أن يقتلوا أخذا بالثأر فرحلت بهم إلى مدينة بعيدة، واشتروا داراً في طرف المدينة لم تمدد إليها مياه الشرب، فعكفوا على حفر بئر، فأرسل أحد القذرين كتاباً إلى المخابرات يخبرهم بأن هؤلاء الشباب من المعادين وأنهم يحفرون وكراً، فجاءت جماعة كبيرة من الجيش على طائرات هليكوبتر وحاصرتهم وقتلتهم.إلا واحداً كان غائباً.

وفي إحدى المدن كان الجيش يجمع الرجال من منازلهم ثم يقتلونهم، وصار بعضهم يجمع الأطفال ثم يقتلهم، وفي إحدى المدن أمر ضابط الجنود بمحاصرة إحدى الحارات وأخرجوا الرجال جميعهم وقتلوهم في يوم عيد الأضحى، وكان بينهم زوار حضروا للتهنئة بالعيد، ففي فتنة الدهيماء الدامية لا يدري فيها الجنود الذين ينفذون أوامر القتل لماذا يقتلون ولا يدري المقتولون لماذا قتلوا، وينطبق عليها حديث رسول الله ﷺ .

أما الفقرة الأخيرة التي أظن أنها قول أبي هريرة ﷺ فالحكم الموجود فيها ينطبق على المسلمين الذين يقتتلون في سبيل الدنيا والأهواء وليس في سبيل الله تعالى، فيقتتلون على مال أو أرض أو أي شيء فيه منفعة أو يقتتلون بدافع

العصبيات القبلية أو الطائفية أو القومية أو في سبيل قحبة، ولقد اقتتل مسلمون في سبيل قحبات واقتتلوا في سبيل أي شيء تافه في هذه الدنيا، ووقع قتلى كثيرون في صراعات تافهة، ففي مثل هذه الأحوال يكون القاتل والمقتول في النار.

أما إذا اعتدى مسلم على مسلم أو على ماله أو على عرضه فالمعتدي يكون من أهل النار سواء أكان قاتلاً أم مقتولاً، والمعتدى عليه يكون من أصحاب الجنة سواء أكان قاتلاً أم مقتولاً.

أما إن كان أحد الطرفين مسلماً يقاتل في سبيل الله تعالى لتكون كلمة الله هي العليا فالقاتل والمقتول من هذا الطرف في الجنة، والقاتل والمقتول في الطرف الثاني في النار.

- نبوءات قرآنية -

تمكين المسلمين في الأرض

قال الله تعالى ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ - يونس١٠: ١٣و١٤-.

لقد أهلك الله تعالى الأمم السابقة لتفريطهم بطاعة الله تعالى مع أن رسلهم قد بلغوهم شريعة الله تعالى وأوامره ونواهيه وقدموا لهم الحجج الراسخة والبراهين الواضحة والمعجزات والخوارق، ثم جعل الله تعالى للمسلمين ملكاً عظيماً وسلطاناً واسعاً ليرى هل سيلتزمون أوامر الله تعالى ونواهيه أم سيعصونه؟ وهل سيطبقون شريعته أم سيهجرونها ويحكمون أهواءهم، والآية الثانية فيها تلميح إلى أن الله تعالى سوف يجود على المسلمين بكل خير إن هم حرصوا على طاعته، وإلى أنه عز وجل سوف ينزل عليهم النكبات إن هم عصوه وعطلوا شريعته، وهذا المعنى إن جاء هنا تلميحاً فقد جاء صريحاً في مواضع أخرى كثيرة من القرآن الكريم.

والملفت للنظر في الآية الثانية أن الله تعالى لم يقل: ثم سنجعلكم. بل قال ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ مِنۢ بَعْدِهِمْ ﴾ مع أن القرآن قد نزل ومات سيدنا محمد ﷺ والمسلمون لم يخرجوا من جزيرة العرب بعد، فاستخدام الفعل الماضي ﴿ جَعَلْنَٰكُمْ ﴾ يدل على أن استخلاف المسلمين في الأرض سوف يقع حتماً لأن الله سبحانه وتعالى قد قدره، فهو واقع لا محالة، وفي استخدام الفعل الماضي رحمة بالأجيال التي جاءت بعد استخلاف المسلمين في الأرض، فهو يوحي لهم بمعانٍ عظيمة ترسخ الإيمان في نفوسهم، فهم يرون بوضوح أن الله تعالى ينعم على من يطبق شريعته بنعم لا تحصى ولا تعد، وينزل سخطه ومقته على من يعصاه، ويجدون في التاريخ الإسلامي أمثلة لا تحصى على جريان هذه القاعدة الإلهية.

ويقول الله تعالى ﴿ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ -النحل١٦: ٤١و٤٢-.

فهنا وعدٌ من الله تعالى بمكافأة دنيوية للمهاجرين الذين هاجروا في سبيل الله تعالى تمسكاً بالعقيدة الإسلامية وفراراً من الأذى ولقد صبروا على إيذاء الكافرين ولم يتخلوا عن عقيدتهم مع شدة الأذى وصبروا على قسوة الجهاد وآمنوا بالله تعالى إيماناً صادقاً راسخاً وسلّموا إليه أمورهم وتوكلوا عليه توكلاً صادقاً، وكانت، هذه المكافأة عظيمة شملت العزة والمنعة والتمكين في الأرض والأرزاق الوفيرة المباركة وزرع الرعب في نفوس أعدائهم وغير ذلك من النعم، ووعدهم الله تعالى بمكافآت أعظم في الآخرة.

وقال الله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ - النور ٢٤-٥٥.

وهنا أيضاً وعد إلهي للمؤمنين الأوائل بالاستخلاف في الأرض وتمكين الدين والتنعم بالأمن من بعد أن كانوا خائفين من المشركين، ولقد أنجز الله تعالى وعده لهم، وهذا الوعد ليس مختصاً بالمؤمنين الأوائل، بل هو للمسلمين جميعاً في كل زمان ومكان، فعلى المسلمين أن يؤمنوا بالله إيماناً صادقاً خالصاً وأن يطيعوه ويطبقوا شريعته لينزع عنهم أثواب الذل التي لبسوها بسبب عدم صدق إيمانهم وبسبب كثرة معاصيهم، ولقد مرت بنا أحاديث نبوية تتحدث عن تمكين المسلمين في الأرض إذا تمسكوا بتطبيق شريعة الله تعالى، وأحاديث كثيرة جدا تخبر عن ضرب الذل عليهم إذا أعرضوا عن شريعته عز وجل.

المسلمون خير أمة

قال الله تعالى ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ ﴾ -آل عمران ٣: ١١٠ - لقد أخبر الله تعالى بأن الأمة الإسلامية سوف تكون خير الأمم من عهد آدم ﷺ إلى قيام الساعة، ولقد استخدم الله تعالى صيغة الفعل الماضي بدلاً من صيغة المستقبل للدلالة على الجزم بوقوعه، ولقد وقع فعلا وكانت الأمة الإسلامية خير أمم الأرض في الماضي والحاضر والمستقبل، وقد بين الله تعالى سبب هذا التفضيل، وهو أمر المسلمين بالمعروف ونهيهم عن المنكر وإيمانهم بالله تعالى إيماناً صادقاً خالصاً

من شوائب الشرك، والأمر بالمعروف يشمل كل أفعال الخير التي لا تحصى ويشمل السجايا الحميدة بكاملها، ويشمل كل الصفات والأفعال والأقوال الحسنة، والمنكر يشمل كل الصفات والأفعال والأقوال البغيضة والذميمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يشملان كل ميادين الحياة وسلوك الناس من يقظتهم عند الفجر إلى نومهم في الليل يومياً ومن نشأتهم إلى أن تحتضنهم القبور، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فريضة على كل مسلم، وكل مسلم مكلف ببذل ما يملك من قوة وقدرة في هذا المجال، وقدرات الأفراد تتفاوت وتتنوع، فهناك علماء وجهلاء، والعلماء درجات والجهلاء درجات، وهناك أذكياء وأغبياء وهما درجات، وهناك سلاطين وجنود وبينهما درجات، وهناك أغنياء وفقراء وهما درجات، وهناك أقوياء وضعفاء وبينهما درجات، وأشكال القوة والضعف مختلفة، فهناك من هو قوي بجسده أو بسلاحه أو بماله أو بعشيرته أو بأقربائه أو بإخوانه أو بأصدقائه أو بسلطانه أو بقوة حجته وفصاحته وبلاغته أو بصدق إيمانه وبتمسكه بدينه أو بتقواه وورعه وحسن خلقه، وللمواهب التي يتمتع بها الناس وللأعمال التي يمارسونها وللميادين التي يمكنهم اقتحامها تأثير في تنمية قدرات الأفراد وتقويتها وتوسيعها.

ولو أردت أن أبين جوانب الخير في الأمة الإسلامية وتسامحها مع الأمم لاحتاج الأمر إلى مجلدات، ولكنني سأحاول إعطاء فكرة عن الموضوع، فهناك آداب للحرب سنّها رسول الله ﷺ والتزمها المسلمون في حروبهم وهي تفيض بالرحمة، وقد قال عنها المؤرخ الأوربي غوستاف لوبون[ما عرف التاريخ فاتحاً أرحم من العرب]، فالمسلمون لا يقتلون رجال الدين ولا يخيفونهم وإنما يتركونهم آمنين في معابدهم، ويمنحونهم الحرية الكاملة في التمسك بدينهم والتعبد في كنائسهم، ولا يقتلون شيخاً ولا امرأة ولا طفلاً، ولا يقتلون إلا الجنود في وقت الحرب، فإذا أسروا الجندي فلا يقتلونه، وإذا سقط الجندي جريحاً لا يقتلونه، ولا يقتلون الحيوانات إلا للأكل، ولا يقطعون الأشجار ولا يحرقون المزروعات، وإذا عاهدوا عدواً فإنهم لا يغدرون به ولا ينقضون المعاهدة حتى ينقضها العدو، وينذرون العدو قبل الحرب ويخيرونه بين الحرب أو الإسلام أو الجزية، ويمهلون قادة العدو إن طلبوا مهلة للتشاور، ويحسنون معاملة الشعوب ولا يجبرونهم على اعتناق الإسلام، والجزية التي يأخذها المسلمون من أصحاب الأديان السماوية هي مثل أية ضريبة تأخذها الحكومات

المعاصرة من شعوبها، بل إن الحكومات المعاصرة تأخذ ضرائب كثيرة من رعاياها تعادل أضعاف الجزية وفي المقابل تأخذ الدولة الإسلامية من المسلمين ضريبة تسمى الزكاة، وتقوم الدولة بالدفاع عن دافعي الجزية وتوفر لهم الاستفادة من مرافق الدولة ورعايتها كما يستفيد منها المسلمون، فالمسلمون ودافعو الجزية متساوون في الحقوق، وإذا عجزت الدولة عن الدفاع عن دافعي الجزية فإنها ترد إليهم جزيتهم، وقد جُعلت الجزية على ثلاث درجات بحسب أحوال الدافعين وهم أغنياء ومتوسطو الحال وفقراء، وهي في درجاتها الثلاث لا ترهق الناس كما ترهق الناس ضرائب الحكومات في زماننا، ويعفى من الجزية الفقراء الذين يعيشون على الكفاف، ويعفى من يعجز عن الكسب، وتقوم الدولة الإسلامية بتقديم المال إلى المحتاجين منهم.

وقد سمحت الدولة الإسلامية للنصارى واليهود والمجوس بممارسة شعائرهم الدينية وحفظت لهم كنائسهم ولم تتدخل في قضاياهم وخصوماتهم إلا إذا اشتكوا إلى القضاء الإسلامي، ولذلك بقيت هذه الأقليات إلى زماننا هذا، وهاجر منهم اليهود إلى فلسطين بعد إنشاء الدولة اليهودية عام١٩٤٨ بناء على خطة صهيونية ساعد على إنجاحها الحكومات الأميركية والإنجليزية والفرنسية، بينما فتك الصليبيون بالمسلمين في إسبانيا وعاملوهم بمنتهى الوحشية فانقرض المسلمون هناك مع أنهم أكثرية السكان، وفتك الصليبيون خلال غزواتهم للبلدان الإسلامية بمن وقع تحت أيديهم من الشيوخ والنساء والأطفال.

ومع أن المسلمين قد حققوا المساواة بينهم وبين الأقليات النصرانية إلا أن بعض هؤلاء النصارى قد ناصروا المغول والتتار والصليبيين وناصروا الاستعمار الأوربي، ومع ذلك لم يحقد المسلمون عليهم ولم يبطشوا بهم كما فعل الصليبيون بمسلمي إسبانيا وكما فعل الصليبيون والاستعمار الأوربي الحديث ببلدان المسلمين وكما فعل الصهاينة بالمسلمين، وكما فعل الصرب بالمسلمين، والأمثلة كثيرة.

والعجيب أن المسلمين يجلّون سيدنا موسى وأنبياء اليهود جميعاً صلى الله عليهم وسلم ويجلون سيدنا عيسى ﷺ وأمه مريم، بينما لا يؤمن النصارى واليهود بنبوة سيدنا محمد ﷺ ، ومع ذلك لم يحقد المسلمون عليهم ويبطشوا بهم لأن رسول الله ﷺ قد أمر بالمساواة بينهم وبين المسلمين فقال (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا) وبالغ في التوصية بهم فقال (من آذى ذمّيا فقد آذاني) فجعل من

يؤذي نصرانياً أو يهودياً كمن يؤذي رسول الله ﷺ ، ولذلك بالغ المسلمون في التلطف بهم، بل إن بعضهم قد صبر على إيذائهم، ولا توجد في الدنيا كلها أكثرية تحقق المساواة والعدل مع الأقلية وتصبر على إيذائها سوى المسلمين، وقد ساووا في الحقوق بين أي مواطن من هذه الأقليات وبين أصحاب أعلى المناصب في الدولة، وهذا لم تحققه أية أمة سوى المسلمين، وهذان مثالان يوضحان درجة الحرص على تطبيق المساواة، فقد تسابق قبطي مع ابن عمرو بن العاص حاكم مصر على جواديهما فسبق القبطي، فغضب ابن الحاكم لأنه كان ما يزال شاباً مراهقاً وضرب القبطي بسوط كان يحمله ضربة واحدة وقال له: أتسبقني وأنا ابن الأكرمين؟ فما كان من القبطي الواثق بعدالة الحكم الإسلامي إلا أن شدّ الرحال إلى أمير المؤمنين في المدينة المنورة شاكياً، فأرسل عمر ﷺ إلى حاكم مصر يأمره بالحضور مع ابنه، وحينما مثلا أمامه أعطى القبطي عصا وأمره أن يجلد بها ابن عمرو، فضربه حتى شفى نفسه منه، فطلب منه عمر ﷺ أن يجلد الحاكم لأنه لم يحسن تربية ابنه، فقال القبطي: لقد ضربت من ضربني. إن الحكم في الإسلام أن يضربه سوطاً واحداً لأن ابن عمرو ضربه سوطاً واحداً، ولكن الخليفة أمر القبطي بأن يضربه كثيراً حتى يكتفي لأنه ابن الحاكم، بينما نجد في زماننا في غيبة الإسلام أن ابن الحاكم يقتل ولا يحاسَب على القتل، بل إن أحد أعوان الحاكم أو أحد أتباع الأعوان يقتل ولا يحاسَب.

والمثال الثاني هو أن أمير المؤمنين علياً ﷺ وجد درعاً أضاعه عند يهودي فقال له: هذا درعي. فأنكر اليهودي وزعم أن الدرع له، فلم يأخذ الخليفة درعه بالقوة، ولم يغضب من تكذيب اليهودي له، ولم يأمر بقتل اليهودي أو بسجنه، بل طلب منه أن يصحبه إلى القاضي ليقضي بينهما، فالخليفة لم يحكم على اليهودي وجعل نفسه مواطناً متساوياً مع اليهودي في الحقوق، وماذا فعل القاضي وهو يرى الحاكم الأعلى يشكو يهودياً؟ لقد سأل القاضي الخليفة: هل لدى أمير المؤمنين بينة على أن الدرع درعه؟ إن أمير المؤمنين يعرف درعه معرفة يقينية، لكن هذه المعرفة لا تكفي، فالقاضي يريد من الخليفة أن يتقدم بحجج تثبت أن الدرع له، وضحك الخليفة وقال للقاضي: صدقت، لا توجد عندي بينة. فحكم القاضي بأن يكون الدرع لليهودي، لقد ضحك الخليفة لأن معرفته اليقينية لدرعه أنسته أنه يحتاج إلى براهين تثبت ملكيته للدرع أمام القاضي، ولم يصدق اليهودي ما جرى أمامه، كيف يحكم قاض ليهودي ضد الحاكم الأعلى للبلاد،

فرجع إلى القاضي وقال للخليفة: الدرع درعك يا أمير المؤمنين، ودينكم دين الحق لأنكم تحكمون بالحق، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقال له الخليفة: إن الدرع هدية لك.

والأمثلة كثيرة، ولم يقع مثلها إلا في الدولة الإسلامية، وإذا أضيف إلى ما سبق الأخلاق الحميدة التي لم تتمسك بها أية أمة من الأمم علمنا أن الأمة الإسلامية هي خير الأمم.

فالمسلمون يتصفون بالكرم، وهو من أركان الدين الإسلامي، فالمسلم يقدم المأوى والطعام لكل ضيف ولكل عابر سبيل، ويخص الضيف بأطيب الطعام، وإذا كان طعامه قليلاً فإنه يقدمه إلى ضيفه ويبقى هو جائعاً، وقد وقع مثل هذا مع مسلمين كثيرين، وقد قال الله عز وجل في وصفهم ﴿ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾، ويتفقدون جيرانهم ويرسلون إليهم المال والطعام، وقد حرص بعض صحابة رسول الله ﷺ على ألا يبيت عندهم شيء من المال ليلة واحدة، وقد فعلوا ذلك لأن رسول الله ﷺ كان يفعله، وقد كانوا يحسنون معاملة أسرى الحرب والعبيد ويطعمونهم مما يأكلون ويلبسونهم مما يلبسون فيساوونهم بأنفسهم وهذا لم تفعله ولن تفعله أمة غير الأمة الإسلامية، ولقد ظهرت عند المسلمين قصص كرم مدهشة يعطون فيها مبالغ عظيمة جداً من المال أو يعطون فيها كل ما يملكون، وكأنهم يعطون تبناً لا ذهباً، ولو أردت أن أجمع ما وصلنا من قصص الكرم المدهشة لاحتاج الأمر إلى مجلدات، ولم يصلنا إلا قليل لأن الكرم من طباع المسلمين ويصعب إحصاء قصصه، وما يزال المسلمون برغم بعدهم عن دينهم وبرغم استيرادهم المبادئ المادية القذرة من الغرب والشرق وبرغم انتشار البخل بينهم ما يزالون أكرم أمم الأرض، وما يزال الضيوف وعابرو السبيل يجدون المأوى والطعام في معظم بلدان المسلمين، بينما يذهب إلى الأوربي أو الأميركي صاحبه فيطلب منه أن يذهب إلى المطعم ليتناول الطعام ثم يعود إليه لأنه لم يخصص له حصة من الطعام، وهذا الذي يفعله الأوربي والأميركي بسهولة يخجل المسلمون من فعله ويرونه عملاً قبيحاً مشيناً، فهم ينهضون لإعداد الطعام للضيف ولو جاء في منتصف الليل مهما بلغت الصعوبات.

والمسلمون يحافظون على عهودهم ومواثيقهم مع المسلمين والنصارى

واليهود والكفار بدرجة واحدة، ويحافظون عليها محافظة مدهشة، فقد أسر المسلمون الهرمزان وهو قائد فارسي آذى المسلمين كثيراً وأرسلوه إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ فأراد قتله، فطلب الهرمزان ماء ليشرب، فأتوه بالماء، فأمسك الكوب وتظاهر بالخوف وصارت يده ترتجف، فقال له عمر: ما لك؟ فقال: إنني أخشى أن تقتلوني قبل أن أشرب هذا الماء. فقال عمر: اطمئن لن نقتلك قبل أن تشربه. وحينذاك أراق الهرمزان الماء، فقال عمر: لماذا فعلت ذلك. قال الهرمزان: لقد منحتني الأمان يا أمير المؤمنين فقد وعدتني بألا تقتلني حتى أشرب من ماء الكوب وقد سفحته ولا يمكن إرجاعه لأشربه. فقال له عمر: أنا لم أمنحك الأمان. فقال له الحاضرون من المسلمين: لقد أمنته يا أمير المؤمنين. فأطلق عمر سراحه. فقد احتال الهرمزان على عمر حتى قال له: لن نقتلك حتى تشرب هذا الماء. ثم أراقه ومضى يجادل عمر، ففي الدولة الإسلامية يجادل الأسير الحاكم الأعلى ويقاضيه، ويبدي المسلمون آراءهم المخالفة لرأي الخليفة ويقفون مؤيدين للأسير المعادي لهم، وخضع الخليفة لرأي الأسير ولرأي المواطنين حينما بينوا له أن كلامه يتضمن وعداً بألا يقتله حتى يشرب الماء المسفوح ذاته، وهذه المحافظة الدقيقة على العهود والوعود وعلى ما يستخلص من الأقوال وعلى معانيها أمر لم يوجد إلا عند المسلمين، وقد استغل أعداؤهم هذه المحافظة على العهود والوعود واحتالوا عليهم، ومع ذلك فقد حافظوا على العهود التي منحوها للمحتالين، وفي ذهني ثلاثة أخبار متشابهة، خبر عن إحدى القبائل العربية التي كانت تناصر مسيلمة الكذاب وخبر عن مدينة من مدن المشرق وخبر عن إحدى مدن إسبانيا، فلقد فر الرجال جميعاً وكان أمير الأعداء في كل مرة يأمر النساء بارتداء ملابس جنود مقاتلين ويأمرهن بالوقوف على الأسوار ثم يذهب إلى المسلمين ويصالحهم بشروط طيبة ثم تنكشف الخديعة ومع ذلك يحافظ المسلمون على عهدهم، بينما وجدنا نابليون بونابرت ممثل الثورة الفرنسية التي رفعت شعارات الحرية والعدل والإخاء والمساواة يعاهد حامية يافا على أن تستسلم في مقابل الحفاظ على أرواحها، وحينما استسلموا له وكانوا أربعة آلاف جندي ذبحهم عن بكرة أبيهم، وقد نقض المستعمرون الأوربيون عهودهم دائماً وما يزالون، أما اليهود فيرون الأمم الأخرى أمماً تافهة يحل لليهودي أن يحتال عليها وأن يخدعها ويغشها ويحل له قتل أبناء الأمم الأخرى بأي طريق ويحل له اغتصاب أموالهم بأي طريق.

وأكتفي بما ذكرت للبرهنة على أن المسلمين خير أمة وجدت على سطح الأرض، ولو أراد كاتب أن يجمع أخبارهم الطيبة لاستطاع أن يملأ مجلدات بأخبار مدهشة، لم يوجد مثيل لها عند أية أمة من أمم الأرض، لقد حمل عمر بن الخطاب ﷺ وهو رئيس أعظم إمبراطورية على وجه الأرض كيساً من الطحين على ظهره وطلب من عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن يناوله حملاً ثقيلاً آخر مملوءاً سمناً، وحينما قال له عبد الرحمن: أنا أحمل السمن. قال عمر: ويحك هل تحمل عني ذنوبي يوم القيامة؟ وأخذ حمله الثقيل لامرأة فقيرة، وطبخ لها الطعام على نار الحطب بنفسه، ولقد حمل مثل هذا الحمل الثقيل لامرأة من الفقراء فاجأها الطلق في الليل ولم يكن عندها أحد سوى زوجها الذي كان لا يدري ما يفعل، وقد أحضر الإمبراطور عمر بن الخطاب ﷺ زوجته الإمبراطورة لكي تصبح قابلة لتلك المرأة الفقيرة، فهل رأت الدنيا من خلق آدم ﷺ إلى يوم الناس هذا مثيلاً لهذا الإمبراطور؟.

وأمثال هذه الأخبار كثيرة في جميع مكارم الأخلاق على اختلاف أنواعها.

حفظ القرآن

قال الله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ - الحجر ١٥: ٩- وقال ﴿ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ ﴾ - القيامة ٧٥: ١٦و١٧-.

لقد تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن دون أن يقيد هذا الحفظ بزمن معين، وقد كان رسول الله ﷺ يردد القرآن الذي يتلقاه من جبريل عليه الصلاة والسلام لكي يرسخه في ذهنه خوفاً من أن ينساه، فنهاه الله تعالى عن ذلك وطمأنه، فقد تعهد الله تعالى بجمع آيات القرآن الكريم وكانت تنزل متفرقة، وتعهد الله تعالى بحفظه، ونزول القرآن مفرقاً ثم جمع آياته في كتاب رصين متناسق متماسك وفي أعلى درجات البلاغة والفصاحة هو في حد ذاته معجزة عظمى.

أما حفظ القرآن فهو معجزة المعجزات، فلقد تعرض الإسلام لارتداد المسلمين عنه مع وفاة رسول الله ﷺ ومع ذلك استطاع القلائل الذين ثبتوا على الإسلام أن يخضعوا الأكثرية المرتدة، وهذا من المعجزات، ثم إن بلدان المسلمين قد وقعت تحت سيطرة غير العرب من فرس وأتراك وأكراد ومماليك

من شتى الأمم، وتعرضت لثلاث حملات ضخمة شرسة من المغول والتتار وقد ألقوا الكتب العربية في نهر دجلة، وتعرضت لحملات أوربية صليبية عظيمة شرسة، وتعرضت لاجتياحات أمم كثيرة على امتداد التاريخ وحينما أطاح حزب الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة العميلان للصهاينة بالسلطان عبد الحميد الثاني حاربوا اللغة العربية للقضاء عليها وعلى الإسلام، وتعرضت للغزو الأوربي الحديث واستعمرت بلاد العرب جميعها عدا الحجاز، وتفشت الأمية حتى أصبح وجود الكاتب أمراً نادراً، وحوربت اللغة العربية، ومع ذلك ظل القرآن محفوظاً لأن الله تعالى قد وعد بحفظه، ولولا وعد الله تعالى لضيّعته الدواهي التي أصابت الأمة، وإن القرآن الكريم قد حفظ اللغة العربية من الضياع والانقراض، ولولا القرآن لانقرضت اللغة العربية بسبب سيطرة الأعاجم والغزو الاستعماري القديم والحديث وشيوع الأمية.

نجاة جثة فرعون وحفظها

قال الله تعالى ﴿ ۞ وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ وَكُنتَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٩١﴾ فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗۚ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنۡ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ -يونس١٠: ٩٠-٩٢-.

لقد خاطب الله تعالى فرعون بوضوح تام بأنه سوف ينقذ جثته من البحر لتراها الأجيال القادمة من الناس، فترى الرجل الذي زعم أنه إله أمامهم جثة هامدة عاجزة عن الحركة.

والمعلوم أن الناس في عصر الإسلام وما بعده لم يكونوا يعرفون أن جثث الفراعنة محنطة، ومحفوظة، وأن اكتشافها قد تم على أيدي الإنجليز في العصر الحديث، فلقد اكتشف لوريت جثة منفتاح بن رمسيس الثاني الذي يرجح أنه الفرعون الغريق إي فرعون موسى عام١٨٩٨ في طيبة في وادي الملوك، ونقل إلى القاهرة، وحل إليوت سميث الأربطة عنه في١٩٠٧/٧/٨ووصف مشاهداته في كتاب المومياء الملكية عام١٩١٢.

وقد ذكرت التوراة في سفر الخروج أن جيش فرعون قد غرق كله ولم

تذكر أن فرعون قد غرق، ومع أن المؤمنين بالتوراة الموجودة في أيدي الناس يستخلصون أن فرعون قد غرق إلا أن التوراة لا يستخلص منها شيء عن فرعون، وهذا ما جاء في التوراة حول الغرق: (وما إن رفع موسى عصاه حتى انفلق البحر أمامه، فدخل الناس فيه يسيرون على أرض جافة، وتبعهم المصريون ومعهم كل جياد فرعون وعرباته وفرسانه، ودخلوا في الطريق متعقبين آثارهم في وسط البحر) (وهنا طما البحر وغرق عربات وفرسان كل جيش فرعون الذين دخلوا وراءهم فيه ولم يبق منهم أحد) فلم تنص التوراة على غرق فرعون، فغرق الجيش لا يعني غرق الملك، لأن الملوك لا تقتحم المخاطر إلا نادراً، ثم إن التوراة ذكرت أن فرعون قد طارد بني إسرائيل لكنها لم تذكر أنه سار في البحر، أما القرآن الكريم فقد ذكر أن فرعون وجيشه قد لحقوا بني إسرائيل وأنهم غرقوا وأن الله تعالى أنقذ جثة فرعون وأنه سوف يحفظها من التلف والبلى، لكي ترى الأجيال اللاحقة جثة هذا الضال الذي زعم أنه إله فيعلموا أن النساء لا تلد إلا بشراً، وأن الله عز وجل لا يموت، وأن الناس يموتون جميعاً.

فالقرآن الكريم قد أخبر أن جثة فرعون سوف تنجو من الغرق وسوف تراها الأجيال القادمة، ولم يكن أحد من الناس يعرف شيئا عن جثث الفراعنة في عصر محمد ﷺ ، وهذا دليل من أدلة كثيرة تدل على أن القرآن منزل من الله تعالى على النبي محمد ﷺ ، وبرغم هذه الحقيقة الساطعة فقد تجرأ الأب كوروايبه على الكذب على القرآن الكريم في طبعة التوراة التي أشرفت عليها المدرسة التوراتية في القدس الشريف وصدرت عام١٩٦٨، فقد قال في سفر الخروج في الصفحة٧٣ (يشير القرآن إليه- أي موت فرعون- في سورة يونس الآيات من٩٠إلى٩٢، وعلى حسب التراث الشعبي فإن فرعون قد ابتلع بجيشه، وهو يسكن الآن قاع البحر، ويحكم مملكة إنسان البحر أي عجول البحر، وهذا ما لا يقوله النص المقدس-التوراة-) وقد قرأت أن الطبعة قد أشرف عليها أكثر من مائتي رجل دين، والحقيقة أنني أعجب من رجال الدين الذين يكذبون ويبيحون نشر الزنى واللواطة بين المسلمين ويفسدون أخلاقهم لإبعادهم عن دينهم بعد أن يئسوا من تنصيرهم، إن الإسلام يحرم الكذب ويحكم على الكذابين بدخول جهنم، ويحرم نشر الزنى واللواطة والفساد الخلقي بين الناس، وهذا وحده دليل على أن القرآن الكريم هو الكتاب الإلهي الوحيد الذي نجا من التحريف والتخريف، فكل إنسان سوي عاقل يعرف أن الله تعالى لا يمكن أن

يسمح بالكذب وبالزنى وباللواطة وبنشر الفساد في الأرض في سبيل نشر الدين أو تقويته، أو في سبيل أي هدف لأنه يحب الخير ويدعو إلى الخير فمن أطاعه أدخله الجنة ومن عصاه أدخله النار، ولو عصاه الناس جميعاً لأدخلهم النار لأنه غير محتاج إليهم.

نزول المصائب على الكافرين باستمرار

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ وَعْدُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ﴾ - الرعد ١٣: ٣١- القارعة: النازلة الشديدة أو الكارثة أو الداهية أو النائبة أو المصيبة العظيمة. والكفار هم الذين لم يؤمنوا بالدين الإسلامي، ولكن تشريعات الإسلام لم تجبرهم على اعتناق الإسلام وسمحت لهم بالمحافظة على دينهم وبممارسة شعائرهم الدينية بحرية كاملة وسمحت لهم بحل مشاكلهم وخلافاتهم فيما بينهم فلا يتدخل الحاكم المسلم إلا بناء على طلب أحد المتخاصمين، وساواهم الإسلام بالمسلمين في الحقوق وحرم إيذاءهم تحريما شديدا، وهذه المعاملة الحسنة لأبناء الأديان الأخرى ينفرد بها الإسلام وحده دون سائر الأديان السماوية والوثنية، ولهذا ظلت الأقليات النصرانية واليهودية في بلدان المسلمين حتى يوم الناس هذا يعيشون في بلدان المسلمين ولهم من الحقوق ما للمسلمين وانقرض المسلمون في بلدان النصارى وغيرهم.

لقد أنبأنا الله تعالى في القرآن الكريم بأنه سينزل كوارث ومصائب على الكافرين طيلة الحياة الدنيا حتى قيام الساعة، وقد بين لنا أن هذه الكوارث هي عقاب دنيوي لهم بسبب كفرهم، وأنها نوعان نوع يصيبهم فتكون أضراره عظيمة ونوع يكون قريباً من ديارهم فلا يضرهم، ولكنه يدخل الرعب إلى قلوبهم، وإن من يتتبع الأخبار اليومية يجد أن الله تعالى ينزل الكوارث على بلدان الكافرين باستمرار، فينزل بهم الزلازل والأعاصير والصواعق والفيضانات والحرائق والبراكين وغير ذلك من الكوارث، ولعل المتتبع لأخبار الكوارث الطبيعية يجد أن معظمها ينزل في بلدان الكافرين وأنها تنزل عليهم بكثرة وأن قليلاً منها ينزل في بلدان المسلمين عقاباً لهم أيضاً وأنه قد تمر سنوات دون أن تنزل فيها كارثة واحدة في بلاد المسلمين بينما لا تمر سنة واحدة دون أن تنزل عشرات الكوارث في أميركا على سبيل المثال.

تفرق اليهود وسعيهم للفتن

قال الله تعالى: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ - المائدة ٥: ٦٤- ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ - الأعراف ٧: ١٦٨-.

لقد أخبرنا الله تعالى أن اليهود سوف يتفرقون إلى طوائف متعادية متباغضة، وقد أصبح هذا معروفاً في زماننا، وقد أخبرنا الله تعالى أن اليهود سوف يظلون متفرقين متباغضين إلى يوم القيامة أي إلى نهاية الدنيا أو إلى نهاية حياتهم في الدنيا، فالخلافات المذهبية بينهم لن تزول، وستظل قلوبهم ممتلئة بالحقد نحو بعضهم، ولن تزول هذه الأحقاد من قلوبهم مهما حاول الصليبيون المتصهينون.

وأخبرنا الله تعالى أن اليهود سوف يعملون على إشغال نار الحرب بين البشر، وهذا قد أصبح معروفاً في يومنا هذا، فاليهود يرون أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله تعالى وأحباؤه، وأن الناس جميعاً بهائم يحل لليهود أن يقتلوهم ويغتصبوا أموالهم ويخدعوهم ويغشوهم ويكذبوا عليهم ويسرقوا ممتلكاتهم لأنهم بهائم حقيرة لا قيمة لهم، ولذلك عملوا طيلة حياتهم على إشعال نار الحروب بين الناس، وقد تبين بصورة واضحة أنهم قد كانوا وراء الحروب البشعة التي كادت أن تفني البشر مثل الحرب العالمية الأولى والثانية والحروب بين فرنسا وألمانيا والحروب بين فرنسا وإنجلترا وغيرها، وكادت أن تفني أجناساً معينة من البشر، فقد عملوا في الماضي على إفناء الإنجليز، وعملوا على إفناء الفرنسيين من خلال سيطرتهم على أجهزة الأمن، وعملوا على إفناء شعوب الاتحاد السوفييتي من خلال سيطرتهم على أجهزة الأمن أيضاً، وعملوا على إفناء الألمان في حروب كثيرة كان آخرها الحرب العالمية الثانية، وعملوا وما زالوا يعملون على إفناء الفلسطينيين بخاصة والعرب والمسلمين بعامة، فهم يحقدون على الناس جميعاً، ولكن الله تعالى أخبرنا أنه سيطفئ نيران الحروب التي يشعلونها، فهم يعملون على إشعال نيران حروب لا تنطفئ حتى يهلك

الناس جميعاً، لكن الله تعالى يطفئ نيران هذه الحروب ويحبط كيد اليهود.

وقد أخبرنا الله تعالى أن اليهود يسعون إلى نشر الفساد بين شعوب العالم بأكملها، وقد تبين أن اليهود كانوا وراء تمزيق المسيحيين إلى طوائف متحاربة متباغضة، وكانوا وراء فرض تأليه عيسى ﷺ على الكنيسة بعد أن كانوا يرونه بشراً نبياً، وقد سعوا لنشر عقيدة تأليه علي بن أبي طالب ﷺ بين المسلمين، وأضعفوا الديانتين المسيحية والإسلامية بإشغال الناس بإرواء شهواتهم الجنسية بالطرق المحرمة في الديانتين، وقد دعوا الناس في صحيفة الثورة الفرنسية التي كانوا يسيطرون عليها إلى مضاجعة أمهاتهم وعماتهم وخالاتهم وأخواتهم وبناتهم وبنات إخوانهم وأخواتهم تحت شعار نبذ التقاليد البالية الرجعية والسير في ركاب التقدم والتطور، ولقد هدم اليهود وأذنابهم الأديان والأخلاق الحميدة والروابط الأسرية تحت هذا الشعار الخادع المضلل، ولقد جعلوا المسيحي في الغرب ينام مع عشيقته وتنام المرأة مع عشيقها في مسكن واحد، وجعلوهم يتضاجعون عراة أمام الناس دون خجل من الناس ودون خوف من الله تعالى، والعجيب أن أذناب اليهود في بلاد العرب والمسلمين ما زالوا يمتدحون الثورة الفرنسية ويدرسونها لتلاميذ المدارس على أنها ثورة الحرية ضد الاستبداد والاستعباد وثورة التقدم والتطور ضد الجمود والرجعية وثورة العدل ضد الظلم والجور إلى آخر ما هنالك من أكاذيب، والمثير للسخرية أن هذه الثورة قد رفعت شعارات الحرية والإخاء والمساواة وعملت بنقيضها، ورفعت الماسونية الصهيونية هذه الشعارات ذاتها، وسار الثوريون المتصهينون على النهج ذاته يرفعون شعارات ويعملون بنقيضها.

ولقد ابتكر اليهود الأفلام الجنسية (السيكس) ، وهذه الأفلام ليس لها قصص ولا مغازي، فهي تحوي مداعبات ومضاجعات جنسية فحسب، وروّجوا هذه الأفلام وأدخلوها إلى البلدان التي تمنع تداولها وجعلوا البلدان المسيحية تصور المضاجعات الجنسية في الأفلام وتعرضها على الجماهير، وأصدروا مجلات جنسية وكتباً جنسية وصوراً جنسية، وجعلوا نشر الزنى هدفهم الأول لتمزيق الأديان والروابط الاجتماعية ومكارم الأخلاق، ونشروا الغش والسرقة والاحتيال والخداع والرشوة وغيرها من صور الفساد والإفساد، وجعلوا معظم الشعوب تتخلى عن مكارم الأخلاق وتؤلّه المال وتعبده، وحينما يصبح المال الهدف الأول عند الإنسان وحينما يترسخ حب المال في القلب ويملؤه، فإن هذا

الإنسان يعقّ أمه وأباه ويقطع صلة أرحامه ولا يعطي طعاماً لجائع أو مالاً لمحتاج أو مريض فقير وإن رآه يموت أمامه ولا يفرّج كربة مكروب ولا يساهم في أفعال الخير كلها ولا يوثّق رابطة مع إنسان آخر إلا إذا كانت له فائدة مالية منه، ويفسّر أحكام الدين على هواه، ولا يأخذ من الدّين ما يجعله يخسر شيئاً من المال، ويكون معظم محبي المال ممن يبيعون الله تعالى ودينهم بالمال، ويتاجرون بأعراضهم ويخونون إخوانهم وأقاربهم وشركاءهم وحلفاءهم وأوطانهم، ولا يتورّعون عن فعل أي عمل قذر في سبيل الحصول على المال، وقد رأينا علماء طاعنين في السن يوشكون أن يفارقوا الدنيا ما بين ساعة وأخرى يصدرون فتاوى باطلة يكذبون فيها على الله تعالى لأن حب المال قد هيمن على قلوبهم، ومع أن الخمرة أم الخبائث وأضرارها كثيرة ومع أن أضرار الزنى كبيرة إلا أن أضرار عبادة المال أشد وأعظم من كل ضرر، وهي وحدها تكفي لهدم الأديان والشعوب وتدميرها، وإذا كانت عبادة المال وحدها تكفي لتدمير الأديان والشعوب فأي تدمير يحل بالأمم وعلى رأسها الأمة الإسلامية إذا انتشر فيها الزنى والخمور وعبادة المال وما تولده من خبائث وقذارات لا تحصى.

ومن هذه الأمور الهدامة التي ينشرها الصهاينة والمتصهينون توجيه أنظار الأمة إلى الرياضة بمختلف صرعاتها المتنوعة الكثيرة والاهتمام بنقل أخبارها وإلغاء البرامج التلفزيونية لنقل مباراة من أوربا أو أميركا بوساطة الأقمار الصناعية مباشرة..، ومن هذه الأمور الهدامة تلميع صور الممثلين والممثلات والمغنين والمغنيات وإطلاق لقب نجوم عليهم وتعظيمهم وتبجيلهم وإحياء ذكراهم بعد موتهم باستمرار، فما زال إخوان الصهاينة يعدون برامج طويلة جداً كالمسلسلات عن عبد الحليم حافظ وفريد الأطرش وأسمهان وأم كلثوم ومحمد عبد الوهاب وغيرهم ويتحدثون عن أفلامهم السطحية السخيفة برغم مرور زمن طويل على موتهم، ويتحدثون عن الراقصات وعمّا يسميه إخوان الصهاينة بالأفلام الاستعراضية، ويموت العلماء فلا يتحدث أحد عن علمهم وفكرهم وأعظم ما يصنعونه هو أن يذكروا نبأ وفياتهم وأسماء مؤلفاتهم بإيجاز..فإخوان الصهاينة يعرضون عن كل ما يقوي الأمة ويحثون على فعل ما يضعفها ويدمرها ليدمروا الأمة ويحولوا دون تصديها لإسرائيل ولأميركا وإنجلترا ولكي يدفعوا الأمة إلى الخضوع المطلق لأعدائها، فهم يشغلون الأمة بهذه الترّهات لكيلا تعرف الأمة سعي إسرائيل الدائب لتصنيع أقوى أسلحة التدمير ولكي تنسى الأمة

الاعتداءات التي تقع عليها باستمرار من أعدائها ولكي تتقاعس عن مواجهة المكائد التي تدبر لها وتعجز عن التصدي لها.

اضطهاد اليهود في الدنيا

قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ ٱلْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾ ﴾ -الأعراف٧: ١٦٧-.

وقال الله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾ لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى ۖ وَإِن يُقَٰتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ ٱلْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴿١١١﴾ ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْمَسْكَنَةُ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ -آل عمران ٣: ١١٠ إلى ١١٢-.

لقد أخبرنا الله تعالى بأنه سيسلّط على اليهود من يعذّبهم عذابا شديدا ويضطهدهم، وأن هذا التعذيب سوف يستمر إلى يوم القيامة، وأنهم سوف يكونون أذلاّء ضعفاء في كل البلدان التي يقيمون فيها، وأن هذا التعذيب والذل هو عقاب لهم في الدنيا بسبب كفرهم بآيات الله تعالى وقتلهم الأنبياء وعصيانهم لله تعالى وعدم الالتزام بأوامره.

ولقد تعرّض اليهود للاضطهاد خلال عصور التاريخ وعاشوا أذلاء مهانين مع شتى الأمم، وقد يرتفع شأنهم أحياناً ويكون لهم سلطان لكن الله تعالى سرعان ما يسلط عليهم من يطيح بسلطانهم وينهي فسادهم ويردّ كيدهم إلى نحورهم ويعيدهم إلى ذلهم من جديد، وإذا كانت قد قامت لهم دولة في زماننا وأصبح رئيس أميركا ورؤساء أوربا عبيداً لهم فإن الله سبحانه وتعالى سوف يسلّط عليهم من يدمر لهم دولتهم ويطيح بسلطانهم ويعيدهم إلى حياة الذل من جديد، فالذل والاضطهاد مقدّران عليهم من الله تعالى في الحياة الدنيا جزاء وفاقاً لما اقترفته أيديهم الآثمة من المعاصي، وقد وقع هذا وصنّف اليهود كتباً

كثيرة عما أصابهم من كوارث، ولذلك أجمعوا أمرهم على إنشاء دولة لهم في فلسطين المسلمة، وسوف يذبحون فيها قريباً في هَرْمَجُدُّن في الجليل شمالي فلسطين وقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ - المائدة ٥: ٤١- فقد قدّر الله عز وجل أن يقع الذل والعذاب على اليهود في الحياة الدنيا وأن يقع بهم عذاب عظيم في جهنم في الآخرة.

تمزيق النصارى

لقد مزّق الله عز وجل اليهود شر ممزّق بسبب عصيانهم لأوامر الله تعالى وبسبب إفسادهم في الأرض، فقد قال الله عز وجل ﴿ وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًا ﴾ - الأعراف ٧-١٦٨- وقد كان اليهود برغم قلة عددهم مشتتين في بلدان العالم كله مقسمين إلى طوائف متباغضة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾.

وأخبر الله تعالى بأنه مزّق النصارى إلى طوائف متباغضة، وبأن العداوة والبغضاء ستبقى بينهم إلى يوم القيامة، وبأن سبب هذا التمزيق والتفريق هو إعراضهم عن بعض أو كل ما أنزل إليهم من أحكام الشريعة الإلهية، وقد وقع هذا بهم وتباغضوا واقتتلوا ولم يتمكنوا من إزالة أسباب الخلاف حتى يوم الناس هذا، وقد رأينا هذا واضحاً في اقتتال الصرب والكرواتيين في زماننا وفي حروب كثيرة وقعت بين الكاثوليك والبروتستانت ولا يْغربْ عن الأذهان أن هذا عقاب من العقوبات التي ينزلها الله تعالى بمن يهجر أحكام شريعته أو بعضها، وليس هو العقوبة الدنيوية الوحيدة فالعقوبات كثيرة، ويضاف إليها الخلود في نار جهنم في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ ٱللَّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ -المائدة ٥: ١٤-.

عقوبات لمعطّلي شريعة الله تعالى

إن الله تعالى أنزل شرائع للناس لكي يفرضوها على أنفسهم ويعملوا بها، فعلى المؤمنين أن يفعلوا ما أمر الله به وأن يجتنبوا ما نهى الله عنه وأن يحكّموا شريعة الله في أعمالهم ومعاملاتهم عن رضا وطواعية، وإذا لم يفعل الناس هذا فإن الله تعالى ينزل بهم عقوبات دنيوية كثيرة متنوعة، وقد ينْعم الله تعالى عليهم

في الحياة الدنيا فيمنحهم الأموال الكثيرة والسلطان والقوة ثم ينزل بهم عقوباته ويبطش بهم بطش عزيز مقتدر، وهذا حكم إلهي أبدي يجري مفعوله على المسلمين والنصارى واليهود وسائر الأمم، وقد جاء هذا الحكم الإلهي في مواضع شتى من القرآن الكريم، يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿٤٢﴾ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟ وَلَٰكِن قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾ فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ ٱللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَٰرَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُم مَّنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِهِ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ الأنعام ٦ : ٤٢ إلى٤٧-.

الاطلاع على عظمة إبداع الخالق

قال الله تعالى: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ﴾ -فصلت ٤١: ٥٣-.

أخبرنا الله عز وجل بأنه سيمكّن الناس من إنجاز تطور علمي عظيم في ميادين العلوم المتنوعة وفيما يسمى بغزو الفضاء وفي أسرار الجسد الإنساني ووظائف أعضائه، وقد وقع هذا، وقد أخبر الله تعالى بوقوعه والناس آنذاك في جهل مطبق، وبين الله تعالى أن الغاية من اطلاع الناس على أسرار الكون والجسد هو إدراك عظمة الله الخالق المبدع، وقد قالوا إن غاغارين رائد الفضاء السوفييتي الأول أو تيتوف الرائد الثاني قد هبط من السفينة الفضائية مصفرَّ الوجه ولما سئل أجاب بأنه ليس مريضاً ولكنه مندهش مما شاهده من عظمة الكون.

لقد عرف الإنسان أن الأرض بيضاوية الشكل تدور حول نفسها دورة فيحدث الليل والنهار خلالها، وتدور حول الشمس دورة في السنة تحدث الفصول خلالها على طرفي الأرض، وتدور ملايين الكواكب في مسارات معينة، ويحدث هذا كله وفق نظام دقيق مدهش، فلا يصطدم كوكب بكوكب، ولا

يحدث في حركاتها ومسيراتها أي اختلال، وقد رأى العلماء في عام١٩٧٢كما أظن كوكبا يهوي نحو الأرض بسرعة هائلة، ورأوا أنه سوف يدمر الأرض وينهي الحياة فيها، واتحدت جهود أميركا والاتحاد السوفييتي لمواجهة الخطر برغم العداء المستحكم بينهما آنذاك، ودرست الدولتان العظيمتان قضية تفجير الكوكب وتدميره في الفضاء ولكنهما زعمتا أن في تدميره بالأسلحة الذرية خطراً على الناس، وأشاعتا الذعر بين الناس وهما تذيعان أنباء اقتراب الكوكب من الأرض وتحددان زمن ارتطامه بالأرض بالساعات، وأصبحتا تنتظران وقوع الكارثة وقد يئستا من القدرة على تفاديها.

وكنت أقول لتلاميذي: إن الحياة لن تنتهي على هذه الصورة لأن سيدنا محمداً ﷺ ذكر لنا أموراً سوف تحدث قبل قيام الساعة ولم تحدث هذه الأمور بعد، فلا يمكن أن تنتهي الحياة قبل حدوثها، وذكر لنا الله تعالى في القرآن الكريم ومحمد رسول الله ﷺ في الحديث النبوي الشريف أن الحياة على الأرض سوف تنتهي بنفخة الصور، فلن تنتهي الحياة بارتطام كوكب بالأرض، ولقد صدق الله تعالى وصدق رسوله ﷺ ، فلقد انحرف الكوكب في آخر الأمر وتابع انقضاضه في الفضاء الواسع، ولقد تبين أن الكون هائل الاتساع لا يمكن للبشر برغم التقدم العلمي العظيم أن يعرفوا حدوده وإنهم لا يستطيعون أن يعرفوا عدة الكواكب، وإن النظر إلى الكون العظيم الاتساع وإلى ملايين الكواكب ودورانها المنتظم المدهش في هذا الفضاء الرحب دون أن ترتطم ببعضها يدل على عظمة الكون وعلى عظمة الخالق الأعظم، كما يدل على أن هذا الكون العظيم المنظم لا يمكن أن يكون قد خلق نفسه بنفسه، فإذا وجدنا آثار أقدام على الأرض أدركنا أن إنساناً قد مر بهذا المكان، وإذا رأينا داراً مشيدة أدركنا أن هناك من بناها، بل إننا إذا رأينا مسماراً أدركنا أن صانعاً قد صنعه، فكيف يقتنع إنسان يملك ذرة من العقل أن ملايين الكواكب وهي تجري بنظام دقيق مدهش ليس لها خالق.

وقد يسر الله عز وجل للإنسان سبيل الاطلاع على أمور كثيرة تظهر عظمة الخالق، فالإنسان يخرج مقادير هائلة من المعادن المتنوعة من الصخور، فمن الذي مزج المعادن بالصخر؟ ويستخرج الإنسان مقادير هائلة من الملح من ماء البحر ومن الصخور والأتربة دون أن ينفد ودون أن يفقد البحر ملوحته، ألا يدل هذا على وجود خالق عظيم؟!.

ثم إن قضية حركة الألكترونات في الذرة وظهور علوم جديدة وصناعات عظيمة جديدة مدهشة قامت على اكتشاف هذه الظاهرة دليل ساطع على وجود خالق في منتهى العظمة.

وإن كل تقدم أحرزه الإنسان في ميادين العلم المختلفة وفي سبر أغوارها واكتناه مبهمها دل بصورة جلية واضحة على وجود خالق في منتهى العظمة.

وإن الاطلاع على باطن جسد الإنسان وظاهره قد دل على عظمة هذا الجسد وعظمة خالقه، فعملية الهضم عملية دقيقة مدهشة، وعملية صنع الخلايا وجرف الخلايا الميتة عملية مدهشة، ودوران الدم في سائر أنحاء الجسد وإيصال العناصر الغذائية المتنوعة إلى كل جزء منه وعملية تصفيته المستمرة من الشوائب عملية مدهشة، ونشاط الكليتين العظيم وقيامهما باستخلاص الأملاح الفائضة عن حاجة الجسد وطردها عملية مدهشة، وعملية الدفاع عن الجسد والاشتباكات بين كريات الدم البيضاء والجراثيم عملية مدهشة، والتأثير العظيم الذي تحدثه غدد صغيرة لا يتجاوز طول الواحدة منها نصف سنتمتر عملية مدهشة، وعملية إفراز العظام مادة لاصقة حينما تتعرض للكسر للصقها وإعادتها إلى ما كانت عليه عملية مدهشة، ففي كل جزء من الجسد عظمة تدل على عظمة الخالق، ولذلك قال الله تعالى إنه سيرينا عظمة خلقه في الكون وفي الجسد الإنساني ﴿ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ ﴾ حتى ندرك أن هذه الأشياء العظيمة من صنع خالق عظيم.

الشهوانيون أعداء للإسلام

قال الله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيۡكُمۡ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُواْ مَيۡلًا عَظِيمٗا ﴿٢٧﴾ ﴾ – النساء ٤: ٢٧– لقد كنت أرى أصحاب الشهوات طيلة حياتي يقفون مواقف معادية للإسلام وللمتدينين، وتفيض نفوسهم بالحقد على الإسلام، ويظهر هذا الحقد عندهم إذا طلب منهم التزام شريعة الله تعالى أو إذا ذكر عالم صادق الإيمان أو مجاهد أو إذا طلب تحكيم شريعة الله تعالى في معاملات الناس بدلا من القوانين المستوردة من بلدان الكافرين، ويشتعل حقدهم إذا كانت هناك دعوة للجهاد بالنفس أو بالمال أو إذا كانت هناك دعوة لعمل خيري أو إذا ذكر الإسلام، وهؤلاء الشهوانيون يتهمون العلماء المخلصين العاملين بالدجل والرياء ويتهمونهم بالتكالب على الدنيا

ويتهمونهم بشيوع العري عند نسائهم ويتهمون الجماعات الإسلامية كافة بخيانة الأمة والانقياد المطلق لأميركا وإنجلترا وإسرائيل وغيرها من أعداء الإسلام، ويجزمون بأن الحكومات المعادية للعرب هي التي تنشئ الحركات الإسلامية وتدعو إلى الحكم بشريعة الله تعالى.

وقد ظهر بصورة قاطعة أن الإسلاميين لا يمكن أن يتحالفوا مع القوى الاستعمارية الكافرة ولا يمكن أن يتحالفوا مع المنحرفين عن شريعة الله تعالى، وأن أعداء الله وأعداء الإسلام وأعداء العرب لا يمكن أن يؤازروا الإسلاميين، وظهر بصورة واضحة جلية أن القوى الاستعمارية تعادي الإسلاميين وتضع الخطط للبطش بهم، وظهر بصورة واضحة جلية قاطعة أن أصحاب الشهوات هم وحدهم حلفاء الاستعمار وأصدقاؤه بل هم عبيده في حقيقة الأمر .

لقد سمعت تقريرا منذ سنوات عن حزب الرفاه الإسلامي في تركيا ذكر فيه أميركيون أن محبة الجماهير التركية تزداد لهذا الحزب وأنه قد سيطر على أهم المجالس البلدية في تركيا وأنه في كل انتخاب يجري يسيطر على بلديات جديدة، وأن البلديات التي سيطر عليها حزب الرفاه في الماضي سيظل مسيطراً عليها إلى الأبد، فلم يسبق له الفشل في السيطرة على أية بلدية سيطر عليها من قبل، لأن أفراد هذا الحزب نزيهون يتفانون في إتقان أعمالهم ويتفانون في خدمة الناس وفي السهر على مصالحهم وفي الحرص على فعل ما ينفع الناس وعلى إجابة مطالبهم، ولذلك يحبهم الناس وينتخبونهم إلى الأبد، وذكر التقرير الأميركي أن مقاعد حزب الرفاه الإسلامي تزداد بعد كل انتخاب يجري ازدياداً ملحوظاً، وأعلن أصحاب التقرير أنهم يخشون أن يأتي يوم يسيطر فيه حزب الرفاه الإسلامي على تركيا وأن عليهم أن يبطشوا بحزب الرفاه قبل أن يسيطر ويقوى، وقد فعلت أميركا هذا بمجرد فوز حزب الرفاه في الانتخابات، فقد تفاوض جنرالات حزب الوطن الأم مع أميركا وإسرائيل واتفق هؤلاء على تحطيم الديمقراطية في تركيا وإلغاء الانتخابات وبسط السيطرة العسكرية على تركيا وإغلاق مدارس تحفيظ القرآن الكريم وإلغاء حزب الرفاه الإسلامي، وهذا يدل دلالة قاطعة على أن القوى الاستعمارية تعادي الإسلام عداء سافراً واضحاً وأنها تكن أشد أنواع الحقد للإسلام وأنها تناصر أصحاب الشهوات بكل ما تملك من قوة وأن أصحاب الشهوات هم وحدهم أذناب المستعمرين الصليبيين والصهاينة، فأصحاب الشهوات هم الذين يكون مبتغاهم الأول الاستمتاع

بالملذات الدنيوية وإشباع شهوة الحكم وشهوة الفرج وشهوة البطن وشهوة جمع المال، وهذه أهم الشهوات الدنيوية، وإذا سيطرت إحداها على الإنسان فإنه يبيع دينه ووطنه وأمته وعرضه وكرامته ويقدم على أي فعل قذر في مقابل إشباع شهوته العمياء، ولقد اغتاظ حزب الوطن الخائن من وقوف حزب الرفاه ضد إسرائيل ومن سعيه لتحسين العلاقات مع العرب.

فالإسلام يرفع البلاد إلى أعلى درجات التقدم العلمي والتطور وينشر الصناعة في البلاد الإسلامية التي ما زالت تعتمد على الاستيراد، ويدفع الناس إلى العمل بإتقان ونزاهة، ويزيل الفقر ويوفر للناس حاجاتهم ويوفر لهم الرعاية الشاملة الكافية، ويوجه التعليم توجيهاً مثمراً، ويمنح الناس الحرية الكاملة، ويثيب المبدعين ويعاقب المنحرفين، فتتحرر العقول من إسار الجوع والحاجة والاستبداد والانحراف والظلم وانعدام المساواة وتنطلق لطلب العلوم والإبداع وإتقان العمل.

وتتجه البلاد في ظل الإسلام إلى تأسيس جيش قوي وإلى إعداد نفوس مؤمنة تطلب الشهادة في سبيل الله تعالى ولا تتهافت على أقدام الرئيس الأميركي وعلى أقدام رئيس وزراء إسرائيل تستجدي رضاهما وشفقتهما، لذلك لا يريد الرئيس الأميركي المتصهين ولا رؤساء أوربا المتصهينون ولا إسرائيل قيام حكم إسلامي فعلي.

ونجح الإسلاميون في انتخابات دولة أخرى فأوعز المتصهينون إلى حاكم تلك الدولة بأن يتخلص منهم، وقد صدع بالأمر وكاد أن يقضي عليهم بطرق قذرة ظالمة.

وقام حكم إسلامي في السودان الفقير الضعيف المتخلف فنهضت الرئاسة الأميركية وحلفائها إلى الكيد لهذا الحكم بكل وسيلة ولعل المثير للاشمئزاز أن تصدر الحكومة الأميركية بيانات لا تحصى عن الاعتداء على حقوق الإنسان في السودان في تسعينات القرن الماضي، مع أن هذه الحكومة القذرة الكذابة قد أمرت وتأمر بالاعتداء على حقوق الإنسان في كل مكان في العالم.

وتجتمع في زماننا الحكومة الأميركية وإسرائيل والحكومات الأوربية لإعداد خطة لمقاومة الإرهاب الإسلامي ولتوحيد جهودهم ضد الإسلام والمسلمين، وقد تكشفت البراقع عن وجود حكام مسلمين مرتبطين بأميركا وإسرائيل وأذنابهما الأوربيين منذ زمن طويل.

فأصحاب الشهوات مستعدون للتحالف مع الشيطان في سبيل الحفاظ منافعهم ومكتسباتهم ومغتصباتهم وسرقاتهم، وقد صرّحوا بذلك علانيةً، وهم مستعدّون لقتل المسلمين جميعاً ولإفقارهم وتجويعهم وللمحافظة على تخلفهم ولخنق حرياتهم في سبيل المحافظة على إرضاء أميركا وإسرائيل وأذنابهما، وهم مستعدون لإضعاف الأمة وتوفير الوسائل الكافية لانتصار إسرائيل وإظهارها بمظهر القوية التي لا تقهر كي يستجدي العرب والمسلمون موافقة إسرائيل على حل استسلامي مذل.

والأمثلة كثيرة جداً، وهي تدل على أن أصحاب الشهوات أعداء الله تعالى وللأمة وحلفاء للمتصهينين.

بلاء من أهل الكتاب والمشركين

قال الله تعالى: ﴿ ۞ لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ أَذًى كَثِيرًا ۚ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾ ﴾ - آل عمران ٣: ١٨٦ -.

لقد جاءت هذه الآية في صيغة الاستقبال وبأسلوب التوكيد، وهي تلخص في كلمات قليلة ما لقيه المسلمون من الثالوث الكافر الصليبيين واليهود والملاحدة من عصر محمد ﷺ إلى زماننا هذا.

فقد ظل المسلمون يتعرضون لاعتداءات الرومان ثم الصليبيين ولغدرهم ولوحشيتهم، وقد جرت مراسلات ومفاوضات بينهم وبين المغول والتتر لكي يوحدوا جهودهم ضد الإسلام والمسلمين، وقد استعمر الأوربيون الهند وكانت إمبراطورية إسلامية، فحاربوا الإسلام والمسلمين وأضعفوا المسلمين وبذلوا أعظم جهودهم في سبيل تقوية الوثنيين، ولم يخرجوا من الهند إلا بعد أن جعلوا مقاليد الحكم بيد الوثنيين، وقد عمل الصليبيون على تبرئة اليهود من قتل عيسى ﷺ، ولكنهم نسوا أن يكسروا الصليب الذي أصبح لا يدل على شيء بعد تبرئة اليهود من صلب عيسى ﷺ.

وتحالف الصليبيين مع الوثنيين واليهود دليل قوي على أنهم ليسوا أصحاب دين وعلى أنهم أصحاب حقد فحسب على الإسلام، ولو كانوا أصحاب دين لكان عليهم أن يكونوا على علاقات طيبة مع المسلمين وحدهم دون سائر الأمم، لأن المسلمين وحدهم يؤمنون بأن المسيحية ديانة سماوية، وأن

عيسى ﷺ نبي ورسول من الله تعالى إلى بني إسرائيل، وأن أمه مريم قديسة، ويؤمنون بالأنبياء الذين يؤمن بهم النصارى، ويعاملون النصارى الموجودين في بلدان المسلمين معاملة حسنة جداً، فالإسلام يساوي بينهم وبين المسلمين مساواة تامة في الحقوق والواجبات لأن رسول الله ﷺ يقول (لهم ما لنا، وعليهم ما علينا) و(من آذى ذمياً فقد آذاني) ، فالنصارى الأوربيون والأميركيون ليسوا أصحاب دين وإنما هم أصحاب حقد، فهم يتعاونون مع الملاحدة والوثنيين واليهود ضد المسلمين المؤمنين، إضافة إلى إعراضهم عن وصايا عيسى ﷺ العشر الموجودة في أناجيلهم.

لقد بين الله تعالى الطريق الذي يسلكه المسلمون وهم يتعرضون لأذى النصارى ﴿ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴾ فعلى المسلمين أن يتمسكوا بدينهم ويطيعوا الله تعالى طاعة تامة ويحكموا شريعة الله تعالى في أعمالهم ومعاملاتهم وأن يحاربوا أعداء الإسلام المعتدين وأن يصبروا على الأذى الذي يصيبهم في جهادهم حتى ينالوا النصر المبين المؤزر الساحق الماحق، وسوف ينالونه إذا آمنوا بالله تعالى وكانوا له مخلصين، وسوف تزول دولة إسرائيل مهما فعلت ومهما فعل حلفاؤها لمناصرتها.

فهرس المحتويات

بيان للقرّاء

لقد تم تصنيف (نبوءات نبي الإسلام محمد ﷺ) في اثني عشر جزءاً، صدر منها ستة أجزاء في كتابين، وبقيت ستة أجزاء يجري إعدادها للطباعة، وسوف تصدر في كتابين أيضاً إن شاء الله تعالى .

وأسماء الأجزاء المتبقية هي :

الفتوحات الإسلامية.

عثمان بن عفان المفترى عليه وأصابع الكيد اليهودي ضد الإسلام.

انحراف الحكام والمسلمين تدريجياً عن الإسلام.

الزنى والانحطاط الخلقي.

ظهور النفاق وغيره.

عقوبات إلهية تنزل بالمسلمين.

وإن كل جزء لا يقتصر مضمونه على ما يدل عليه العنوان بل يضم مجموعة من النبوءات .

بيان إلى المؤلفين باللغة العربية وإلى المترجمين
وإلى محققي كتب التراث
وإلى أبنائهم وأحفادهم وتلاميذهم
وإلى المثقفين المخلصين لهذه الأمة

إن مؤلف هذا الكتاب يعمل منذ عام ١٩٧٢ في إعداد معجم للكتاب العربي وقد سبق له أن تحدث عنه في مجلة (الفيصل) السعودية عام ١٩٨٢ وفي سواها. وهو يريد ما يتوفر من المعلومات التالية: اسم المؤلف الثلاثي وتاريخ ومكان الولادة والوفاة إن كان قد توفي، واسم الكتاب ونوعه أو مضمونه أو جنسه الأدبي ونوع الشعر الذي يكتبه إن كان شاعراً، واسم دار النشر إن وجدت ومكانها ، وعدد صفحات الكتاب وطول الصفحة وعرضها بالسنتيمتر، وتاريخ الطباعة بالهجري والميلادي، وجنسية المؤلف والمترجم وتاريخ ولادة ووفاة الأخير إن وجدت، ولمحة موجزة عن حياة المؤلف.

وهو يكتفي باسم المؤلف واسم الكتاب إن لم يتيسر الحصول على معلومات أخرى.

لقد قام المؤلف بجهده الفردي بإعداد هذا المعجم، وقد تم إعداده، ولكنه يتمنى أن يتلقى معلومات ممن ذكرهم ليقترب المعجم من الكمال.

وهو يتمنى أن يتلقى أخبار النشرالجديدة باستمرار لأنه سوف يصدر أجزاء جديدة لهذا المعجم تتضمن ما سوف يصدر من كتب باللغة العربية.

عنوان الكاتب : بزاعة- الباب - حلب- سورية.

البريد الإلكتروني: m-fahmy٤٥@maktoob.com